

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

مديرية ما بعد التدرج والبحث

العلمي والعلاقات الخارجية

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي ومنهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في العلوم الإسلامية

تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:

يوسف عبد اللاوي

إعداد الطالب:

عبد السلام درويش

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
كمال قدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
يوسف عبد اللاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
جمال الأشرف	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الوادي	مناقشاً
أحمد عامر باي	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الوادي	مناقشاً
محمد البشير بن طبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	مناقشاً
أحمد بوسجادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مناقشاً

السنة الجامعية: 1442 - 1443 هـ / 2021 - 2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"^I

إهداء

إلى الملك الجبار جل وعلاه . .

إلى من بيده ملكوت كل شيء¹ . . .

إلى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى² . .

إلى الذي بعث محمدا بشيرا ونذيرا " وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا مُنِيرَا " . . .³

أهدي هذا العمل المتواضع وأقدمه بين يديك . . . فأقبله يا رب . . . ولا تتخذني وتردني خائبا . . .

" . . يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجَعْنَا بِيضَاعَةً مُرْجَاةً فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا . . " ⁴

زادي قليل ما أراه مبلغني . . الزادي أبكي أم لطول مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنى . . فأين رجائي فيك أين محبتي

فإن قبلت مني يا رب هذا العمل . . . ف " ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ " وذلك غايته ومناي . . وإزددته علي يا رب فذاك من جهلي وضعفني

وهواني عليك . . فأكرمني بعفوك وغفرانك . فليس إرب سواك يا الله " إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا " ⁶

واجعلني اللهم ممن قلت فيهم . . . " فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا " ⁷

1- المؤمنون / 88

2 - طه / 50

3 - الأحزاب / 46

4- يوسف / 88

5- الكهف / 64

6- النساء / 43

7- الإنسان / 22

شكر وتقدير

الحمد لله تعالى أولاً وأخيراً على نعمة الإسلام... والشكر له أن جعلنا من أمة خير الأنام... أحمد الله تعالى وأشكره أن أكرمني ووفقني لإتمام هذه الرسالة فلم كل الفضل على منته وإحسانه... وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى هديته ودعوته... ونشره لدين الله وتبليغه. وإلى الوالدين الكريمين الذين أحبا العلم وشجعاني على متابعة صرح الدين وعمرانه... ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم بخزير الشكر والامتنان للدكتور: يوسف عبد اللاوي الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، ولم يدخل جهداً في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة، وقد تكبدت معي عناء ومشقة تنوء بها الشمر الراس فقد كان مثالا للصبر والنحمل وسعة الصدر فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع مقامه يوم اللقاء...

وإلى الزوجة الكريمة الوفية والقارئة الضابطة النديّة... ما فشت تبث في رוחي القوة والأمل في مواصلة الجدل والنشاط لاسنكمال الرسالة وهي على فراش الموت ترمق اليوم الذي أتوج فيه بالشهادة أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتها يوم القيامة وأن ينعمها بعفوه ورضوانه... وسامروا على درنهما الزهرات الثلاث... نور وشمس وخفة اللائي كن لي خير معين بعد والدن في التشجيع والمثابرة وشحذ الهمة لمواصلة المسير...

وأشكر كل من كانت له يد في إثراء وتمكين وإجاز هذه الرسالة المنواضعة ولو جاء متأخرا بنحر فضه ودفعه لعجلة الوصول إلى رحاب النكيرم والشريف...

كما لا أنسى الأخ الكريم والابن البار محمد السعيد مسعي أسعد الله تعالى مسعاه والذي مرغمر انشغاله برسالة وكثرة مسوق ولياته إلا أنه وقف معي وساندني في محنتي ومنحتني فله شكري واحترامي... وإلى كل من مد يده بالعطاء وهنفت شفناه بالدعاء وساعدني ولو بكلمة طيبة ونظرة فيها حياء فلهم مني أسمى عبارات التقدير والوفاء وجعل الله تعالى ذلك في ميزان حسناتهم يوم اللقاء...

ولو أني أوتيت كل بلاغة

لما كنت بعد القول إلا مقصرا

وأفريت بحر النطق في النظم والنثر

ومعتزفا بالعجز عن واجب الشكر

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على المعوقات التي تواجه الدعوة الإسلامية في كل عصر، وصمود الدعوة وسبل معالجتها في ضوء الكتاب والسنة، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، ومحاولة الوصول إلى كشف الحقيقة والاطلاع على أسرار المشكلة، برصدها وتحليلها ووضع مقترحات لمواجهتها أو الحد منها والوقاية من تأثيرها وانتشارها، فقد استعان الباحث على كل ما له صلة بموضوع الدراسة: من كتب ورسائل دكتوراه وماجستير وبحوث ومقالات وغيرها، رغم شساعة الدراسة وتعدد المواضيع وتنوعها.

وخلُصت الدراسة إلى أنه لا يمكن للخطاب الدعوي تحقيق أهدافه وبلوغ مقاصده، إلا من خلال تجاوز هذه العوائق والتحديات والعقبات، ووضع البرامج والخطط المنهجية من طرف علماء ودعاة ربانيين قد فقهوا دين الله تعالى وعرفوا مقاصده، وقد تحدّوا كل العوائق وتجاوزوا كل العقبات وعالجوا ما استطاعوا من آفات حتى استبان لهم الحق وعرفوا طريقه فساروا على هديه واتبعوا سبيله.

الكلمات المفتاحية: عوائق، الاستجابة، الخطاب، الدعوة، المنهج، المعالجة.

Abstract

This study aims to shed light on the obstacles facing the Islamic call in every era, and the steadfastness of the call and facing all challenges and obstacles. Limiting it and preventing its impact and spread, the researcher relied on everything related to the subject of the study: books, doctoral and master theses, research, conference articles, and others, despite the vastness of the study and the multiplicity and diversity of topics.

The study concluded that the advocacy discourse cannot achieve its goals and achieve its purposes, except by overcoming these obstacles, challenges and obstacles, and setting programs and methodological plans by divine scholars and preachers who have understood the religion of God Almighty and knew its purposes, and they defied all obstacles and overcame all obstacles and treated what they could Pests until the truth became clear to them and they knew his way, so they walked on his guidance and followed his path.

Keywords: obstacles, response, discourse, advocacy, approach, treatment.

المقدمة

تمهيد:

عُرف الخطاب الدعويّ خلال مسيرته التاريخية عبر مراحل الزّمن، سلسلة من الاضطرابات والتّغيّرات بين السقوط والارتقاء، لذا فقد كان الخطاب الدعوي في أرقى صوره يوم كانت الأُمّة تملك زمام أمرها وكانت لها الكلمة العليا واليد الطولى، وتنفخر بعزّها وكرامتها، لمّا استمسكت بكتاب ربّها سبحانه وتعالى وسنّة نبيّها عليه الصلاة والسلام، فحفظ الله تعالى لها قدرها ورفع مكانتها، وسوّدها على جميع الأمم والحضارات، وجعل دينها الظاهر على كل الشرائع والديانات.

ولما طال على الناس الأمد، واستمتعوا بدنياهم، وتخلو عن دينهم، وتركوا الجهاد فأصابهم الوهن، وفتحت عليهم الدنيا بزخارفها ومغرياتها، فتنافسوها لغفلتهم وجهلهم، حتى تقطعت بهم السبل، وحادوا عن سواء السبيل.

وما أن زلّت بهم الأقدام في سلّم الأخلاق، وتخلو عن تعاليم دينهم، هانوا على الله تعالى، فتداعت عليهم الأمم من كل أفق فمزقوها شرّ ممزق، وأخذوا ما بأيديها واسترهبوها وأذاقوها سوء العذاب، فهدموا الديار، وحرّقوا الثمار، وقتلوا الإنسان، وحرّفوا اللسان كي يُجهل البيان ويطمس القرآن.

وبعد هذا الحِمْل الثقيل والأمد البعيد، ما استطاع الخطاب أن يسترجع شيئاً من هيئته وكرامته، وأن يرفع بمستوى المجتمع والأُمّة إلى درجة القبول وإثبات الوجود، وإعادة ما ضاع منه خلال عقود من الزمن، فأصيب الخطاب بالضعف والتخلف، وقلة الفاعلية والتأثير، لأنه يفتقد إلى قوة الحق وحق القوة، التي تمكّنه من إيصال صوته وفرض وجوده، وإعطاء الصورة المثلى لدعوة الإسلام، وتبيان شريعته على أرض الواقع.

وفي عصرنا الحاضر يتطلع الخطاب الدعوي إلى إعادة النظر في شكله ومضمونه، وتحديد هياكله ومكنونه، من أساليب ووسائل، واستغلال ما أنتجته الحضارة المعاصرة والتقدم التقني والتكنولوجي من وسائل حديثة مبدعة، قد أدهشت وحيرت كل العقول في جودتها وسرعة انتشارها وسهولة استخدامها، وقد اختصرت على العلماء والدعاة كل مجالات الحياة وأبعاد الوجود واحتياجات البشرية، وقربت البعيد ووثقت الصلّات، وكشفت عن كل جديد واختصرت الزمان والمكان وأراحت الإنسان...

ورغم كل المحاولات الحثيثة التي قام بها علماء الأمة ودعاتها من أجل بعث روح الأمل في إعادة تجديد خطابها الدعوي، وتخليصه من كل العوائق والآفات التي لصقت به إبان مرحلة الضعف وانحطاط الأمة وتخلفها، لما أصابها زمن الهزائم والحروب وما تجرّعته من ضربات موجعة قصمت ظهرها، وأثقلت كاهلها، فما استطاعت النهوض لعظم الدمار وفضاعة الكارثة التي حلت بها لسنين عديدة، والتي عمت كل المجالات الحيوية للأمة، حتى وصل الأمر إلى محاربة مقومات الدين ومبادئه، وتشويه صورته وتشكيك الناس في صلاحيته، وعدم تماشيه مع تطورات الزمن ومتغيراته.

ولا يزال العدو يرصد تحركات الدعوة وانتشارها، لملاحقة الدعاة والعلماء، ووضع الخطط والمؤامرات لمضايقتهم، وقطع الطريق عنهم للوصول إلى المدعويين، ومخاطبتهم وإقناعهم لاعتناق الإسلام وقبول دعوته.

لقد عانى الخطاب الدعوي من سهام العدو وتهديداته المتكررة والمتواصلة، إلا أن المشكلات الداخلية والتي تنبت في الحقل الدعوي والتي يقع فيها الدعاة وأفراد الجماعة المسلمة، أشد فتكا وأعظم خطرا على تماسك الجماعة ووحدة الكلمة ومواصلة الأعمال الدعوية. . وقد يصاب الخطاب الدعوي من أحد أطرافه بعوائق تحول دون استجابة الناس له، ويرجع ذلك إلى ما يصاب به الداعية من أمراض، أو تحيط به أو تعترضه عقبات تعرقل سيره وتثقل خطواته، أو يكون الأمر في الموضوع الدعوي الذي يوجه للناس لم يرق إلى لغة العصر ومستواهم ويستجيب لمطالبهم واحتياجاتهم، ويتوافق مع مستجدات التطور التكنولوجي الحديث، وقد يكون الضعف في الوسائل والأساليب التي يُخاطب بها الناس، لم يمسه التطور والتحديث الذي وصلت إليه وسائل العصر وتقنياته المتطورة التي أحدثت قفزة نوعية لم يسبق لها مثيل عبر تاريخ البشرية الطويل.

ولترقية الخطاب الدعوي وتحقيق أهدافه وبلوغ غايته لا بد من توفير شروط الخطاب الدعوي من داعية فقيه ناجح، وموضوع واقعي مُهم، وأسلوب سلس حكيم، ووسيلة حديثة مؤثرة، عندها يبقى الخلل والعائق الوحيد في المدعو الذي يمنعه هوام من الاستجابة للخطاب الدعوي، والتي يعمل الداعية على تذليل سبل الوصول إلى إقناعه وهدايته ودخوله في رحاب الإسلام.

أهمية الدراسة:

تعتبر دراسة هذا الموضوع من أعظم الأعمال وأشقّها، وهي التي تبحث في كيفية وصول دعوة الله تعالى ورسالته الى الناس، مع تحمّل كل أنواع العوائق والعراقيل التي تعترض طريقها، وهي المهمة التي أوكلها الله تعالى لخيرة خلقه من الأنبياء والرسل الكرام .

إن البحث في سلسلة العوائق التي تواجه الدعاة الى الله تعالى في خطابهم الدعوي، أمر يصعب حصره أو الإحاطة به إلا من عاش الدعوة وخبر حقيقتها وصبر على تبعاتها وأنقاها .

إن الواقع التي تعيشه أمة الإسلام في بعدهم عن دينهم و تطبيق تعاليمه وإلتزام حدوده، رغم وجود الكم الهائل من الدعاة مع إختلاف مستوياتهم الإيمانية والعلمية إلا أن خطاباتهم لا ترتقي الى مستوى التغيير وحمل أمانة التبليغ، ويبقى حال الأمة على ما هو عليه في حال إستجابتها لهذا الخطاب.

ومن هنا تتجلى أهمية هذا الموضوع في البحث عن حقيقة هذه العوائق التي تحول دون الإستجابة للخطاب الدعوي، وأين يكمن الخلل حتى يتمكن الدعاة والعلماء من تدارك الأمر ومعالجة كل العناصر المتعلقة بالخطاب الدعوي من خلال الكتاب والسنة المطهرة.

إن الناظر في واقع العالم المعاصر يرى أن عودة الإسلام صارت وشيكة يُقرّ بها العدو قبل الصديق. ولكن أهل الباطل لا يرتضون زوال دولتهم ولا نهاية سطوتهم، فيحيكون المؤامرات ويعقدون الاتفاقات، للتعرض للإسلام والتصدي لدعائه بشتى الوسائل، ويدبرون المكائد ليحولوا دون وصول أهل الخير إلى مقاصدهم. فتجدهم يضعون المعوقات والعقبات في طريق وصول الهداية إلى الناس ونشر السلام في العالم.

ومن بين هذه التحديات والعراقيل تتمثل في صدّ الدعاة عن أداء مهامهم، ونشر دعوتهم في مختلف الفضاءات والميادين، للحد من حركتهم وتكميم أفواههم، من خلال التحريش بين حكام العرب والمسلمين وبين علماء الإسلام والدعاة والمصلحين، إلى أن يزجّ بهم في غياهب السجون والمعتقلات ليسكتوا أصواتهم ويعرقلوا خطواتهم بتهمة التآمر والخيانة، فتتقطع دعوتهم عن الناس.

عوامل اختيار الموضوع:

إن من دوافع اختيار هذا الموضوع لأنها قضية الوجود ومن أجلها بعث الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لإصلاح المجتمع وحمايته من العلل والآفات وهدايته الى صراط الله المستقيم، وهو موضوع ذو

أهمية بالغة في حياة الدعاة، وما يؤرق راحتهم ويشغل بالهم ويبعث الحيرة في عدم استجابة الناس للخطاب الدعوي المعاصر بصفة عامة، رغم وجود كثير من الدعاة الذين يقومون بواجبهم الدعوي لنشر دينهم بمختلف الأساليب والوسائل القديمة منها والحديثة، مستخدمين أحدث الوسائل التكنولوجية المتطورة، لكن وجود كثير من العوائق تحول دون الاستجابة الفعلية والسلوكية للخطاب الدعوي فقد يرجع ذلك إلى:

- قلة الإستجابة لخطاب الدعاة
- فقدان القدوة الحسنة وعدم أهلية الداعية
- غياب الوازع الديني لدى أفراد المجتمع
- كثرة الفتن والمغريات
- إنتشار الأخلاق والمعاملات السيئة بين الناس
- الضعف والفتور عند أفراد الأمة
- الهجمة الإعلامية الشرسة ضد الإسلام وأهله

لذا اخترت هذا الموضوع لأكشف عن عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي من خلال دراستي لهذا الموضوع، فعزمت على فحص جسد الأمة وجسّ مواجهها، والكشف عن مواطن الخلل ومواقع الداء وتغافلهم عن الخطاب، ورغبتهم عنه في عدم الاستجابة الواقعية والعملية للخطاب الدعوي المعاصر.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

إن العالم الإسلامي - منذ فجر الإسلام - لازال يزخر بما يمتلكه من ثروة هائلة من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، تتعالى أصواتهم بخطابات دعوية متنوعة ومستمرة بأساليب ووسائل متعددة باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، ومن شعوب وبيئات متباينة، إلا أن هذا الخطاب في الغالب لا يحقق الاستجابة الكاملة لنداء الحق سبحانه وتعالى والتسليم له والخضوع إليه، لوجود تحديات وعقبات وعوائق تحول دون الاستجابة الفعلية لهذا الخطاب من طرف المدعويين.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماهي عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي وما هو منهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة؟

وبناء على ما سبق ذكره تحدد إشكالية الدراسة في التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الخطاب الدعوي، وما هي خصائصه ومرتكزاته؟
- وما هي التحديات التي تعترض الخطاب الدعوي في العصر الحاضر؟
- ماهي عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في الداخل والخارج؟ وكيفية معالجتها...؟
- وهل يمكن تحقيق الاستجابة من خلال تجديد الخطاب الدعوي المعاصر؟ مع استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة لإبراز الخطاب الدعوي أكثر تأثيراً وأعظم نجاحاً؟

أهداف الدراسة:

- إن الهدف الرئيسي والأساسي من هذه الدراسة هو الكشف عن مواطن الداء، والأسباب الحقيقية التي تعوق تأثير الخطاب الدعوي وأداء مهمته على أحسن حال.
- كيفية القضاء على أغلب العقبات والمعوقات التي تحول دون تأثير الخطاب الدعوي على المدعويين.
- إمكانية استغلال التطورات التكنولوجية، والتدفق المعلوماتي وسرعة انتشار المعلومة في تنوع الخطاب الدعوي المعاصر، من حيث الأساليب والوسائل.
- إيضاح الأسس والمعالم لبناء خطاب دعوي مؤثر، في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.
- كما تهدف إلى تفعيل المناهج الدعوية في الخطاب الدعوي وترشيد الدعاة.
- البحث لإيجاد عوامل مشتركة في إثراء الخطاب الدعوي بين علماء ودعاة هذه الأمة.
- استغلال وسائل الإعلام المختلفة بتعدد أشكالها وصورها في تبيين وتعميق الخطاب الدعوي.
- العمل على تخريج دعاة يمثلون الإسلام ويتحدثون بألسنة القوم، قدوة في الدين، يخاطبون أمة الإجابة كما يخاطبون أمة الدعوة بخطاب وسطي معتدل مفعم بروح العصر.

الدراسات السابقة:

إن موضوع البحث فتح الباب أمام أنهار متدفقة: من الرسائل العلمية والكتب والبحوث والمقالات وغيرها، تصب في بحر لا ساحل له من المعلومات والمعرفة، ودراسات معمقة في مجالات

متعددة وفروع الدعوة... وتجد الباحث يُمخر عُباب هذا البحر الهائج بمركبة تتقاذفها الأمواج من كل مكان، دون معرفة بفن القيادة والإبحار، إلا ما استقاها من رُبان العلوم وشيوخ المعرفة. ونظرا للكمّ الهائل من الرسائل والتي أحاطت بكل مطلب، وفي بعض المطالب تتجمع رسائل في كل جزئياته، وقد اختار الباحث بعض الرسائل التي تعرضت للحديث عن عوائق الخطاب الدعوي ومشكلاته، ومنها:

- مشكلات الدعوة إلى الإسلام في مجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا وسبل علاجها.

رسالة دكتوراه للباحث توفيق بن عبد العزيز السديري، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام لسنة 1421هـ-2010م تحت إشراف الدكتور: عبد الله بن محمد آل الشيخ وزير العدل السعودي.

تعد هذه الرسالة بفصولها الثلاثة، مع فصل تمهيدي من أذخر ما اطلعت عليه، بما تحمله من معلومات قيمة ودقيقة وواقعية، والتي لمست ميدانيا ما تعانيه الأقليات المسلمة في أوروبا وغيرها، نظرا لتاريخها الحافل بالمشكلات والعقبات التي تحيط بكل ما له صلة بالإسلام وأهله للعداء الأبدي التي تكنه أوروبا للمسلمين، نظرا للمغالطات الموروثة منذ أن وطئت أقدام الفاتحين أرضهم وما حملوه إليهم من نور الإسلام الذي أضاء الغرب والشرق.

تحدث الباحث في الفصل الأول عن المشكلات الدعوية المتعلقة بالجوانب المنهجية والثقافية والاجتماعية. وفي الفصل الثاني ذكر المشكلات الدعوية المتعلقة بالجوانب السياسية والاقتصادية. ثم ختم رسالته بسبل العلاج لتلك المشكلات، إلا أن الفئة التي يتحدث عنها الباحث اقتصر على الأقليات المسلمة في أوروبا. وأتى على مجموعة من العوائق والمشكلات وقد أفادتني كثير في هذا الجانب....

لذا فقد جاءت رسالتي تعالج المشكلات والعوائق على العموم التي تصيب الخطاب الدعوي في أمة الإسلام -عرب وعجم- ولم تقتصر على فئة معينة من الناس فقد تتشابه أو تختلف الشعوب في استيعابها للخطاب الدعوي من عدمه لما يحمله من قوة أو ضعف.

- منابر الدعوة الإسلامية المعاصرة.

رسالة دكتوراه للباحث: بدر عبد الرزاق عبد الله الماص، تحت إشراف السيد: سابق محمد التهامي، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية 1409هـ -1989م.

تميزت هذه الرسالة بالعمل الجاد والرحلة الطويلة التي قضاها الباحث في الكشف والتقصي عن معوقات العمل الدعوي، في كثير من المراكز والمؤسسات الدعوية في أكثر من خمسة عشرة دولة، وإطلاعه عن قرب ما آلت إليه هذه المحطات من ضعف وفقر في نصرة الإسلام والذود عنه، ومواصلة العمل وبذل الجهود لأداء أمانة الله تعالى على أكمل وجه وتبليغ رسالته.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، تحدث الباحث في الباب الثالث عن عوائق ومشكلات في طريق منابر الدعوة، وذكر بعض العوائق الداخلية التي تنخر جسد الدعوة وتفشل كل محاولات النهوض، واستثمار كل الجهود المبذولة في نصرة الإسلام والدعوة إليه، ثم عرّج للحديث عن بعض المعوقات الخارجية التي تتعرض لها الدعوة من أعدائها، والمتمثلة في الحركات الهدامة ومراكز التنصير والاستشراق، وقد استفدت من هذا العرض وإن كان قد ذكر بعض العوائق والتحديات البارزة عاينها الباحث بنفسه في مختلف المراكز الدعوية في العالم منذ فترة قد تجاوزت الثلاثين سنة.

- الخطاب الدعوي وموانع الاستجابة السلوكية عند الفرد المسلم.

- دراسة تحليلية مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير تخصص دعوة إسلامية من إعداد الطالبة: فيروز صوالحي، وتحت إشراف الدكتور: محمد زرمان، للسنة الجامعية 2009-2010 م، من جامعة الحاج لخضر باتنة.

تُعد هذه الدراسة نظرية وميدانية قامت بها الباحثة فيروز صوالحي، تعرضت في أحد فصولها لموانع الاستجابة السلوكية للخطاب الدعوي المعاصر. وقد جاءت على كثير من الموانع المتعلقة بالداعية والمدعو وموانع الواقع المعاصر.

وقد اقتصر في هذه الدراسة على موانع الاستجابة السلوكية للفرد المسلم، في حين أن الاستجابة الحقيقية للمدعو تكمن في الاستجابة الإيمانية العقدية، والمتمثلة في الخضوع والاستسلام لله تعالى، ثم تنبثق عنها الاستجابة السلوكية الحركية وغيرها.

ولم تتعرض في حديثها عن موانع الاستجابة عند أمة الدعوة في بلاد الغرب وغيرهم، باختلاف أسبابها المتعددة.

وبعد نهاية عرضها للبحث لم تُخلص إلى معالجة الموانع والمتسببة في عدم الاستجابة للخطاب الدعوي من خلال ما ورد في الكتاب والسنة، وتحقيق الاستجابة الكاملة للخطاب الدعوي.

وهذا ما أراد الباحث تداركه وإضافته في بحثه الموسوم: "عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي ومنهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة"، من خلال الحديث عن الاستجابة الإيمانية، ثم تحقيق

الاستجابة السلوكية العملية، ثم تعرض للحديث عن عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي عند أمة الدعوة في الغرب وغيرهم.

معوقات الدعوة في العصر الحاضر وسبل معالجتها.

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم الدعوة والخطابة والفكر، تخصص دعوة للطالب: صادق منصور محمود، إشراف: الدكتور عبد الرحمان محمود، كلية الإمام الأعظم ببغداد، لسنة 2011 م

لقد تناولت هذه الدراسة في بعض فصولها معوقات الدعوة والمتمثلة في قلة الدعاة: أسبابها وعلاجها، مع وجود عزلة عن أداء واجب الدعوة من جانب الرجال والنساء: أسبابها وعلاجها، وتحدث عن معوق تعبئة الملكات الدعوية، وفيه معوق ضعف التكوين: أسبابها وعلاجها، وضعف الصلة بالله تعالى: أسبابها وعلاجها. وفي الفصل الأخير، ذكر المعوقات الخاصة بالأساليب والوسائل الدعوية، وفيه غياب التخطيط في الأسلوب وضعف التخطيط في الوسائل الدعوية: أسبابها وآثارها وسبل علاجها.

وكل هذه المعوقات انحصرت في ركن من أركان الدعوة، وهو الداعية فيما بين تكوينه وغياب التخطيط في الوسائل والأساليب. أما عن قلة الدعاة والعزلة عن أداء واجب الدعوة، فقد تنحصر في باب غياب تكوين الدعاة، ولم يتعرض للحديث عن عوائق الوضع الداخلي للمجتمعات وتأثيرات الوضع الخارجي عليه عن الاستجابة للخطاب الدعوي.

وأقتصر في بحثه عن عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي عند أمة الإجابة ولم يتطرق في الحديث عن أمة الدعوة وهم من بين العناصر الأساسية والأكثر عدداً، والأمة مطالبة بإيصال الدعوة إليهم كذلك.

وهذا ما أراد الباحث الحديث عنه في بحثه وإثراءه، ليتم حوصلة العوائق الداخلية والخارجية في أمة الإجابة وأمة الدعوة، ومعالجتها في ضوء الكتاب والسنة.

كتب في الموضوع:

- مشكلات الدعوة والداعية.

مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط16، 1417هـ-1996م.

لقد جمع الأستاذ فتحي يكن في هذا الكتاب كثير من تجاربه والشدائد التي عاينها والعقبات التي تخطاها والعوائق التي أزاحها عن طريق الدعوة، خلال مسيرته الدعوية لعقود من الزمن. وقد تضمن العديد من الاقتراحات والتصورات العلاجية، لكل المشكلات العصرية، والحن التي تعترض الدعاة في حياتهم الدعوية، وهو كتاب يلامس عمق الداء ويبعث على الأمل إلى النهضة من جديد... فيتحدث إليك خبير الدعوة الذي قضى حياته في صفوف الجماعة الإسلامية يكافح وينافح، وقد عرف ما عانتها الحركة الإسلامية عبر أطوار التاريخ، وما تعرضت له من محن ومخاطر، كادت أن تقضي عليها لولا حفظ الله تعالى ثم جهود القيادة الحكيمة التي قدمت الحلول والمقترحات التي عاجلت تلك المنزقات، وحثت الدعوة من كثير من المنعطفات الخطيرة... لهذا يعتبر الكتاب تحفة فنية كتب بآهات الحن وشدائدها، ووُقع بجراحات الوقائع والأحداث، وسطر بدماء الإخوة الذين قضوا نحبهم ليكون شهادة على صدقهم وأمانتهم، لتبليغ دعوة الله تعالى والمحافظة عليها.

وقد ذكر كثيرا من العوائق الاجتماعية والاقتصادية. ثم تحدث عن العوائق الأساسية في التربية والتكوين. ومن العوائق التي تعترض العمل الدعوي من العوائق القلبية والنفسية. وقال أكثر ما يضر الدعوة الإسلامية عوائق التنظيم في وجوده من عدمه،

ومازال هذا الكتاب يعد ثروة علمية وتنظيمية تتناقله الجماعات الإسلامية من قادة ومسؤولين، ويدرس ضمن المناهج العلمية والبرامج التعليمية في صفوف الجماعات المسلمة، وهو ما جادت به تجاربه وجهوده المضنية خلال مسيرته الدعوية.

- المدخل إلى علم الدعوة.

المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1435هـ - 2014م.

في هذا الكتاب ذكر أبو الفتح البيانوني - في فصله السادس والأخير - جملة من مشكلات الدعوة وعقباتها، التي تعيق العمل الدعوي وتعرقل خطواته... وقسمها إلى مشكلات وعقبات داخلية ذاتية، وضمّنها ثمانية عشر مشكلة، عدّد فيها كثيرا من الأخطاء والتجاوزات... وأرجع ذلك إلى الجهل والغفلة أو إلى نقص التجارب وقلة الوعي بواقع الدعوة، أو إلى الصراعات الداخلية بين أفراد الجماعة الذين لم يُسْهم فضاء "نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"، فنختلف في الوسائل والأساليب ونتوحد في خدمة الإسلام ونصرته وتبليغه للناس، مهما اختلفت مناهجنا وبرامجنا وأفكارنا وآراؤنا وطبيعة عملنا وتصرفاتنا.

وقد تعرض أبو الفتح للحديث عن المشكلات الخارجية والتمثلة في كيد الأعداء المستمر وتعاونهم واتحادهم في الإجهاز على الإسلام، بمختلف ما امتلكت أيديهم من وسائل، وتنوعت أفكارهم من أساليب المكر والخداع، ودعائهم في صناعة التفوق في كل الميادين، وأنواع التسليح المختلفة، حتى وصلوا إلى قمة التحدي والكبرياء والجبروت أن جردوا الإنسان من إنسانيته ومن دينه وثقافته وتاريخه، ليعاد برمجته من جديد ليكون إنسانا عالميا منزوع الإرادة والفكر والتوجه.

- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية.

معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مناع القطان، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1991م. ذكر مناع القطان في كتابه - في الجزء الرابع منه - الاختلاف بين العاملين في حقل الدعوة، والذي تحدث فيه عن التحديات التي تعوق مسيرة الدعوة، ومنها غياب القيادة الأساسية المؤثرة ويعنى بها المرجعية الدعوية ذات كفاءة عالية في مختلف مجالات الحياة وتحضى بالثقة والولاء.

وقد تحدث عن تعدد المدارس الفكرية الذي يوقع الجماعة في اضطراب وتفرق لاختلاف المشارب ومصدر التلقي... فتتعدد آراء الجماعة، فلا تتمكن من مواصلة العمل وبلوغ الأهداف، وذكر الاختلاف في أولويات العمل الدعوي. فلو سلّم لأهل الاختصاص لنظروا إلى أولويات الأمة

وما تعاني منه وانطلقوا في إصلاحه، فإذا دبّ داء الإعجاب بالنفس تعطل العمل الدعوي وذهب ربحهم.

واقصر في حديثه عن العوائق التي تدخل ضمن مجالي: التنظيمي والفكري ولم يتطرق إلى المجالات الأخرى.

- أصول الدعوة.

أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط6، 1423 هـ - 2002م.

لقد قسم عبد الكريم زيدان كتابه إلى أربعة أبواب على أركان الدعوة الأساسية والمتمثلة في الداعية والمدعو وموضوع الدعوة ووسائل الدعوة وأساليبها. وقد أتى على الباب الرابع. وتحدث فيه عن الأدواء التي تصيب الداعية والعمل الدعوي. وعدّد الكثير من العوائق والعقبات والآفات المنتشرة في الأوساط الدعوية، ثم بين كيفية إزالتها وعلاجها.

- آفات على الطريق.

آفات على الطريق، السيد محمد نوح، دار اليقين، مصر، ط1، 1419 هـ - 1999م.

لقد تناول السيد محمد نوح في كتابه بأجزائه الثلاثة من الآفات ما يصيب الداعية والعمل الدعوي بالفشل والضياع. فقد أتى على كثير من أبواب الفتن والأدواء، التي وصلت إلى ست وثلاثين آفة تصيب النفس والقلب، فتشيهما عن الاستقامة والالتزام بشرع الله تعالى، وتغرقها في مستنقع الشبهات والشهوات ومغريات الدنيا وزخارفها، فتتركه يتخبط ويتهاوى في الشرك والضلال، فتتشغل نفسه ويتأثر فؤاده عن مواصلة العمل الدعوي ونصرة دين الله تعالى.

وقد قدم لكل آفة ما يعالجها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وبين سبل الوقاية منها. وقد استفاد الباحث مما استعرضه في هذا الكم الهائل من الآفات والأدواء ووسائل علاجها.

- فقه الدعوة، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقه الدعوة وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1417 هـ - 1996م.

لقد جمع الميداني - في هذا الكتاب بجزئيه - أبوابا كثيرة في الدعوة وما يتعلق بها من أركان وخصائص ومميزات، ثم تعرض إلى ما يصيب الدعوة وعناصرها من الخذلان والتزدي في مهاوي الفشل والقعود.

وقد أشار في الباب الثالث والفصل الأول منه، إلى عرض جملة من القواعد والتي بلغت الواحد والخمسين في النصح والإرشاد لصاحب الدعوة أو حامل الرسالة حماية له من الوقوع في العوائق والمهالك. أما الفصل الثاني فقد نبّه إلى وجود كثير من الآفات التي تتسلل إلى الداعية، فتفسد عليه دينه وأعماله الدعوية. وقد جمع من الآفات أنواع مختلفة، فمنها ما يتعلق بالقلب، ومنها ما يتعلق بالنفس وما يلحقها من تصرفات مشينة وتخبط في المناهج وعشوائية في الأعمال الدعوية والنشاطات الحيوية وأخطاء سلوكية.

فقد عدّها واحدا وعشرين آفة، شملت كثير من أوجه الحياة العملية والتصرفات الدعوية فغلب عليها حب الدنيا والركون إليها والتعلق بمفاتنها ومغرياتها، وانبهار الداعية بشهواتها والانخداع بشبهاتها، فيتطلع إلى المناصب الدنيوية، فتشغله عن مهامه الأساسية وتستتهويه الدنيا بزینتها وزخرفها، فتضلّه عن سواء السبيل.

وقد انتقل إلى الباب الرابع، وفي فصله الثاني إلى الحديث عن العقبات والعوائق، والتي تتعلق بالداعية والمدعو، ومن العوائق ما اشتركت بينهما في مجموع خمسة عشر عائقا، قد تضمنت مجالات الحياة ومتطلبات العمل الدعوي وفضائاته. وقد عبّ على كل عائق بما يعالجه ويقدم له الحلول الناجعة والتي تقضي على أسبابه وآثاره. وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب في كثير من محطات البحث وفروعه.

- فقه الدعوة.

فقه الدعوة، بسام العموش، دار النفائس، الأردن، ط1، 1425 هـ - 2005م.

لقد خصص بسام العموش جزء من كتاب فقه الدعوة للحديث عن العقبات التي تصيب الدعوة والداعية. وذكر للدعوة بعض المشكلات منها: التنظيمية والاجتماعية. أما فيما يتعلق بالداعية، فذكر العوائق المالية والعوائق السياسية، كالانشغال بالمناصب والوظائف العليا، وكذا العوائق التنظيمية، كالصراعات الداخلية وحب الريادة والتحكم، وقدم بعض الاقتراحات للحيلولة دون الوقوع في الانزلاقات الخطيرة، وتتكبد الجماعة خسائر لا قبل لها بها وحماية الصف من التفرقة والتشتت والضياع... وهو كتاب مفيد، وإن أتى على شيء يسير من العقبات المتعلقة بالدعوة والداعية.

- العوائق.

العوائق، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1398م - 1978م.

لقد تحدث الشيخ محمد أحمد الراشد في كتابه العوائق عن الفتن التي تصيب الدعوة وتحيط بها من كل جانب، بأسلوب سلس عذب، وعبارات قوية وأفكار عميقة هادفة، تلميحاً وتصريحاً، يقرب لك المعاني، ويوضح لك المباني، وكل كلماته تحمل صروحاً من الأمل واستشراف المستقبل الواعد، رغم الآلام والآهات التي تنهش جسد الأمة وتعبث بمقدساتها... إنها تعابير لا تُفهم من أول مرة حتى تعيد قراءتها مراراً ليكتشف أن المحدث عن الدعوة ومآسيها وجراحاتها وعوائقها، وما تعانيه من اختلاف وصراعات لا يمكن معها تحقيق الأهداف ولا بلوغ الغايات، حتى يعودوا إلى النبع الصافي والمعين الشافي، فيردوا منه كما فعل الأولون، فيقتدوا بهم فيهتدوا بهداهم فينصرهم كما نصرهم ويمكّنهم كما مكّنهم من قبل.

يعدّ هذا الكتاب ثمرة تجارب لعقود من الزمن، في حقول الابتلاء والمحن والشدائد التي ألت بالحركة الإسلامية ورجالها، فأبلوا بلاء حسناً وما بدّلوا تبديلاً.

- موسوعة زاد الدعاة.

موسوعة زاد الدعاة، علي بن عمر بادحدح، ومحمد بن محمود حوا، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1437هـ - 2016م.

لقد عرض الشيخان في هذا الزاد المتدفق وهذه الموسوعة الثرية، بما ينير للدعاة سبل التربية والإعداد وتمكينهم من التحلي بالصفات الواجب توفرها في الداعية الناجح، والحامل لرسالة الإسلام والأمانة العظمى، لتبليغها للناس سلوكيات عملية وأخلاق وافرة وعمل جاد.

فقد جاء في الباب الثاني والفصل الأول منه وفي المبحث الثاني: مجموعة من الآفات التي تعيق عمل الداعية وتنبيه عن مواصلة العمل الدعوي، فذكر بعض العوائق النفسية، وأجمل في كثير من العوائق التربوية واعتبرها السبب الرئيسي في ضعف الزاد العلمي وقلة الخبرة في القيام بمهام الدعوة الشاقة. ثم تحدث عن الآفات التي تصيب قلب الداعية، وهي من العوائق القلبية. ثم ختمها بمشكلات التنظيم والتسيير وحب التّراس والقيادة، وقد بيّن أسباب هذه الآفات ووضع كثيرا من المقترحات العلمية القيّمة بغية العلاج الناجع والحماية المتواصلة. وهي موسوعة مفيدة ونافعة للجماعة والفرد في الحقل الدعوي.

- سلسلة مدرسة الدعاة.

سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، مصر، ط2، 1424هـ . 2004م.

إن من براعة الداعية الخبير أن يحدثك من عمق المعركة، فينقل لك أحداثها رأي العين ويحدد لك قوتها وشدة وطيسها وروعة فنونها... ويخبرك عن عقباتها ونتائجها... لقد أبدع الشيخ عبد الله ناصح علوان في هذه السلسلة ذات الفصول الهادفة في فقه الدعوة والداعية، وطرق كثير من أبواب الدعوة وما يحيط بها من مقومات ومبادئ، وما يتعلق بالداعية من صفات وأخلاق، وثقافة وتكوين وإعداد، لمواجهة المجتمع بوجه الإسلام المشرق وأخلاقه السمحاء ومعاملاته الحسنة، وخطابه للناس

بالرأفة والرفق، مصداقا **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** ¹.

وأرفق المجلد الثاني في الحديث عن العقبات التي تعترض طريق الدعاة - تحذيرا وتعويقا - عن مواصلة العمل الدعوي وصدا عن سبيل الله تعالى في الداخل والخارج حتى يتجنب الداعية مزلقها

ومخاطرها، وينجو من غوائلها ومهالكها. . وقد أتى على كثير من العقبات تفصيلا وإيضاحا، ثم تعرض إلى سبل علاجها والوقاية منها وتجنبها.

فذكر الأمراض الباطنية التي تصيب قلب الداعية في العمق فتفسد عليه عمله وتبطله، والمؤثرات النفسية التي توهنه عن العمل، والعوامل الاجتماعية التي تثقله إلى الأرض، وتبعده عن مواصلة الطريق، والمعوقات السياسية التي تأتي على كل نشاط دعوي وتبطله، وتراقب كل تحركات الدعاة وعلاقاتهم، ثم الظروف الاقتصادية التي تملك الحرث والنسل، وتُرهِق الشعوب وتُوهن عزائمهم، وتُضعف تمسكهم بأخلاقهم ومبادئهم، وتقلّ همّة الرجل حتى « يبيع دينه بعرض من الدنيا »¹، وهناك أسباب تربوية في ضعف تكوين وإعداد الدعاة، ثم ختمها بالأخطاء التنظيمية والتي تنزلق فيها كثير من الجماعات: من حيث التنظيم الداخلي، وسوء اختيار القيادة والعشوائية في الأعمال الدعوية والتصرفات الإدارية، وسوء التخطيط المرحلي للدعوة. . وقد أفاد الباحث في كثير من فصوله في تنوع العوائق، مع ذكر الأمثلة من الأحداث الواقعية التي أضرت ببعض الجماعات والمؤسسات الدعوية والوقاية منها وأخذ العبرة والعظة.

الصعوبات التي تواجه الباحث:

- لقد كان من قدرتي أن وقع اختياري على عنوان لأطروحتي كنت أحسب - بجرأتي وجهلي - أني سأتي على بعض جوانبه لأعالج ما به من علل وأمراض قد تصيب أحد أطرافه أو كلها، فوجدتني أسبح في لجج بحر هائج لا ساحل له، بمركبة واهية لا شراع لها يوجهها، ولا رتّان يحسن قيادتها. . ووجدتني وحيدا شريدا، قد طُفت المشارق والمغارب لأبحث عن زاد يؤهلني لأسلك غمار مُهمتي ويرفع همّتي، فقادتني غبطني إلى كثير من المكتبات داخل الوطن وخارجه في الجامعات وغيرها الخاصة

1- قال رسول الله ﷺ: « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا ». صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح328، ج1/ص382.

والعامة، حتى أكرمني الله تعالى أن وصلت إلى مكتبة الحرم المكي فدخلتها وكلي أمل في أن أكيل

ألف بعير من رسائل الدكتوراه والماجستير والكتب العلمية **﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾** ¹.

- وبعد سلام وكلام وحوار تعذر مسؤول المكتبة بعدم جواز نقل الرسائل دون استشارة أصحابها، فلم نجد ماكنّا نبغ، فعدنا من حيث أتينا نحمل خيبة الأمل وسوء المنقلب، فعدنا ببضاعة مزجاة فما أوفوا لنا كيلا ولا تصدقوا علينا، فبدأت في جمع كل ما وصلت إليه يدي ورصده بصري، بعد أن تيمّنت قبل الملاذ الآمن والرحاب العامر، فوجدت بحرا زاخرا ومعينا وافرا من الجهود المضنية والعلوم المغنية والتجارب المفنية، بعدها بدأت ألملم معرفتي وأستجمع تجربتي لعلني أحظى برصيد يعالج مشكلات البحث ويجيب عن كثير من التساؤلات ويعرض الحلول الواقعية الناجحة.

- وبعد كد وجد وتواصل مع أصحاب الخبرة وأهل الاختصاص، جمعت كمّا هائلا يفوق ما كنت أتوقع من بين موسوعات وكتب ورسائل دكتوراه وماجستير، ومؤتمرات ومقالات وغيرها، "لإن موضوع الدعوة موضوع مطروق معالج، كثرت عنه الأحاديث وازدحمت فيه الكتابات والبحوث خصوصا في الزمن الأخير، وتكونت فيه مكتبة ذات قامة وقيمة"²، ونظرا لتدفّق المعلومات بالشبكة العالمية وسهولة الوصول إليها وتنزيلها، فصار الباحث ينأ بثقل المراجع والمصادر وتزاحمها وعدم قدرته في الاطلاع على كل ما جمعت يده إلا يسيرا.

- كما قال أحدهم³: أن سعة المادة العلمية التي يدور في فلكها البحث، إذ أن اتساعها يُعجز الباحث عن تتبع الموضوع والإحاطة التامة به، كما يعجز سعة الحديقة عن تتبع روائح العطور ومعرفة أنواع الزهور.

- وبعد فإني قد بذلت جهدي في القيام بهذه الدراسة ومتطلباتها، وما آليت في بذل الوسع فيما قدمته وعرضته في رسالتي، وأرجو أن تكون لبنة في بناء صرح الإسلام من خلال تصحيح مسار

1 - سورة يوسف الآية 65

2 - الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ، أبو الحسن الندوي، مجلة دعوة الحق، السنة السابعة، العدد 80، ذو القعدة 1408هـ، جويلية 1988م، ص10

3 -إعداد الداعية من خلال سورة فصلت، حمد بن ناصر العوّار، رسالة ماجستير، إشراف : يوسف محي الدين أبو هلاله، 1407-1408هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، ص12

الخطاب الدعوي وحمایته من كل العوائق، حتى تَمُخَّر سفينة الدعوة عباب البحر، وتبلغ غايتها وتحقق مقاصدها على من يأتي بعدنا، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^٤ ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ^٥ ^١.

التعريف بمفردات البحث:

الأطروحة التي بين أيدينا موسومة بعنوان: "عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي ومنهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة"، فالكلمات التوضيحية هي:

العوائق - الاستجابة - الخطاب - الدعوة - المنهج - المعالجة.

- العوائق:

العوائق لغة: العوق: الحبس والصرف والتشبيط، كالتعويق والاعتياق² وعاقه عن الشيء يعوقه عوقاً: صرفه وحبسه، وتقول عاقني عن الوجه الذي أردت، عائق وعاقطني العوائق، الواحدة عائقه³ وفي التنزيل قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^٤.
العوائق اصطلاحاً: الأمر الشاغل المسبب للتأخير، وعوائق الاستجابة للخطاب الدعوي: العقبات والمثبطات التي تحد من مسيرة الدعوة وتعرقلها عن بلوغ هدفها⁵.

1 - سورة الروم الآية 4 - 5

2 - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1419هـ، ص913.

3 - لسان العرب، ابن منظور، مادة عوق، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج10/ص279.

4 - سورة الأحزاب الآية 18.

5 - ينظر: الجهود العلمية والدعوية للشيخ عبد الرحمن السعدي، عبد الله محمد الرميان، دار المسلم، الرياض، ط1، 1419هـ، ص135.

ويدخل في عموم معنى عائق، كل عقبة أو مشكلة تقف في وجه شيء، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، داخلية أو خارجية، وتكون المعوقات أعم وأشمل من العقبات والمشكلات.¹

- الاستجابة.

الاستجابة لغة: من مادة (ج وب) والمصدر الإجابة وأجابه وأجاب عن سؤاله.²

الاستجابة اصطلاحاً:

بقول صاحب التحرير والتنوير في تفسير الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّدَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾³. هي ما يطالبهم به النبي ﷺ تبليغاً عن الله تعالى على طريق المجاز، لأن استجابة النداء تستلزم الامتثال للمنادي.⁴

وعرفها الرازي فقال: الاستجابة: الطاعة، والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا إليه وهي الإجابة، إلا أن الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي أؤكد من الإجابة⁵، أي إجابة لا يخالفها كراهية ولا تردد⁶، كما أن "الاستجابة لله: الوفاء بعهدده والقيام بحقه، والرجوع عن مخالفته إلى موافقته، والاستسلام في كل وقت لحكمه"⁷.

1 - معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، أبو الفتح البيانوني، مطبعة الغيب، الكويت، ب ط، 1417هـ - 1996م، ص16.

2 - مختار الصحاح، الرازي، مادة جوب، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990م، ص 82.

3 - سورة الشورى الآية 47.

4 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون التونسية، تونس، د ط، 1984م، ج25/ص130.

5 - مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م، ج10/ص 71.

6 - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م، ج3/ص484.

7 - تفسير القشيري، القشيري، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، د ت ج7/ص198.

- الخطاب

الخطاب لغة: كلمة "الخطاب" بمعنى مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان ومنه الخطبة، اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب... ومنه الخطب: الشأن أو الشأن صغر أو عظم. وفي التنزيل العزيز قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^{1 2}.

الخطاب اصطلاحاً:

يقول علي عبد الحليم محمود، الخطاب: لون من الألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم بما سوّق من الحجج والبراهين المقنعة.³
- يقول طه عبد الرحمان بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير، يعرض إلفهامه مقصوداً مخصوصاً"⁴.

- الدعوة

الدعوة لغة: إن كلمة الدعوة قد تعددت معانيها من كاتب لآخر، وكثرة استعمالها، وباختلاف تصاريفها ومنها: "الدعاء والنداء والسؤال والصياح والتجمع والاستغاثة والحث والطلب"⁵.
الدعوة اصطلاحاً:

إن مفهوم الدعوة الإسلامية في الاصطلاح من أوسع المفاهيم التي تناولتها أقلام الباحثين فهي تستمد شموليتها من شمولية رسالة النبي محمد ﷺ. ولعله من العسير تحديد مفهومها في تعريف محدود الألفاظ. فهي من السعة بمكان لا يأتي ضبط تعريف لها موضوعاً ومنهجاً وغاية.⁷⁶

1- سورة الذاريات، الآية 31

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة خطب، دار صادر، بيروت، ط1، د. ت. ج1/ص360.

3- ينظر: فقه الدعوة إلى الله، على عبد الحليم محمود، دار الوفاء، مصر، ط2، 1411هـ- 1990م، ج1/ص169-170.

4- اللسانيات والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص215.

5- قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المحاري، المدينة المنورة، 1413هـ، ص20.

6- معوقات الدعوة في العصر الحاضر وسبل معالجتها، رسالة ماجستير للطلاب صادق منصور محمود، تخصص دعوة، كلية الإمام الأعظم، سنة 2011، 1432هـ، بغداد، ص12.

7- للاطلاع على تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً يمكن الرجوع الى الفصل التمهيدي لأكثر توضيحاً وتبييناً

- المنهج.

المنهج لغة: بالنظر في قواميس اللغة نجد كلمة " المنهج " تدل على الطريق الواضح المستقيم، والمنهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه وهو مستقيم المنهاج¹.
والمنهج: الطريق الواضح وكذا المنهج والمنهاج وأنهج الطريق أي: استبان وصار نهجا واضحا بيّنا، ونهجت الطريق، إذا أبنته أوضحت². وفي التنزيل **قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾**³.
المنهج اصطلاحاً: عرّف العلماء والدعاة المنهج بتعريفات مختلفة ومتباينة ومنها:
بأن المنهج هم النظام والخطة المرسومة للشيء⁴، وقيل: " البرنامج والطريق الذي يحدد السبل للوصول إلى الحقيقة"⁵.
إن المنهج هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد والمجتمع أو الأمة، لتحقيق الآثار التي يصبوا إليها كل منهم.
لذلك فإن الدعوة هي مناهج علمية دقيقة مستوحاة من المقاربة المنهجية والاستقراء التام للتوجيهات الإلهية والأفعال النبوية في هذا المجال⁶.

1 - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت، عبد السلام هارون، دار الفكر، بط، 1399هـ - 1979م، ص 5391

2 - الصحاح، الجوهري، ت، أحمد عبد الغفور عطار، مادة نهج، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1408هـ - 1987م ص1346

3 - سورة المائدة الآية 48

4 - أنظر مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، علي جريشة، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1407هـ - 1986م، ص 16

5 - أنظر مناهج البحث العلمي في الإسلام، غازي حسين عناية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م، ص81

6 - ينظر: المناهج الدعوية وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية نحو رؤية متجددة، بدر الدين زواقة، مؤتمر النصيحة... المنطلقات والأبعاد، المنعقد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، في الفترة: 27-29 محرم 1434هـ، الموافق 11-13 ديسمبر 2012م.

- **معالجته:** المعالجة لغة: علاج: من المعالجة، وهي مزاولة الشيء، زاوله ومارسه، ودأواه¹، وعالج: حاول، سعى إلى، اجتهد، بذل وسعه².

المعالجة اصطلاحاً: المعالجة: حاول تخليصه مما علق به، وسعى إلى إصلاحه، واجتهد في تجديده، وبذل وسعه في المحافظة على صورته الأولى.

لذا فإن عنوان البحث: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي ومنهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة، فإنها تعني بهذه التعاريف: مثبطات وعوائق الامتثال لنداء الله تعالى وتوضيح طرق إصلاحه وتجديده، وفق ما ورد في كتاب الله تعالى وصحيح السنة المطهرة.

منهج البحث:

نظراً لطبيعة الدراسة وأهدافها وغاياتها، يتطلب البحث استخدام المنهج الوصفي عرضاً وتنظيراً، ثم المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة الإشكالات: تفكيكا أو تركيباً أو تقويماً³، وسوف يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث أن البحث لن يقف عند حد وصف إشكالية الدراسة ومظاهرها فحسب، بل يتعداها إلى تحليل وتفسير الأسباب والأبعاد المرتبطة بها، ويعمل على حصر كافة الجزئيات والوقائع والنصوص في فكرة واحدة أو موضوع محدد⁴. لذلك سوف يقوم الباحث بجمع بعض ما كُتب عن الخطاب الدعوي وعوائقه ومشكلاته ما أمكنه ذلك من خلال

1 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م، ج4/ص122 والمختار من صحاح اللغة، محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د ط، دت، ص23 والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ - 2004م، ص620-621 والمحيط في اللغة، كافي الكفاة، صاحب، إسماعيل بن عباد، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1414هـ - 1994م، ص259

2 - تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، تر: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، ط1، 1997م، ج7/ص279

3 - أنظر أبحاث البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، ومنشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1، 1417هـ - 1997م، ص66-96

4 - ينظر مناهج البحث، غازي حسين عناية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ب ط، 1984م، ص80-81

النظر في الآيات القرآنية وصحيح السنّة المطهرة التي تبرزه، كما لا غنى للباحث من الاستفادة في استخدام غيرها من المناهج التي تخدم الموضوع حال الحاجة إليها.

وقد راعيت في هذه الدراسة عدة أمور منها:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني ووضعها بين أقواس مزخرفة ﴿ 》 مع عزوها إلى سورها وذكر رقم الآية في الهامش.

- ثم تخريج الأحاديث من مصادرها والحرص على ذكر حكم أصل العلم من المحققين على كل حديث في البحث ما لم يكن وارداً في الصحيحين أو أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول.

- اعتمد الباحث التوثيق العلمي، لهوامش الدراسة حسب قواعد البحث العلمي المتعارف عليها. وقد التزم عند النقل من المراجع لأول مرة أن يشير في الهامش إلى اسم الكتاب ثم المؤلف ثم المحقق أو المترجم - إن وجد - ثم الناشر ثم بلد النشر ثم رقم الطبعة ثم سنة الطبع ثم الجزء والصفحة إن كان فيه أكثر من جزء.

- ويرمز إلى التحقيق: ت، والترجمة: تر، وإن فُقد أحد عناصر التهميش يرمز: د ط: لعدم وجود رقم الطبعة، د ت: لعدم وجود تاريخ النشر.

- عند النقل المباشر من المراجع والمؤلف مباشرة، وعند النقل مع بعض التصرف يسبق المراجع والمؤلف كلمة " يُنظر " في الهامش.

- وقد حرص على إيراد أكثر من مرجع للمعلومة الواحدة، رغبة في إثراء البحث.

- وقد وضع في آخر البحث فهرس مرجعية للدراسة تتعلق بـ:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على: توطئة وأهمية الدراسة وعوامل اختيار الموضوع وإشكالية الدراسة وتساؤلاتها وأهدافها، مع الاستئناس بذكر الدراسات السابقة، ثم التعريفات المصطلحية والصعوبات التي اعترضت الباحث خلال الدراسة وختامها بمنهجية البحث وخطته.

الفصل التمهيدي والمتعلق بالدعوة المعاصرة وأهميتها، من خلال مفهوم الدعوة وفضل القيام بها وحكمها وخصائصها وأركانها، مع ذكر أساليبها ووسائلها، ومناهج الدعوة وتطبيقاتها، ومقاصد الدعوة وغاياتها.

الفصل الأول: ويتمثل في الخطاب الدعوي المعاصر ويشتمل تعريف الخطاب الدعوي وأهميته وأنواعه ومرتكزاته مع فهم المقاصد ومراعاة أدب الاختلاف ومعرفة فقه الأولويات والموازنة، ثم الكشف عن إشكالات الخطاب المعاصر وتحدياته، من خلال ضعف الخطاب ومخالفاته لواقع الناس، واختلاف لغة الخطاب لدى الدعاة في قضايا الأمة المصرية.

الفصل الثاني: ويشتمل على عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر، من خلال العوائق التي تتعلق بأركان الدعوة: من داعية ومدعو، وموضوع الدعوة ووسائل الدعوة وأساليبها، وبواقع الناس المعاصر، إضافة إلى عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في أمة الدعوة من خلال التأمر على الإسلام وكيد الحركات المضادة للإسلام، والتمثيل السيئ للأقليات المسلمة في العالم، مع الخلفيات التي يحملها الغرب على أمة الإسلام، مع ضعف الخطاب بألستهم وقلة الدعاة.

الفصل الثالث: ويتمثل في عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي ومعالجته من خلال تجديد الخطاب. ويمكن ذلك في إعداد الدعاة، وتحديد محتوى الخطاب وترقيته، وتحديث الرسائل والأساليب، مع تفعيل المناهج الدعوية في الخطاب، ووضع قواعد تركز على التنظيم الشرعي وإحياء فقه الأولويات والموازنة في الخطاب والاسترشاد بطرق الخطاب في القرآن الكريم وتنوع خطاباته. والخاتمة: اشتملت على حصيلة البحث مع ذكر أهم النتائج وأبرز التوصيات، ثم ختمت بفهرس المراجع والموضوعات.

وفي الختام أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه على إتمام هذه الدراسة، ثم الشكر موصول إلى كلية العلوم الإسلامية، ممثلة في عميدها وأساتذتها وطاقمها الإداري على ما يبذلونه من جهود وطاقات مضيئة في خدمة الصرح العلمي المبارك.

الفصل التمهيدي: الدعوة في العصر الحاضر وأهميتها

المبحث الأول: مفهوم الدعوة وفضلها

المبحث الثاني: أهمية الدعوة في العصر الحاضر ومناهجها

المبحث الأول: ماهية الدعوة ومتطلباتها

المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: فضل القيام بالدعوة وحكمها

المطلب الثالث: خصائص الدعوة

المطلب الرابع: أساليب الدعوة ووسائلها

المبحث الأول: ماهية الدعوة ومتطلباتها

تعتبر الدعوة هي الوظيفة العظمى التي منحها الله تعالى لخيرة خلقه وكلفهم بالقيام بها لتبليغ رسالته الى خلقه، وهي مهمة شاقة تحمل التبليغ عن الله تعالى وهي الأمانة التي أشفقت السماوات والأرض والجبال عن حملها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. فما مفهوم الدعوة وماهي أبعادها ومتطلباتها؟.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحاً.

لقد تعدد مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح من باحث لآخر ومن كاتب لآخر، ومن ذلك ما يأتي:

الدعوة لغة:

الدعوة مصدر للفعل الثلاثي دعا، قال ابن منظور: (دعا يدعو دعوة ودعاء)¹، ولكلمة الدعوة معان كثيرة وتصريفات متعددة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وقواميس اللغة.

جاءت الدعوة بمعان عدة منها:

معنى كلمة التوحيد:²، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾³، جاء في تفسير الطبري: وإنما عني بـ (دعوة الحق) توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله⁴.

معنى الدعوة إلى التوحيد: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾⁵؛ معناه داعيا إلى توحيد الله وإفراد الإلهية له وإخلاص الطاعة لوجه الله دون كل من سواه من الآلهة والأوثان⁶.

1- لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ) دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج14/ص257 - 262.

2- المصدر نفسه، ج14/ص261.

3- سورة الرعد، الآية 14.

4- جامع البيان في تأويل القرآن الكريم المسمى تفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 2000م، 397/16.

5- سورة الأحزاب، الآية 46.

6- المصدر السابق، ج20/ص281.

معنى العبادة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾¹؛ أي لن نعبد إلها من دونه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾²؛ أي لا تعبد.³

وقيل السعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته.⁴

معنى الدعاء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾⁵. وقال

تعالى: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁶.

وجاء في الحديث حينما سئل النبي ﷺ عن أول بدء أمره فقال: «...أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي آمَنَةَ الَّتِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ، وَأَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ»⁷، والمقصود بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما جاء على

1- سورة الكهف، الآية 14.

2- سورة الشعراء، الآية 213.

3- تفسير مقاتل بتحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م، ص 466. وفتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج3/ص324.

4- الدعوة إلى الله (الرسالة، الوسيلة، الهدف)، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1406هـ، ص17.

5- سورة البقرة، الآية 186.

6- سورة يونس، الآية 10.

7- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، نادر الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1411هـ - 1990م، كتاب التفسير باب تفسير سورة الأحزاب، ح3566، ج2/ص453. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

لسانه. قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹.

معنى السؤال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ² قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ³ فافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ﴾⁴.

معنى النداء: ومنه النداء للصلاة "الأذان"،

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ

يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ⁵ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁶.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «الْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْحُكْمُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالِدَعْوَةُ فِي الْحَبْشَةِ، وَالْهَجْرَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُهَاجِرِينَ بَعْدُ»⁷. أراد بالدعوة الأذان وجعله في الحبشة تفضيله لمؤذنه بلال رضي الله عنه.⁸

معنى الحث: فمن دعا إلى شيء فقد حث على قصده وسأل غيره أن يجيبه إليه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁹.

1- سورة البقرة، الآية 129.

2- سورة البقرة، الآية 68.

3- ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1424هـ - 2003م، ط1، ص 56.

4- سورة النور، الآية 63.

5- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ - 2001م، ح17654، ج29/ص200. قال المحقق إسناده ضعيف.

6- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم العزاوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط2، 1422هـ، ج1/ص401.

7- سورة يونس، الآية 25.

8- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ط1، 7/ 41.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾¹

معنى الطلب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾². أي تطلبون³.

معنى الإدعاء: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُتِبَ ظَلَمِينَ ﴾⁴، جاء في تفسير هذه الآية للطبري: الإدعاء للحق⁵.

معنى الاستمالة: ومنه داعية اللبن وهو ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده⁶ وفي الحديث الشريف عن ضِرَارِ بْنِ الْأَزْوَريِّ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وَأَنَا أَحْلُبُ، فَقَالَ: «دَعِ دَاعِيَ اللَّبَنِ»⁷. كما وردت معان أخرى للدعوة في لغة العرب منها:

- فقد جاء في لسان العرب: أن الدعوة في اللغة هي المرة الواحدة من الدعاء، وتداعي القوم، دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدي أو ضلالة وأحدهم داع ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى البدعة أو دين وأدخلت الهاء للمبالغة⁸.

1- سورة يوسف، الآية 33.

2- سورة فصلت، الآية 31.

3- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/ص748.

4- سورة الأعراف، الآية 5.

5- تفسير الطبري، ج12/303.

6- مختار الصحاح، الرازي، ترتيب محمود فاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص206.

7- المستدرک علی الصحیحین، ج6603، ص3/719. سكت عنه الذهبي في التلخيص، ورواه الدارمي في سننه بلفظه قال الحق حسين سليم أسد الداراني إسناده حسن، ج2/ص1270.

8- لسان العرب، لابن منظور، ج14/ص257 - 262.

- وجاء معجم في مقاييس اللغة: فقال (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول دعوت أدعو دعاء.¹
- وجاء في معجم المصباح المنير: "دعوت الله دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله، والجمع دعاة وداعون مثل قضاة وقاضون، والني ﷺ داعي الخلق إلى التوحيد".²

كما قال تعالى مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾³.

وجاء في معجم الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): يقال كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان.⁴

أي الدعاء إلى الطعام... وتداعت الحيطان للخراب أي تهدمت ودعاه أي صاح به.⁵

- وجاء في المعجم الوسيط: "دعاه إلى الشيء حثه على قصده يقال دعا إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعا إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه".⁶

لذا فإن كلمة الدعوة قد تعددت معانيها من كاتب لآخر وكثرت استعمالاتها وباختلاف تصاريفها ومنها: "الدعاء والنداء والسؤال والصياح والتجمع والاستغاثة والحث والطلب".⁷

الدعوة في الاصطلاح:

إن مفهوم الدعوة الإسلامية في الاصطلاح من أوسع المفاهيم التي تناولتها أقلام الباحثين والعلماء والدعاة، فهي تستمد شموليتها من شمولية الإسلام، وليس من السهل تحديد مفهومها في كلمات مختصرة جامعة لموضوع الدعوة ومناهجها وغاياتها.

- 1- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد مارون، دار الفكر، ط1، 1399هـ-1978م، ج6/ص279.
- 2- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص194.
- 3- سورة الأحقاف، الآية 31.
- 4- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1990م، ج6/ص2336.
- 5- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ-1987م، ص1655.
- 6- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ج1/ص286.
- 7- قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المجاري، المدينة المنورة، 1413هـ، ص20.

وقد سمى الله تعالى الإسلام دعوة، لما فيه من حقائق لا بد من تجسيدها في حياة الناس وحركاتهم، ولما يلزمه من طلب الإيمان به والدعوة إليه والالتزام بما فيه، فهو منهج عملي تطبيقي، وهو كذلك دين لا بد من تبليغه ونشره وإيصاله للناس أجمعين¹، امتثالاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²

فعلمية الرسالة تقتضي تحمّل نشر الإسلام وتبليغه للناس، فأمانة التبليغ قد فرضتها الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³. فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغ وبيان لما جاء به الإسلام فحسب، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم وجردها من الجانب التطبيقي والتنفيذي... إلى غير ذلك من نظرات⁴ ومنهم من أدخل على تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها.⁵

ولهذا حملت كلمة الدعوة معنى الإسلام بشموله بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق، قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾⁶.

- وعرفها محمد الراوي على أن الدعوة: "دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملاً وافياً لصالح الدنيا والآخرة".⁷
- وقال أحمد غلوش بأن الدعوة: "الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيا على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم... وبينها في السنة النبوية"⁸.

1- وسائل الدعوة وأساليبها، كتاب المادة، جامعة المدينة العالمية، د ط، 2010م، ص11

2- سورة سبأ، الآية 28.

3- سورة يوسف، الآية 108.

4- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1425هـ-2014م، ص14.

5- المرجع نفسه، ص15.

6- سورة الرعد، الآية 14.

7- الدعوة الإسلامية (دعوة عالمية) محمد الراوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1415هـ-1995م، ص39.

8- الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، د أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري القاهرة، ط2، 1407هـ-1987م، ص212.

- كما حملت الدعوة الإسلامية مفهوم النشر والتبليغ كما عرّفها شيخ الإسلام بن تيمية فقال: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا"¹.

وقال آخر هي: "الطلب بشدة وحث على الدخول في دين الإسلام، اعتقاداً وقولاً وعملاً وظاهراً وباطناً"².

وقد استرشد صاحب المدخل إلى علم الدعوة في تعريفه للدعوة بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾³.

فمعنى يتلون عليهم آياته يقصد بها البيان والتوضيح وهي مرحلة التبليغ، ومعنى يعلمهم الكتاب تفيد التربية والتعليم وهي مرحلة التكوين، وأما الحكمة في الآية فتعني السنّة النبوية وهي مرحلة التنفيذ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾⁴.

وهي التطبيق العملي لآيات الله تعالى من صاحب الدعوة الأول، في شريعة الإسلام وهو سيدنا محمد ﷺ، فقد شملت الآية مراحل الدعوة الثلاثة في تاريخ الإسلام.

فقد عرّف البيانوني الدعوة على أنها "تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"⁵. ومن خلال تتبعنا لمختلف التعاريف للدعوة: قديماً وحديثاً والتي شملت مراحل الدعوة الثلاثة: تبليغاً وتكويناً وتنفيذاً، وقد يكون هذا التعريف الأشمل من خلال قوله: إن الدعوة هي "تبليغ الإسلام

1- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية (ت728هـ): تح عامر الجزائر وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط3؛ 1426هـ-2005م، ج15/ص92.

2- فقه الدعوة إلى الله وفقه النضج والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ-1996م، ج1/ص16.

3- سورة الجمعة، الآية 2.

4- سورة الأحزاب، الآية 34.

5- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1425هـ-2014م، ص17.

للناس وتعليمهم إياهم وتطبيقه في واقع الحياة"، غير أن هذا التعريف قد يفتقر إلى معرفة الدعوة كدين لأن الدعوة هي وعاء الإسلام الشامل، فيكون التعريف الذي يجمع بين الدعوة كدين والدعوة كتبليغ ونشر:

إذن فالدعوة هي وعاء لمعرفة الإسلام والاستجابة له من خلال تطبيقه في واقع الحياة وتبليغ تعاليمه للناس.

وبهذا فقد شمل التعريف أركان الدعوة الثلاثة: من داعية وموضوع الدعوة والمدعو، فمعرفة الإسلام هو موضوع الدعوة، والمستجيب لها هو المدعو، وتبليغ تعاليمه للناس وهو الداعية. فيكون الداعية له معرفة بالإسلام كل على قدر اجتهاده وحمله للأمانة في الاستجابة لنداء الله تعالى وتبليغ رسالته بالكلمة الطيبة، والقدوة الحسنة، وإذا اقتضى الأمر بما يلزمه من قوة لإحقاق الحق وإظهاره على الدين كله.

المطلب الثاني: فضل القيام بالدعوة وحكمها

إن القيام بالدعوة من أعظم الضرورات للإنسان ففيها حياة الأرواح في الدنيا والفوز في الآخرة كضرورة الطعام الأبدان بل أعظم، لأن خسارة الدنيا أهون من خسارة الآخرة، ومن خلالها يبلغ دين الله تعالى ورسالته وتقام الحجة على الناس، فلا يبق لأحد عذر أمام الله تعالى يوم القيامة وقد جاءتهم الرسل وبيّنت لهم سبل الهداية الى طريق الله المستقيم.

الفرع الأول: فضل القيام بالدعوة:

إن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف، وأفضل الأعمال التي اختص الله تعالى بها خيرة خلقه وصفوتهم وهم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾¹ لذلك أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يعلنها للناس،

1- سورة الأنعام، الآية 124.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.
جاء في تفسير هذه الآية لابن القيم: "فإنه أمره سبحانه أن يخبر أن سبيله الدعوة إلى الله تعالى، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسوله وهو على بصيرة وهو من أتباعه"².

-الشهادة بالخيرية:

وقد امتدح المولى سبحانه وتعالى أصحاب الدعوة بالخيرية،

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾³ (١١)
ووصفهم بالفلاح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁴ (١٠٤).

فالدعوة إلى الله هي التي من أجلها شرف الله بها أمة الإسلام جميعا، فجعلها بذلك خير أمة أخرجت للناس لأنها حملت رسالة الله إلى العالمين، وجاهدت بها كل الأمم فهم خير الناس للناس.⁵
وعدّ الله تعالى الدعوة من أحسن الأقوال وأفضل القربات،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁶ (٢٢).

1- سورة يوسف، الآية 108.

2 التفسير القيم، لابن القيم، 117/2.

3- سورة آل عمران، الآية 110.

4- سورة آل عمران، الآية 104.

5- لماذا يمزق القرآن الكريم، علي بن نائف الشهود، كتاب بالموسوعة الشاملة، د ط، د ت، ص 64.

6- سورة فصلت، الآية 33.

-الإمامة في الدين:

ومن فضائل الدعوة: أنه جعل الله تعالى منهم أئمة في الدين.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾¹، وإن القائم بالدعوة قائم بالحجة لله في الأرض.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾²، وهي تلبية لميثاق الله تعالى على أهل العلم،

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٨٧﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾³.

قال قتادة: "هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم، فمن علم شيئا فليعلمه. وإياكم وكتمان العلم، فإنه هلكة"⁴، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيام»⁵، ولا يعفى من عقوبة اللعن وذلك بدليل ما ورد في الكتاب في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾⁶.

1- سورة السجدة، الآية 24.

2- سورة النساء، الآية 135.

3- سورة آل عمران، الآية 187.

4- الباب في علوم الكتاب، أبي حفص عمر بن علي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، ج6/ص104

5- رواه أبو داود، باب كراهية منع العلم، دار الكتاب العربي بيروت، ح3660، ج3/ص360، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

6- سورة البقرة، الآية 159.

-العصمة من الضلال:

والدعاة هم عصمة الأمة من الهلاك،

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾¹.

وقد ورد في سنة النبي ﷺ ما يُبين فضل الدعوة إلى الله تعالى، فقد وصف عليه الصلاة والسلام أصحاب الدعوة بالعدل فقال: «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ»².

وقد عظم النبي ﷺ شأن الدعوة لما قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام حينما أعطاه الراية يوم خيبر: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»³.

فالداعية تحوطه رحمة الله تعالى، وتستغفر له الملائكة وأهل السماوات والأرض، لتعليمه الناس الخير كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»⁴.

1- سورة هود، الآية 116.

2- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث... ح 20911، ج 10/ص 353، صححه الألباني في مشكاة المصابيح ج 1/ص 82.

3- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1: 1422هـ، كتاب الجهاد والسير باب فضل م أسلم على يديه رجل، ح 2847، ج 3/ص 1096.

4- الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، تن: 1998م، ح 2685، ج 4/ص 347. وقال الترمذي: حديث صحيح غريب.

-الثواب العظيم:

ومن فضل الدعوة مضاعفة الأجر لقوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا...»¹، وقال «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ»².

ودعا عليه الصلاة والسلام بالنضارة لصاحب الدعوة فقال ﷺ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَزُبَّ حَامِلٌ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَزُبَّ حَامِلٌ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ»³.

-الخلافة في الأرض:

والدعاة هم خلفاء الله تعالى في الأرض، لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهَى عَنِ مُنْكَرٍ، فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»⁴. فما أعظمها من مهمة وأشرفها من مقام -يتحلى به الداعية إلى الله تعالى- بعد انقطاع الوحي وختم الرسالات ونهاية النبوات. ومن هذا يتبين أن الدعاة إلى الله تعالى يشغلون منصبا من أعلى وأشرف المناصب، والمتمثل بحراسة وحي السماء وإبقائه منيرا يومض بالإشعاع كي يهتدي به السائرون.⁵

1- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب العلم باب باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح 6980، ج 17/ص 250.

2- صحيح مسلم، كتاب الإمامة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، ح 5007، ج 12/ص 421.

3- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، كتاب العلم باب فضل نشر العلم، ح 3660، ج 3/ص 322. وقال الألباني صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، ج 1/ص 760

4- كتاب الفتن، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت: 228هـ)، تح: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد - القاهرة، ط 1: 1412هـ، ر 245، ج 1/ص 103، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ج 10/ص 343

5- مع الله، محمد الغزالي، ص 36.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها، وينطق بعلاقتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله تعالى"¹.

وتثميناً لذلك يقول ابن القيم: "فالدعوة إلى الله هي وظيفة المرسلين وأتباعهم وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبعاً لهم"². ويقول أيضاً: "فمَهَام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد"³. ويقول الحسن البصري حينما تلا قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁴: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه دعوة من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال إني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله⁵.

وقد رفع ابن القيم مرتبة الداعية إلى أعلى مراتب الجهاد وقدمه على الجهاد باللسان فقال: "وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نخور العدو، لأن ذلك التبليغ يفعل كثير من الناس وإما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم..."⁶. ومنه فالدعوة إلى الله تعالى من أشرف الوظائف وأعظم المقاصد وأعلى المقامات عند الله تعالى من خلال الكتاب والسنة وما ورد على السنة الصحابة والتابعين وغيرهم من سلف الأمة.

1- البدع والنهي عنها، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (ت: 286هـ)، تح: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، ط1، 1416هـ، ص3.

2- جلاء الإفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ-1987م، ج1/ص415

3- مفتاح دار السعادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751)، تح: عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، دط، دت، ج1/ص432.

4- سورة فصلت، الآية 33.

5- الزهد، عبد الله بن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: حبيب الرحمان الأعظمي، دط، دت، ج1/ص507.

6- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) تح: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ - 1987م، ص415.

الفرع الثاني: بيان حكم الدعوة

إن الدعوة إلى الله تعالى فريضة شرعية من فرائض الإسلام الواجبة في حق الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، في كل زمان ومكان لهداية البشرية وإقامة الحجة عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) ¹.

ولما كانت رسالة الإسلام خاتمة الرسالات ببعثته ﷺ. وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وانقطاع الوحي، انتقلت الدعوة إلى أصحابه وأتباعه لنشر رسالة الإسلام والدعوة إليه والشهادة على الناس. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ ². وللدلالة على وجوب الدعوة، فقد وردت عدة نصوص من الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

أولاً: أدلة القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة تأمر بالدعوة صراحة كقوله تعالى:

1. قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٦٥) ³.
2. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢) ⁴.
3. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ⁴.

1- سورة النساء، الآية 165.

2- سورة البقرة، الآية 143.

3- سورة النحل، الآية 125.

4- سورة آل عمران، الآية 104.

4. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧) ¹.

5. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧) ².

6. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٥) ³.

ومن الأدلة ما جاءت بصيغ أخرى:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) ⁴.

والأمر بتبليغ الدعوة إيجاب لما تضمنه الأمر.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) قُرْآنُكَ (٢) فَانْذِرْ (٣)﴾ ⁵، والأمر بالإنذار هو تبليغ الدعوة بطريقة الترهيب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤) ⁶.

وبذلك عرّف الله رسوله أن تبليغ الدعوة واجب، بل إن واجبه كله ينحصر في هذا التبليغ فإذا

بلّغ ما أرسل به فقد أدى ما عليه. ⁷

1- سورة الحج، الآية 67.

2- سورة القصص، الآية 87.

3- سورة الشورى، الآية 15.

4- سورة المائدة، الآية 67.

5- سورة المدثر، الآية 1، 2.

6- سورة النور، الآية 54.

7- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، ط2، 1407هـ-1987م، ص 233.

لقد دلت الآيات الكريمة على الأمر بالقيام بالدعوة إلى الله تعالى، من خلال صيغتي الأمر التاليتين:

1- (لام الأمر) في قوله تعالى: (ولتكن).

2- (فعل الأمر) في قوله تعالى: (أدع).

والأمر المطلق يقتضي الوجوب.¹

ثانيا: أدلة وجوب الدعوة إلى الله تعالى من السنة المطهرة:

1- قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...»²

2- وقال رسول الله ﷺ: «...لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْعَائِبَ»³.

3- وقال رسول الله ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»⁴.

4- وقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ»⁵.

1. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " فُتِّبَتْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَرَّقَ مَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... والمنافقين والمنافقات.⁶

1- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، ط2، 1410هـ-1990م، ج1/ص224

2- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح3274، ج3/ص1275.

3- صحيح البخاري، كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ح105، ج1/ص52.

4 - سنن أبي داود، كتاب الجهاد باب في نسخ نفي العامة بالخاصة، ح2504، ج4/ص159. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

5 - سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح2169، ج4/ص38، قال الترمذي: حديث حسن.

6 - شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البهقي، (المتوفى: 458هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، 1421هـ. 2000م/10/ص54

2. ولما بعث النبي ﷺ معاذ ﷺ إلى اليمن قال: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ...»¹
3. وحديث سهل بن سعد ﷺ: «...ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ...»².

فقد دلت الآيات والأحاديث النبوية إلى وجوب الدعوة إلى الله تعالى باتفاق العلماء، ولكن اختلفوا في نوعية الوجوب هل هو على التعيين أم على الكفاية، وتوسّع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية.³

ثالثاً: وجوب الدعوة عن طريق الإجماع

ومن أقوال سلف الأمة في وجوب الدعوة نورد منها:

- قال أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص: "أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه وبينه رسول الله ﷺ في أخبار متواترة عنه فيه وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه"⁴.
- وقال بن حزم: "اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم"⁵.
- ويقول الإمام الغزالي: "فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين... ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة والآيات والأخبار والآثار"⁶.
- قال الزمخشري في تفسيره: "ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"⁷.

- 1 - صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح1389، ج2/ص529.
- 2 - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح2847، ج3/ص1096.
- 3 - المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، ص31.
- 4 - أحكام القرآن، لابي بكر أحمد ابن علي الرازي الجصاص، (ت: 370هـ)، تح: محمد الصادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، دط، 1412هـ، 1992م، ج4/ص154.
- 5 - الفصل في الملك والأهوال والنحل، لابن حزم، مكتبة الحانجي، القاهرة، ج4/ص132.
- 6 - إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ص304.
- 7 - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج2/ص437.

- وقال ابن العربي المالكي: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين وهو فرض على جميع الناس مثني وفرادي بشرط القدرة والأمن".¹

- وقال ابن تيمية: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب الأعمال وأفضلها وأحسنها"² وهنا نستدل على وجوب الدعوة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الدعوة هي أمر بمعروف ونهي عن منكر في عمومها.

وإن موضوع الدعوة هو الإسلام بكل تفاصيله، وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفرض على الأمة تبليغ هذا الدين، كما قال بن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³ يدعون إلى الخير،

يأمرون بالمعروف: بالتوحيد وإتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

وتنهون عن المنكر: تنهون عن الكفر والشرك وترك إتباع الرسول وأولئك هم المفلحون... الناجون من السخط والعذاب.⁴

- رأي علماء العصر في وجوب الدعوة إلى الله تعالى:

أولاً: يقول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى: "فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته. وإذا كان في محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله، وصار التبليغ في حق غيره سنة، لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره ونفذ أمر الله على يد سواه، ولكن بالنسبة إلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون

1- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1415هـ-1994م)، ج5/ص666.

2- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، 1418هـ، دط، مصدر الكتاب موقع الإسلام، ج1/ص13.

3- سورة آل عمران، الآية 104.

4- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس رضي الله عنه (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان، دط، دت، ج1/ص53.

وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة، وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وأقوام، لأنه وجد في محلهم وفي مكائهم من قام بالأمر وكفى عنهم".¹

ثانياً: يقول عبد الكريم زيدان: "إن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية، وهي المكلفة بالدعوة إلى الله يكلف بهذا الواجب: ذكر أو أنثى فلا يختص العلماء بأصل هذا الواجب، لأنه واجب على الجميع وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته ويزيد الأمر وضوحاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾² ١٨٨.

ثالثاً: رأي الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله تعالى: (في وجوب تبليغ الدعوة):

"اعلم رحمك الله أن الدعوة إلى الإسلام أصبحت في هذا العصر فريضة شرعية وضرورة حتمية على كل من انتسب إلى أمة الإسلام شيئاً أو شاباً رجلاً ونساء صغاراً وكباراً حكماً ومحكومين خاصة وعامة... كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله وحسب طاقته وحسب إيمانه، وحسب تحسسه بواقع المسلمين وأصول المجتمعات البشرية".⁴

استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها:⁵

1- بأن لفظة "من" قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁶ ١٠٤. وهي للبيان والتبيين وليست للتبويض. فالآية عندهم توجيه للخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته.⁷

1- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية، ط4، 1423هـ-2002م، ص13.

2- سورة يوسف الآية 108

3- أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط9، 1423هـ-2002م، ص298.

4- سلسلة مدرسة الدعوة، لعبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط1، 1418هـ-1997م، ج1/ص99.

5- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص31-33.

6- آل عمران، الآية 104.

7- ينظر: تفسير بن كثير، 2/195-196، وتفسير الرازي ج7/ص177-178، وتفسير القرطبي ج4/ص165.

- 2- وبعموم قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠) ¹.
- فالدعوة سمة الأمة.. فتكون واجبة عليها جميعا.
- 3- وبقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» ². وإن "من" من ألفاظ العموم فيعم الحكم.
- 4- وبعموم قوله ﷺ: «...لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» ³.

- 5- في حجة الوداع تأكيد ﷺ لتبليغ دعوته وتحميل الأمة نشر الإسلام.
- واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة منها:

1- بأن لفظة "من"

- 2- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ⁴، هي للتبعض.
- 3- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣) ⁵.

جاء في تفسير هذه الآية لابن كثير: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة في هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه" ⁶.

- 4- ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال.
- قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ⁷.

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ح 186، ج 1/ص 219.

3- صحيح البخاري، كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رب مبلغ أوعى من سامع»، ح 67، ج 1/ص 37.

4- سورة آل عمران، الآية 104.

5- سورة التوبة، الآية 122.

6 تفسير القرآن العظيم، بن كثير، ص 75/2.

7- سورة يوسف، الآية 108.

وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين، فيكون الواجب على من توفر فيه الشروط، فإذا قام بواجب الدعوة سقط الإثم على الباقيين.

وخلاصة القول في الوجوب فإن كلا القولين يتفقان في:

1. الأصل في الدعوة الوجوب.

2. إذا لم تحصل الكفاية في الدعوة لم يسقط الحكم عن الباقيين، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع.

3. والقول بالوجوب العيني، قيدوا الوجوب بالاستطاعة فالذي لا يفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن عالماً، والعاجز عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب.

4. ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية، بقي حكم الندب، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾¹، وغيرها من نصوص الترغيب.

هذا فإن فرضنا أن تحقق الكفاية في جانب الدعوة أمر شبه مستحيل، لأن الدعوة موجهة إلى المسلمين وغيرهم من أمم العالم وهذا ما يؤكد من عدم تحقق الكفاية.

وقد أجمع العلماء بأن واجب الدعوة يكون فرض عين في الحالات التالية:

1) من ينصبه ولي الأمر للقيام بواجب الدعوة والحسبة.

2) إذا لم يكن أحد يملك القدرة والعلم للأمر أو الإنكار سواء.

3) إذا كانت الدعوة أو الحسبة تحتاج إلى جدال كان فرضاً عينياً على من يصلح لذلك.

4) على القادر إذا لم يكن من يقوم به غيره.

5) الإنكار القلبي فلا يسقط عن مكلف بوجه من الوجوه إذا لا عذر يمنعه.

لقد أوجب الله تعالى الدعوة على الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، عبر مرور الزمن ونحن في هذا العصر زمن التطورات الرهيبة المذهلة، وفي شتى الميادين عصر القبولية والعولمة... وفي هذه الظروف الحالكة، التي تقف فيها

1- سورة فصلت، الآية 33.

البشرية على حافة الدمار، بعد أن دمرت النفس البشرية وحطمت الفطرة الإنسانية، وعانى الإنسان من الشقاء ما لم تتحمله الشم الرواسي.¹

صار لزاماً على أمة الإسلام اليوم أكثر من أي وقت مضى، بأن تقوم بواجبها لأن الأفكار تتصارع بوعي وقوة، والأهم تبدل الكثير من أجل نشر مبادئها في الناس.²

فالأمة الإسلامية مسؤولة عن هداية البشرية ومستشهادة وموقوفة لتحاسب عن تبليغ رسالة الله تعالى التي استأنهم عليها.³

المطلب الثالث: خصائص الدعوة وأركانها

- خصائص الدعوة:

إن الخصائص التي تميز بها الإسلام عن غيره من الشرائع، قد خُصّت بها الدعوة إلى الله تعالى. فمن معان الدعوة هي الإسلام، والإسلام في حقيقته دعوة إلى الله تعالى، ولقد تعددت خصائصها وتباينت آراؤهم في حقيقتها وتعدادها. ومن أبرز هذه الخصائص:

1- الربانية:

إن ربانية الدعوة تعني بها ربانية الغاية والوجهة، وتعني ربانية المصدر والمنهج، لذلك فإن ربانية الغاية والوجهة أن تبتغي بدعوتك وجه الله تعالى ومرضاته، فترى أن الإسلام يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته فهذه غاية الإسلام.⁴

لذلك كان من مقتضيات هذه الخاصية أن يكون الدعاة إلى الله ربانيين في دعوتهم وتوجههم، يبتغون بذلك وجه الله تعالى ومرضاته ولا أن ينسبوا دعوتهم إلى أنفسهم أو أحزابهم أو جماعاتهم وإنما تنسب إليه سبحانه

1- ثقافة الداعية في عصر العولمة، شكري هارون إبراهيم مانلين، رسالة ماجستير في الدعوة، إشراف: محمد السيد البساطي، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، سبتمبر 2014م، ص16.

2- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ص239.

3- ثقافة الداعية في عصر العولمة، مرجع سابق، ص16.

4- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ 1983م، ص9

وتعالى. قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) 1. 2.

والدعوة دعوة الله، والدعاة يدعون إلى الله، فلا مجال عندهم لحظوظ النفس أو الهوى أو الشهوات، وإذا كان رسول الله ﷺ قد حذره ربه من أن يقع في فتنة التنازل عن بعض ما أنزل الله إليه، فأولى بهذا التحذير العلماء والدعاة ليستحضروا قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢٨) 3. 4.

وأما ربانية المصدر والمنهج فإنما هو "المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، منهج رباني خالص، لأن مصدره من عند الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ" 5، كما أخبر بذلك المولى سبحانه وتعالى: بأن مصدر رسالته ودعوته صادر عنه سبحانه لهداية الناس ورحمتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ 6.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرَهُمْ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (١٧٤) 7.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهِمْ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٦) 8.

1- سورة آل عمران، الآية 79.

2- المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، محمد بو الحديدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017م، ص 60-61.

3- سورة آل عمران، الآية 128.

4- المرجع السابق، ص 61-62.

5- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 57.

6- سورة يونس، الآية 57.

7- سورة النساء، الآية 174.

8- سورة المائدة، الآية 15-16.

فالإسلام بمنهجه في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريعات رباني يستقي تعاليمه من الوحيين - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ثم تبليغه إلى الناس بأمر الله تعالى استجابة لندائه

سبحانه. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ١٧﴾¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ١٧﴾².

"ولما كانت الدعوة من الله تعالى فقد تولى حفظها سبحانه وتعالى بحفظ كتابه طيلة القرون الماضية، فمن مبعث المصطفى ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا الحفظ الإلهي الكريم لهذا الكتاب ولسنة النبي ﷺ وهما أصل الدين ومادته وروحه ومنهجه، اللذان اشتملا على ما يتعلق بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة... وهذا ما ميزها عن غيرها بالديمومة والمصداقية والوضوح"³

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١٩﴾⁴.

ونقصد بالربانية: أن أحكام هذه الشريعة وأنظمتها ومبادئها ليست من وضع بشر بحكمه القصور والعجز والتأثر بمؤثرات المكان والزمان والثقافة، ومؤثرات الوراثة والنزعة والمزاج والهوى... وإنما شارعها صاحب الخلق والأمر في هذا الكون، ورب كل ما فيه، الذي أحسن كل شيء خلقه⁵.

2- الشمول:

يعتبر الشمول من الخصائص التي تميزت بها الدعوة الإسلامية بكل ما تحمله الكلمة من معان متعددة، وأبعاد عتبر عنها الداعية حسن البناء رحمه الله تعالى في رسالة الإسلام فقال:

"إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن"

"وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم"

1- سورة المائدة، الآية 67.

2- سورة الحج، الآية 67.

3- قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ص158

4- سورة الحجر، الآية 9.

5- المرجع السابق، ص158

"وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة"¹

إن دعوة الله مستمرة منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وإلى قيام الساعة ففي تعاقب الليل والنهار والدهور والأزمان، تتالت معهم الكتب والرسالات والدعوات، إلى أن خُتِمت بالرسالة الخالدة "فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية، فليس بعد الإسلام شريعة ولا بعد القرآن كتاب ولا بعد محمد نبي ﷺ أرسل، وكل كتاب أنزل، فالأنبياء جميعا جاءوا بالإسلام، ونادوا بالتوحيد ودعوا إلى صراط الله المستقيم"².

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) ³.

وانها دعوة تخاطب الناس جميعا ورسالة إلى العالمين: انسهم وجنهم بمختلف أشكالهم وصورهم وألوانهم وأجناسهم وبيئاتهم لكل الناس وهداية لعباد الله أجمعين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) ⁴.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ⁵.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (١٥٨) ⁶.

ولما كان الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض، وكلفه حمل الأمانة وتبليغ الرسالة، فقد أمده بكل أسباب الحماية والرعاية والتوفيق لما يصلحه في أداء مهمته وتحقيق غايته، فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب وأقام حجته على الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا﴾ (١٦٥) ⁷.

1 - الرسائل، حسن البناء، ص7

2- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 105، 106

3- سورة الأنبياء، الآية 25.

4- سورة سبأ، الآية 28.

5- سورة الأنبياء، الآية 107.

6- سورة الأعراف، الآية 158.

7- سورة النساء، الآية 165.

"وإذا كان الإسلام هو رسالة الإنسان كله في كل أطواره، ورسالة الحياة كلها، بكل جوانبها ومجالاتها، فلا عجب أن نجد التعاليم الإسلامية كلها تتميز بكل الشمول والاستيعاب لكل شؤون الحياة والإنسان، لذا نجد هذا الشمول يتجلى في العقيدة والتصور، ويتجلى في العبادة والتقرب، ويتجلى في الأخلاق والفضائل، ويتجلى في التشريع والتنظيم"¹.

من الخصائص التي تميزت بها الدعوة الإسلامية ميزة "الشمول" فهي دعوة شاملة تمس حياة الإنسان جميعاً... بل تتعداها إلى طرح الفكرة الإسلامية الخالصة التي يدعون فيها الناس إلى عبادة الله وحده بلا شريك، وإفراده بالتشريع الذي ينظم الحياة كل الحياة².

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ³.

فيعقب صاحب "الظلال" عن هذا المشهد فيقول: إنه التجرد الكامل لله، بكل خالجه في القلب وبكل حركة في الحياة، بالصلاة والاعتكاف، والمحيا والممات، بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية وما وراءها⁴. ويعتبر شمول الدعوة من شمول الدين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) ⁵.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَبْطِرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨) ⁶.

1- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 105 - 106

2- ينظر: المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، محمد بو الحديدي، ص 66

3- سورة الأنعام، الآية 162 - 163

4- في ظلال القرآن، ج3، ص 1240 - 1241

5- سورة النحل، الآية 89.

6- سورة الأنعام، الآية 38

يقول صاحب التفسير المنير: "أي نزلنا عليك أيها الرسول هذا القرآن تبياناً لكل شيء من العلوم والمعارف الدينية، مما يحتاج إليه الناس في حياتهم وهدى للضالين ورحمة لمن صدق به، وبشرى لمن أسلم لله وجهه فأطاعه وأتاب إليه بجنات الخلد والثواب العظيم".¹

إن الشمولية التي تنفرد بها دعوة الإسلام أتت من هذا الدين. لم يترك أي جانب من حياة الفرد أو المجتمع إلا ووضع له الحكم. . إلا أن أحكام هذا الدين الضابطة لجميع أفعال الإنسان وتصرفاته وسلوكياته وعلاقاته مع غيره، توضح بجلاء شمول هذا الدين لكافة مجالات الحياة الإنسانية.²

وشمول الإسلام هذا لشؤون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمول تام بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشرية، فإن الواحد منها له دائرته الخاصة التي ينظم شؤونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك.³

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁴

إن دعوة الإسلام موجهة لكل الناس، بل هي رحمة للعالمين، فقد دعا ﷺ الأنس والجن، ودعوته للجن أمر خاص به، أما نحن فمطالبون أن نوجه جهودنا لنشر الإسلام بين شعوب الأرض، بغض النظر عن ألوأهم وأجناسهم ولغاتهم وأماكن وجودهم، وقد بين ﷺ أن دعوته قد امتازت على دعوات إخوانه الأنبياء بأنهم بعثوا لأقوامهم خاصة وبعث ﷺ للناس كافة⁵،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁶

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾⁷

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ

1- التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، 1998م، ج4/ص207

2- قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان راجح المهدي المجاري، المدينة المنورة، 1413هـ، ص165

3- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط9، 1423هـ - 2002م، ص52

4- سورة النحل، الآية 89.

5- فقه الدعوة، بسام العموش، دار النفائس، الأردن، ط1، 1425هـ - 2005م، ص21

6- سورة سبأ، الآية 28.

7- سورة فاطر، الآية 24.

أُمِّي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»¹

-الدين والدنيا:

فالدعوة الإسلامية شاملة للدين والدنيا والآخرة، شاملة للفرد والأسرة والمجتمع وجميع البشر شاملة للروح والجسد، فهي دعوة شاملة لجميع نواحي الحياة فقد شملت الزمان والمكان والإنسان، أما الزمان فمنذ مبعث الحبيب محمد ﷺ وإلى قيام الساعة، أما المكان فكل الأرض، حيث ما وجد الإنسان ولو صعد إلى السماء للحقت به الدعوة، وأما الإنسان وهو كل ما يتعلق به وما يصلحه وما يُعِينُهُ عَلَى الْقِيَامِ بِمَهْمَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَمَا يَنْظُمُ عِلَاقَتَهُ بِغَيْرِهِ مِنْ بَنِي جَنَسِهِ، فَهِيَ دَعْوَةٌ لِكُلِّ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَبَيِّنَاتِهِمْ.

والشمول في الدعوة إلى الله تعالى مستمد من شمولية تشريعات الإسلام لأنظمة الحياة الإنسانية جميعاً... فالإسلام دين شامل يشتمل على مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشتمل على كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم... فيشتمل جميع ما أوحى إليه من الكتاب والسنة بلا نقصان، والوحي يتناول مناحي الحياة كلها، فالدعوة وسيلة تقرير الدين في واقع الناس.²

-شمول المخاطبين:

ومن شمول الدعوة أنه يوجه الخطاب إلى كل فئات المجتمع الإسلامي وغيره وتبليغهم رسالة الله تعالى وتحبيبهم في شريعته السمحاء فيكون الخطاب لأمة الإجابة من باب النصيحة والتذكير وهي المهمة العظمى كما بينها المصطفى ﷺ حين قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»³، فقد حصر النبي ﷺ الدين كله في النصيحة فشملت أبواب الشريعة المختلفة.

1- صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ: " جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ح 427، ج 1/ص 168.

2- ينظر: معالم في أصول الدعوة، محمد يسري، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط 1، 1424هـ، 2003م، ص 72-73.

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح 205، ج 1/ص 241.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹، والتذكير بعهد الله وميثاقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾²، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الدِّكْرَى﴾³.
شمول في الوسائل:

إن كل وسيلة تحقق أهداف الدعوة ولا تعارض الشرع فهي مطلوبة، بل واجب استخدامها إذا تعلق الأمر بتحقيق المقاصد بناء على قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)⁴.
وأما شمولها لأمة الدعوة فبتبليغهم رسالة الله تعالى وهدايتهم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾⁵ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾⁵.

قال ابن عباس: "نزلت في مؤمني أهل الكتاب، وأضاف الإخراج إلى الرسول ﷺ لأن الإيمان يحصل منه بطاعته"⁶.

ولقد وُضعت معالم هذا الشمول في حياة النبي ﷺ فكانت حياته قدوة للجميع، وانبثقت من أقواله وأفعاله شريعة الإسلام في كل أحواله، حتى استنار بضياءه المبين كل متلمس للسير في النور، فاقتبس من هديه وسيرته، القادة والسادة، والقضاة والحكام، والوعاظ والمرشدون، والأبناء والآباء،

1- سورة التوبة، الآية 91.

2- سورة الذاريات، الآية 55.

3- سورة الأعلى، الآية 9.

4- ينظر: معالم في أصول الدعوة، محمد يسري، ص 77.

5- سورة الطلاق، الآيتين 10-11.

6- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، د ط، 1423 هـ 2003 م،

ج 18/ص 172

والخواص والعوام... واقتبس من هديه العلماء المربون، والدعاة والمصلحون، فكان ﷺ مثلاً أعلى للجميع لأنه مرسل للجميع¹.

ويتجلى شمول الإسلام في أركانه التي يقوم عليها ومعاله التي يتميز بها، فهو شمول في الزمان والمكان والأشخاص والمنهج. في الزمان: ماضيه وحاضره ومستقبله. وفي المكان: كل بقاع الأرض. وفي الأشخاص: عام في كل الأفراد والأمم على اختلاف أشكالها وألوانها وأجناسها ولغاتها. وفي المنهج: شامل للعقيدة والشريعة والاختلاف. فالإسلام شملت رسالته الحياة جميعاً، والعالم كله والزمن جميعه وشملت رسالته أصول الرسالات الإلهية سواء بسواء².

ونقصد بالشمول: إن الشريعة الإسلامية قد اشتملت على نظم وأحكام وتشريعات في كل جانب من جوانب التكوين والبناء والإصلاح، وفي كل ناحية من نواحي المجتمع والحياة، سواء ما يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق، أو ما يتعلق بالقوانين العامة: من مسائل مدنية، وأمور جنائية، وأحوال شخصية، ونظم اجتماعية، وعلاقات دولية... أو ما يتعلق بأسس الحكم، ومبادئ الاقتصاد، وأصول المعاملات وركائز المجتمع الفاضل³.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾⁴

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁵

إن شمولية الدعوة من شمولية الإسلام وهو ما فضّل به الرسول الخاتم على سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهذه السمة التي اختص الله تعالى بها هذه الأمة وما حباها بهذه الرسالة

1- التمكين العالمي للإسلام في السياسة والحكم، الشحات محمود عطا، دار العواصم، الجزائر، ط1، 2009م، ج1/ص85

2- ينظر: خصائص التشريع الإسلامي، محمد فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1434هـ-2013م، ص223-224

3- سلسلة مدرسة الدعوة، عبد الله ناصح علوان، ص26-27

4- سورة الأنعام، الآية 38

5- سورة النحل، الآية 89.

الخالدة والباقية الى قيام الساعة فتشمل شؤون الدنيا والآخرة ولكل الناس على وجه هذه البسيطة، فهي واجبة الكمال والعموم والشمول والبقاء لتؤدي دورها في الحياة وتحقق مقاصدها وأهدافها.

3- الوسطية والاعتدال:

من الخصائص التي تميزت بها الدعوة الإسلامية "الوسطية" كمنهج لتبليغ رسالة الله تعالى بالتوسط والاعتدال دون إفراط ولا تفريط أو غلو أو تقصير فهو دعوة وسطية معتدلة لأمة اختارها الله تعالى من بين الأمم لتكون شاهدة على الناس،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾¹.

وهي دعوة الحق في استقامتها وتوازنها، لا تقبل الحيف ولا الظلم، من خلال التجاوزات في الغلو والتطرف لنهي النبي ﷺ لأئمة فيقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»².

لذلك اتسمت الدعوة الإسلامية بالوسطية والاعتدال في كل شيء: قولاً وعملاً، وفي الأمر والنهي. لهذا نهى الإسلام عن الانقطاع للعبادة، وأنه لا رهبانية في الإسلام، ويتجلى ذلك في قوله ﷺ للرهط الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته.

يقول انس بن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال احدهم أما أنا أصلي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فليْس مِنِّي»³.

1- سورة البقرة، الآية 143

2- سنن ابن ماجه، (ت: 273هـ)، كتاب المناسك، باب قدر حصي الرمي، رقم 3029، ج 2/ص 1008، قال الألباني صحيح، دار الفكر، بيروت، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت.

3- صحيح البخاري، كتاب النجاح، باب الترغيب في النكاح، ح 4776، ج 5/ص 1949

وقد أنكر رسول الله ﷺ على عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، حينما علم أنه قد تخلّى عن الدنيا وعزم على نفسه أن لا ينام، وأن لا يفطر، وأن لا يأكل اللحم، وأن لا يؤدي إلى أهله حقها، فقال له عليه الصلاة والسلام ناصحا وموجها ومرشدا: إن لك من رسول الله أسوة حسنة، إن رسول الله ﷺ ينام ويصلي ويصوم ويفطر ويأكل اللحم، ويؤدي إلى أهله حقوقهن، يا عبدالله بن عمرو: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»¹

ومن المواقف التي وقفها النبي ﷺ مع أصحابه تعطينا دليلا قاطعا، وحجة بيّنة على أن هذا الإسلام العظيم هو دين الفطرة والتوازن، والوسطية والاعتدال، يضع الأسس الكفيلة، والمبادئ الواقعية في بناء الشخصية الإنسانية واكتمالها وتوازنها للنهوض برسالتها، ومهمتها في الحياة على أكمل وجه².

فإذا كانت الدعوة الإسلامية تحمل في طياتها هذه المعاني مكتملة، فعلى الدعوة إلى الله تعالى وشباب الإسلام اليوم أن يحملوها إلى الدنيا من جديد³.

ولقد كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية أو التوازن شعارا مميزا لهذه الأمة التي هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التي ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث لها خاتم أنبيائه رسولا للناس جميعا ورحمة للعالمين⁴.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁵

1- صحيح البخاري، كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ح 1867، ج2/ص694.

2- سلسلة مدرسة الدعوة، عبد الله ناصح علوان، ص35

3- المرجع نفسه، ص52

4- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 13

5- سورة البقرة، الآية 143

يقول صاحب الظلال عن أمة الإسلام: "أنها أمة الوسط كل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد أو من الوسط بمعناه المادي الحسي، أمة وسطا في القصور والاعتقاد لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي... أنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول"¹.

فقد جاءت الوسطية لأمر دعوي، ألا وهو الشهادة على الناس، أي دعوتهم وتبليغهم والشهادة بأنهم قد بلغت الدعوة، وعرفوا الحق بغض النظر عن استجابتهم من عدمها، بل المهم أنهم قد بُلِّغُوا².

ومن خلال ما تميزت به الدعوة من وسطية، وحتى وصفت هذه الأمة بهذا الشرف، جعلها الله تعالى بذلك شاهدة على الأمم - يوم القيامة - لاعتدالها وفضلها. وأن "وسطية الأمة الإسلامية مستمدة من وسطية منهجها ونظامها، فهو منهج وسط، فمنهج الاعتدال والتوازن الذي سَلِمَ من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير في عقائده وأحكامه، في شعائره وشرائعه، في قيمه وأخلاقه، في مفاهيمه ومعايير، في آدابه وتقاليده، في مشاعره وعواطفه، في روابطه وعلاقاته"³.

4- العالمية والعموم:

لقد أرسل الله تعالى نبيه محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾⁴.

فأكمل الله تعالى، وأتم النعمة ورضي لنا الإسلام دينا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁵.

1- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط3، 1423هـ-2003م، ج1/ص131

2- فقه الدعوة، بسام العموش، دار النفائس، الأردن، ط1، 1425هـ-2005م، ص25

3- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ص 118 وفقه الوسطية الإسلامية والتجديد، يوسف القرضاوي، مركز

القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، الدوحة، قطر، د ط، 1430هـ - 2009م، ص40

4- سورة الأحزاب، الآية 40

5- سورة المائدة، الآية 3

فأخبر تعالى بأن الدين المقبول لديه هو الإسلام دون غيره من الشرائع السائدة، والتي حُرِفَت عبر تاريخ البشرية الطويل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٨٥) ¹.

فاظهر الله الدين على من سبقه، بما ميزة من خصائص أكسبته التفاعل والاستمرار والخلود.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ².

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩) ³.

فأصبحت عالمية الدعوة حتمية شرعية وضرورة إنسانية، لأنه الدين الحق الذي ألف بين أبي بكر العربي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فأصبحوا بنعمته إخواناً، فلا تُمَيِّز الدعوة بين الأجناس والأعراف والقوميات: فكلهم لآدم وآدم من تراب، فلا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود إلا بالتقوى.

"والعالمية خاصة لصيقة وملازمة للدعوة منذ ولادتها الأولى في مكة، وهذا ما تؤكد الآيات

الكثيرة. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (١٥٨) ⁴ ⁵.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ⁶.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ⁷.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ⁸.

1- سورة آل عمران، الآية 85

2- سورة الفتح، الآية 28

3- سورة الصف، الآية 9

4- سورة الأعراف، الآية 158

5- المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، محمد بو الحديدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ط، 2017م، ص 62

6- سورة الأنبياء، الآية 107

7- سورة سبأ، الآية 28

8- سورة الفرقان، الآية 1

ومن خلال خطاب الآيات وزمن نزولها يقول صاحب الظلال: "وهذا النص مكى له دلالة على إثبات عالمية الرسالة منذ أيامها الأولى... فهي منذ نشأتها رسالة العالمين طبيعتها طبيعة عالمية شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة"¹.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»²

ومن المبشرات التي أخبر بها النبي ﷺ: «لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزٍّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلٍّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»³

فمنذ الفتح الإسلامي الأول، والدعوة الإسلامية تجوب أصقاع الدنيا تحي القلوب، وتنشر النور كالغيث ينفع حيث نزل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁴، فقد دخلت الدعوة الإسلامية كل أقطار العالم بمراكزها وهيئاتها وعلمائها ودعاتها.

إن ما يؤكد عالمية دعوة الإسلام ورسالته منذ بداية الوحي الإلهي وما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ والآيات مخاطبة بأنه للناس كافة ورحمة وذكرى للعالمين، وكان للعالمين نذيراً... وهو عليه الصلاة والسلام لا زال في مكة والمؤامرات تحاك ضده ويضيق على أصحابه ومحاصرون من كل جانب، وجاء التأكيد بعد ذلك في المدينة المنورة في قوله تَعَالَى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ^٥ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

1- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط32، 1423هـ-2003م، ج5/ص2548

2- صحيح البخاري، كتاب التيمم، ح328، ج1/ص128.

3- مسند الإمام أحمد، ح23814، ج39/ص236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون- إسناده صحيح على شرط مسلم.

4- سورة الأنعام، الآية 122

5- سورة الأحزاب، الآية 40

ولما ختمت النبوات، أعلنت أنه لا نبي بعده وأن رسالته هي خاتمة الرسالات وأن دينه باق إلى نهاية الوجود الإنساني على وجه الأرض.

فمنذ هذا النداء الإلهي فإن باب التلقي عن الله تعالى قد انتهى بمحمد رسول الله ﷺ، فقد ختم به النبوات وانتهت بشريعته الرسالات، فلا طريق مُوصلة إلى الله تعالى إلا على نهج محمد عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة، إنها عالمية الزمان والمكان والإنسان. فالإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء، من لدن آدم إلى يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾¹.

فالإسلام قد وَسِعَ الزمان كله وُبُعِثَ لكل الأرض فوسع المكان كله، وأُرسل لكل البشر فوسع الإنسان كله، وهذا ما نطق به داعية الجليل ومجدد العصر، بأنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن.. وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم.. وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة، فهي دعوة لرسالة صالحة ما بقي الزمان وامتد المكان واختلف الإنسان في دينه ودنياه وأخراه.

يقول محمد الغزالي رحمه الله تعالى: "والمسلمون في هذا العصر يكادون يجهلون أن لهم رسالة عالمية، بل إن حياتهم وفق شرائع دينهم وشعائره موضع ريبة، وقد يكون موضع مساومة"².

إن الدعوة إلى رسالة الإسلام الخالدة "وهذه الشريعة في كل أحكامها وأنظمتها ومبادئها، ذات صبغة إنسانية، وخصيصة عالمية، فهي رحمة للعالمين، وهي هداية للناس كافة، وهي منهاج للبشرية عامة، فليست تشريعا لجنس خاص من البشر، أو لإقليم معين من الأرض، أو لفئة خاصة من الناس، بل هي للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه، أو جنسه، أو لغته أو أرضه، فلا عنصرية في هذه الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع، ولا طبقية وإنما الناس فيه سواء، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى"³.

1- سورة آل عمران، الآية 19

2- عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق، محمد الغزالي، بحث في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وأعداء الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، تاريخ العرض، 1436/07/222 هـ 11 ماي 2015م، تاريخ التصفح 2019/03/20

3- الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله ناصح علون، دار السلام، القاهرة، ط7، 1424هـ-2003م، ص16

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَظَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾¹.

وهذه العالمية قد بينها الله تعالى في أكثر من آية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧﴾².

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨﴾³.

بمعنى أن هذه الشريعة العظيمة راعت مصالح الناس جميعا في الدنيا والآخرة، دون تفريق بين

البشر. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآٰمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾⁴.

وأن المسلمين أمة واحدة أمام التشريع وإن اختلفت أجناسهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ١٢﴾⁵.

وهذه العالمية أكدها الرسول ﷺ بأنه بُعث إلى الناس كافة فقال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ

أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَإِذَا

رَجُلٌ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً،

وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»⁶.

1- سورة الحجرات، الآية 13

2- سورة الأنبياء، الآية 107

3- سورة سبأ، الآية 28

4- سورة الأعراف، الآية 158

5- سورة الأنبياء، الآية 92

6- صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ح 427، ج 1/ص 168.

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى: "دعوتنا... يكون الإسلام ديناً علمياً هي دعوة عالمية، فلذلك دائرة هذه الدعوة ليست مرجعية إلى فئة معينة ومشاكلها، بل هي موجهة إلى كل إنسان، ومشاكل النوع الإنساني هي مشاكلنا، ونحن نقدم حلها من الكتاب والسنة، وهو حل فيه سعادة كل واحد منا، فلذلك إذا قبلها المسلمون نأمل أن يقبلها السعداء من غير المسلمين أيضاً"¹.

فكل ما ذكر من الشواهد القرآنية يظهر بوضوح عالمية الدعوة الإسلامية للناس جميعاً "وأنها تعم جميع المعاصرين لنزول القرآن ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة، بل إنها تشمل الجن مع الإنس باتفاق جمهور العلماء"².

وما جاء ذكره في القرآن الكريم من خطاب تضمن "دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن، ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام"³.

وهذا ما أكدّه رسول الله ﷺ في أنه "بأشر عملياً تنفيذ عالمية الدعوة يوم أن سنحت له الفرصة بعد صلح الحديبية، حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كل الأرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلّغهم"⁴.

في صحيح مسلم من أحاديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»⁵، وهذا الحديث فيه إشارة إلى عموم رسالته وإلزامها لأهل الكتاب، وذلك أن النبيين ختموا به ﷺ واكتملت بشريعته الشرائع، وتكفل الله تعالى بحفظ أصل هذه الشريعة، الذي هو كتاب الله جل وعلا، بعد أن نسخت شريعته جميع

1- منهجية التجديد عند أبي الأعلى المودودي، سهيلة علاوة عظيمي، دار النهضة، دمشق، ط1، 1429هـ- 2008م، ص214، 215

2- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، مصر، ب ط، 1399، 1978م، ص320

3- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ- 1999م، ج1، ص336، 337

4- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، مرجع سابق، ص329

5- صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (بدون باب) ح 523، ج1/ص 371.

الشرائع، فلم يبق لأهل الكتاب بُدٌّ عن إتباع هذه الشريعة المطهرة الآمنة من النسخ، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها¹.

وقد "خص الله تعالى نبيه ببقاء معجزته وهي القرآن الكريم لبقاء دعوته ووجوب قبولها على من بلغته إلى آخر الزمان"².

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»³

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾⁴ (١٢٢).

وقد خص الله تعالى فئة ممن تصدروا لهذا الشأن وتخصصوا في أمور الدين والإعلام، وقد يكون فرض عين على كل مسلم بقدر طاقته كما يتضح في كتاب الله تعالى،

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁵ (١١٠). أي

يصبح بمقتضى هذا الأمر كل أفراد المجتمع قائمين بالاتصال ومسؤولين عن تبليغ الدعوة، كل حسب قدرته وعلمه، وفي نفس الوقت لابد من وجود المتخصصين القائمين على أمر الدعوة على بينة وبصيرة وتمكّن بأحوال الدعوة وملايساتها⁶.

1- منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب، محمد بن حسين بن الحبيب الشنقيطي، دار القبة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط1، 1413هـ- 1992م، ص42

2- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ- 1981م، ج3، ص213، كتاب التيمم

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ح403، ج1/ص486.

4- سورة التوبة، الآية 122

5- سورة آل عمران، الآية 110

6- نظريات الإعلام الإسلامي، محمد منير حجاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1982م، ص180

فالأمة الإسلامية ليست أمة لنفسها، ولكنها أمة للعالم كله، لقد أحصيت اثنتي عشرة آية في القرآن الكريم نزلت تؤكد عمومية الدعوة الإسلامية... فوجدته كما نزلت بمكة، وكلها تفيد عالمية الدعوة¹، يوم كان الإسلام يُضَيَّقُ عليه ويحارب من كل جانب وتوجه إليه الضربات، وهو يحمل للبشرية الهداية والنور المبين.

ولم ينزل في المدينة إلا آية واحدة تؤكد عالمية الدعوة، وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ارتضاه الله تعالى للناس، لأن الله تعالى ختم بمحمد ﷺ النبوة والكتاب وجعل رسالته ظاهرة على الدين كله إلى قيام الساعة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾².

وانطلق الصحابة "يعرضون الإسلام على الناس، باللغة العالمية التي يفهمها أهل الأرض كلهم جميعاً، لغة الخلق الزكي، والسلوك العالي، نعم، إن الجيل الذي حمل الإسلام وعبر به الأبعاد الشاسعة أرى الناس من نفسه نماذج رائقة، فدخل الناس في دين الله عن إعجاب ورغبة"³.

إن أول ما خُوطب به رسول الله ﷺ وتوضيح مهمته في شأن المخاطبين بأنه مبعوث لكل الناس لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁴، فدلّت الآية على عموم الرسالة ونسخ ما سبقها من شرائع ورسالات وكل ما ورد عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة دلالة على عالمية الإسلام وعمومه لكل الناس إلى قيام الساعة لأنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ ولا دين بعد الإسلام .

1- من مقالات الشيخ الغزالي، عبد الحميد حسانين حسن، نخضة مصر، القاهرة، ط4، 2005م، ج3/ص212

2- سورة الأحزاب، الآية 40

3- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ط2، 1432هـ - 2011م، ص14

4- سورة الأنبياء، الآية 107

5- الواقعية:

إن الواقعية من بين خصائص الدعوة الإسلامية التي تركز عليها في فهم مدارك الناس وعقولهم، والتفاعل معهم مع مراعاة واقع البيئة، التي ينتمون إليها ومخاطبتهم من خلالها وطبيعة نفوسهم.

لذا فإن "الواقعية ما كان قابلاً للتحقيق في الحياة ومتفاعلاً مع حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي، ومراعياً لواقع الكون والحياة والإنسان، إذا لا بد من مراعاة واقع البيئة المستهدفة بالتجديد وتطبيق الشريعة الإسلامية، وما تفرضه على المجدد من تحديات، تضطره إلى تخير أحسن الأساليب، لإحراز أكبر قدر من النجاح لمشروعه البديل، فالواقعية تسهل عملية التواصل والتعامل المؤثر في الواقع، خاصة وأن القرآن الكريم كثيراً ما يحدثنا عن أنبياء ورسلاً اقترنت دعواتهم إلى حد كبير بها، بحيث كانوا ينطلقون من المعرفة والفهم الدقيقين للواقع الذي تحرك فيه كل منهم ودعا فيه قومه"¹.

يقول سيد قطب (رحمه الله تعالى): "إن الإسلام منهج واقعي للحياة لا يقوم على متتاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، بل هو يواجه الحياة البشرية كما هي، بعوائقها وجوانبها وملابساتها الواقعية، يواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير، وإلى الارتقاء في آن واحد، يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعياتها، ولا تفرغ في خيال حالم، ورؤى مجنحة لا تجدي على واقع الحياة شيئاً"².

فهذه أبرز الخصائص التي تميزت بها الدعوة كما تحدث عنها كثير من العلماء والدعاة، وقد عدّها أحدهم إلى ستة عشرة خصيصة³ بيّن فيها كل ما تميزت به الدعوة من مواصفات مكنتها من أن تحتل أسمى المقامات في شريعة الله تعالى.

1- منهجية التجديد عند أبي الأعلى المودودي، سهيلة علاوي عظيمي، ص 227

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، ج 1، ص 226

3- فقه الدعوة، بسام العموش، ص 15-34

المطلب الرابع: أساليب الدعوة ووسائلها

تعريفات لغوية واصطلاحية

الأساليب لغة: جمع أسلوب: الطريق، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا، طريقته ومذهبه وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته¹، ويقال أخذ فلان في أساليب في القول: أي أفانين منه.² فأساليب الدعوة: الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أو كفايات تطبيق مناهج الدعوة.³ وذلك بتوضيح دعوته للناس وما تحمله من هداية، وقد تحدث القرآن الكريم عن كبريات هذه الأساليب الدعوية نصاً صريحاً واضحاً.

فيقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁴.

1- الحكمة: ومن معانيها:

العدل والعلم والحلم بالنبوة والقرآن والإنجيل والسنة، كما تطلق على الكلام الذي يقل لفظه ويُجَل معناه... وأحكم الأمر أتقنه.⁵ واصطلاحاً: فالحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات.⁶ وقيل "وضع الأشياء مواضعها" ومنها الإصابة في القول والعمل معاً.⁷ يذكر الرازي أن الحكمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه:⁸

- 1- ينظر: المعجم الوسيط، في مادة (سلب)، ج 1/ص 443.
- 2- سلسلة مدرسة الدعوة، عبدالله ناصح علوان، ص 24.
- 3- المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص 47.
- 4- سورة النحل، الآية 125.
- 5- ينظر: لسان العرب، مادة (حكم)، ج 12/ص 140-143. والمعجم الوسيط (ج 1/ص 189).
- 6- ينظر: المفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، تح: محمد السيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 127.
- 7- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان، (ت: 745هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1413هـ-1993م، ج 1/ص 393.
- 8- مفاتيح الغيب، ج 5/ص 515.

أحدها: مواضع القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^١﴾ (٣٣).

وثانيها: الفهم

والعلم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ^٤ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ^٥ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ^٢﴾ (١٢).

وثالثها: النبوة: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ^٦ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا^٣﴾ (٥٤).

ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب وأسرار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ^٧ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ^٨ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^٩﴾ (١٢٥).

والحكمة جعلها الله تعالى أفضل ما يُعطاه المرء ويتحاسد عليه، لأهميتها وفضلها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ^٤ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ^٥﴾ (٣١). يقول عليه الصلاة والسلام: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^٦

والحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها، يستخدمها في كل مجال في الحياة، وهي العقل الراجح والموجه والمرشد لاختيار الأفضل في الأقوال والأعمال والرؤى، والخبر في مآلات الأشياء

1 - سورة البقرة الآية 231

2 - سورة لقمان الآية 12

3 - سورة النساء، الآية 54.

4 - سورة النحل الآية 125

5 - سورة البقرة، الآية 269.

6 - صحيح البخاري، كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة ح 73، ج 1/ص 39.

ومقاصدها، فلا بد من الحكمة في ممارسة المناهج وتكريسها في أرض الواقع، إذ تتمثل في ضبط الخطوات وترتيب الأولويات والتدرج في تطبيقها بين فئات المدعويين باختلاف مستوياتهم ومشاربهم. وتدخل الحكمة في الأساليب، فيختار ما هو أنفع وأنسب لحالة المدعو باللين والرحمة والعفو. قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾¹، وكذلك الحكمة في الوسائل معنوية كانت أو مادية أن يختار ما يتناسب مع مواقف المدعويين بالأسوة الحسنة والأخلاق، الفاضلة وهي أعظم وسيلة، وما تيسر من وسائل عصرية مباحة، لخدمة الدعوة وتبليغها.

2- أسلوب الموعدة الحسنة:

الموعدة: مشتقة من وعظه يعظه وعظا وعظة، نصحه وذكره بالعواقب وأمره بالطاعة ووصاه بها...².

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾³.

والموعدة الحسنة في الاصطلاح الدعوي ترادف النصيحة.⁴
فمن مظاهر الموعدة الحسنة وأشكالها:⁵

القول الصريح اللطيف اللين. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁶. والإشارة اللطيفة والتعريض والقصة والخطابة المؤثرة والفكاهة والتذكير بالنعم والمدح والذم والترغيب والترهيب.... والقذوة الحسنة... وغيرها من الأساليب التي تؤثر في المدعويين وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة.

1 - سورة آل عمران 159.

2 - ينظر: لسان العرب، (مادة وعظ)، ج 7/ص 466، والمعجم الوسيط، ج 2/ص 1055.

3 - سورة النحل الآية 125.

4 - المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص 258.

5 - المرجع نفسه، ص 259.

6 - سورة البقرة، الآية 83.

ولهذا جعل النبي ﷺ النصيحة أساس الدين فقال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»¹، وقد تميّز أسلوب الموعدة الحسنة بلطف عباراته وألفاظه وتنوع أشكاله وصوره وتأثيره في نفوس المدعوين.

3- أسلوب المجادلة:

يقال في اللغة: جادله مجادلة وجدالا: ناقشه وخاصمه، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وهو شدة الخصومة... والجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.²

لقوله عليه الصلاة والسلام «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ...»³، ثم قرأ:

﴿وَقَالُوا أَإِلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾⁴،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾⁵.

والجدل في الاصطلاح: عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة⁶

مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.⁷

فقد تكون المجادلة بالحسنى وقد تكون بالباطل، ولكن الله تعالى أعقبها بما هو أحسن في

المجادلة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁸.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَدِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾⁹.

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح205، ج1/ص241.

2- لسان العرب، مادة(جدل)، ج11/ص105. والمعجم الوسيط ج1/ص111.

3- سنن الترمذي، باب: ومن سورة الزخرف، ح3253، ج5/ص232، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

4- سورة الزخرف، الآية 58.

5- سورة الكهف، الآية 54.

6- ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت: 1094هـ)، تح:

عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت، ط2، 1419هـ - 1998م، ص353

7- ينظر: معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 1423هـ

-2002م، ص47.

8- سورة النحل الآية 125.

9- سورة غافر الآية 5

ويستعمل هذا الأسلوب من أجل تحقيق الهدف والوصول إلى الغاية بدحض الحجة بالحجة وإبراز الأدلة والبراهين العلمية وإفحام الخصم¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهِمَ فِي رِيَّةٍ أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَهِمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبرَهِمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨) ².

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وثق بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين...."³.

وسائل الدعوة:

الوسائل في اللغة: مفردا وسيلة والوسيلة: الوصلة والاتصال، وهي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، يقال: وسل إليه وسيلة وتوصل⁴.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) ⁵.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) ⁶.

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتوح البيانوني، ص 263.

2- سورة البقرة، الآية 258.

3- درء تعارض العقل والنقل، بن تيمية، (ج 1/ص 357).

4- لسان العرب، ج 11/ص 724-725. القاموس المحيط، ج 4/ص 65. المعجم الوسيط، مادة (وسل) و(وصل)، ج 5/ص 158.

5- سورة المائدة، الآية 35.

6- سورة الإسراء، الآية 57.

"والدعاة إلى الله تعالى أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلى الله وتصل بدعوتهم إلى الناس...."¹.

اصطلاحاً: الوسائل الدعوية:

فوسائل الدعوة هو كل ما يستخدمه الداعية للوصول إلى غايته، سواء أكان اتصافاً بصفات معنوية أم كان استعمالاً لأدوات مادية أم قياماً بأعمال تطبيقية. فوسائل الدعوة هو ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية.²

أقسام وسائل الدعوة:

فمنهم من قسمها إلى وسائل دعوية مباشرة، وغير مباشرة:

أ- الوسائل الدعوية المباشرة: والمقصود بها مجموع الوسائل الدعوية التي تتجه إلى المدعوين مباشرة دون واسطة ومثال ذلك: الموعظة والخطابة والمحاضرة والدروس والندوة وغيرها.

ب- الوسائل الدعوية غير المباشرة: والمقصود بها: مجموع الوسائل الدعوية التي تتجه إلى المدعوين بصورة غير مباشرة، وذلك عن طريق وسائط تحملها وتوصلها إلى المدعوين، ومثال ذلك الوسائل الإعلامية (كالتلفاز والراديو والجرائد والمجلات وغيرها) والوسائل الاتصالية المتعددة والانترنت والمراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية وغيرها.³

ومنهم من قسمها إلى وسائل معنوية وأخرى مادية. ولكثرة الوسائل المادية وتنوعها قسمت إلى وسائل فطرية ووسائل فنية علمية، ووسائل عملية تطبيقية:

1- الوسائل المعنوية:

وهي جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية أو فكرية. . وذلك كالصفات الحميدة والأخلاق الكريمة والتفكير والتخطيط....

1- المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص282.

2- المرجع نفسه، ص49.

3- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، السعودية، ط2، 1431هـ- 2010م، ص687.

2- الوسائل المادية:

وهي جميع ما يعين الداعية من أمور محسوسة أو ملموسة، وذلك كالقول والحركة والأدوات والأعمال....

أ- وسائل فطرية: وهي الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان الجبلية وتنمو بنموه كالقول والحركة.

ب- وسائل فنية علمية: وهي الوسائل التي يكتسبها الإنسان كسبا ويتعلمها ويتفنن في إيجادها وتطويرها كالكتابة والتلفاز والإذاعة وما إلى ذلك.

ج- وسائل تطبيقية عملية: وهي إعمار المساجد وإنشاء المؤسسات الدعوية وإقامة النوادي والمخيمات والجهاد في سبيل الله تعالى...¹.

ضوابط وسائل الدعوة:

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله تعالى وعملا أساسيا من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه، كان لابد أن تكون منطلقة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ومنضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها².

ولوسائل الدعوة ضوابط كثيرة ومتنوعة منها:³

- 1- أن تكون هذه الوسائل شرعية متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية...
- 2- دخول الوسيلة في دائرة المباح إذا لم يكن منصوبا عنها، لكن بشرط بعدها عن الحرام والشبهة....
- 3- خروج الوسيلة عن كونها شعارا لغير المسلمين وخاصة ما يتعلق بالشعارات في الأمور الدينية.
- 4- أن يكون المقصود من الوسيلة مشروعا، يقول الشيخ عبد الرحمان السعدي: "الوسائل لها أحكام المقاصد...."⁴. ويقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته...."⁵.

1- المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص283-284.

2- المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ملرجع سابق، ص285.

3- مرجع سابق، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم محمد المغدوي، ص696-699.

4- ينظر: كتاب الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي - القراني - (ت684هـ)، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة مصر، ط1، 1421هـ-2001م، ج2/ص450-453 والقواعد والأصول الجامعة والفروق والتقايسم البديعة النافعة، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 2002م، ص36.

5- كتب رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمان بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ج27/ص177.

- 5- ألا يؤدي استعمال بعض الوسائل الدعوية إلى إحداث مفسدة أكبر من المصلحة المقصودة منها....
- 6- ينبغي على الدعاة مراعاة الأولويات باستعمال الوسيلة الدعوية...
- 7- التدرج في استعمال الوسائل الدعوية...
- 8- مناسبة الوسيلة الدعوية لحال المدعو وقدرته على فهمها.
- 9- مقدرة الداعية على استعمال هذه الوسائل الدعوية وهضمه لها والإلمام بفوائدها وطرق نفعها للناس، مع حسن التعامل مع هذه الوسائل وتسخيرها لخير المدعوين ونفعهم والتزام الصدق والحق في التعامل مع هذه الوسائل الدعوية.

أساليب الدعوة ووسائلها وتطبيقاتها من خلال الكتاب والسنة:

إن الأسلوب هو فن القول¹ في مخاطبة الناس على اختلاف مشاربهم وثقافتهم وتباين مستوياتهم. لذا يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبأساليب متعددة لإيصال دعوة الله تعالى إليهم، وتبليغهم دين الله تعالى. والدعوة لا بد لها من بيان حتى تفهم رغم اختلاف الناس في استيعاب المعاني وتعدد الأساليب: "وقد عرّف العلماء علم البيان بأنه إظهار المعنى الواحد بأساليب مختلفة للتوضيح والتعريف... وعلوم البلاغة هي علوم الأساليب العربية كلها"²، والأسلوب هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني بقصد الإيضاح والتأثير من خلال العرض والإلقاء وحسن الأداء³، وهذه من المعدات التي زوّد الله تعالى بها بني الإنسان حتى يسهل تعاملهم فيما بينهم ويفهم بعضهم بعض

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٢) عَلَّمَهُ أَلْبَانَ (٤) ﴾⁴.

وهذا ما أمر الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام في إظهار دعوته،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾⁵.

ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ العملية أسلوباً واضحاً في تعليم أمته بالأسوة الحسنة وإرشادهم بالعمل الصالح والكلمة الطيبة. فقد تحدثت السنة فيما نُقل من أحاديث دالة على أفعاله وأحوالهم وردت

1- لسان العرب، لابن منظور، مادة سلب، ج1/ص473

2- الدعوة الإسلامية وأصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص 50-51

3- ينظر: فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، مصر، ط2، 1411هـ، ج2/ص215

4- سورة الرحمن الآية 3-4

5- سورة النحل الآية 44

عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وما شاهدوه وعاشوه سنين بقائهم مع رسول الله ﷺ من عبادة وأخلاق وتعامل، صارت أسلوب حياة ومنهجاً متبعاً لا يُقبل العمل إلا من خلالها وموافقاً لها، ما لم يكن خاصاً برسول الله ﷺ، فأحواله ﷺ دعوة ناطقة قد وعّاها سمع الزمان إلى قيام الساعة. إن المتأمل في التوجيه القرآني والنداء الرباني لتعليم الدعاة كيفية مخاطبة الناس بالأساليب الثلاثة الكبرى التي ذكرتها الآية الكريمة في قوله

تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹

وقد تحدث القرآن الكريم بخطابات كثيرة وأساليب متنوعة، في أمره ونهيهِ وتوجيهاته، وقد أتى على كثير من الأساليب التي لم تعهدها العرب من قبل، ولما خاطبهم به رسول الله ﷺ تحير منه فحول العرب ودّهاتها، فقهر كبرياءهم وزلزل قلوبهم وتحداهم أن يأتوا بمثله، وهم سادة اللسان وأهله، فاستسلموا له صاغرين إلا من أعمى الله تعالى بصيرته وختم على قلبه استكباراً وظلماً،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾²

ولما قرأ رسول الله ﷺ في صلاته بالليل داخل بيته³ كان يختلف إليه العديد من صناديد قريش وكبراءهم يستمعون القرآن من لسان رسول الله ﷺ بتلاوته العذبة وأساليبه المتنوعة البديعة... والتي عجزوا أن يأتوا بمثلها لما تحداهم الله سبحانه وتعالى: إنسهم وجنّهم، دهاقهم وفصحاءهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾⁴

1- سورة النحل، الآية 125

2- سورة النمل، الآية 14

3- ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، د ط، 1411هـ، ج2/ص157

4- سورة الإسراء، الآية 88

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹.

وقد تعددت أساليب القرآن الكريم، ليتعلم الداعية فنون القول وفصاحته وبيانه وحسن الخطاب، فيتعرف على الأساليب المناسبة لدعوته الشاملة، ولجميع أصناف المدعويين، فيأخذ من الكتاب والسنة ما يفتح له آفاق التطلع إلى خطاب القرآن الكريم، بأساليبه المتنوعة والتي تتعامل مع النفس البشرية، وتحرك مكانها وتهز كيافها باختلاف طبيعتها المتقلبة.

ولما كان الأسلوب هو مفتاح القلوب وهو آية البيان في الإعجاز القرآني الذي تحدى الله تعالى به اللسان العربي وفحول الكلام، فكان الأسلوب لسان القرآن الذي دعا به لبيان ما جاء فيه من أحكام الله تعالى وشرائعه، لذا فقد أصبح الأسلوب علماً يهتم به في الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد المختصة بفنون اللغة ومسالكها، لكسب المهارة في حسن الكلام والتأليف والكتابة، من خلال اختيار الألفاظ والتراكيب والتنسيق والضبط، ليتمكن الداعية من صياغة أسلوب حسن يحدث انفعالا وتأثيرا لدى السامعين².

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يزخران بأفضل الأساليب وأرقاها، في مخاطبة المدعويين باختلاف قُربهم من الدين وبُعدهم، فكلُّ مخاطبه بما يليق بمقامه، وبما يصلحه في دينه ودنياه وآخرته.

إن الخطاب الذي يكسوه اللين والرحمة هو من أعظم أساليب التأثير لدى المخاطب. لذلك أوصى المولى سبحانه وتعالى نبيه موسى وهارون - حين أرسلهما إلى فرعون طاغية عصره - بأن يقولوا له قولاً لينا وأن يبسطا له في الكلام. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾³ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾⁴.

إن أساليب الدعوة في القرآن والسنة لخصها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁴.

1- سورة البقرة، الآية 23

2- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ناشرون، مصر، د ط، دت، ص 535-552

3- سورة طه، الآية 43-44

4- سورة النحل، الآية 125

"إن المتأمل في هذا التوجيه القرآني، يدرك أن الداعية إذا أراد أن يتعرف على الأساليب المناسبة لدعوته الشاملة، لجميع أصناف المدعوين، فلا يجد خيراً من القرآن الكريم والسنة النبوية بيانا لتلك الأساليب التي تمثل طريقته في التعبير، وفي نفس الوقت طريقته في الكتابة"¹.

ومن بين الأساليب والتي استخرجت واستنبطت من الخطاب القرآني، لا يمكن حصرها إلا ما تحدث عنها العلماء والدعاة ومنها: أسلوب الحكمة، وأسلوب الموعظة الحسنة وأسلوب اللين وأسلوب الترغيب وأسلوب الترهيب، وأسلوب الاستفهام والأمر والنهي، وأسلوب القصص والحوار وتركيز النفس، وأسلوب التوكيد والتكرار والاستنكار، والنفي وأسلوب التمني والتعجب والنداء، والأساليب كثيرة لها شواهد من الوحيين²، وكل هذه الأساليب وغيرها قد وعتها الآية الكريمة بمعانيها في أبوابها الثلاثة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالْقِيَمَةِ حَسَنًا إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾³.

أ. أسلوب الحكمة:

لقد أرشد الله سبحانه وتعالى الدعاة إلى مخاطبة الناس بأساليب شتى ومتنوعة، تتلاءم مع عقول الناس ومشاربهم ومؤهلاتهم، وقد جمع الله تعالى الأساليب في أمهات ثلاث،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالْقِيَمَةِ حَسَنًا إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁴، ثم ختم الآيات بمقومات القدوة، والتي هي عين الحكمة في أن يراكم المدعو مثالا حقيقيا في واقع الحياة، لأخلاق الإسلام ومبادئه وما تدعو إليه الناس، فكُنت أول الملتزمين به صدقا، إيمانا وعملا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁵، فالتقوى والإحسان للناس هو أساس القدوة الحسنة.

1- وسائل الدعوة وأساليبها، كتاب المادة، جامعة المدينة العالمية، د ط، 2010م، ص25

2- يمكن الرجوع إلى الأساليب في القرآن الكريم ودلائلها وأمثلتها في كل من المدخل إلى علم الدعوة لأبي الفتح البيانوني، فقه الدعوة إلى الله لعللي عبيد الخليم محمود، الدعوة الإسلامية ووسائلها، أساليبها في القرآن الكريم لأحمد غلوش.

3- سورة النحل، الآية 125

4- سورة النحل، الآية 125

5- سورة النحل، الآية 128

وقد تكون الحكمة بحر تغمر فيه كل الأساليب. وما الموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن إلا شيء من الحكمة التي أمر الداعية لمخاطبة الناس بها، من الدين والتلطف والقول الحسن، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾¹، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾²، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾³.

بهذا "يصبح تعريف أسلوب الحكمة بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه، فيكون أسلوب الحكمة شاملاً لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه"⁴.

والحكمة نبراس كل شيء في هذه الحياة، في الدين والدنيا قوامها واختيارها، في الدعوة أساليبها ووسائلها، في أخلاقها ومعاملاتها، وفي كل خطوة أو حركة في هذا الكون الفسيح، إلا بحكمة وقدر لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁵.

فالحكمة في الدعوة تقتضي احترام السنن الكونية، من التدرج والمرحلية والمغالبة والتعامل معها، ومعرفة المناهج الشرعية والسير في ركبها واختيار أفضل الأساليب وأحدث الوسائل، مع الأخذ بفقهِ الأولويات وأدب الاختلاف وفقه الواقع ومراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية الفردية والجماعية.

ومن أعظم صور الحكمة أن يكون الداعية المثل الحي لأخلاق الإسلام وتعاليمه، فهو أرقى أسلوب وأفضل وسيلة وأيسر المناهج وأوضحها في الدعوة لدين الله تعالى، وهكذا انتشر الإسلام في ربوع العالم بالتزام شريعة الله تعالى في واقع الحياة، فهي الدعوة العملية الصامتة، التي لها الأثر البالغ في قلوب الناس وسلوكياتهم، فإذا كان الميزان هو أساس العدل في الأحكام فإن الحكمة هي ضبط الخطاب وحسن الكلام.

1- سورة النساء، الآية 63

2- سورة طه، الآية 44

3- سورة البقرة، الآية 83

4- المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتوح البيانوني، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 1435هـ-2014م، ص245

5- سورة البقرة، الآية 32

ب. أسلوب الموعظة الحسنة:

إن الموعظة الحسنة التي أمر الله تعالى الدعاة بأن يدعوا بها، هي غير الموعظة التي تحيد عن مهمتها، إذا خرجت عن نطاق النصح وآدابه ومراعاة أحوال الناس ومستوياتهم النفسية والعقلية، ولهذا عقّبها سبحانه بالحسنة، لتحمل في ثناياها القول اللين والكلمة الطيبة والحوار الهادئ، وكل أسلوب هَيِّنٌ لَطِيف يكون مدعاة لقبول الخطاب والاستجابة الحقيقية لنداء الله تعالى والتزام شريعته وقبول دعوته.

لهذا نصح المولى سبحانه وتعالى الدعاة بالتزام الحكمة في الدعوة، واختيار الأسلوب الأمثل في مخاطبة الناس والموعظة الحسنة، من لسان داعية رباني، وقولٌ لَيِّنٍ يستهوي قلوب الناس ويستميل نفوسهم إلى إتباع الحق، والتشبث بشريعة الله تعالى وأوامره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹.

لقد حض الله تعالى الداعية أن يخاطب الناس بالحسنى: مؤمنهم وكافرهم. فالمؤمن من تعاليم دينه وسماحة أخلاقه وللكافر دعوة برفق ولين حتى يطمئن ويعلم حسن التعامل وأدب الحوار الذي دعا إليه الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾²، فهي حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للداعية أن يكون قوله للناس لَيِّنًا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسّيِّ والمبتدع من غير مدهانة... لأن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾³، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه⁴.

"الموعظة الحسنة هي تذكير الناس وتعليمهم دينهم بالأسلوب الجيد، الذي يفيد السامعين ويؤثر فيهم ويجتذبهم إلى ما يريد الداعية بآلغاه وأمثاله، وهو النصح بالكتاب والسنة والقول الحسن... وهي مراعاة أحوال

1- سورة النحل، الآية 125

2- سورة البقرة، الآية 83

3- سورة طه، الآية 44

4- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تح: هشام سميح البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، د ط، 1423هـ-2003م،

ج2/ص16

المستمعين وظروفهم، بل هي أمر جامع لكل ما يحسن الداعية التحلي به وهو يعظ مدعويه وهي (التي يستحسنها السامع وتكون في نفسه حسنة باعتبار إنتفاع السامع بها)¹،

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾² ٦٣.

يقول مالك بن دينار رحمه الله تعالى: "إذا العالم لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب، كما يزل القطر عن الصفا"⁴. لذلك فإن عدم العمل بالعلم يسبب نفور الناس من العالم، وزوال هيئته من القلوب وبعدهم عنه، فإن كان لموعظته تأثيرا لكان أولى الناس بها، فالناس مجبولة على تقليد من صدق قوله فعله، وكان سببا للاستجابة لأوامر الله تعالى وأحكامه، فتكون دعوة عملية تدعو إلى الاقتداء والتطبيق.

لقد كان رسول الله ﷺ يعظ الناس في كل أحواله، فيستجيش عواطفهم وتخشع قلوبهم لكلماته الحانية الرقيقة، يقول العرياض بن سارية رضي الله عنه «وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟...»⁵

فعلى الداعية مراعاة أحوال الناس، وإتباع أدب النبوة في تقديم الموعظة دون الإكثار منها، فإن النفوس تملّ كثرة الحديث، ولو كان نافعا فتصيبها السامة والنفرة، لذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه لأصحابه حين سأله الموعظة كل يوم "إني لأخبر بمجلسكم، فما ينبغي أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملككم وأن رسول الله ﷺ «كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا»"⁶.

1- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج3/ص242

2- سورة النساء، الآية 63

3- الدعوة والداعية، رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، مجلة دعوة الحق، رابطة العالم الاسلامي، عدد266، السنة28، 1436هـ، ص102

4- اقتصاد العلم والعمل، الخطيب البغدادي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1397هـ، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ص61

5- مسند أحمد، ح17142، ج28/ص367، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون - حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد حسن.

6- صحيح البخاري، كتاب العلم باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح68، ج1/ص38.

فقد كان رسول الله ﷺ خبير بنفوس الناس، وقدرة استيعابهم ومدى صبرهم وتحملهم لقبول الحق، والتزام شريعة الله تعالى والعمل بها وتبليغها للناس، فيتدرج في دعوته بأسلوب القرآن الكريم في تنزيل الأحكام مُنَجِّماً حسب الأحداث والوقائع.

ج. أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن

لقد أمر الله تعالى الداعية بالمجادلة بالتي هي أحسن، لأن أصحاب العقائد والأفكار لا يمكن لقوة أن تغيّرهما أو تنتزعها من قلوب أصحابها، أو تشكك في بطلانها، غير قوة الفكر وإقامة الحجة والحوار الهادئ المقنع، الذي يزيج عن القلوب كدر الغشاوة التي تكسوه فيتهاوى ركام الجاهلية والاعتقادات الفاسدة، فيشرق نور الإيمان والعقيدة الصحيحة بالحجة والبرهان.

لذا أمر القرآن الداعية المحاور أن يكون راقياً في حوارها، مرتفعاً عن مزالق الجدل العقيم. لذلك عيّب الله تعالى المجادلة بالتي هي أحسن ولم يقل جادلهم بالحسنى، كما في أمره بالموعة الحسنة وذلك "لأن الجدل فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة"^{1, 2}.

فعلى الداعية أن يتحلى بالصبر والعفو والصفح الجميل في مجادلته وإن لحق به الأذى فيعاملهم بأخلاق الإسلام التي وردت في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ف"إن قالوا شرا فقولوا خيراً"³، بهذا الخلق الرفيع تستهوي عقول الخلق وتستميل قلوبهم إلى إتباع الحق وتبصر الطريق.

ومن أدب الحوار والجدال "أن يُقبل كل واحد منهما على خصمه الذي يكلمه بوجهه في خطابه، المتكلم في كلامه والمستمع في استماعه... فإن ألفت المحاور أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب -وعظه، فإن لم يقبل - قطع مناظرته، لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتقطع عليه مادة الفهم والخاطر"⁴.

1- الرد على المنطقيين، أبو تيمية، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ص 468

2- ينظر: الدعوة والداعية، رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، ص 113.

3- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ، 2000م، ج 20/ص 46.

4- ينظر: الكافية في الجدل، الجويني، تح: فقيه حسين محمود، مطبعة عيسى الباني الحلبي، القاهرة، د ط، 1399هـ، 1979م،

"إن الجدل الذي عنته الآية الكريمة يهدف إلى إحقاق الحق ونصرتة ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلى خير. كما جاء في القرآن مقيدا بالتي هي أحسن. وكانت المجادلة بالحسنى أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ويعد من أبرز أساليب المنهج العقلي ويمكن أن يعبر عنه بالمناقشة والمناظرة والمحاورة وغيرها"¹.

وقد تميز أسلوب الجدل باعتماده على العلم والمعرفة، وإقامة الحجة على الخصم ودحض باطله مهما كانت براعته النفسية أو العلمية أو الاجتماعية، كالاستهزاء والسخرية بالحق وأهله، أو الاستفادة مما غاب عن الفهم والتوضيح، وإقامة الحجة والبرهان ودفع الشبهات المثارة حول الدين وأتباعه، أو التحمس لنصرة الحق ورفع رايته وتثبيت قواعده، ليكون للعالمين نذيرا وبرهانا ساطعا ودليلا قائما وحجة دامغة².

د. أسلوب القدوة الحسنة

تعتبر القدوة الحسنة من أفضل وسائل الدعوة النافذة في أعماق قلوب الناس، من خلال ما عاينوه من أخلاق راقية وسلوك رفيعة ومعاملة حسنة، فهم ينظرون إلى الإسلام وقد تجسد في كيان بشر يعيش بين الناس، وهذا من أعظم مقاصد شريعتنا وهو التطبيق العملي لأحكام الإسلام وأوامره، وإن كان يعدها بعض العلماء ضمن الأساليب الثلاثة بعد الحكمة والموعظة الحسنة والجدال والتي هي أحسن، يأتي الأسلوب العملي التطبيقي وهو دليل على صدق دعوته في نفسه قبل توجهه إلى الناس. "والداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي الناس إلى الحق بعمله وسمته وسلوكه وإن لم ينطق بكلمة واحدة، والتدين الحقيقي صورة لجوهر النفس بعد إن استقامت على الطريقة وهي التمثيل الحي والتطبيق الكامل للدين بعد العلم به، وقد أعطى أنبياء الله تعالى عليهم السلام المثل الأعلى في القدوة الحسنة حتى دعا الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام وأمته بالاقتداء

بهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِيمَا هَدَاهُمْ أَقْتَدَ﴾³ ٩٠.

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص 264

2- ينظر: المرجع السابق، ص 267-270

3- سورة الأنعام، الآية 90

4- ينظر: وسائل الدعوة وأساليبها، ص 38

وقد مدح الله نبيه عليه الصلاة والسلام في أسوته ووصفها بالحسنة لأصحابه ولمن يأتي بعده من المؤمنين، فهو القدوة التي ارتضاها الله تعالى لِيَتَّبِعَ بِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ دُونَ غَيْرِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾¹.²

إن الدعوة بالقدوة تُعد من أفضل الأساليب وأرقى الوسائل لتمثيل الإسلام في أسمى صورته العملية التطبيقية وأشد تأثيراً وأبلغ تمكيناً في نفوس الناس، لأنهم يشاهدون أفعالا وأخلاقاً تمثل شريعة الله تعالى وأحكامه لا مجرد كلام وأقوال، وهذه الوسيلة ليست كثير علم ولا موهبة خارقة ولا براعة في الخطاب وتنوع في الأساليب، وإنما هو تطبيق عملي لآداب الإسلام وأخلاقه، واستجابة لأحكامه وأوامره، وهي غاية الدعوة وهدفها الأساسي ومقصد الشريعة الإسلامية.

"فهي دعوة صامته يقدم فيها الداعية موعظة بليغة، من خلال سلوكه وتصرفاته. وهي أبلغ من كثرة الكلام الذي لا تصدقه أعمالنا ومعاملاتنا. بهذا قال عليه الصلاة والسلام... «وَأَسْتَقِيمُوا يُسْتَقَمَ بِكُمْ»³، أي من خلال الاقتداء بأفعالكم واستقامتكم"⁴. وأفضل القول ما يصدق العمل من التزام صادق وتطبيق عملي لما يدعو إليه من تعاليم دينه. ومن علو مكانة الدعوة بالقدوة طلبها الخليل إبراهيم عليه السلام له ولأبنائه بأن يجعلهم الله تعالى أئمة في الدين ومثلاً للآخرين وقدوة للمؤمنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْفِقِينَ

إِمَامًا﴾⁵، "أي قادة في الخير، ودعاة هدى يؤتم بنا في الخير"⁶، فاستجاب له ربه سبحانه كما وعده من قبل وأكرمه بتلك المكانة العالية الرفيعة ومدحه في كتابه،

1- سورة الأحزاب، الآية 21.

2- ينظر: المرجع السابق، ص 38.

3- الزهد والرفائق لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (ت: 181هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ج 1/ص 365.

4- ينظر: الدعوة والداعية رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، ص 142.

5- سورة الفرقان، الآية 74.

6- ينظر: تفسير القرآن العظيم، بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط 2، 1420هـ-1999م، ج 6/ص 133.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝١٢٤﴾¹، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۝٢٧﴾²، "فكل نبي أرسله الله تعالى وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم عليه السلام ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه"³، وقيل أن "التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن كتب نزلت في ذرية إبراهيم عليه السلام"⁴، وقيل "لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا من صلبه"⁵.

إن للدعوة وسائل متعددة لإيصال رسالة الله تعالى إلى الناس، وملاك ذلك كله في القدوة الحسنة، وهي من أعظم الوسائل بل هي روح الوسائل والجانب العملي الحي، فعمل صالح أو خلق كريم أو معاملة حسنة هي أبلغ من ألف كتاب وألف درس وألف خطبة، لأن الإجراء العملي هو المقصود في شريعتنا، ولذلك لما سُئِلت عن أخلاق رسول الله ﷺ قالت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»⁶، ولم تقل كان يأمر بالأخلاق، أو يبحث عن فعل الخير، أو يحدثهم عن أثر المعاملة الحسنة فقط، ولكن كان هو المثال الحي، والصورة الحقيقية المشرقة لدين الله تعالى، والقدوة الحسنة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٧﴾⁷. وقد حقق ما أمره الله تعالى به من الاستقامة والالتزام بشرعه، تطبيقا عمليا في نفسه استجابة لربه سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾⁸، فكان ﷺ قرآنا يمشي بين الناس حتى علّا على الأخلاق فمدحه الله سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾⁹، وأثنى على هديه ودعوته.

1- سورة البقرة، الآية 124

2- سورة العنكبوت الآية 27

3- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج1/ص410

4- التحرير والتنوير، لأبن عاشور، ج20/ص161

5- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13/ص340

6 مسند أحمد، ج24601، ص41/148، حديث صحيح، قاله محقق المسند: شعيب الارنؤوط وآخرون، ج41/ص149..

7- سورة الأحزاب، الآية 21

8- سورة هود، الآية 112

9- سورة القلم، الآية 241

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرَىٰ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢﴾¹،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٧٣﴾².

إن القدوة الحسنة قد تكون معصومة وهو ما يؤخذ عن الأنبياء والرسل الكرام، فهي مطلقة دون خطأ أو زلل، فهم سفراء الله تعالى في الأرض بما حباهم الله تعالى من كرم النبوة والرسالة. وما أفاض عليهم من الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، والتي تؤهلهم لحمل أمانة الله تعالى وتبليغها للناس في واقع الحياة³.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٤﴾⁴،

وقد تكون قدوة حسنة مقيدة وفق شريعة الله تعالى وأحكامه، وهو ما عليه الصالحون والأتقياء من عباد الله تعالى فيؤخذ عنهم ما وافق الشرع الحكيم ويُرَدِّ ما أُخْتَلَف فيه أو صدر عنهم من مخالفات شرعية عن ضعف بشري أو اجتهد خاطئ، فلا يقتدى بهم في ذلك⁵.

لذلك اختار الله تعالى الرسل من البشر، حتى يُعطوا للبشرية الصورة المشرقة والتمثيل الحي لشرعية الله تعالى من أحكام وأخلاق ومعاملة، وأن ما أنزله الله تعالى يتوافق وطبيعة البشر ومؤهلاتهم. فلا حرج في دين الله تعالى ولا مثالية في تطبيق أحكامه ولا رهبانية في الإسلام. ولما سأل المشركون أن يكون الرسول ملكاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ٨﴾^٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ

لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيْسُونَ ٩﴾^٩⁶.

1- سورة الشورى، الآية 52

2- سورة المؤمنون، الآية 73

3- ينظر: المدخل الى علم الدعوة، أبو الفتح الببانوي، ص 271

4- سورة الممتحنة، الآية 6

5- ينظر : المرجع السابق، ص 272

6- سورة الأنعام الآية 8- 9

لأنه ﷺ لو أنزل ملكا فلا يمكنهم رأيته ويكون هلاكهم بسببه، ولو أتاهاهم على صورة بشر لأشكل عليهم الأمر ولما صدقوه كأول مرة¹، فردّ عليهم المولى ﷺ بقوله:

﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا

رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾²، ولهذا لا يمكن أن يكون الملك قدوة لبني البشر لاختلاف الجنسين وتفاوت القدرات، ويصبح ذلك مطية لعدم قبول دعوته وامتنال أمره.

وقد أعطت القدوة الحسنة بُعدا إنسانيا وفطريا بما تحمله من سهولة الالتزام بشرع الله تعالى تطبيقا عمليا مؤثرا في نفوس الناس وقناعاتهم في صحة الأعمال ودقة أدائها. وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في تعليم أمتة الصلاة فقد كان يقول «...وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي...»^[3]، وقال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»⁴، فالأحكام كثيرة ولا يمكن استيعابها إلا بالتطبيق العملي والملاحظة العينية للأعمال⁵.

"لقد كان لأسلوب الدعوة بالقدوة في إدخال الإسلام إلى كثير من البلدان، التي آمن أهلها على يد تجار مسلمين ولربما كانوا محدودي الثقافة الشرعية لكنهم كانوا مُشبعين بقيم الإسلام وأخلاقه التي أذهلت الآخرين، وهم يرون تعاملهم الفريد، فرأوا من أمانتهم وصدقهم ما لم يعهدوه من قبل، فانفتحت مغاليق القلوب لدعوتهم فأخذوا بنواصي من حولهم إلى الإسلام بسيف الخلق الحسن والفعل الرشيد."⁶

1- ينظر: التحريرو التنوير، لأبن عاشور، ج6/ص 25-26

2- سورة الإسراء الآية 95

3- صحيح البخاري، كتاب الأذان باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، ح605، ج1/ص226.

4- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3: 1424هـ-2003م، كتاب جماع أبواب دخول مكة باب الإيضاع في وادي مُحَسَّرٍ، ح9524، ج5/ص204، وأخرجه الترمذي بغير لفظ خذوا عني مناسككم، وقال حسن صحيح، ح886، ج2/ص226

5- ينظر: المدخل الى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 271-275

6- ينظر: الدعوة والداعية، رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، ص154

إن أعظم وسيلة دعوية تتمثل في القدوة والمعاملة الحسنة، بحيث يلتزم الداعية بما يدعو إليه من مبادئ وأخلاق، فيتعلق الناس بمن رأوا فيه صدق مقاله ممثلاً في واقع عملي ينطق بلغة الامتثال والتسليم لأمر الله تعالى، فيصير الداعية بين الناس مثلاً يُحتذى به وأسوة فيما يدعو إليه حتى يُقتدى بسيرته.

وليكون الداعية قدوة للناس فعليه أن يتحلى بالصفات التالية:¹

1. عمق الإيمان وحسن الصلة بالله تعالى.
2. دقة الفهم لعمله ولدعوته إلى الله تعالى.
3. المداومة على العمل الصالح وحب الخير للناس.
4. التضحية بالوقت والجهد والمال.
5. التواضع لله والاعتراف بالتقصير.
6. حسن الخلق اقتداء برسول الله ﷺ.
7. مراقبة الله في كل أحواله وأعماله.
8. اتخاذ الإحسان مبدأ في الحياة وفي العمل.
9. الاجتهاد في خدمة مصالح المسلمين.
10. الاجتهاد في دفع الضرر والمفاسد عن المسلمين.

وقد جمعت الآية الكريمة كل هذه الخصال،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝١٢٦ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾².

1- فقه الدعوة إلى الله تعالى، علي عبد الحليم محمود، ج1/ص 236-238

2- سورة النحل، الآيات 125-128

وكل أنواع وسائل الدعوة الثلاثة بالقول والعمل والقُدوة¹:

1- فمن الدعوة القولية:

أ. الدعوة إلى الله بالحكمة.

ب. الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

ج. والجدال بالطريقة التي هي أحسن.

2- ومن الدعوة إلى الله بالعمل:

أ. الاقتصر في الرد على المساءة بمثلها.

ب. الصبر على مشاق المدعوين ومتاعبهم.

ج. صدق التوكل على الله تعالى.

د. عدم اليأس من المدعوين.

هـ. عدم الضيق بما يوجهه أعداء الدعوة إلى الدعاة.

3- ومن الدعوة بالقُدوة:

- تقوى الله.

- الإحسان.

إن الأساليب الدعوية بتنوعها تنسجم مع الفطرة الإنسانية، فمنها ما يلامس قلبه ويحرك عواطفه كأسلوب الموعظة الحسنة ومنها ما يلامس عقله فيحرك فكره كأسلوب المجادلة بالحسنى، ومنها ما يلامس حسه وكيانه ويدعوه إلى المحاكاة والمتابعة كأسلوب القدوة الحسنة، ولهذا تعددت أشكالها وتنوعت تنوعاً يغطي حاجات الدعوة وتلبي مطالب الفطرة البشرية².

والداعية الحكيم هو الذي يحسن استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب مع المدعوين، وهذه الأساليب تتطور مع تغير الأحوال ومقتضيات الزمان والإنسان، والأساليب شأنها شأن الدواء للعلاج، فقد يصلح مع هذا ما لا يصلح مع ذاك وإن تشابهت العلل. والأصل في الأساليب الدعوية

1- ينظر: مرجع سابق، ص 238

2- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 242

غير العبادية، فإنها اجتهادية متطورة، يمكن للدعاة أن يحسنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم، وهذا ما فعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم في تطوير أسلوب حفظ القرآن والسنة في صدر الإسلام الأول¹.

لقد أرسل الله تعالى الرسل لتحقيق غاية واحدة وهي عبادته وحده سبحانه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾²، وقد تنوعت أساليب ووسائل عرض الدعوة من نبي لآخر ومن قوم إلى قوم، فكان كل نبي يستقصي كل أساليب عصره ووسائلها لتبليغهم رسالة ربهم، بما يفهمون ويستوعبون، وأشدّهم حرصاً وأعظمهم بلاء أولي العزم من الرسل في اختيار الأسلوب الأنسب والوسائل التي تحقق المقاصد لهداية أقوامهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولما كان رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والرسالات ودعوته للإنس والجن جميعهم فقد استخدم كافة الوسائل المتاحة في عصره المادية والمعنوية حتى مدحه ربه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾³،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁴.

وقد أنعم الله تعالى على هذه الأمة بما أغدق عليها من وسائل عصرية متطورة، وهذه الثورة العلمية والثروة المعلوماتية والاتصالية، هي من أعظم الفرص التي يسر الله تعالى بها نشر الإسلام والدعوة إليه، باستخدام الوسائل المتطورة التي اختصرت الزمان وقربت المكان وربطت بين بني الإنسان، فجعلته يعيش في حلقة من التواصل الدائم والمستمر، وفيها تحققت عالمية الدعوة وشمولها، واختزلت فيها مقومات الإنسان من ثقافة ولغة وعادات وتقاليده، وتمازجت فيها الأفكار والرؤى، فصارت الأرض بتباعد أطرافها وسعة مناكبها كقرية عالمية صغيرة، فصدق فيها قول الله تعالى:

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 276-280

2- سورة الأنبياء، الآية 25

3- سورة الشورى، الآية 52

4- سورة المؤمنون، الآية 73

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢٨^١

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ٢٤^٢

فعلى الدعوة اليوم اغتنام هذه الوسائل المتطورة، وهذا التدفق الإعلامي والغزارة العلمية، ودورها الفعّال في الإحاطة العلمية والتكوينية في تهيئة الدعوة لحمل الدعوة ونشرها في أمة الإجابة، وتذكيرهم بعهدهم مع الله تعالى، وتبصيرهم بدينهم وإيقاظهم من غفلتهم وتثبيتهم على الحق، ولأمة الدعوة بتعريفهم بالإسلام وإقامة الحجة عليهم بالأدلة والبراهين، ودحض الشبهات والأباطيل من خلال الوسائل المتعددة والأساليب المتنوعة الحديثة^٣.

إن وسائل الدعوة الإسلامية عديدة ومتنوعة عبر مراحل الزمن، وتتجدد من عصر لآخر حسب ما يمليه حال المجتمع وواقعه، نظرا لما أبدعه العقل البشري وتوصل إليه، من خلال البحوث والتجارب التي مر بها علماء الإسلام ودعاته في المحن والملمات، وما تمخضت به الشدائد والابتلاءات، فعرفوا أن لكل مرحلة وسائلها في الرخاء والشدّة، في السفر والحضر، في الصحة والمرض وفي كل أحوال الحياة وتقلباتها، فكل وسيلة لها دورها ورسالتها تُوجّهها إلى مجتمع معين، فتأثر فيه بقدر ما تحمله من قيم دينية وأخلاق ومعاملات، وتكون بمثابة القدوة والمثل لمتبعيها ومستمعيها.

وهذه الوسائل تتفاوت في القيم والقيمة، ومدى تأثيرها في الناس وما تحمله من تعاليم الإسلام وشغله، في شتى مناحي الحياة وما تفيد الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، فقد استعمل رسول الله ﷺ كلما أُتيحت له وسيلة في دعوته لله تعالى، ليحقق مقاصد دعوته وأهدافها، في تثبيت عقيدة أصحابه وتعميق ثقتهم برحمهم، وتوضيح حال الدنيا وقيمتها.

ومن بين هذه الوسائل القديمة منها والحديثة: المسجد والمدارس بكل مراحلها، والرسائل والكتب والصحافة والدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات، والدورات والمناظرات، والهجرة

1- سورة سبأ، الآية 28

2- سورة فاطر، الآية 24

3- ينظر: الدعوة والداعية، رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، العدد 266، السنة 28، 1436هـ،

ص 134-135

والرحلات والمخيمات والمعسكرات، والإذاعة والتلفزة وملحقاتها الإعلامية وغيرها، مما استحدثه البشر من خلال التطورات العلمية والتكنولوجية الإعلامية والاتصالية.

إن الشبكة العالمية وما يتصل بها من وسائط وملحقات، قد أعطت للوسائل المتواجدة في هذا العصر بُعداً عالمياً شاملاً ومؤثراً، واستعمالاً سهلاً وممتعاً، ودون تكلفة مادية أو معنوية، وبللمسة بنان يُفتح لك العالم بين يديك تخاطب الناس بلسانهم، فننقل إليهم فكرك وعاداتك وتقاليديك، وقد تعرض عليه دينك بمبادئه ومقوماته: عقيدة وشرعة وأخلاقاً، كيف شئت وبما شئت ومتى شئت.

وتعد الوسائل الدعوية من "المتغيرات الشرعية" فهي قابلة للتجديد والتطور، بل إن استفادتها من مستجدات العصر ضرورة دينية وليس للإسلام تقييد على الأسلوب إلا بما يجعلها في إطار المشروعية الدينية لتحقيق الخير والفلاح¹.

1- الوسيلة القولية:

إن الوسيلة القولية قديمة منذ وجدت الخلائق، فمن خلالها يوجه الأمر والنهي الإلهي لملائكته وأنبيائه ورسله وهي أداة التفاهم والتعايش والحوار، وبها يتعامل بني الإنسان في حياتهم وبه تقضى مصالحهم في دينهم ودنياهم ويقضى به في أخراهم.

فهي أعظم الوسائل وأهمها، بها أنزل الله تعالى الكتب، وبها خاطب الأنبياء أقوامهم وبلغوا رسالات ربهم، وانتشرت الشرائع عبر مراحل عمر البشرية، وقد خاطب الله تعالى الملائكة والأنس والجن والجماد والنار والحيوان وكل من أنطقه الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾²

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِيَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾³

1- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ناشرون، مصر، د ط، دت، ص 42

2- سورة البقرة، الآية 30

3- سورة البقرة، الآية 33

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾².

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا يٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾³.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ أَجَالَ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾⁴.

وبهذه الوسيلة أمر الله تعالى الناس والدعاة على وجه الخصوص بأن يقول للناس حسنا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁵، في تبليغ رسالته وتبيين شريعته وأحكامه، وقد فرض الله تعالى على المسلمين صلاة الجمعة وخطبتيها والعيدين وخطبتيهما وخطبتي عرفة من أجل تبليغ الناس أوامر دينهم وإصلاح أحوالهم بما استحدثت من تغييرات في حياة الناس من أمور دينهم ودنياهم. فالخطبة لها تأثير بليغ في نفوس الناس، بما تحرك من عواطف الناس ووجدانهم وما يهّم مصالحهم، ويحلّ مشاكلهم ويقوي الإيمان في قلوبهم ويربطهم بخالقهم ويحببهم في عبادته، وما يقوم مقام الخطبة من ميادين القول كالمحاضرة والندوة وغيرها⁶.

إن أقدم الوسائل الدعوية عبر تاريخ البشرية على ألسنة أنبيائهم ورسولهم هي الخطابة. واعتبرتها شريعة الإسلام - كخطبة الجمعة والعيدين وغيرها - من الواجبات. وجمع لها الناس ليبين لهم ما أنزل الله تعالى من البينات والذكر الحكيم، ليصلح دينهم ودنياهم وآخرتهم، ويعالج أحوال واقعهم ومجريات أحداثه وفق أحكام الله تعالى وما حوته شريعته الغراء من مصالح الدنيا والآخرة.

إن الخطبة هي الوسيلة الدائمة والمستمرة ما بقيت الحياة، بها يتجدد إيمان الأمة بالموعظة والإرشاد، وتقوي همتها للتعلق بدين الله تعالى والاستجابة لأمره، وتوقظ الناس من غفلتهم وما استهوى قلوبهم من شبهات وشهوات، وتداوي عللهم وأمراضهم وتحافظ على دينهم عقيدة وشريعة

1- سورة الحجر، الآية 32

2- سورة فصلت، الآية 11

3- سورة الأنبياء، الآية 69

4- سورة سبأ، الآية 10

5- سورة البقرة، الآية 83

6- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص 44- 45

وأخلاقاً، حتى تبث الصحوة في المجتمع من جديد، فكما بعث المجدد في كل قرن.. جعل خطبة الجمعة في كل أسبوع والعيدين كل عام لتجدد إيمانهم وتصحح أخطاء الناس وما أحدثوه من تغيير، وتعالج كل مستحدثات العصر وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لقد تعددت وسائل الدعوة إلى الله تعالى وكل منها تخدم الدعوة من جانبها وتحقق هدف التبليغ عن الله تعالى ونشر رسالته، وتبينها للناس

قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾¹. وهذا التبليغ يكون بالقول، وهذا ما قام به رسول الله ﷺ طيلة الفترة المكية، يدعو أصحابه بالكلمة الطيبة، في تثبيت أركان العقيدة وأخلاقيات الإسلام، متحملاً في ذلك كل المشاق والعنت، معرضاً عما يحاك ضده من مؤامرات ومكائد، لتثنيه عن مواصلة نشر دينه ورسالة الإسلام ملبياً نداء ربه سبحانه وتعالى، قوله: ﴿فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾².

وهذا ما حدث بين رسول الله ﷺ وأبا الوليد الذي عرض عليه ما أملت عليه قريش من إغراءات شريطة أن يتوقف عن دعوته، وبعد أن أنهى عرضه قال النبي ﷺ هل أنهيت يا أبا الوليد؟ فأسمع مني، فتلا عليه رسول الله ﷺ بداية "فصلت" من قوله

تعالى ﴿حَمَّ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كُنْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾³ حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها وأبو الوليد يستمع.. ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت. قال: فأنت وذاك...⁴.

إن الدعوة بالقول أو بالكلمة تتنوع أشكالها ومضامينها ومراحل تقديمها وكيفيةها، وإنما يجب أن تتوازى وأن تواكب مراحل الدعوة وأولويات كل مرحلة، ولهذا جعل الله تبارك وتعالى الجهاد في سبيله باللسان من أحسن ما يقدمه المسلم من قول، دعوة في سبيل الله تعالى.

1- سورة النحل، الآية 44

2- سورة الفرقان، الآية 52

3- سورة فصلت، الآيات 1-4

4- ينظر: السيرة النبوية لابن كثير، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، لبنان، ب ط، 1395هـ-1996م، ج 1، ص 504.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾¹،²

فقد جمعت هذه الآية بين الدعوة القولية والدعوة العملية التطبيقية في تعقيها بالعمل الصالح. فهي دعوة ناطقة، تتمثل في السيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة، فقال عليه الصلاة والسلام «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ»³.

وقد تعددت الوسائل القولية في تاريخ البشرية وتنوعت أساليبها وكيفياتها، ولئن كان العرب قد أبدعوا في الخطابة إلا أن الإسلام أحدث تغييرا حير دهاة اللسان وأهل البيان في موضوعاتها وألفاظها وخصائصها، ومن هذه الوسائل: الخطبة والمحاضرة، والدرس والمناظرة، والرسالة والمقال والكتاب وغيرها، وما استحدثت في حياة الناس وما حملته التطورات التكنولوجية الحديثة في عالم الإعلام والاتصال من وسائل متنوعة في الكم والكيف وفنون العرض والتشويق، وقوة الحجة والاستدلال بالصوت والصورة والدلائل الواقعية الحية، فتصل الكلمة في حينها إلى أقصى الدنيا. ﴿كَلِمَاتٍ أَبْصَرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾⁴.

وقد تيسر للدعاة بفضل الله تعالى ثم بفضل هذه الوسائل المتطورة والحديثة، أن يُنصّب لنفسه منبرا أو موقعا يُحدث من خلاله عموم الناس، في مجتمع الإجابة ومجتمع الدعوة على السواء، ويجاورهم ويعرض عليهم مبادئ الإسلام وأحكامه وسماحة أخلاقه ومعاملاته، دون أن يكلف نفسه كثير جهد في النفس والمال، مع تحيّر الأساليب والوسائل المدعمة بالدليل والحجة والصورة الحية، التي لا يشوبها شك ولا ريب، لإقامة الحجة على الناس بلغة العصر ووسائله الحديثة، فتُظهر الإسلام بالصورة المُشرقة المُشوّقة المُشرّفة، ولو توقفنا عند الوسائل القديمة، كما يراها بعض الدعاة تعلقا بما كان عليه الجيل الأول، واعتقادا بعدم الخروج عليه،

1- سورة فصلت، الآية 33

2- ينظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى، علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، مصر، ط2، 1411هـ- 1990م، ج1/ص165

3- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009 م، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح3660، ج5/ص501. وقال المحقق - شعيب الأرناؤوط وآخرون - إسناده صحيح.

4- سورة النحل، الآية 77

وقد وصل التشدد في جانب الوسائل ببعض الدعاة إلى أن يصفوها بأنها "توقيفية" غير اجتهادية، ومنعوا كل وسيلة دعوية لم يرد في مشروعيتها نص أو لم يرد استعمالها في زمنه ﷺ¹.

"كما جعل بعضهم الوسائل الدعوية من الثابت، التي لا تقبل التغير والتطور، شأنها في ذلك شأن المبادئ والأصول الدعوية، ولو تَبَصَّرَ الدعاة في هذه المسألة لعلموا أن القول بتوقيفية الوسائل يصير بالدعوة الإسلامية إلى الجمود والانحسار، في وقت تطورت فيه الوسائل الدعوية تطورا مذهلا كما هو مشاهد."²

وقد يختلط على بعض الدعاة بين الوسائل والأساليب، وإن من الأعمال الدعوية ما يجمع بين الوسيلة والأسلوب كخطبة الجمعة، في مجملها تعتبر وسيلة لنشر رسالة الإسلام، وتوضيح معالمه وأحكامه، أما من حيث تأليفها وإعدادها ثم إلقائها على الناس بأفضل أسلوب تؤثر في المدعوين باستمالة قلوبهم وتحريك مشاعرهم، ببراعة الأسلوب وحسن اختياره. وإن من الوسائل ما هو ثابت لا يتغير وإن تطورت أدواته، واستحدثت تقنيات اتصالية متطورة، أضافت على الوسائل من الأعمال الجليلة ما زادت من تحقيق الأهداف وكمال المقاصد في النشر والتبليغ، والحفظ بأساليب مشوقة في مكينات صوتية ومكتوبة، لم يشهد لها التاريخ مثيلا، يأتيك ما تطلبه في حينه، بأقل التكاليف وأسرع وقت، أو كمن يخطب في أدنى الأرض فيسمعه من بأقصاها في حينها، وفي أبهى صورها وأدق تفاصيلها³.

2 - الوسائل العملية:

ومن أعظم الوسائل المؤثرة في الناس هو التطبيق العملي لسلوكيات الإسلام وأخلاقه وحسن تعامله، وهي الوسيلة القديمة الحديثة المتطورة الصادقة المؤثرة، التي عمل بها كل الأنبياء والمرسلين، وخاطبوا بها أقوامهم وهي الصورة الحية المتمثلة في شخص الداعية ومدى تطبيقه لما يدعوا إليه، فلو كان حقا كان أولى به من غيره، إنها القدوة الحسنة والسيرة الطيبة وهذه الوسيلة لا تعتمد على الكلمات والأساليب والصور، وإنما يظهر في التطبيق العملي للإسلام بشموله وكماله، وهذه الوسيلة دليل على حقيقة الإيمان الذي تَحَدَّثَ به القرآن الكريم في كثير من آياته، فكلما ذكر الإيمان إلا وقرنه بالعمل الصالح لارتباط حقيقة الأول بالثاني⁴.

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، ص 329-340.

2- القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، محمد أبو الفتوح البيانوني، دار اقرأ، الكويت، ط1، 1431هـ-2011م، ص162

3- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص41-42

4- ينظر: المرجع نفسه، ص42-43

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾¹.
قال عليه السلام: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمَّ»².

"أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين وهي منتهى العمل"³، ففي استقامتهم تبوء منابر الدعوة بالهداية من خلال دعوتهم الصامتة، لذلك صاروا قدوة حسنة لمن معهم ومن بعدهم، لالتزامهم بشريعة الله تعالى وامتناعهم وأوامرها وأخلاقها. فكانوا أئمة في الدين يهتدى بهم إلى طريق الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾⁴.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁵.
وقد تعد القدوة وسيلة دعوية ناجحة، كما تحسب أسلوباً من أساليب التربية "فالعمل الدعوي في صورته الحركية التطبيقية يعد وسيلة، أما الدلالة المستفادة من العمل فهي الأسلوب الذي ينقل المعنى للمدعويين"⁶.

فالدعوة العملية تنطلق من نشاط تطبيقي لأحكام الله تعالى وتشريعاته، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طبقاً للضوابط الشرعية والشروط التي تحقق المصالح وتدرأ المفاسد ضمن مقاصد الشريعة.

والحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة المنشآت والمؤسسات النفعية والخدمية والتي من شأنها خدمة الصالح العام للمجتمع الإسلامي وأمة الدعوة، لأن الدعوة لا تعتمد على الكلام وحده

1- سورة فصلت، الآية 30، وسورة الأحقاف، الآية 13

2- صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ح 168، ج 1/ص 194، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1412هـ-1991م.

3- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد الحنفي، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دط، دت، ج 6/ص 139

4- سورة الأنبياء، الآية 73

5- سورة الأحزاب، الآية 21

6- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص 43

وإن كانت فيه مبادئ الإسلام ومقوماته، إلا أنه لا بد من برهان على صحة تلك المبادئ، ومحاسن الإسلام تطبق على أرض الواقع لتثبت حقيقة وصدق ما يعتقدونه ويلبي مطالب الناس ويخدم مصالحهم¹.

إن أعظم الوسائل الدعوية تأثيراً في الناس هي الوسيلة العملية والتي تتمثل في سلوك الداعية وأخلاقه وتصرفاته، وهو التطبيق العملي لأوامر الله تعالى وأحكامه كما كان رسول الله ﷺ، لذلك لما سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن أخلاق رسول الله قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»².

فأي دعوة لا تركز على التمثيل الواقعي في حياة الناس تعتبر دعوة عقيمة لا تنتج شيء مع أصحابها فكيف بمن توجه إليه.

"والإنسان مولع بتقليد من أحب، ورآه بأخلاقه الفاضلة وسلوكه المستقيم ومعاملاته الحسنة، من تواضع وإخلاص وإيثار وإحسان وغيرها، فتتشبث الناس بأعماله ويقتدون به، فيكون الداعية بسيرته الحسنة دعوة صامته تفعل فعلها في النفوس، وتأخذ العمل موافقا لما دعت إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تطبيقاً عملياً كما كان يفعله رسول الله ﷺ في تبين ما أنزل الله تعالى إليه، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وقد ظهرت جلياً بأن يقلدوه في صلاته وأن يأخذوا عنه مناسكه في الحج، وفي معاملاته التي عمت كل المجالات والأحوال...

فقد كان أصحاب النبي ﷺ يأخذون مناسكهم عنه، ويصلون كصلاته ويحجون كحجه، لدرجة أن بعضهم حاول أن يحدد مسرى قدم رسول الله ﷺ ليسير فيه، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينظر إلى الحجر الأسود ويقول: " إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ " 3 4.

1- ينظر: فقه الدعوة، علي عبد الحليم محمود، ج1/ص234

2- مسند أحمد، ج24601، ج41/ص148، حديث صحيح، قاله محقق المسند: شعيب الارنؤوط وآخرون، ج41/ص149.

3- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب ما ذُكر في الحجر الأسود، ج1520، ج2/ص579

4- ينظر: الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ناشرون، مصر، طبعة جديدة، 2005م، ص422

3- الوسائل المكتوبة والمطبوعة:

لقد بدأت الكتابة منذ العصور الأولى، حيث تمكن الإنسان من التعبير عن حياته، وعن الأحداث التي عاصرها، فكتب على أوراق الشجر، والصخور والأحجار والألواح والجلود... وقد عرّفت هذه الوسيلة عن حضارات عمّرت في الأرض ثم طواها الزمن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْتَغِي مُعْطَلَةً

وَقَصْرِ مَّسِيدٍ﴾¹، فخلّفت وراءها آثارا لحضارات عمّرت في أعماق التاريخ ثم أكتشفت من خلال تلك الصور والرموز والأشكال وحلّ ألغازها وخباياها، والتي تداولتها الأجيال في التعامل بها، ثم تطورت عبر تعاقب الأجناس والبيئات، حتى وصلت إلى وصلت إليه اليوم، بعد أن اكتشف الصينيون صناعة الورق، بدأت الكتابة والتأليف وانتشرت الكتب وبعثت الرسائل، واستحدثت الوسائل الإعلامية من مجلات وجرائد وصحف ومطويات، لما تتميز به من اختيار المواضيع وجودتها، وتمكّن القارئ من امتلاكها وانتشارها الواسع والوصول إلى عموم الناس.

وبهذا يتمكن الداعية من استغلالها وبث دعوته من خلالها لتصل إلى أوسع نطاق، وخصوصا الكتابة الإلكترونية التي طغت على الرسائل المكتوبة، واحتلت الصدارة في كل مجال من خلال الشبكة العالمية، وكل الوسائط ومواقع التواصل الاجتماعي والثورة المعلوماتية والكم الهائل من الكتب الإلكترونية والتي تمكنه من الوصول إليها بطريقة عين أو هي أقرب...

ومن خلال هذه الوسائل الحديثة والتي جمعت كل الوسائل في إطار واحد، وبلغت به أفاق الدنيا، فلم يبق بيت مدر ولا وبر إلا وصلت إليه، فإذا تمكن الداعية من التحكم فيها واستغلالها أحسن استغلال، وصلت دعوته كل إنسان على وجه الأرض، وذلك هو الفتح المبين، حينها تتحقق نبوءة المصطفى ﷺ فيما أخبر به في بلوغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار.

4 - الوسائل المسموعة العامة:

يعتبر المذياع من بين الوسائل المهمة في توصيل الكلمة إلى الجماهير العريضة عبر المسافات البعيدة، باختلاف فنونها وأشكالها في لحظات، وتحمل الأخبار والأحداث فور وقوعها، فتتندر وتحذر

1- سورة الحج، الآية 45

زمن الحرب وعند نزول الكوارث والملمات، فهي وسيلة تشبع رغبات الناس من خلال ما تبثه من موضوعات وغيرها، من سهولة الاستعمال وبساطة الوسيلة. فهي تخاطب كافة الفئات باختلاف ثقافتهم وبيئاتهم، لاشتمالها على المؤثرات الصوتية والحوار البناء¹.

لقد استغلت بعض البلدان الإسلامية هذه الوسيلة في خدمة الدين الإسلامي، بما تقدمه من مبادئ سامية وقيم وأخلاق راقية، من أجل مواجهة الحملات المغرضة التي يشنها الغرب لتشويه حقيقة الإسلام، وإبراز صورته المشرقة الصادقة، نصرة لدين الله تعالى ونشر تعاليم شريعته، وخصوصاً في العصر الحديث، وقد تخصصت بعض الإذاعات في خدمة القرآن الكريم تلاوة وتعليماً وفهماً. وقد عمل الدعاة في بث رسالتهم وشرح دعوتهم من خلال هذه الوسيلة، واستغلال هذا المنبر في مخاطبة الناس وإقناعهم بربانية الدين وسماحة تعاليمه بمختلف أساليب هذه الوسيلة المؤثرة في إطار "أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي بعد إنشاء إتحاد إذاعات الدول الإسلامية (إسبو) عام 1975م"².

5 - الوسائل السمعية البصرية:

لقد عرفت الوسائل السمعية البصرية أهمية بالغة في مجال الإعلام، ومدى تأثيرها في الناس، بما تميزت به في النقل الحي للأحداث والوقائع، بالصوت والصورة والتقنيات الحديثة وبراعة الإخراج والعرض، " فقد دخلت حياة الناس وغمرتهم ببرامجها وفنونها، فشغلت حيزاً لا يمكن الاستغناء عنه، بل ارتقت إلى مرتبة المربي والموجه وعملت في مجال التربية والتعليم في مختلف المستويات، ولم تغافل عن مجال الترفيه والتسلية بمختلف مستوياتها. فنشأت الأجيال وفق تلك المخططات والبرامج التي تقدمها هذه الوسيلة الخطيرة، فلو عمل الدعاة على استغلالها لكان لها الأثر البالغ في نشر تعاليم الإسلام وأخلاقه، وصارت هذه الوسيلة منارة علم وهداية، ومركزاً لتثبيت قواعد الدين وأحكامه،

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص 311-317، والدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص 47

2- ينظر: العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد: منظمة التعاون الإسلامي، أكمل الدين إحسان أوغلو، دار الشروق، بيروت، د ط، 2013م، د ص.

وفضاء للتربية والتعليم في كل المجالات، ومنبرا من المنابر السامية في الحُكم وصناعة الرأي العام في المجتمع، والسيطرة عليه والتحكم فيه¹.

لذا فإن التلفاز من أفضل الوسائل السمعية البصرية، وهو أعظم وسيلة إعلامية معاصرة غيّرت وجه المجتمع، وتستعمل في الخير كما تستعمل في الشر، وخصوصا في الآونة الأخيرة حين فُتح المجال لامتلاك القنوات الفضائية، وانطلقت هذه الأخيرة في فروع التخصص والتميز والابتكار، وصار لها الدور الرائد في كل فنون العلم والتربية والترفيه المباح.

6 - الوسائل الالكترونية الحديثة:

لقد شهد العالم في الآونة الأخيرة تطورا سريعا ومبهرًا في مجال الإعلام والاتصال، والثورة المعلوماتية مع التطورات التكنولوجية في مجال الإعلام والاتصال من خلال الشبكة العالمية، والتي جمعت كل ما ابتكره الإنسان من وسائل عبر تاريخه الطويل، في وسيلة عجيبة مختصرة في جهاز واحد، يقوم بكل الأدوار الإعلامية والاتصالية الشاملة...

وقد أبدعت التكنولوجيا في جمع كل تلك الخصائص في الهاتف المحمول والذي ارتبط بالشبكة العالمية، فأصبح يمكنه إرسال واستقبال المكالمات والرسائل والصور، وبما زُوِّد به من بريد إلكتروني يتم تحويل الكتب والمؤلفات والصحف والمجلات، كمًّا وكيفًا حيث تشاء، دون عناء أو كلفة زمنية أو مادية، في ثوان معدودة وفي طريق آمن دون رقابة أو عوائق تمنعه من الوصول، مع نقل الحوادث والوقائع في حينها مع الصوت والصورة، يمكنك من خلال الهاتف المحمول التعامل مع كل الوسائط الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي، والإطلاع على كل جديد².

فإذا تمكن الدعاة من التعرف على هذه الوسيلة واستخدامها، كان له الدور الريادي في التواصل مع الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وإيصال كلمة الحق ودعوة الإسلام إليهم دون جهد أو عناء، بما يسره الله تعالى فيزمن ضَعُفت فيه الأمة إلى أقصى الدركات، لأنه عمل كانت تُعَدُّ له الأمة في زمن

1- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص48 والمدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص318-323، وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية، إبراهيم بن عبد الرحيم عابد، رسالة دكتوراه في الدعوة والاحتساب، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1427هـ، ص4، 12، 26...

2 - ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، المرجع السابق، ص48

العزة والكبرياء جيوشا جراحة وأموال طائلة وتضرب اليها أكباد الأبل لقطع مسافات بعيدة، وتستغرق أزمانا طويلة لتحطيم الحواجز التي تعترض طريقها لتبليغ رسالة الله تعالى إلى الناس جميعا، والآن وبفضل الله تعالى أولا ثم بما أنعم به على عباده، من هذه الوسائل العجيبة، صار بلمسة بنان يصل خطابك إلى كل إنسان في كل مكان وفي أسرع زمان... فتحدثه بمختلف اللغات، فتقنعه بدينك وتعرضه عليه في أرقى وأنقى صورة وأفضل أساليب البيان، فيسلم وجهه لله تعالى، فتكون قد أدت واجبك ونصرت دينك وأنت جالس على أريكتك في بيتك.

"لقد استطاعت الدعوة الإسلامية أن تقتحم (الفضاء الأزرق)¹ وتشارك في هذه الشبكة العالمية واحتلت مواقع متعددة، وإن كانت محتشمة من أجل تقديم خدمات دعوية على مستوى المؤسسات الدينية، والجامعات والمعاهد ومختلف الجمعيات متعدد الخدمات، وأنشأت لها مواقع متميزة. وقد أصبح الاتصال بالعلماء والدعاة أمرا ميسورا، من أجل معرفة حكم الإسلام في كثير من مستجدات العصر وأحداثه، والإطلاع على كثير من علوم الشريعة والتفقه في دين الله تعالى في لحظات معدودة"².

1- الفضاء الأزرق: هو الفيسبوك أكبر موقع للتواصل الاجتماعي في العالم على شبكة الانترنت، وسبب تسميته بالأزرق لإصابة مؤسسه بمرض عمى الألوان ولديه حساسية من اللونين الأحمر والأخضر، واللون المفضل لديه اللون الأزرق وهو اللون الذي يستطيع أن يميزه حتى إن "مارك زوكربيرغ" نفسه قال: "الأزرق هو اللون الأنقى بالنسبة لي وأستطيع أن أرى اللون الأزرق بوضوح"، وقد خلق ثورة اجتماعية وإنسانية في مجال التواصل الافتراضي وتبادل المعلومات بمختلف أشكالها، وساهم في ظهور جيل ورأى عام مؤثر، يجسد مفهوم العولمة وحلم "القرية الصغيرة"، وقد بلغ عدد المستخدمين لهذا الفضاء سنة 2018 م إلى 2.2 مليار، ومن خصائصه البث المباشر الذي أغنى عن كل التعاملات الحياتية بمختلف أحوالها من قهاني وترحيب وتعازي ومواساة وتعالق ومناقشة دون الحاجة إلى الزيارات المباشرة والمكالمات الهاتفية... ينظر: لماذا الفيسبوك أزرق اللون، عدنان (GX)، عن موقع عالم الكمبيوتر، تاريخ الاضافة 2017/05/09م، تاريخ التصفح 2020/09/23م.

2 - ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص45 الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها، أحمد غلوش، ص448-449

المبحث الثاني: أهمية الدعوة في العصر الحاضر ومناهجها

المطلب الأول: أهمية الدعوة في العصر الحاضر وضرورتها

المطلب الثاني: مناهج الدعوة وتطبيقاتها

المطلب الثالث: مقاصد الدعوة وغايتها

المبحث الثاني: أهمية الدعوة في العصر الحاضر ومناهجها

للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر أهمية بالغة لما يعتري الأمة من فتور ونسيان في زمن كثرت فيه الفتن والمغريات والشهوات والشبهات ناهيك عما يحكيه الأعداء من مؤامرات ودسائس يطعنون بها دين الله تعالى ويشوهون معلمه ومقوماته ويحاربونه في كل صعيد وبكل ما أوتوا من قوة وبمختلف الوسائل المادية منها والمعنوية... لذا صار لزما على علماء الأمة ودعاتها أن يبذلوا كل ما في وسعهم من أجل القيام بواجب الدعوة لحماية الدين وتبليغ رسالة الله تعالى للعالمين بكل مناهجها التطبيقية والتي تخاطب الإنسان من خلال عقله وقلبه وحسه فيستجيب لأمر الله تعالى.

المطلب الأول: أهمية الدعوة في العصر الحاضر وضرورتها

إن الأمة اليوم بحاجة إلى الدعوة للإسلام أكثر من أي وقت مضى، لما تعرضت إليه من حملات صليبية حاقدة... لم تكتف بالاستيلاء على مقدرات الأمة، فعمدت إلى التشويه والتحريف للفكر الإسلامي، وقضت على الشخصية الإسلامية ومقوماتها، من خلال الغزو الفكري البغيض. فكان أول ما امتدت أيديهم إلى لغة القرآن الكريم، وهي مفتاح الفهم عن الله تعالى، فأبعدوهم عنها، فحق قول ربنا فينا فأصبحنا كما قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾¹.

وبعد أن طال على الناس الأمد، وتنكرت لدينها وحادث عن الطريق ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾² بعد أن فشت فيهم الشبهات والبدع، وكثرت فيهم والمعاصي والآثام، فنزلت بهم الشدائد والمحن، فإتبعوا الشهوات والأهواء، وشغلته الشبهات عن حقيقة الوجود الإنساني ومهمتنا تجاه الدين ومقاصده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³

1 - سورة الجمعة الآية 5.

2 - سورة النمل الآية 24.

3 - سورة الروم، الآية 41.

" لذا بات من الضروري إحياء الدعوة إلى الله عز وجل على أسس سليمة ومنهجية معتدلة وأساليب متجددة، لهداية من ضل ولإصلاح ما فسد واستقامة من انحرف ولتقوية إيمان من ضعف كي يعم الإصلاح وينقطع الفساد. وهكذا كانت سنة الله تعالى في خلقه، كلما انحرف الناس عن هديه وانتشر الشر أرسل الله فيهم رسولا، أوبعث فيهم نبيا يدعوهم إلى الله تعالى، ويذكرهم عهده ويبين لهم شرعته. ولما لم يكن نبيا بعد رسول الله ﷺ، فقد وكلت الدعوة إلى العلماء والدعاة من أمتهم، يعلمون الناس ما جهلوا ويذكروهم ما نسوا ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم، ومن هنا جاءت أهمية الدعوة".¹

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

(الرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة الجهالة والردى،

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾² .³

ومن أفضل ما جاء على لسان أحد الدعاة في حديثه عن حقيقة أهمية الدعوة، من أجل رفع هممة الدعوة إلى التفاني وبذل الوسع في خدمة الدعوة، لما أولاها الإسلام من قدر عظيم ومكانة عالية رفيعة، ولذلك جعلها وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومن سار على دربهم لينال درجتها وما أعدّه الله تعالى لأصحابها في الدنيا والآخرة.

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله تعالى في الأرض يساوي كل جهد بذله كل الدعاة من لدن آدم ﷺ إلى محمد ﷺ، وإلى كل الدعاة من بعده إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وكل ذلك الصبر الذي تحملوه وتلك المشقة التي تعرضوا لها وكل هذه التضحيات الجسام للرسول الكرام، من أجل

1- منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، عدنان ابن محمد آل عرعور، ص 27-28.

2- سورة الأنعام، الآية 122

3- مجموع الفتاوى، م ابن تيمية، ت عبد الرحمن بن قاسم، ج 19/ص 93.

أن ينطوي قلب المؤمن على قبس من آثار نور الله تعالى وعلمه، وأن يكون مستودعا لسر من أسرار الله تعالى، وأن يكون أداة من أدوات قدره النافذ في هذا الوجود. . وهي حقيقة أكبر من الإنسان ذاته ومن أرضه وسمائه، ومن كل هذا الكون الكبير... وهي حصيلة تربي على كل جهد وكل تضحية¹.

ثم يؤكد أن هذه الحقيقة قد استقرت على الأرض ولامسها الناس في واقعهم، وأن كل ما وصلت إليه البشرية في تمثيل منهج الله تعالى في الأرض إلا بالدعوة في سبيل الله تعالى. "ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلغ إلى آفاق الكمال المقدر لها بأي وسيلة، كما بلغت باستقرار حقيقة الإيمان بالله تعالى فيها، وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق كما ارتفعت بهذه الوسيلة، وأن الفترات التي استقرت فيها هذه الحقيقة على الأرض، وتسلم أهلها قيادة البشرية كانت قمة في تاريخ الإنسان وواقع بحياة الناس"².

" فهذه هي الدعوة... فما أقرت حقيقة الإيمان بالله تعالى في الأرض إلا بالدعوة، وما قامت قلوب تنطوي على حب الله تعالى والشوق إليه والقرب منه إلا بالدعوة، وما قامت حياة إنسانية يتمثل فيها منهج الله تعالى للحياة إلا بالدعوة. فالدعوة تستحق كل الجهود المضنية والتضحيات النبيلة ولو صغرت وانحصرت في قلب رجل واحد يُقرب من الله تعالى ويحبه ويشواق إليه "³.

المطلب الثاني: مناهج الدعوة وتطبيقاتها

1. التعريفات والمصطلحات

المناهج في اللغة⁴: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجا وفي حديث العباس عليه السلام لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترككم عن حجة بينة وطريقة ناهجة⁵. أي واضحة وبيّنة والمناهج كالمناهج،

1 - ينظر: موسوعة صلاح الأمة في علو الهمة، سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م، ص21

2- المرجع نفسه، ص21.

3 - المرجع السابق، ص 22

4- لسان العرب، مادة نهج، ج2/ص383. والقاموس المحيط، ج1/ص218.

5- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ، ج9754، ص5/428، كتاب المغازي، باب بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا^{٤٨}﴾^١، وقد نهج الأمر وأنهج إذا وضح^٢، والنهج: الطريق المستقيم.^٣

- والمنهج في الاصطلاح: هو النظام والخطة المرسومة للشيء، فمنهج الدعوة: هي نظم الدعوة وخططها المرسومة لها، مثل نظام تبليغ الإسلام، ونظام تعليمه، ونظام تطبيقه^٤.
أنواع المناهج الدعوية:^٥

لقد تعددت المناهج الدعوية المستخلصة من الكتاب والسنة واجتهاد العلماء والدعاة وذلك تطبيقاً للمناهج الربانية والنبوية الكثيرة منها:
أ. مناهج دعوية من حيث واضعها أو مصدرها:

- المناهج الربانية: وهي المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن والسنة، فهي مناهج معصومة من الخطأ وأصل المناهج الدعوية كلها،
قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا^{٤٨}﴾^٦.

- المناهج البشرية: وهي المناهج الدعوية التي يستمدّها العلماء والدعاة من اجتهاداتهم من المناهج الربانية واعتمادهم عليها، وهي مناهج تحتمل الخطأ والصواب.
ب. مناهج دعوية من حيث موضوعها:

تنوع المناهج الدعوية من حيث موضوعها إلى أنواع عديدة... لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية، فمنها المناهج العقدية والعبادية واجتماعية واقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها....

١- سورة المائدة، الآية ٤٨.

٢- غريب الحديث، لابن الجوزي، ت عبد المعطي أمي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ج٢/ص ٤٤٤

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت محمود محمد الطناحي وظاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج٥/ص ١٣٤.

٤- المدخل إلى علم الدعوة، البيانوي، ص٤٥-٤٦.

٥- ينظر: المرجع نفسه، ص ١٩٥-١٩٨

٦- سورة المائدة، الآية ٤٨.

فإن لكل جانب من هذه الجوانب خططا ونظما يضعها الدعاة والعلماء في ضوء المناهج الربانية وعلى أساس الأحكام الشرعية.

ج. المناهج الدعوية من حيث طبيعتها:

تتنوع المناهج الدعوية - من حيث طبيعتها - إلى مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة وإلى مناهج فردية وأخرى جماعية وإلى مناهج نظرية وأخرى تطبيقية..

د. المناهج الدعوية من حيث ركائزها:

تتنوع كل المناهج الدعوية من حيث ركائزها الفطرية المتعلقة بالقلب والعقل والحس - فالمنهج العاطفي وهو المنهج التي يركز على القلب. - والمنهج العقلي وهو المنهج التي يركز على العقل. - والمنهج الحسي وهو المنهج التي يركز على الحس التحريبي.

المناهج الدعوية من حيث ركائزها الفطرية:

لقد تتبع العلماء والدعاة خطوات رسول الله ﷺ ضمن دعوته في مخاطبة الناس باختلاف عقائدهم وانتماءاتهم ومشاربهم وفق مناهج دعوية تركز على مكونات النفس البشرية الفطرية من عقل وقلب وحس، وقد تجتمع هذه الأدوات بمناهجها في مخاطبة الأفراد وقد تتفرق حسب حاجة الداعية إليها في إصلاح أنفس الناس وأخلاقهم وتصرفاتهم في شؤون دينهم ودنياهم وفق كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

ونظرا لكثرة أنواع المناهج الدعوية وتعددتها والتي ترجع إلى مصدرها أو موضعها أو طبيعتها أو من حيث ركائزها التي تعتمد عليها، فالمناهج إما أن يكون مصدرها الكتاب والسنة فهي مناهج ربانية وضعها الشارع الحكيم لهذه الدعوة وهذه مناهج معصومة عن الخطأ وهي أصل المناهج الدعوية كلها، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾¹، وإما أن تكون مناهج بشرية يعتريها الخطأ

1 - سورة المائدة، الآية 48.

والصواب، والتي يضعها الدعاة والعلماء باجتهاداتهم وفهمهم في تطبيق المناهج الربانية، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم¹.

وهناك مناهج تعتمد على نوعية المواضيع، ولشمول الإسلام لشتى نواحي الحياة الدينية منها والعلمية والعملية، وما تقوم عليه مصالح البشر من مناهج عقدية وعبادية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وغيرها، لا بد لها من تنظيمات وتخطيط حتى تضبط الأعمال على المنهج القويم وتسلم من الزيف والفساد، بعد وضع القواعد والخطوات التي تحقق الأهداف والمقاصد من طرف العلماء والدعاة وفق شريعة الله تعالى².

وتتنوع المناهج الدعوية من حيث طبيعتها، إلى مناهج خاصة وأخرى عامة وإلى مناهج فردية وأخرى جماعية، وإلى مناهج نظرية وأخرى تطبيقية، فلكل منهج طبيعته الخاصة وميدانه الذي وضع له، ولا تتداخل هذه المناهج فيما بينها، وقد بينت هذه المناهج في كثير من الآيات بين العام والخاص فقيام الليل وجوبا هو منهج عبادي خاص برسول الله ﷺ، وأما النظام العبادي العام فيتجلى في أركان الإسلام العملية، وهناك نظام لدعوة المسلمين، ونظام لدعوة غيرهم. فإذا نظرنا إلى كل المناهج الدعوية باختلاف تقسيماتها فإنها تركز على دعائم الفطرة الإنسانية وهي القلب والعقل والحس (التجريبي)³: فما كان من المناهج الذي ارتكز على القلب عدّه العلماء المنهج العاطفي الذي يخاطب القلب فيتأثر بالموعظة والكلمة الرقيقة والمقال الحي والقصة الهادفة.

وأما المنهج الذي ارتكز على العقل فهو نظام يخاطب العقل بدلائل الحكمة والمجادلة والتي هي أحسن وإقناع المدعو بدعوتنا وديننا بأساليب راقية ووسائل متجددة والدليل والبرهان وإقامة الحجة على

الناس قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩) ⁴

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 195-196

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 196-197

3- ينظر: المرجع السابق، ص 197-198

4- سورة آل عمران، الآية 19.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾¹. فهو منهج عقلي جدلي مبني على الحق لا يقبل الشك ولا المرء وهو منهج أعجز فحول العرب في مواجهة تحدياته ولا أن يبطلوا براهينه وأدلتة الكامنة في أساليبه القاهرة وبيانه المعجز.

أما المنهج الذي يتعلق بالنفس البشرية فيحرك مكانها وأحاسيسها ويستجيش عواطفها فيؤثر فيها ويستميلها إلى الحق فهو المنهج الحسي أو التجريبي وهو أعظم المناهج وانفعها في الدعوة وأشدّها تأثيراً في الناس لأنه يمثل الجانب التطبيقي والعملي لرسالة الإسلام وتعاليمها عقيدة وشرعية وأخلاقاً، قولاً وعملاً والتزاماً.

إن المنهج العملي كان فتحاً على البشرية لدين الإسلام في ربوع الدنيا، حيث كانت أخلاق الناس ومعاملاتهم من أعظم وسائل الدعوة وأساليبها تتمثل في القدوة الحسنة وهي الصورة الحية لهذا الدين ودليل على رابنية الدعوة وصدق الداعية، وهذه المناهج الدعوية، التي ارتكزت على النفس البشرية ومكوناتها، من عقل وقلب ونفس، كل يخاطب من جانبه لعله يكون منفذا لقبول دعوة الله تعالى والاستجابة العملية لهذا الدين.²

ومن نعمة الله تعالى على عباده لم يجعل طريقاً واحداً للهداية، فنوع الخطابات وعدد الأساليب وجدّد في الوسائل، وأعطى الصورة المشرفة في شخص رسول الله ﷺ الذي تمثل الإسلام في أقواله وأفعاله ومعاملاته، فكان القدوة الحسنة للبشرية، وكان قرآناً يمشي بين الناس وسار الدعاة الربانيين من أصحابه ومن جاء بعدهم يقتبسون من هديه ويسيروا على سنّته من أجل نشر دين الله تعالى وهداية الناس إلى صراط الله المستقيم.

فالمناهج الدعوية لا يمكن الفصل بينها لترابط ركائزها الفطرية في النفس البشرية، وهي العاصم من الانزلاق والسلامة من الانحراف في طريق الدعوة، وتعمل على توضيح أساليب العمل واختيار الأمثل في التعامل مع المدعوين، والثبات على مواصلة مسيرة الدعوة، والمناهج الدعوية هي:

1- سورة فصلت، الآية 53.

2- المناهج الدعوية، أساليبها ومواطن استعمالها وخصائصها ذكرها الشيخ أبو الفتح البيانوني في كتابه المدخل إلى علم الدعوة ص 204-219، وكتاب أصول الدعوة ومناهجها، رمضان محمد مطايرد، ص 265-285، وغيرها

1- المنهج العاطفي:¹

لقد اعتمد القرآن في مخاطبة بني آدم بطرق متعددة، عدّها العلماء من المناهج التي تعاملت مع المكونات الفطرية للإنسان من قلب وعقل وحس كل حسب ميوله ومؤهلاته، لذلك يعد المنهج العاطفي أكثر المناهج استعمالاً في القرآن الكريم مع مختلف أصناف الناس، برّهم وفاجرهم، بل حتى مع الطغاة والجبابرة وأرباب الأرض، وهي المنطلق الأول في محاورتهم وتهيئة لأرضية التفاهم ومناقشة الأمر، والإنسان بطبعه وفطرته يغلب عليه الجانب العاطفي والمتعلق بالقلب وهو محل التأثير والإقناع، ولهذا تعددت وجوه استعماله في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

"فالمنهج العاطفي بما له من تأثير في النفس البشرية يعد من أهم عوامل للإقناع والتأثير في المدعوين وقد بين ذلك القرآن الكريم وقدمه على المنهج العقلي في بعض المواطن كما هو حاصل في سورة الغاشية وكذلك تعدد أساليبه التي توضح سعة استعماله"²

وهذا المنهج هو مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على القلب وتحرك الشعور والوجدان، ومن أبرز أساليبه:

- أسلوب الموعظة الحسنة بمختلف أشكالها من خلال الخطابة والتذكير بنعم الله تعالى، والترغيب والترهيب، وذكر القصص المؤثرة والوعد بالنصر والتمكين وغيرها. وقد أرشد القرآن الكريم لهذا

الأسلوب. قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) ³.

- إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين: ويكون بالكلمة الطيبة المؤثرة مثل (يا أبتى، يا بني، يا قوم وغيرها) وباللطف واللين ومنها، قوله

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 204-207

2- الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، حامد بن أحمد بن علي العامري، رسالة دكتوراه، إشراف: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1422هـ، ص 11-14

3- سورة النحل، الآية 125.

تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾¹.

- قضاء الحاجات وتقديم المساعدات: وهذا ما برز في أخلاق رسول الله ﷺ قبل بعثته، وعدته خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها - من الطبائع السامية الدالة على أنه مؤيدا من السماء. فقالت لرسول الله ﷺ تطمئننه وتهدئ من روعه: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق².

ويستعمل هذا الأسلوب مع أصحاب القلوب المرفهة وعموم الناس، ودعوة الأقارب وذوي الأرحام، ومواطن الضعف والانحزام في المسيرة الدعوية وفي شدة أحوال المدعوين، ومما يختص به هذا المنهج، في لطافة أسلوبه وسرعة تأثيره في المدعوين وسعة دائرة استعماله.

2 - المنهج العقلي³

يعتمد المنهج العقلي أساسا على مخاطبة العقل، بما يتطلبه من دلائل وبراهين وإيضاح، تثبت صدق الخطاب وما يحمله من أساليب إقناعية بالغة التأثير في أصحاب العقول، وقد يُستعمل هذا المنهج بمختلف أساليبه في عدم جدوى المنهج العاطفي، وعرض الحجج المصاحبة لآيات الله تعالى القرآنية والكونية والنفسية، حتى يستيقن الناس بقوة الحق، وحق الإذعان والاتباع والتسليم لمنهج الله تعالى، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾⁴.

1- سورة آل عمران، الآية 159.

2- ينظر السيرة النبوية، لابن كثير، ج 1 / ص 385

3- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 208-213

4- سورة فصلت الآية 53

إن المنهج العقلي في الدعوة يدفع المدعويين إلى التجرد والتخلص من الرغبات المنحرفة، أو التأثيرات المصاحبة التي تحول في أحياناً كثيرة بين المرء وبين قبول الدعوة، كما يدعوهم إلى التروي في ردود الأفعال وعدم ابتدار أمر قبل وعيه وفهمه¹.

والمنهج العقلي هو مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على العقل، وتدعو إلى التفكير والتدبر والاعتبار.

وقد تبدو أبرز أساليبه في المحاكات العقلية والجدل والمناظرة والحوار، مع ضرب الأمثال والقصص التي يغلب عليها الجانب العقلي للاعتبار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾².

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَه يُلْهَثُ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾³.

ويستعمل هذا المنهج والأسلوب في مواطن إنكار المدعويين للأمور الظاهرة والبديهيات العقلية والعقدية. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾⁴.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾⁵.

ويستعمل كذلك مع المعتدين بعقولهم وأفكارهم ومع المنصفين من الناس، والمتأثرين بالشبهات والمخدوعين بالباطل.

1- الدعوة الى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة، عمر أبو المجد بن حسين قاسم النعيمي، رسالة دكتوراه، إشراف: زاهر بن عواض الألمعي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1418هـ، ص373.

2- سورة يوسف، الآية 111.

3- سورة الأعراف، الآية 176.

4- سورة الطور، الآية 35.

5- سورة الأنبياء، الآية 22.

ومن خصائصه: اعتماده على الاستنتاجات العقلية، وعمق تأثيره في المدعوين وإقحام الخصم وضيق دائرته.

3- المنهج الحسي (أو التجريبي):

إن المنهج الحسي أو التجريبي أو المنهج الفاصل الذي يحمل الحجة الدامغة والآيات الساطعة وبها فصل الخطاب، لأن هذا المنهج يعتمد على التطبيقات العملية لتشريعات الله تعالى وأحكامه، والمشاهدات البصرية لكل التصرفات والمعاملات التي لا تحتل الشك ولا الريب، ومن أعظم تطبيقات هذا المنهج حدوث المعجزات والتي تبطل كل أسباب الجحود والإنكار، إلا من أعمى الله تعالى بصيرته وسلك سبيل الضلال، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾¹.

فالمنهج الحسي يحظى بالمرتبة الأولى في مجال الدعوة إلى الله تعالى بين مناهج الدعوة الأخرى، وإنّ تقدمه على المناهج ليس فيه نزاع، لشموله واستمراره وتأثيره السريع على الناس، والدليل سرعة انقياد العلماء، عندما وقفوا على سرّ الله تعالى المبثوث في ملكوته، أدّى بهم ذلك إلى الاعتراف بصدق الرسالة المحمدية، وانقادوا إلى رحاب الإيمان بالله تعالى، والخضوع لجلاله والدفاع عن عقيدة الإسلام، التي حضّت على التأمل والنظر في آيات الله تعالى المكتوبة والمرئية، فحركت العقل والفكر في ملكوت الله تعالى الفسيح².

والمنهج الحسي هو مجموعة الأساليب الدعوية التي تركز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب.

1- سورة النمل الآية 13

2- ينظر: الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، سليمان بن ناصر مرزوق عبد الله، رسالة دكتوراه، المشرف: مناع خليل القطان، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1418هـ-1997م، ص762.

ومن أبرز أساليبه: ¹

- لفت الحس إلى التعرف على المحسوسات،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۖ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۖ ﴿٢٢﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ ﴿٥٣﴾﴾ ³

- وأسلوب التعليم التطبيقي: كتعليمه ﷺ الصلاة «...وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي...» ⁴،

وقوله في الحج « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا » ⁵

- القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك والتزام الحق: وهذا ما وصف به الله تعالى نبيه ﷺ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ ﴿٤﴾﴾ ⁶، ولما سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله

ﷺ قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» ⁷

- ومن أساليبه كذلك تغيير المنكر باليد، وتأييد الأنبياء بالمعجزات الحسية والحوار.

يستخدم المنهج الحسي في مواطن التعليم والتطبيق العملي لشرائع الدين وسلوكاته ثم الدعوة

إليها وفي دعوة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية التجريبية، والمتجاهلين للسنن الكونية

والمنكرين للبديهيات العقلية... ولهذا كانت معجزات الأنبياء والرسول عليهم السلام مادية محسوسة،

إلا معجزة الحبيب محمد ﷺ معنوية باقية مدى الدهر لأنها خاتمة الرسالات ولا يصلح معها المعجزات

الآنية الفانية.

1- ينظر: المدخل الى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص 214-216

2- سورة الذاريات، الآيات 20-22.

3- سورة فصلت، الآية 53.

4- صحيح البخاري، كتاب الأذان باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، ح 605، ج 1/ص 226.

5- السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب جماع أبواب دخول مكة بابُ الإيضاح في وادي مُحَسَّرٍ، ح 9524، ج 5/ص 204، وأخرجه الترمذي بغير لفظ خذوا عني مناسككم، ح 886، ج 2/ص 226، وقال حسن صحيح.

6- سورة القلم الآية 04

7- مسند أحمد، ح 24601، ج 41/ص 148، قال محقق المسند: شعيب الارنؤوط وآخرون، حديث صحيح.

وإن كان قد أيد الله ﷺ رسوله ﷺ بالمعجزات المادية في محطات كثيرة في حياته ومنها انشقاق القمر ونبع الماء وتسبيح الحصى وغيرها.

ومن خصائص هذا المنهج:¹

- سرعة تأثيره لاعتماده على المحسوسات كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾².

- عمق التأثير في النفوس البشرية لمعاينتها الأمر.

- سعة دائرته لاشتراك الناس في هذه الصفة.

- ويحتاج هذا المنهج إلى الخبرة والاختصاص لمخاطبة العلماء والمتخصصين في العلوم التطبيقية.

2. مناهج دعوية من كتاب الله تعالى وتطبيقاتها في سيرة رسول الله ﷺ.

إن الله تعالى خلق الخلائق وجعل لها سنن ونواميس كونية، تسير عليها وفق نظام محكم دقيق، لا تتجاوزها ولا تتخلى عنه، وهذه السنن الكونية قد أودعها الله تعالى في الكون كله، والخلائق باختلاف أجناسها وأنواعها، وما خلق الله تعالى في السموات والأرض وكل الأجرام والأفلاك،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾³،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾⁴.

وكثير من الآيات التي تحدثت عن نظام الكون، وكل ما يتعلق به، وأن الله تعالى قد جعل لكل مخلوق نظام يحكمه، ليتمكن من أداء مهامه على أكمل وجه، ليلبغ أهدافه ومقاصده، وإن الوجود الكوني ليس عبثاً ولكن للقيام بالواجب الأعظم، وهو أداء أمانة الله تعالى التي استودعها الإنسان، ليحملها ويبلغها للناس في صورة عملية واقعية وفق نظام تحدث عنه القرآن الكريم وبينته السنة المطهرة في مواضع متعددة.

1- ينظر: المدخل الى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص 216-218

2- سورة المائدة، الآية 114-115.

3- سورة يس، الآية 39.

4- سورة يس، الآية 38.

إن الموضوع العام والشامل لكل حياة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على مر التاريخ الإنساني، الذين قصّهم علينا القرآن الكريم تتعلق بالدعوة إلى الله تعالى في تبليغ رسالاته الهدى ودين الحق، وشرائعه التي خاطبوا بها أقوامهم وآخرها شريعة الإسلام، التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ. فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمّة، وجاهد في الله تعالى حق جهاده حتى أتاه اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين، وتركنا على المحجّة، البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فقد كان أسوة حسنة في كل مناحي حياته وتصرفاته وأعماله، ودعوته وعبادته وأخلاقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾¹، وإن وجودهم كان بحكمة وتقدير وهداية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾².

ومن أجل تتبع آثار المصطفى ﷺ وسيرته العطرة وسنّته المطهّرة، وتطبيقه العملي لما أمره به ربه في القرآن الكريم، وقد تمثله في حياته واقعا عمليا، فقد كان قرآنا يمشي بين الناس، وهو الممّين للناس ما نُزِل إليهم، امتثالا لأمر الله تعالى وتصديقا له.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفَكَّرُونَ﴾³. وبعد التفقه في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ والتعرف على كيفية دعوته، أساليبها ووسائلها وطريقة عرضه لدين الله تعالى، وكيفية تعامله مع المدعّوين من أصحابه والمقبلين عليه والمُبعدين عنه، ومع أعدائه والمتربصين به، فقد عمل العلماء والدعاة على استخراج المناهج الدعوية وتصنيفها إلى عدة أنواع، حتى يسهل للدعاة فهمها والتفقه فيها، ثم تطبيقها في حقل الدعوة تأسيسا برسول الله ﷺ وما سار عليه الصحابة الكرام وما تربّوا عليه من أخلاق وتعامل، وتطبيقا لأحكام الإسلام ودعوته في سبيل الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁴.

1- سورة المؤمنون، الآية 115.

2- سورة الأعلى، الآية 3.

3- سورة النحل، الآية 44.

4- سورة الأحزاب، الآية 21.

فالأسوة الحسنة في أقواله وأفعاله وتطبيقاته، وفي نشر دينه والدعوة إليه وبمختلف الأساليب التي خاطب بها أصحابه والوسائل التي استعملها عليه الصلاة والسلام التي كانت في عصره، واستخدمها للتبيين وإيضاح المعنى المراد إيصاله للناس، في تثبيت العقيدة وتعريف أحكام الله تعالى بأسهل الطرق وأخف الوسائل، لتحقيق المقاصد الشرعية التي ارتضاها الله تعالى لعباده في دينهم وشرعهم.

لذلك استخرج العلماء والدعاة طريقة هديه ﷺ في دعوته، ومعاملته للناس وحواره معهم طوال مسيرته الدعوية: مع الصديق والعدو، مع الكبير والصغير، مع الرجال والنساء والأطفال، ومع القريب والغريب، وفي كل أحواله العملية، من لين وشدة ومن رحمة وعفو، إلى غضب وغلظة ومن تسامح إلى رفض ومقاطعة، وإلى غير ذلك مما تتطلبه المواقف والأحداث، في واقع حياة الناس وفق شريعة الله تعالى وأحكامه، لإيجاد الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة كما أرادها الله تعالى قال تعالى: ﴿وَقَلِّبُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ أَفْئَاتُ اللَّهِ بِمَا عَمِلُوا بَصِيرٌ﴾¹.

"ومن خلال النظر العلمي في فن الدعوة، الذي يعتمد في أصوله ومصادره على القرآن الكريم، نستطيع التأكد على أن القرآن العظيم رسم للدعاة إلى الله تعالى مناهج وقوانين ربانية تحكم نشاطهم وترشد حركتهم، وتحقيق الانسجام والتوافق بين الخلق والتشريع، ولا يخفى على المختصين أهمية وعي الدعاة إلى الله تعالى لهذا الجانب المنهجي في الدعوة إلى الله تعالى، لما تتم معرفته والعلم به والعمل بمقتضاه من إيجابيات ومصالح، وما يترتب على الجهل به وتجاوزه من سلبيات ومفاسد تعود على الفرد والحركات الإسلامية خاصة، وعلى الدين الإسلامي والحركة الدعوية عامة"².

وقد ترجم رسول الله ﷺ خلال دعوته تطبيقاً عملياً يستجيب للمناهج القرآنية والقواعد التشريعية، فكان منهجه الدعوي وفق ما أمره به ربه سبحانه وتعالى، فصار قرآناً يعايش الناس ويتعامل معهم ويستجيب لمطالبهم واحتياجاتهم الواقعية، فملك قلوبهم وأصبح نظام حياتهم وسر هدايتهم ورمز هويتهم بين الناس.

1- سورة الأنفال، الآية 39.

2- المناهج الدعوية في القرآن الكريم، معاذ محمد أبو الفتوح البيانوني، مؤتمر العالمي للقرآن الكريم أو دورة في بناء الحضارة الإنسانية، جامعة أفريقيا العالمية الخرطوم، السودان، 20-22 محرم 1433هـ 15-17 ديسمبر 2011م.

لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾¹، حتى مدحه ربه في التزامه وأخلاقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾²، ومدحه في دعوته وهدايته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾³.

نماذج تطبيقية للمنهج العاطفي في السيرة النبوية:

لقد كان رسول الله ﷺ يتخير لدعوته من المناهج ما يصل إلى الهدف ويحقق المقصد، فيتعامل مع المدعويين لمعرفة وعمق إطلاعه على مكامن النفس وخباياها، وميولاتها ورغباتها وشهواتها، فيُنزل الناس منازلهم كل حسب مستواه ومكتسباته من العقل والفهم.

فكان عليه الصلاة والسلام إذا تحدث مع بسطاء الناس: أصحاب القلوب المرفهة ألان لهم في الحديث، وبسط لهم رداء الرأفة والرحمة، ولطفهم بالموعظة الحسنة والأسلوب اللين الذي يلج إلى القلوب فيحرك الأحاسيس والمشاعر، فتتعلق النفوس وتحب من يخاطبها ويهمس في مسامعها عذب الكلام وحسن بيانه، فتتأثر وتستجيب لدعوته وتنساق لقوله.

"إن مثل هذه الأخلاق والتعاملات في المنهج الدعوي والتي أطلق عليها علماء الدعوة بالمنهج العاطفي والتي تركز على القلب فتحرك فيه الشعور والوجدان، وهو العضو الذي أشاد به النبي ﷺ فصلاح المرء مرهون بصلاحه لقوله عليه الصلاة والسلام «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»⁴

وإذا استطاع الداعية الوصول إلى قلب المدعو والتأثير فيه فقد ملك عقله وجوارحه، وهذا ما أكدته الحديث وأن القلب هو ملك الأعضاء وسيدها وبه يكون صلاحها أو فسادها"⁵.

1- سورة هود، الآية 112

2- سورة القلم، الآية 4

3- سورة الشورى، الآية 52

4- صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه، ح 52، ج 1/ص 28.

5- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 204-207

إن المطلع على حياة رسول الله ﷺ في تعامله مع الأحداث والوقائع اليومية، وفي إطار الجانب الدعوي وتصحيح المفاهيم وتثبيت الشريعة وأحكام الإسلام، فيغلب عليه الجانب العاطفي لما له من تأثير عميق في نفوس الناس وسرعة انتشاره، وخصوصا الفترة المكية زمن تصحيح العقيدة وتثبيت الإيمان في القلوب، وقبل نزول الأحكام التشريعية والأعمال التطبيقية.

"ففي تأليف القلوب: أن رجلا سأل النبي ﷺ، عَنْمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»¹.

فقد كان لتأليف القلوب أثرا بالغا في دعوته عليه الصلاة والسلام، فعطائه من عرض الدنيا كان سببا في إسلام الكثير من الناس، وجعلها الله تعالى أحد أبواب الصدقة والزكاة والفهي، ومن مظاهر هذا المنهج مدحه ﷺ لعبد الله بن عمر فقال رسول الله ﷺ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»²، فقد كان كلام رسول الله ﷺ مدحا ممزوجا بموعظة، فلما سمع ابن عمر ﷺ ذلك ما ترك قيام الليل بعدها أبدا، وهكذا كانت لغة القلوب وألفاظ المشاعر تتدفق بين الداعية والمدعو فتفضي بأنوارها على كيان المرء فتغمره ببركاتها وروحانياتها.³

وما أروع تلك المحبة التي فاضت من قلب رسول الله ﷺ لما سمع بمرض الصبي اليهودي الذي كان يخدمه، فجاء لزيارته بعدما علم بحاله وهو ينازع سكرات الموت فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ (ﷺ)، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»⁴.

1- صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه ح 6161، ج 15/ص 270.

2- صحيح البخاري، كتاب التهجد باب فضل قيام الليل، ح 1070، ج 1/ص 378.

3- ينظر: المناهج الدعوية وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية نحو رؤية متجددة، بدر الدين زواقة، مؤتمر النصيحة ... المنطلقات والأبعاد، المنعقد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، في الفترة: 27-29 محرم 1434هـ، الموافق 11-13 ديسمبر 2012م.

4- صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ح 1290، ج 1/ص 455.

5- ينظر: المنهج العاطفي في الدعوة النبوية وتطبيقاته، رمضان فوزي بديني، مقال موقع خطباء، تاريخ التصنف 2020/11/16 - 1441/03/28هـ

وفي رواية أبي داود «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»¹.

وفي رواية أحمد «يَا فُلَانُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَسَكَتَ أَبُوهُ (1). فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ الْغُلَامُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِنَ النَّارِ" ². فهذا حاله في دعوته مع اليهود فكيف يكون حاله ﷺ مع غيرهم، إنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جمعاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) ³.

ومن رحمته ورأفته التي مدحه الله تعالى في كتابه بالرعوف الرحيم، فقد فاضت على المؤمنين إلى أن وصلت إلى غيرهم من اليهود والنصارى، فأراد رسول الله ﷺ أن يقدم له أفضل مما كان يقدمه لرسول الله ﷺ من خدمته فهداه الله تعالى به وأنقذه من النار.

ومن أعظم مظاهر المنهج العاطفي الدعوة بالحب، فإذا كان الداعية ينشر المحبة بين الناس ويتحجب إلى جلسائه ومستمعيه، ويصارحهم بصدق محبته لهم، فإن ذلك يورث الألفة والطاعة والتعلق والاستجابة، فقد كان يعلنها الداعية الملهم بين إخوانه وفي مؤتمراته "إن دعوتنا دعوة حب". وبهذه الكلمة ملك قلوب الناس، واستهوى عقولهم، لأن الكلام إذا خرج من القلب يصل إلى القلوب... حتى وصلت دعوته آفاق الدنيا، فعمّت الدول والمجتمعات، ولهذا فقد أسر النبي ﷺ إلى معاذ فقال له: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»⁴، فقد أوصاه بالمحافظة على هذه الكلمات دبر كل صلاة ففيها من البركة والرحمة وحب الخير.

فالكلمة الطيبة مفتاح القلوب، وعربون محبة بين الناس، فقد خرجت من لسان الصادق الأمين وأستوعب معاذ ما تحمله هذه الكلمة من معان وتبعات ومعية في الآخرة.. ويا لها من مكانة عالية

1- سنن أبي داود، كتاب الجنائز باب المشي في العيادة ح3095، ج5/ص14، قال المحقق الأرنبوط، إسناده صحيح.

2- مسند أحمد، ح12793، ج20/ص187، - قال المحقق شعيب الأرنبوط وآخرون - : حديث صحيح

3- سورة الأنبياء، الآية 107

4- سنن أبي داود، كتاب الصلاة باب في الاستغفار، ح1522، ج2/ص86، قال المحقق - شعيب الأرنبوط - إسناده صحيح

لقوله عليه الصلاة والسلام «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»¹ يوم القيامة. فما فرح الصحابة رضوان الله عليهم فرحهم بهذا الحديث، فأنت مع من أحببت يوم القيامة، فكان "أنس" إذا حدث بهذا الحديث قال: اللهم فإنا نحبك ونحب رسولك²، فيقبل المرء على ما أوصاه به حبيبه بالقبول والاستجابة العملية الصادقة.

ومن علو همّة الصحابة وتعلقهم برسول الله ﷺ فقد كانوا يسألون مرافقته في الجنة، فيرشدهم لأسباب الوصول والارتقاء، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال كُنْتُ أُبَيِّثُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ لِي « سَلْ ». فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ « أَوْغَيْرَ ذَلِكَ ». قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ »³.

ومن مظاهر المنهج العاطفي الرفق بالمدعو، ويعد من الأساليب الأساسية في هذا المنهج، لأن هذا الدين شريعة ومنهج حياة، يجب أن يؤخذ بالرفق واللين لقوله ﷺ "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ"⁴. وقال عليه الصلاة والسلام «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، وَلَا تُبْغِضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ⁵، لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»⁶، وإن كان في الحديث ضعف فإن معناه ينطبق على واقع الدعوة لما وضع الله تعالى من سنن الإلهية كونية لا يمكن تجاوزها في كل شيء، كالمرحلية والتدرج في حياة الأمم والمجتمعات، وفي التطبيق العملي للأحكام والتشريعات ونشر دعوة الله تعالى في العالمين.

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب باب علامة حب الله عز وجل، ح 5816، ج 5/ص 2283.

2- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط 2 1420هـ، 1999م، ح 13388، ج 21/ص 87، تعليق شعيب الأرناؤوط، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحُثِّ عَلَيْهِ، ح 1122، ج 2/ص 52.

4- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح 39، ج 1، ص 23.

5- المنبت: يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا انْقَطَعَ فِي سَفَرِهِ، وَعَطِبَتْ رَاحِلَتُهُ: صَارَ مُنْبِتًا، لسان العرب، ج 2/ص 7.

6- سنن البيهقي، (ت: 458هـ)، كتاب الصلاة باب القصد في العبادة، والجهد في المداومة، ح 4520، ج 18/ص 3، تح: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ، 1994م، ضَعَفَهُ الألباني في السلسلة الضعيفة، ج 5/ص 501.

فالدعوة بالرفق من سنن الأنبياء والمرسلين ووصية رب العالمين لموسى عليه السلام حينما بعثه رب العزة إلى أعتى الطغاة في تاريخ البشرية. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾¹. فقد كان رسول الله ﷺ رفيقا بأمته رفيقا بأصحابه، رفيقا بأهله وأولاده، رفيقا مع كل الناس. وأوصى بالرفق في كل شيء وجعله زينة الأشياء فقال عليه السلام: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»².

وقد ظهر هذا الخلق في حياة رسول الله ﷺ بالكثرة التي لا تحصى، وفي المواقف العديدة والأحداث المتكررة، فيكون الرفق هو سيد الموقف وسبيل التعامل النبوي الكريم، كمثال الذي بال في المسجد، فهم بعض الصحابة بإيذائه فقال النبي ﷺ: «لَا تُزِرُّمُوهُ دَعْوُهُ» أي لا تقطعوا عليه بوله فتؤذوه فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»³، فعامله رسول الله ﷺ بالرفق واللين، وأوضح له سوء تصرفه بحكمة بالغة وحسن خطاب...

فحري بالدعاة اليوم أن يمازجوا بين أساليب المنهج العاطفي، ومن الحكمة أن توضع الأشياء في نصابها، وعين الحكمة أن نخاطب الناس على قدر عقولهم وقدر مداركهم وان لا نحملهم من الخطاب ما لا يفقهون.

إن المنهج العاطفي يحرك الوجدان والمشاعر، فتجد الأغلبية الساحقة للدعاة تخاطب مجتمعاتها بلغة العواطف والأحاسيس، فيتعجلون في رؤية ثمار أعمالهم لما يرونه من تأثيرات بليغة في المدعوين واستجابة مباشرة، وحماس غامر يغلب على النفس متابعة أصحاب الخطاب والقيام بالدعوة ومتطلباتها، وليس كل الدعاة يحسن الخطاب الدعوي بالمناهج الأخرى، لأنها تتطلب فقها في الدين وإحاطة بمختلف العلوم، وبراعة وفطنة وحسن أداء، مع امتلاك أدوات الحوار والجدال والإقناع بدلائلها وحججها وبراهينها.

1- سورة طه، الآية 44.

2- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب باب فضل الرفق، ح 6767، ج 16/ص 493.

3- صحيح البخاري، كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها، ح 687، ج 2/ص 327.

نماذج تطبيقية للمنهج العقلي في السيرة النبوية.

إن المنهج الذي رسمه رسول الله ﷺ في دعوته مؤيد بالوحي الإلهي، فقد علّمه ربه ما لم يكن يعلم، وزوده بالحكمة والمعارف، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾¹، فأوضح معالم الدين وهدى الناس إلى صراط الله المستقيم، فثبتت عقيدة التوحيد وعلم مكارم الأخلاق، وكانت أمتّه خير أمة أخرجت للناس...

وبفضل منهجه الذي بلغ به دين الله تعالى وبنا به دولة ما عرف التاريخ لها مثيلاً في زمن قياسي معدوم في حياة الأمم والمجتمعات.

ومن حكمته ﷺ أنه يأتيه الرجل والرجلان فيقول أوصني فيوصي كل واحد بما يليق بمقامه وما يُصلحه في دينه ودنياه وآخرته... فيقول لأحدهم «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ»²، ويقول لآخر: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»³ وقال لآخر: «لَا تَغْضَبْ»⁴، وقال لآخر: «اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا»⁵، وقال لمعاذ رضي الله عنه إلى اليمن: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ...»⁶ والوصايا في هذا الباب كثيرة وكل واحد منهم يوصيه بما يصلحه وينفعه، ويكمل نقائصه ويداوي عِلَلَهُ.

"وهكذا تعددت الإجابات لأن النبي ﷺ لا يصف مزيجاً عاماً يعطيه للجميع، بل يعطي لكل سائل الجرعة التي تصلح الخلل في إيمانه، كالطبيب الذي يهتم بعلاج مريضه، فيجري له التحاليل والفحوصات اللازمة، ليقف على سبب المرض، ليصف له العلاج المناسب"⁷.

1- سورة النحل، الآية 44

2- سنن الترمذي، كتاب أبواب الدعوات، ح3445، ج5/ص500، قال الترمذي: حديث حسن.

3- سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في حفظ اللسان، ح2330، ج8/ص427، قال الترمذي حديث حسن.

4- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح5765، ج5/ص2267.

5- المستدرک للحاکم، کتاب التوبة والإنابة، ح7616، ج4/ص272، قال الذهبي، صحيح.

6 - المعجم الكبير، الطبراني، تح حمدي بن عبد المجيد، ح295، ج20/ص144، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح1938، ج4/ص576.

7- ينظر: تفسير الشعراوي، ص2045.

وكما خاطب النبي ﷺ أصحاب القلوب المرفهة والمشاعر والأحاسيس الرقيقة، فقد وجه خطابه لأصحاب العقول النيرة وفطاحلة اللغة والبيان ودهاة العرب، بالدلائل والبراهين على صدق رسالته، وإظهارها على الدين كله، بما حباها الله تعالى من ثبات ومرونة. . ثبات في الأصول والقطعيات ومرونة في الجزئيات والظنيات... ثبات في الأصول والكلييات ومرونة في الوسائل والأساليب.

فقد جادل النبي ﷺ وحاور صناديد قريش في بداية الدعوة، فأفحمهم وأقام عليهم الحجة، حينما نادى بطون مكة، يوم أن أمر بالجهر في الدعوة فقال: "أرأيتم لو أحبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"¹ فبلغهم رسالة ربه مصداقاً لما أمر به، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾².

وفي حوار مع عمه حينما عرض عليه مطالب قريش، وما قدمته من عروض وإغراءات عسى أن يقبل بها رسول الله ﷺ ويترك دعوته، فأظهر لعمه صلابة تمسكه برسالته وعظم الأمانة التي كلفه الله تعالى بتبليغها "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته"³.

فقد كان حوار النبي ﷺ فيه من التوضيح والإقناع، ما يدعو إلى التفكير والاعتبار لعظم هذه الرسالة وصدق التمسك بها، وتبليغها وهداية الناس إليها.

والسيرة النبوية، عامرة بمثل هذه المحاورات العقلية، والتي تدعو إلى إعمال الفكر والتدبر فيما يعرضه الداعية من خطاب، يحمل من الدلائل العقلية والبراهين الواقعية ما يُثبت به صدق دعوته. "ومن الدلائل العقلية التي يستوعبها المدعو، أن تربط له كلامك بقصص الأمم السابقة، مما يقرب للسامع المعنى المراد الوصول إليه وتحقيق الهدف المنشود، وقد يكون الخطاب بضرب الأمثال،

1- السيرة النبوية، لابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباري الحلبي، مصر، ط2، 1375هـ-1955م، ج1/ص351.

2- سورة الشعراء، الآية 214.

3- السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، ج1/ص266.

وقد زحرت السنّة النبوية بمثل هذا الأسلوب كقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»¹ 2.

وقد أعطى رسول الله ﷺ أعظم المثل في تصوير ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوضيح قيمته في كلمات حملت معاني واضحة في قوله ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَقَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَمُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُوذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»³، 4.

فالداعية مأمور بتوصيل المعنى في عرض دعوته، وأن يتخير القصص الهادفة والأمثلة البليغة الواضحة، حتى يتمكن من الوصول إلى فكرته بأيسر السبل وأسهل الكلمات والمعاني دون تكلف أو مداراه.

"وقد استخدم النبي ﷺ الأقيسة العقلية بجميع أشكالها، لحل المشكلات التي تُعرض له، فيجيب السائل بقياس مشابه من واقع الحياة بما يقنعه ويطمئن فؤاده كالذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ» قَالَ: نَعَمْ قَالَ:

«مَا أُلَوْنَهَا» قَالَ: حُمْرٌ قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْزُقٍ»⁵ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَأَتَى كَانَ ذَلِكَ؟» قَالَ: أَرَأَهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ»⁶ 7، فقد ساوى النبي ﷺ في القياس بين الغلام والجمل الأورق حتى يفهم السائل.

"وهذا الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يستأذن في الزنا- وقلبه تصارعه فتنة الشهوة وكادت أن تعصف بإيمانه وأخلاقه- فأقبل عليه القوم فزجروه فقال النبي ﷺ أدنه فدنا منه قريباً. فقال: «أَتُحِبُّهُ

1 - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح 6751، ج 16/ص 471.

2- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص 208-210

3- صحيح البخاري، كتاب الشركة باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح 2493، ج 3/ص 139.

4- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص 208-210

5- أوزق: أسود يخالط سواده بياض، فقه اللغة، الثعالبي، ج 1/ص 268، كتاب الموسوعة الشاملة.

6- رواه البخاري، كتاب الحدود، باب ما جاء في التعريض، ح 6341، ج 21/ص 130.

7- ينظر: مناهج الدعوة وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية، نحو رؤية متجددة، بدر الدين زواقة.

لَأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمِّهِاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»^{1 2}.

فلم يعد شيء أبغض إلى الشاب من الزنا، بفضل الهدي النبوي، والذي عامله بحكمة وخاطب عقله الباطني بمحاورة عقلية تدعو إلى التفكير والتدبر في مآلات الأشياء وما يخلّفه من آثار جسيمة قد تُعرّض المجتمع إلى فساد عريض.

"لقد اتبع رسول الله ﷺ أسلوباً جعل الفتى يدرك أثر الزنا في المجتمع، وكيف أن الناس جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهلهم، كما أنه لا يرضاه هو لذويه مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس".³

وبهذا المنهج التربوي الحكيم، عالج رسول الله ﷺ لهيب الشهوة التي ملأت نفس الشاب، وكادت أن توقعه في المحذور لولا نفحات الإيمان التي غمرت قلبه فدعته إلى رسول الله ﷺ عله يجد ما يخفف عنه من آلامه.. فَحَكَّمَهُ رسول الله ﷺ إلى عقله ومروءته وأخلاقه، فلما استحکم صوت العقل وعرفه خطأه مدّ رسول الله ﷺ يده المباركة الشريفة إلى صدر الشاب وابتهل إلى ربه بالدعاء بأن يغفر ذنبه ويشرح صدره ويحصّن فرجه، فكانت الإجابة علاجاً شافياً لحاله.

إن هذا الأسلوب الذي استخدمه رسول الله ﷺ وتعامل به مع الشاب، فقد مزج بين المنهج العاطفي حينما منعهم رسول الله ﷺ من زجره، ثم قرّبه منه وعامله بالرأفة والرحمة ولاطفه في الخطاب،

1- مسند الإمام أحمد، ح 22211، ج 36/ص 545، قال المحقق -شعيب الأرنؤوط وآخرون-: إسناده صحيح.

2- ينظر: المنهج العقلي في الدعوة النبوية وتطبيقاته، رمضان فوزي بدین، مقال بموقع عيون تاريخ التصفح 2020/11/16 تاريخ العرض 2017/11/16 www.ayoun.net

3- أبو هريرة راوية الإسلام، محمد عجّاج خطيب، مكتبة وهبه، مصر، ط 3، 1402، 1382م، ص 37.

وبين المنهج العقلي حينما حاوره بمنطق العقل بأن مالا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره وبين المنهج العملي التجريبي حينما وضع يده الشريفة على صدره ودعا له. والداعية الفطن الذكي يعرف كيف يمزج بين هذه المناهج في مخاطبة المدعوين ويستخدم المنهج الذي يراه يخدم موقفه ويحقق الهدف المنشود.

نماذج تطبيقية للمنهج الحسي في السيرة النبوية.

لقد تعددت مواقف النبي ﷺ في التطبيق العملي لأحكام الشريعة، من خلال ما يقوم به النبي ﷺ من توضيحات وشروح عملية يدرکها كل الناس، لأنها أكثر وقعا وأعظم تأثيرا على النفوس والدعوة للالتزام بمنهج الله تعالى والاستجابة لأوامره والافتداء به.

ومن أجل تسهيل عملية استيعاب أحكام الله تعالى في مختلف الفرائض والمناسك الشرعية لقواعد الإسلام فقد عمد رسول الله ﷺ إلى القيام بها أمام الناس وأمرهم بالأخذ بما عاينوه منه فقال عليه الصلاة والسلام في الصلاة: «...وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»¹، وفي الحج قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»²

وما أعظم تلك الصورة العملية يوم صلح الحديبية، وبعد توقيع الصلح بين رسول ﷺ وبين قريش، وحينما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالنحر والتحليق، فلم يستجب منهم أحد فدخل عليه الصلاة والسلام على زوجته أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - فقال «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا شَأْنُ النَّاسِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ دَخَلَهُمْ مَا قَدْ رَأَيْتَ، فَلَا تُكَلِّمَنَّ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، وَاعْمِدْ إِلَى هَذِيكَ حَيْثُ كَانَ فَاَنْحَرُهُ وَاخْلِقْ، فَلَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَعَلَ النَّاسُ ذَلِكَ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حَتَّى أَتَى هَذِيهَ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَحَلَقَ، فَقَامَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ...»³.

1- صحيح البخاري، كتاب الأذان باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة، ح605، ج1/ص226.

2- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُستَرُوجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3: 1424هـ-2003م، كتاب جماع أبواب دخول مكة باب الإيضاع في وادي مُحَسَّرٍ، ح9524، ج5/ص204، وأخرجه الترمذي بغير لفظ خذوا عني مناسككم، وقال حسن صحيح، ح886، ج2/ص226.

3- مسند أحمد، ح18910، ج31/ص220، قال المحقق -شعيب الأرنؤوط وأخرون-: إسناده حسن.

لهذا "يتميز المنهج الحسي بكونه خطاباً موجهاً للعقل أو العاطفة أو كلاهما معاً، من خلال الاعتماد على الحواس، وهذا ما يعكس عظيم أهميته في مخاطبة شرائح واسعة من المجتمع الإنساني ويطلق على هذا المنهج مصطلح "المنهج العلمي" لاعتماده على العلوم التجريبية إلا أن تسميته بالحسي أو بالتجربي أوضح وأدق".¹

وقد تنوعت أساليب المنهج الحسي في الكتاب والسنة بشكل يمثل زادا خصباً ورافداً مهماً للعاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى، بما يتميز من سرعة التأثير وسعة دائرته مما فضله على غيره من المناهج.²

أساليب المنهج الحسي³:

ومن أساليب هذا المنهج لفت الحس والنظر والتأمل، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات، والتي دعا فيها الله سبحانه وتعالى إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وما أبدع فيها من مخلوقات. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾⁴.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَرُّهُمْ آيَاتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾⁵.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾⁶.

ومن مظاهره القدوة الحسنة والمتمثلة في العمل التطبيقي لأخلاق الإسلام وآدابه. وقد جعل الله تعالى رسول الله ﷺ هو المثل الأعلى الذي يقتدي به.

1- المنهج الحسي وتطبيقاته في الدعوة، محمد حسن رباح بخيت، يحيى على الدجنى، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة، المجلد 18 العدد الأول، يناير 2010 www.iugaza.edu.ps/ara/research/

2- ينظر: المرجع السابق.

3- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص 214-215.

4- سورة الذاريات، الآيتين 20-21.

5- سورة فصلت، الآية 53.

6- سورة العنكبوت، الآية 20.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾¹.

وقد تمثلت أخلاق الإسلام وآدابه في شخص رسول الله ﷺ، وهذا ما أكدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حينما سئلت عن خلق رسول الله قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»²، فهو قرآنا يمشي بين الناس، وقد حمل أمانة الله تعالى على أكمل صورة حينما أمره بالاستقامة على أمر الله تعالى في قوله تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾³.

فقد كان المثل الأعلى لكل الأحكام والتشريعات والأوامر التي نزلت عليه في كتاب الله تعالى، حتى مدحه ربه وأثنى عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁴.

ومن أساليب هذا المنهج الحسي أن يأمر الداعية بالمعروف وينهي عن المنكر بيده، مع تحقق شروطه الشرعية المنصوص عليها في مواضعها، حتى يأمن المجتمع من الفساد والفتنة وحلول وعد الله تعالى عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»⁵.

ولهذا أكد رسول الله ﷺ على تغيير المنكر باليد لخطورة الأمر فقال «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»⁶.

وقال العلماء: "الأمر بالمعروف باليد على الأمراء وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء يعني عوام الناس".⁷

1- سورة الأحزاب الآية 21.

2- مسند أحمد، ح 24601، ج 41/ص 148، حديث صحيح، قاله محقق المسند: شعيب الارنؤوط وآخرون، ج 41/ص 149.

3- سورة هود، الآية 112.

4- سورة القلم، الآية 04.

5- سنن الترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح 2169، ج 4/ص 38، قال المحقق بشار: هذا حديث حسن.

6- صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، ح 186، ج 1/ص 219.

7- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية القاهرة، ط 2، 1964م، ج 4 ص 49.

وقد استخدم رسول الله ﷺ يده الشريفة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حربه ضد الكفار، وفي تحطيمه الأصنام يوم فتح مكة وأزال عنها كل صور الوثنية والشرك التي كانت تحيط بها. "ومن المعجزات الحسية التي أيد الله تعالى بها عباده المرسلين ليؤكد لعباده صدق رسالتهم، كعصى موسى وناقة صالح ومائدة عيسى عليهم السلام، وانشقاق القمر لرسول الله ﷺ، وهنا تكمن أهمية المنهج الحسي في تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين وإقامة الحجة على الجاحدين المعاندين. وهذا المنهج مبني على المشاهدات الحسية والآيات المؤكدة على صدق دعوتهم ورسالتهم وأنهم مؤيدون من قبل الله تعالى بهذه المعجزات".¹

ومن أعظم الدلائل على تأثير هذا المنهج الحسي في عقيدة المؤمن، وتثبيتا لإيمانه وتعميقا لثقلته بربه ﷻ، ما طلبه الخليل إبراهيم عليه السلام من ربه، أن يُريَه كيف يحيي الموت، فلما أراه مولاه من عظيم قدرته على إحياء الموتى، اطمأن قلبه وعلم أن الله تعالى عزيز حكيم.

وقد أظهر قدرته سبحانه وتعالى لعبده عزيز في إحيائه بعدما أماته مائة عام، ثم بعثه وأحيا حمارة بين ناظريه، بعد أن كان عظاما نخرة، فنشرها ثم كساها لحما وأعاد له الحياة،

قَالَ تَعَالَى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَيْفَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتُ مِائَةً عَامًا فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾²

والقران الكريم زاخر بمثل هذه التوجيهات للنظر في الأشياء المشاهدة والمحسوسة، والتي يعيشها الإنسان في حياته، ولتكرارها يفقد حلاوة الاعتبار والتذكرة والتوجيه الإلهي، وقد ورد في السنة المطهرة كثيرا من المخططات التي يستوقف فيها المصطفى ﷺ أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم، لأخذ العبرة والعظة وربطهم بالآخرة وتزهيدهم في الدنيا وحطامها.

1- ينظر: أصول الدعوة ومناهجها، رمضان محمد مطايرد وغيره، د ط. 2019م، ص283، والمدخل إلى علم الدعوة، ص216.

2- سورة البقرة، الآية 259.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ (كَتَفَتْهُ) فَمَرَّ بِجَدِّي (أَسْك) مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْنًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسْكُ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَى عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»¹.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذا لما رُجم "سمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: أنظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما ثم سار ساعة، حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: أين فلان وفلان فقالا: نحن ذات يا رسول الله فقال: انزلا وكلا من جيفة هذا الحمار فقالا: يا رسول الله ومن يأكل من هذا قال: «فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة، يغمس فيها»².

وقد استعمل النبي هذا الأسلوب في إظهار خطورة الحديث والوقوع في أعراض الناس: أحياء كانوا أو ميتين لذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾³.

وكثيرا ما يستعمل هذا المنهج الحسي في إظهار السنن الإلهية، التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، حتى لا يصطدم بها الناس فإنها لا تحابي أحدا، ولهذا كان الأولون يسرون وفق مسارها ويستخدمونها في صالحهم ولا يعاكسونها فتقصمهم وتتجاوزهم، ولا يعترضون طريقها، ومن خالفها أصابه من آثارها وتبعاتها.

1- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب حدثنا قتبية بن سعيد، ح 7607، ج 8/ص 210، وكنفته : جانبه أي أحاط به الناس من جانبه، والأسك : ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعا.

2- سنن أبي داود، كتاب الحدود باب رجم معايز بن مالك، ح 4428، ج 6/ص 478. قال المحقق الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

3 - سورة الحجرات الآية 12.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ أَصْغِبْكُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٦٥﴾¹.

ولما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ في غزوة أحد، ولم يلتزموا أماكنهم، فأصابهم القتل بعد أن اهتموا بجمع الغنائم ظنا منهم أن العدو قد ولى دبره وانتهى الأمر، فباغتهم خالد ابن الوليد فأتاهم من حيث لم يحتسبوا، فعمل فيهم بسيفه حتى كاد يقتل رسول الله ﷺ، لولا حفظ الله تعالى ومعيته. إن معرفة الداعية لهذه المناهج الدعوية وكيفية تطبيقها في أرض الواقع، تجعل الداعية أكثر استيعابا لمختلف صور الدعوة وأشكالها، وذلك من أجل أن تكون الدعوة أكثر وضوحا وتبيانا للمدعويين.

إن الحكمة في تطبيق المناهج الدعوية، أن يعرف مواطن استخدامها، ومتى يقتضى جمعها في آن واحد، ومتى يُقدّم منهج عن آخر حسب ما تقتضيه الضرورة الدعوية وحسب حال المدعويين. والداعية الواعي يفقه أساليب المناهج الدعوية، لينتقي منها ما يحقق أهداف دعوته، ويصل إلى قلوب المدعويين بأيسر السبل وأقل الجهود.

لقد استنبط العلماء هذه المناهج من التطبيقات العملية في دعوته ﷺ، فعلى الدعاة اليوم الاهتمام بسيرة المصطفى ﷺ وسنته العطرة، لاستخراج الكنوز الدعوية المكنونة بين سطورها وفي طيات أحداثها، لتكون لهم نبراسا وزادا إيمانيا وحركيا في طريق دعوتهم.

كما ينبغي التعرف على هذه المناهج الدعوية، والتدرب على استعمالها وتطبيقها في واقع الحياة، بعد التعرف والكشف عن معادن المدعويين واحتياجاتهم الإيمانية والأخلاقية، وذلك من أجل اختيار المنهج الدعوي المناسب لكل فئة من الناس، ليتحقق الهدف المنشود وهو نشر دين الله تعالى وإظهار مبادئه ومقوماته.

1 - سورة آل عمران، الآية 165.

المطلب الثالث: مقاصد الدعوة وغاياتها

إن من أهم المقاصد وأعظم الغايات التي تفخر بها الدعوة إلى الله تعالى، هو تحقيق عبودية الله تعالى في الأرض، ومن أجل ذلك خلق الله تعالى الخلائق باختلاف أصنافها وتنوعها، فمنهم من يعبد قهراً ومنهم من يعبد اختياراً... قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹، أي "ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون"²، فكانت "هذه الغاية التي خلق الله تعالى الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه".³

لذلك كانت الدعوة السبيل الوحيد لحمل أمانة الله تعالى وهي المهمة العظمى التي كلف بها أنبياءه ورسله تبليغها للناس، والتي ائتمنا الله تعالى عليها، حينما أشفقت السماوات والأرض والجبال عن حملها لَمَّا عُرِضَتْ عليهم، وقد هياً الله تعالى لها الإنسان ليكون محل ثقة وتكليف، وتكريم وتشريف، تحت رعاية الله تعالى وتوفيقه، إذا أخذ ذلك بالعلم والعدل، وَبَدَأَ الظلم والجهالة عن نفسه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁴.

وللدعوة مقاصد نذكر منها:

أولاً: توحيد الله تعالى وعبادته طاعة وطلباً لرضاه⁵.

1- سورة الذاريات الآية 56

2- صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م، ج4/ص1837

3- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م، ج1/ص813.

4- سورة الأحزاب، الآية 72.

5- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد المولى جمعة، السنة الجامعية 1431هـ - 1432هـ، جامعة أم القرى، السعودية، ص26-37.

وقد عظمت مهمّة الداعية بعظم ما كلفه الله تعالى به، وهي وظيفة من اختارهم الله تعالى على العالمين: من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، في تبليغ رسالته الداعية إلى توحيد الله تعالى وحده، ونبذ كل أشكال الشرك والكفر، وهي أساس العبادة وقاعدتها الصلبة، وهذا ما حكاه القرآن الكريم على ألسنة أصحاب الرسالات والوحي أن أعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦) ^١، وهذا ما أكده عيسى ابن مريم عليه السلام بما أمره به ربه فجاء على لسانه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧) ^٢.

وما من نبي إلا وخاطب قومه بأهم أسس رسالته وقوام شريعته، وهي عبادة الله تعالى وحده وتوحيده، ولقد تعدد ذكرها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وعلى ألسنة كل الأنبياء والرسل الكرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ الْإِغْيَارِ﴾ (٥٠) ^٣.

ولقد نقلت إلينا السنّة المطهّرة ما أوصى به رسول الله ﷺ دعاة الإسلام حين أرسلهم إلى المدائن والأمصار، أن يحرصوا على تثبيت قواعد الإيمان وتوحيد الله تعالى أولاً، ثم ما وراءه من التشريعات، ومن أجل ذلك أمضى رسول الله ﷺ أكثر من نصف فترة الوحي وهو يُرسي أساس الدين، ويبني قواعده ليُثبّت بعد ذلك صرح الإسلام ويعلو مقامه، وعليه قامت دولة الإسلام وقوي كيانها، وبفضل صلابته انتشر دين الله تعالى في أصقاع الأرض وعمّ البشرية جمعاء.

ثانياً: مقصد تبليغ الرسالة وإقامة الحجّة على الناس ^٤.

1 - سورة النحل الآية 36

2 - سورة المائدة الآية 117

3 - سورة هود الآية 50

4 - ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، ص 41-57.

إن من حكمة الله تعالى وعدله أن لا يحاسب أحدا إلا بعد أن تصل إليه رسالته ويبلغه كتابه وشرعته، كما جاء في الحديث القدسي « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا. »¹.

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه ويأتيه النذير، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾² (١٥)، وهذا ما سبق في علم الله تعالى أنهم محتجون به يوم القيامة فأبطل أعذارهم وألزمهم حجته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾³ (١٣٤).

فبعث الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس، وليخرجهم من الظلمات إلى النور وليبين لهم أحكام الله تعالى وشريعته ويقيم حجته عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁴ (١٦٥).

وقد جاء في السنّة المطهرة أن رسول الله ﷺ قال: «... وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...»⁵.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا﴾⁶ (١١٣)، ولهذا شهدوا على أنفسهم يوم القيامة أن لا عذر لهم أمام الله تعالى لَمَّا عَانُوا العذاب وأنهم يستحقون ذلك لتكذيبهم بآيات الله تعالى وصددهم عن سبيله،

1- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح 6737، ج 16/ص 455

2- سورة الإسراء الآية 15

3- سورة طه الآية 134

4- سورة النساء الآية 165

5- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: (لا شخص أغير من الله)، ح 6980، ج 6/ص 2698

6- سورة البقرة الآية 213

قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾¹

وَقَالَ تَعَالَى ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾² ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾³

ومن أجل ذلك اختص الله تعالى أنبياءه بهذه المهمة العظيمة وهي البلاغ عن الله تعالى، فهي مرتبة تشريف وتكريم حباهم الله تعالى بها لقوة تحملهم وصبرهم في سبيل الله تعالى وتنفيذ أمره على أكمل وجه، قَالَ تَعَالَى ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁴، أي " ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موضحا وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي".⁵

وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁶، ثم مدحهم الله تعالى بعد ذلك على تلبية النداء، وتبليغهم رسالته بكل أمانة وصدق، وبذلهم أقصى ما يملكون من الجهد حُبًّا لله وإرضاءً له، ثم هداية للناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وسماحة الإسلام.

قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾⁷.
" فمن مقاصد البلاغ المبين إقامة الحجة على عباده واضحة كاملة تامة، حتى لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير... وغير ذلك من العبارات التي

1- سورة المائدة الآية 19

2- سورة الملك الآية 8-9

3- سورة النحل، الآية 35.

4- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود بن محمد الحنفى، تح: عبد القادر أحمد عطا،

مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ج5/ص112

5- سورة المائدة، الآية 67.

6- سورة الأحزاب، الآية 39.

توحي بعدم بلوغ البيان لهم، فقطع الله عز وجل هذه الحجة بإرسال الرسل والأنبياء، وأمرهم بتبليغ دين الله تعالى وشرعه وبيانه للناس أتم البيان ¹.

ثالثاً: مقصد هداية الناس وإنقاذهم من النار.

إن مقاصد الدعوة إلى الله تعالى هو إنقاذ الخلق من مزالق النفس والشيطان ومغريات الحياة وزخرفها، والنفس ضعيفة أمام هذه الفتن والمهالك... ومن رحمته سبحانه وتعالى أن غمرهم بحلمه وحنانه، وأغدق عليهم من منّه وعطائه وهو رؤوف بعباده، فبعث إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراطه المستقيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ²،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ³ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ⁴ ﴿١٦﴾.

ومن مقاصد الدعوة في هداية الناس وإنقاذهم من النار ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا» ⁵.

ومن رحمة الله تعالى التي أودعها في قلب محمد ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ⁶، فقد كان حريصاً على هداية الناس وإنقاذهم من الهلاك وإبعادهم عن غضب الله تعالى ودخول النار، وما ذاك الدعاء الذي اهتزت له السماوات

1- فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره على حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، ص56

2- سورة البقرة الآية 257

3- سورة المائدة الآية 15-16

4- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ح6118، ج5/ص2379

5- سورة آل عمران الآية 159

الطباقي، والذي وجهه إلى ربه سبحانه حينما آذوه يوم الطائف إلا دليل على عفوه ورحمته بعد أن استأذنه ملك الجبال بأن يطبق عليهم الاخشبين، فرد عليه سيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»¹، فوصفه ربه بالرؤوف الرحيم، ومدحه وأثنى عليه فقال تعالى

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨)².

وقد رغب الإسلام في هداية الناس، وجعلها من فضائل الأعمال، بل اعتبر هداية رجل واحد على يديك خير لك من رغائب الأموال وأفضلها، وذلك بعد أن أعطى رسول الله ﷺ الراية لعلي عليه السلام يوم خيبر أوصاه بوصية جمعت مقاصد دعوته وغايته العظمى في هداية الناس، وأقسم على فضل ذلك ورفعته مقامه، فقال ﷺ: «أَنْفِذْ عَلَيَّ رِسَالِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»³.

وما دعوته ﷺ لعمه أبي طالب وحرصه على إنقاذه من النار قبل وفاته، وتلك الرحمة المهداة التي دخلت على الصبي اليهودي وهو يُحتضر بقرب والده، فدعاه النبي ﷺ للإسلام فشخص ببصره لأبيه، فرق له أبوه في تلك الحالة وهو ينظر إليه فقال له: أطع أبا القاسم فنطق بالشهادتين ثم مات.... فخرج النبي ﷺ من عندهم يتהלل وهو يقول «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»⁴. فهذا خير مثال على تجسيد ذلك المقصد العظيم.⁵ وغايته في ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى وسعيًا إلى رضوانه، وتبليغا لدينه وأداء لرسالته.

1- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ح3059، ج3/ص1180

2- سورة التوبة الآية 128

3- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح2847، ج3/ص1096.

4- سنن أبي داود، كتاب الجنائز باب المشي في العيادة ح3095، ج5/ص14، قال المحقق الأرئوط، إسناده صحيح.

5- فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، ص58-59.

وهذا ما سار عليه العلماء والدعاة والمصلحون في هداية أقوامهم ومجتمعاتهم، وما حكاه القرآن الكريم في إعطاء المثل في علو الهمة لدى الدعاة في إسداء النصح والإرشاد وهداية أقوامهم إلى صراط الله المستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾¹، وبعد أن غمرهم بحبه ورحمته في موعظة بليغة، وقدم فيها أخلص دعوته وأقام عليهم أقوى حجته، انهالوا عليه بالضرب حتى قتلوه، وَلَمَّا مَثَّلَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَأَى مِنْ عَفْوِي اللَّهِ تَعَالَى وَإِكْرَامِهِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ، تَمَنَّى نَصِيحَتَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَبَلَغَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَصْحَهُ مَرَّةً أُخْرَى لِقَوْمِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا نَصَحَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَهُوَ الَّذِي - نَصَحَ قَوْمَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا - كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه².

قَالَ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾³ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ⁴، فهكذا يجب أن يكون هم الدعاة من بذل الجهد في دعوتهم إلى الله تعالى، والصبر في تحمل المشاق ومختلف أنواع البلاء، في تبليغ دعوة الله تعالى بالبيان والحجة والبرهان، والتطبيق العملي لأوامر الله تعالى وشريعته، وتقديم المثل في ذلك من القدوة الحسنة وإظهار الشفقة والحرص على هداية الناس وإنقاذهم من الظلمات إلى النور، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا وفي كل أحوالهم.

رابعا: إظهار الدين وإعلاء كلمة الله⁴.

إن من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى هو إظهار دين الله تعالى وإعلاء كلمته في هذا الوجود، فحق الرب سبحانه وتعالى أن يُطاع ولا يعصى ويُعبد ولا يكفر، فما كان قول العبد إلا أن يقول لسيده: سمعا وطاعة لأمرك، والتزاما بنهجك وشرعتك، ونصرا لدينك وملتك.

1- سورة يس الآية 20

2- ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج22/ص304-308، وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، ت سامي محمد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط2، 1420هـ- 1999م، ج6/ص570-573، والجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ب ط، 1423هـ- 2003م، ج15/ص23-25.

3- سورة يس الآية 26-27

4- فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، ص 74-75

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ¹ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ²﴾¹.

فمن مقاصد الدعوة إلى الله تعالى هو التمكين لشريعة الله تعالى في الأرض وإظهار دينه على العالمين، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وليقوم الناس بالقسط.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ³﴾².

وعن المقداد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَيَسْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»³.

وبالدعوة إلى الله تعالى يتم إظهار الدين، والذي اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الدين الذي خُتِمت به الرسالات والرسول الذي انتهت به النبوات، فأكمل الله تعالى له الدين وأتم به نعمته على خلقه، وأراد أن يظهره على كل الشرائع والأديان، ورضي الله تعالى لعباده الإسلام ديناً ومنهاجاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ⁴﴾⁴.

إن مقصد إظهار الدين من أعظم المهام التي أفنت أعمار العلماء والدعاة في الدعوة إليه ومن أجل تحقيقه على أرض الواقع، وما باع الرجال أنفسهم وأموالهم إلا لتثبيت قواعد الدين وتشيد صرحه في العالمين، ومن أجل ذلك شرع الله تعالى الجهاد في سبيله لأنه من بين الوسائل التي تحقق هذا المقصد العظيم.

1- سورة الحديد، الآية 25.

2- سورة التوبة، الآية 33.

3- مسند الإمام أحمد، ح 23814، ج 39/ص 236، قال المحقق - شعيب الأرناؤوط وآخرون - إسناده صحيح على شرط مسلم.

4- سورة المائدة الآية 3

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾¹، كما قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»²، ولهذا كان " الجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، وأن يكون الدين كله لله..."³.

ولهذا فإن رسول الله ﷺ بعثه الله تعالى بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك له، وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورحمه. . فإن الله تعالى أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان وكلاهما في نصره أخوان شقيقان، والمقصد الأول إقامته بالحجة والسيف من بعده⁴.

وقد أقام رسول الله ﷺ دولته وأحيا أمته بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة والخلق الكريم، وربّ جيلا كانوا بالأمس رعاة للغنم فصاروا بالإسلام قادة للأمم، ففتحوا آفاق الحياة وبنو حضارة أذهلت التاريخ وحيّرت عقول البشر، وعلمت الإنسانية معنى الحياة.

فالواجب على أهل الإسلام ودعاته أن يحموا دينهم ويحفظوا إسلامهم بكل ما أوتوا من قوة " فإن من تأخر عن الأخذ بأسباب القوة المادية المستطاعة مُعَرَّضٌ للذلة والمهانة، وإن كان صاحب حق، وهذا ابتلاء من الله تعالى لعباده المؤمنين ليبذلوا جهدهم ومقدرتهم في سبيل نصر دينه وإعلاء كلمته، ولهذا كان لابد أن يكون السيف بجانب المصحف، لإرهاب أعداء الحق، وإلا استهانت البشرية الضالة بالدعوة إلى الله تعالى وأهلها، ومن لم يرهب عدوّه أَرهَبه عدوّه"⁵.

1 - سورة البقرة الآية 193

2 - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ، ح24، ج1/ص42

3 - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د ط، 1995م، ج28/ص264

4 - ينظر: الفروسية الحمديّة، لابن القيم، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ، ص156، 23

5 - الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، عبد الله بن أحمد القادري، دار المنار، جدة، ط2، 1413هـ-1992م، ج1/ص515.

إن الجهاد الحقيقي الذي اعتبره الشارع الحكيم مقبولا وفي سبيل الله تعالى الذي أوضحه رسول الله ﷺ، حين سئل عن الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله تعالى؟ فقال: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»¹. ولهذا قال أحد الدعاة: " لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا! وأن تهيمن شريعته ومنهجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم، وفي أوضاعهم وتشريعهم ونظامهم على السواء.. " ².

إن العدل أساس الحياة، وعليه قامت السماوات والأرض، ومن أجله أنزلت الكتب وبعث الرسل والنبيين عليهم السلام، وبه تصلح شؤون الدنيا والآخرة، وهو أساس الحكم، وعليه تستقيم النظم والقوانين، وترقى الشعوب والمجتمعات وتسعد في حياتها، لذلك قيل: " إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. والدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام"³.

فقد كانت مهمة العلماء والدعاة أن يُظهروا عدالة الإسلام، ويبينوها للناس تطبيقا عمليا في واقعهم، وفي كل شؤون حياتهم، في أعمالهم وأقوالهم، وتعاملهم وتصرفاتهم، وفي حقوقهم وأحكامهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁴، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁵، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّكْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾⁶، وغيرها من الآيات التي أمرت بالعدل وحثت عليه، وعليه تستقيم شؤون الدين والدنيا لكل الخلائق.

1 - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح2655، ج3/ص1034

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ - 2003م، ج6/ص1439-1451

3- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج28/ص146

4- سورة الأنعام الآية 152

5- سورة النساء الآية 58

6- سورة الرحمن الآية 9

فإذا أقيم العدل وأحيط بآليات وقواعد حمايته والمحافظة عليه والدفاع عنه، فيستقر ويثبت ويمكث في الأرض، لتقوم الدولة على أساسه وتقوى ركائزها وتتبوأ مقعدها في الحياة، لتتمكن بعد ذلك من التوسع ونشر الخير والنور، فلا يبق بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى الإسلام، وليبلغن ما بلغ الليل والنهار، ولا يتم ذلك إلا ببذل النفس والمال وتقديم أقصى الجهود وتحمل في سبيل ذلك صنوف الأذى وتصاريف البلاء من الحن والشدائد، لأن دعوة الله تعالى غالية ومهمة صعبة، حملها الله تعالى خيرة خلقه من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الدعاة المخلصين، حتى يحقق الله تعالى لهم النصر والتمكين لدينه وشريعته.

خامساً: حفظ الضرورات الخمسة.

إن غاية الدعوة إلى الله تعالى هو حفظ مقاصد الشريعة، والتي من أجلها فرضت الشرائع وسنت الأحكام، وبها نزل الوحي المبارك على أفضل خلق الله تعالى، وجاهد في سبيلها الرجال واستشهد المخلصون الأخيار، لأن غاية الوجود عبادة الله تعالى وقيام الدين، ولا يتم ذلك إلا بالتعايش واستمرار الحياة ولا يتحقق إلا بشريعة تسيّر شؤون البشر في الدين والدنيا، ومن أجل ذلك شرعت الأوامر في الحفاظ على ضروريات الاستقامة، وحمل أمانة الله تعالى وتبليغ رسالته، وهي حفظ الدين والعقل والنفس والمال والنسل، وهذه الخمسة جماع ما قرره الشريعة الإلهية لكل الأوامر والنواهي، ليعيش الناس في كنف الإسلام وعدالته، " وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح"¹.

فالداعية إلى الله تعالى الذي يسعى إلى تحقيق مقاصد دعوته وغاية دينه، والمتمثلة في الحفاظ على الضرورات الخمسة، علما وفهما وتطبيقا، وإن عدم الاهتمام بذلك أو تجاهلها سيعرض دعوته إلى الفشل والخسران... فلا بد أن يكون الدافع الأساسي في دعوته للناس في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ينطلق من مصدر الضرورات الخمسة ويحققها في أرض الواقع، وتمييزها أيها أحق بالتقديم عند التزاحم والتعارض، كما تعرّفنا عليه في فقه الأولويات².

1 - المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م، ص174

2 - ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود، ص86-87

وكل ما ذكر من مقاصد للدعوة إلى الله تعالى فإنه ينطلق من الضرورات الخمسة، ويخدمها ويحافظ عليها وتُثبت بها قواعد الدين ويُحقّق تمكينه في الحياة.

وقد اشتدت مهمة الداعية في هذا الزمان أكثر، وثقل عليه حملها، لتداعي الأمم على ديننا وأمتنا ومواجهتهما على كل صعيد، وهذه الهجمة الشرسة التي طالت كل المستويات ودخلت كل مجال تريد المساس به وتعطيل حركته، لأن الاستكبار العالمي علا في الأرض وجعل شعوبها شيعة وكان من المفسدين، واستخدم كل وسائل الدمار الشامل الحديثة والمتطورة حتى وصلت أخيرا إلى الحرب الفيروسية، التي أهلكت العباد وأفسدت البلاد، وتزعم المنظمات العبثية الدولية أنها محرمة على من يملك قوة الحق، لا على من يملك حق القوة.

وفي هذا العصر الذي كثرت مشاغله وتعقدت فيه سبل الحياة، وتقارب فيها الزمان والمكان والإنسان، وسهلت فيه روابط الاتصال، صار لزاما على دعاة الإسلام مضاعفة الجهود، واستخدام كل الوسائل الحديثة منها والقديمة، لتسهيل عملية البلاغ وتبيين الذكر الحكيم وأحكام شريعته للناس، لو أنهم أخذوا بها وعملوا بما فيها، لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ولعاشوا بسلام آمنين، ونالوا سعادة الدنيا والآخرة.

ولكن الطغيان العالمي يحارب كل ما جاء الدين لحفظه من الضرورات الخمسة، فقد حارب الدين بالملل الكافرة والحركات الهدامة، والتي تحمل اسم الإسلام والإسلام منها براء، وتحارب العقل البشري بفلسفات الكفر والإلحاد من الجانب الفكري، وتعمل على نشر وتسهيل عملية تعاطي المخدرات والمسكرات بكل أنواعها، وتحارب العرض بتدنيسه من خلال ما يعرض في الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي بالهواتف الذكية والتي أصبحت في متناول كل إنسان، وفيها هتك للعفة وهدر للفضيلة باسم الحرية الشخصية المتعفنة والإباحية الفاضحة.¹

وتحارب النسل باختلاط الأنساب من خلال إطلاق العنان للشهوة الحيوانية، بإباحة الزنا واللواط تحت عناوين مختلفة، أو بقوانين تحدّ منه أو تقطعه باسم التنظيم الأسري، أو بالحفاظ على الصحة والمستوى المعيشي أو الاجتماعي، أو الوأد الرحيم الذي يحدث في دنيا الناس، بإباحة

1 - ينظر: المرجع السابق، ص 86-87

الإجهاض وقتل الأجنة للتستر على انتشار الفاحشة والزيلة، ثم تفاجئ البشرية في هذا العصر في عالم المخنثين بتقنين الخبث واللواط باسم الحرية الشخصية في مؤتمر السكان والتنمية¹، وترعاه الأمم المتحدة نفسها، في إباحة المثلية من كلا الجنسين لقطع السبيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٨) أَيِنَّكُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ^(٢٩) ۖ².

وكل القرارات التي صدرت عن هذه المؤتمرات تحمل في بنودها محاربة للكرامة الإنسانية والأخلاق الإسلامية وكل مبادئ الفطرة البشرية، وكل ذلك يدخل ضمن محاربة الإسلام والكيد له، من خلال العبث بجوهرة المجتمع الإسلامي، وهي الأسرة المسلمة وعلى رأسها المرأة، أساس العفة والصلاح وضمان الأمن في التماسك والقوة.

ويُحارب المال بإبادته بأشكال متعددة عن طريق التعاملات الربوية، أو التسلط والنهب أو السرقة، من طرف الدول المعتصبة الظالمة، بزرع الفتن وإذكاء الحروب أو نشر الأمراض والأوبئة، ثم التسارع إلى السبق الإعلامي للإعلان عن اكتشاف العلاج واللقاح المعد من قبل، والذي تنتجه الشركات العملاقة للأدوية لابتزاز أموال الأمم والمجتمعات المقهورة، والتي وضعت بين خيار الموت أو تسليم المال أو السيادة...، أو يهدر المال عن طريق العصابات المنظمة من خلال سنّ القوانين لتحمي السارق من الملاحقات القانونية.

وأما النفس فقد أصبحت العملة الرخيصة في هذا العصر، والتي كرمها الإسلام واعتبر زوال الدنيا أهون عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى

1- مؤتمر السكان والتنمية: عقد بعضه في القاهرة سبتمبر 1994م، وبعضه في بكين 1995م، وبعضه في اسطنبول 1996م، وبعضه في نيويورك لعامي 1999م، و2000م، ومن قبل ذلك في الأمم المتحدة 1950م، وفي المكسيك 1975م، وفي نيروبي 1985م، وكلها بعنوانين مختلفة والهدف واحد وهو محاربة الفطرة والدعوة إلى الإباحية العفنة ومخالفة للتعاليم الإسلامية والشرائع السماوية... والتي تبيح الإجهاض الآمن، لتسهيل العلاقات المحرمة، وتقر بالزواج المثلي بين الجنسين وتعدّه زواجا مشروعاً، وتسمح بالعلاقات غير الشرعية... ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط4، 1420هـ، ج2/ص704، وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، ج9/ص309 وغيرها.

2- سورة العنكبوت الآية 28-29

اللَّهُ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»¹، ولكن الطغيان العالمي والهيمنة المتسلطة الباغية جعلت النفس البشرية وسيلة لفرض سياساتها وبسط نفوذها على كل صعيد، فتباد لأتفه الأسباب المادية والمعنوية، كالسياسة التوسعية أو إستراتيجية الأمن القومي أو التجارب الحربية بمختلف الأسلحة وأنواع القنابل لمعرفة مدى فتكها بالإنسان، وما هذا الفيروس المحوّر اليوم إلا حربا عالمية بيولوجية أودت بملايين البشر ولا زالت. فهم يتاجرون بأرواح البشر من أجل مكاسب مادية ومنافع دنيوية... ولا يعلم مكرهم وخبثهم إلا الله سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾². فهذه أبرز مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، حتى يكون الداعية على بينة من أمره، فتتسع مداركه ويتعمق فهمه لدين الله تعالى، ويعلم عظم المهمة التي كُلف بها والأمانة التي تعهد إلى الله تعالى بحملها وتبليغها، فيزداد تمسكا بها وبذل الوسع في مواصلة الطريق في نصر الإسلام والذود عنه، حتى يظهره الله على الدين كله، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾³ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾³.

1- رواه الترمذي، كتاب أبواب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ح 1395، ج 4/ص 16

2- سورة الشورى الآية 30

3- سورة الروم الآية 4-5

الفصل الأول: الخطاب الدعوي المعاصر

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الخطاب الدعوي وأهليته

المبحث الثاني: مرتكزات الخطاب الدعوي

المبحث الثالث: إشكالات الخطاب الدعوي المعاصر وتحدياته

المبحث الأول: الخطاب الدعوي وأهميته

المطلب الأول: تعريف الخطاب الدعوي

المطلب الثاني: أهمية الخطاب الدعوي

المطلب الثالث: أنواع الخطاب الدعوي

المبحث الأول: الخطاب الدعوي وأهميته

يعتبر الخطاب الدعوي ذلك المجهود البشري الذي يبذله الداعية في توضيح وبيان دين الله تعالى ورسالاته والدعوة إليه وتبليغه للناس بأسلوب حسن وبوسائل تحقق مقاصده وأهدافه في تغيير واقع الأمة وحل مشكلاتها في ضوء الكتاب والسنة، لذلك يحتل الخطاب الدعوي مرتبة عالية في حياة الأمة الإسلامية وهو الوظيفة التي إختص الله تعالى بها خيرة خلقه وميزهم على غيرهم بأن كلفهم بتبليغ رسالاته ونشر دينه في العالمين.

المطلب الأول: تعريف الخطاب الدعوي.

الخطاب لغة: كلمة "الخطاب" بمعنى مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان ومنه الخطبة، اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب... ومنه الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم وفي التنزيل العزيز، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَاخْطُبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾²¹، والخطب: الشأن المهم من حالة أو حادثة. قيل: سمي خطبا لأنه يقتضي أن يخاطب المرء صاحبه بالتساؤل عنه³. والخطاب كل كلام بينك وبين الآخر، والخطبة من ذلك⁴.
وخطبه مخاطبة وخطابا، كالمه وحادثه ووجه إليه كلاما ويقال: خاطبه في الأمر: حدثه بشأنه... الخطاب: الكلام: الرسالة⁵.

وقد وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم في مواضع هي:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾⁶.

1- سورة الذاريات، الآية 31

2- الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي مع دراسة تحليلية نموذجية، نوري سعيد أبو زيد، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2005م، ص7.

3- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م، ج12/ص76

4- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1406هـ/1986م، ج1/ص295.

5- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوى، تركيا، 1989م، ص243.

6- سورة ص، الآية 20

قال مجاهد: هو الفصل في الكلام وفي الحكم.¹ فالخطاب الكلام الذي ينبه المخاطب على المقصود

من غير التباس.² ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل.³

وقال ابن العربي: قيل هو الإيجاز يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل.⁴

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَّ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.⁵

غلبني في القول⁶، أي الكلام الذي له شأن من جدال وغيره.⁷

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.⁸

أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه.⁹ فلا يملكون أن يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها.¹⁰

والمعنى المستخلص مما سبق أن من معاني الخطاب: الكلام الواضح البين المؤثر.

1- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنش والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م، ج7/ص5.

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي البغدادي، (ت: 1270هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ، ج4/ص42.

3- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت، ج4/ص82.

4- أحكام القرآن القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: 543هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424هـ - 2003م، ج4/ص42.

5- سورة ص، الآية 23

6- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تفسير السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1 1420هـ-2000م، ج1/ص711.

7- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار المكتبة العلمية، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م، ج6/ص374.

8- سورة النبأ، الآية 37

9- تفسير القرآن العظيم بن كثير، ت محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 1419هـ، ج8/ص312

10- نظم الدرر، مرجع سابق، ج8/ص305.

التعريف الاصطلاحي للخطاب:

يقول علي عبد الحليم محمود الخطاب هو: لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم بما سَوَّق من الحجج والبراهين المقنعة.¹

- يقول طه عبد الرحمان هو: "كل منطوق به موجه إلى الغير يعرض لفهامه مقصودا مخصوصا".²

وذكر غيرهم بأن الخطاب: كل ما يصدر عن المخاطب من قول وفعل أو عمل، يكون ذلك لتحقيق مصلحة مقصودة لترسخ دعوة الرسل للناس كافة، باستخدام شتى الأساليب والطرق المقنعة.³

ولما تعددت وجوه الخطاب تعددت أساليبه التي ورد بها فعل المتصدرين للخطاب الإسلامي أن يستخدموا كل الوجوه الخطابية، وكافة الأساليب في إثبات حقائق الإسلام... ومعالم التوحيد.⁴

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في تعريف الخطاب:

"في رأيي أن المراد بخطابنا الديني الإسلامي: البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين، أو غير مسلمين لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم وتربيتهم عليه، عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكريا أو سلوكيا، أو لشرح الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم، فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو علمية".⁵

1- ينظر: فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، ج1/ص169.

2- اللسانيات والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص215.

3- نحو خطاب دعوي مؤثر من خلال قصة إبراهيم عليه السلام، مها عيسى إبراهيم صدم، إشراف: طلال أحمد النجار، دراسة مشروع تخرج في التربية الإسلامية، الفصل الثاني 2009م-2010م، جامعة القدس المفتوحة، رفح فلسطين، ص13.

4- وجوه الخطاب القرآني في تفسير البحر المحيط، ناصر يوسف عبد الله، رسالة ماجستير في علوم القرآن تخصص تفسير، الجامعة الإسلامية ببغداد، 1427هـ، 2006م، ص19.

5- خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر، ط1، 1424هـ، 2001م، ص15.

المطلب الثاني: أهمية الخطاب الدعوي

إن الخطاب الدعوي هو التعبير الحقيقي عن الرؤية الإسلامية بكافة مضامينها وأشكالها وأساليبها داخل الأمة الإسلامية بكافة شرائحها وأقطارها، وهو أداة للتعارف مع الآخرين خارج الأمة الإسلامية من أجل التواصل الحضاري بين الشعوب والأمم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾¹.

وتبدو أهمية الخطاب في هذه المرحلة المتسارعة، عصر العولمة والتطور التكنولوجي الحديث من خلال ثورة الاتصالات والفضائيات والشبكة العنكبوتية العالمية التي غطت العالم برباط واحد تتلاقى فيه جميع أصناف البشر، باختلاف ألسنتهم وأفكارهم وعقائدهم، حتى أصبح الإعلام السلطة الخامسة إن لم نقل المحرك الأساسي لكل السلطات وأداة للغزو الثقافي والاستعماري الحديث.

"وقد لا نغالي إذا قلنا: بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود، وأزالت السدود، واختزلت المسافات والأزمان... واختصرت التاريخ وتكاد تلغي الجغرافيا، حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده... ولم يقتصر ذلك على اختراق الحدود السياسية، والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوز إلى إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخل في الخصائص النفسية وتشكيل القنوات العقدية، فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً، والبيان الأكثر سحراً، والتحكم الأكثر تقنية"³.

ولأهمية الخطاب اعتبره الله تعالى جهاداً.

1- سورة الحجرات، الآية 13

2- عالم الخطاب الدعوي، طالب حماد أبو شعر، بحث بمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر 7-8 ربيع الأول 1426هـ، 16-17 أبريل 2005م، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين.

3- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، دار القارئ العربي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط1، 1412هـ- 1991م، ص36.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُوهُمْ بِمَا جِهَادًا كَبِيرًا﴾¹. (قال ابن عباس بالقرآن وقال ابن زيد: بالإسلام.. "جهاد كبير" لا يخالطه فتور).²

كما قال عليه الصلاة والسلام: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّكُمْ»³.

للخطاب الدعوي أهمية قصوى، خاصة في هذه المرحلة المهمة من حياة الأمة الإسلامية، وفي ظل الظروف الحضارية السائدة اليوم، إلا أنه أداة الاتصال المعرفي والحضاري في بناء المجتمع الإسلامي، وتوصيل دعوة الله تعالى وهداية البشرية وتبليغ رسالة الله تعالى وحمل أمانته، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁴.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁵. فالخطاب الدعوي يغير الأعراف الخاطئة ويقضي على الثقافات الأجنبية المنتشرة في المجتمع وما خلفته من آثار سيئة من الغرور والغفلة والفتور واليأس من النهوض، والانغماس في الترف والعصبية، والافتتان بالأقوى والتشبه به والانقسام والتطاحن والفرقة، فيعمل الخطاب الدعوي على علاج المجتمعات التي أصيبت بكثير من الأمراض والعلل في عقيدتها وعبادتها وعاداتها وأخلاقها، ويدعو إلى جمع كلمة المسلمين وتحقيق الوحدة فيما بينهم لإقامة دولة الإسلام.⁶

1- سورة الفرقان، الآية 52.

2- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب الرياض، السعودية، ب ط، 1423 هـ - 2003 م، ج 13/ص 58.

3- سنن أبي داود، كتاب الجهاد باب في نسخ نفي العامة بالخاصة، ح 2504، ج 4/ص 159. وقال الألباني في التحقيق: صحيح.

4- سورة الأحزاب، الآية 72.

5- سورة يوسف، الآية 108.

6- ينظر، نحو خطاب دعوي مؤثر من خلال قصة إبراهيم عليه السلام ص 9-10.

إن أعظم ما أصيب به الإسلام عبر تعاقب الزمن، يمثل ما أصيب به من جهة المتحدثين عنه والمبلّغين له بصور شتى ومتضاربة، وقد تكون طاعنة ومنقّرة وفي كثير من الأحيان تكون منقوصة ومشوهة، وهذا ما تغص به الساحة الدعوية اليوم دون اهتمام ولا دراية.

ومن فضل الله تعالى أن هياً في كل قرن من الزمن من يعيد للدّين نضارته وبهائه كيوم نزل على قلب الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، ويعاد لخطابه قيمته ومكانته وهيبته، فيُزال عنه ما علق به من شبهات وضلالات وتحريفات، خلال فترة الضعف التي مرت بها الأمة، التي كادت أن تنسيها وجودها وكيانها.

ورغم ما أصابها... إلا أنّها أمة حباها الله تعالى بدين يحمل من المقومات الذاتية ما تضمن له البقاء والاستمرار، وعلى أنّها أمة باقية إلى أن يقضي الله تعالى أمراً كان مفعولاً.

إنّها أمة تملك قوة الحق وتدافع عنه بحق القوة، ولا سبيل إلى إظهار الإسلام على حقيقته إلا بإعادة النظر في الخطاب الدعوي الإسلامي، فيتحدث بلسان القوم، وينطلق من معطيات الواقع، ليجيب على متطلبات العصر، ويتطلع إلى مستقبل زاهر... وهذا ما تميز به ديننا على غيره ليكون ظاهراً على كل الشرائع والأديان، ليتربع على عرش الشمول والبقاء.

المطلب الثالث: أنواع الخطاب الدعوي.

إن الخطاب الدعوي الذي تصدره المؤسسات الرسمية والدعوية لأمة الإسلام على السنة علمائها ودعاتها هو المقياس الحقيقي الذي يُعبّر على نهضة الأمة وتطورها، ودليل على تماسكها بدينها وعودتها إليه، لتنهل من معينه الصافي وفيضه المتدفق، لتعيد للأمة مكانتها وعزتها وسيادتها.

فالأمة بخطابها تعرف صدقها من كذبها... وقوتها من ضعفها، وشجاعتها من جبنها... وعزمها من فشلها... وعزتها من ذلها وخذلانها... فإذا عرف العدو منها ذلك وضع لها ألف حساب وأعد لها العُدّة للتصدي لها ومواجهتها... وإذا عجز في محاربتها عسكرياً، بعد أن مُني بهزائم متعددة عبر تاريخ الإسلام، وأنها أمة لا تُغلب إذا أُعلن فيها الجهاد، فعمدوا إلى خطه خبيثة مأكرة، بدأت في الكيد لهذه الأمة، من خلال عناصر القوة لهذا الدّين، فغزو عقولهم وخرّبوا فكرهم، فأتوا بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم، فضعفت قوتهم وهُزمت دولتهم وتفرقت جماعتهم وتداعت عليهم الأمم من كل جانب، كما تداعى الأكلة إلى قصعتهم، فأخذوا ما بأيديهم وما حوته بواطن

أراضيهم وما فوقها، واستحكموا في سيادتهم وسلطانهم، بعد ما أصابهم الوهن والذل والهوان، رغم كثرتهم وعتادهم وعدتهم.

لذا فإن الخطاب الإسلامي المعاصر هو رمز السيادة ومقياس الريادة وتبيان حياة الأمة من عدمها، وهو سرّ بقائها ومبعث قوّتها وأمل ظهورها على كل الأمم وشرائعها.

والخطاب في تاريخ الأنبياء والرسل وحياة البشر، له مكانته وقوته ودوره في إدارة شؤون الحكم، وسياسة الناس وتبليغ الرسالات والشرائع، والتعامل بين الخلائق من مختلف الأجناس والمجتمعات البشرية.

وقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من خطابات الأنبياء والرسل الكرام لأقوامهم لتكون نبراسا لمن بعدهم من الدعاة والمصلحين.

ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم، وتتبع أنواع الخطاب الدعوي، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، ودرجة استيعابهم ومراعاة لأحوالهم واستعدادهم لقبول الحق، وتأنيده والدود عنه ونصرتة.

إن الخطاب الدعوي يتنوع وفق أحوال المدعويين، فالداعية بمثابة الطبيب لا يصف دواء واحد لجميع المرضى الذين يأتون إليه، وإن تشابهت مظاهر العلل، فلكل مريض أسبابه، والطبيب الحاذق يشخص المرض بثبات ويقين، ثم يصف له الدواء الناجع، ف كذلك حال الداعية في مجتمعه ومع أمته، وبعد دراسة الواقع وتشخيصه، يتبين أحوال الناس ومعاناتهم وحاجاتهم، فيعطي لكل واحد مسأله ويحيطه بالرعاية والنصح ثم يبلغه دعوة الله تعالى، وهذا ما سار عليه المنهج القرآني والمسلك النبوي في الدعوة إلى الإسلام، وبه دعت إليه الآية الكريمة.

قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالْقِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹.

فالحكمة ملاك ذلك كله، وهو وضع الشيء في محله، وتنزيل الأمور في نصابها مع إتباع الوسائل الحديثة، في الاستجابة لمتغيرات العصر، ومستجدات الزمان وأحوال الواقع.

1- سورة النحل، الآية 125.

فالخطاب الدعوي ثابت في أصوله، ومَرْنٌ في أساليبه ووسائله، فيتتبع مواطن الخلل فيصلحها، ويعالج الأخطاء ويقومها، ويخاطب كل فئة بحالها ويبين لها سبيل الهداية والنجاة ومغبة أفعالها وسوء تصرفها وعاقبة أمرها، فلقد تعددت أنواع الخطاب في القرآن الكريم لمعالجته كثيرا من أدواء الأمم ومخالفاتهم، لتكون لهذه الأمة سبل هداية وعظة في حياة الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (١٦) ¹.

فمن تأمل الخطاب القرآني في أسلوبه وبلاغته يرى وجهه بديع من أوجه الإعجاز القرآني، وخصيصة من خصائصه الأكيدة، وبيان ذلك في شمولية الخطاب القرآني، وجميع أصناف المخاطبين على اختلاف أجناسهم ومكانتهم ومللهم.

ونرى في بداياته وتوجيهاته يتسم بالشمول حيث انه لم يجعل ندائه إلى فئة دون فئة أو جنس دون جنس أو أهل دين دون غيرهم، بل شمل ذلك الخطاب أصناف العالمين من المخاطبين على تنوع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها.

ومن بلاغه القرآن وكماله التشريعي أنه نوع بين أساليب الخطاب فيه للنفس البشرية، ومن ثم نوع مجالات المخاطب بها: فكان بذلك أعظم الهداية والإرشاد للقلوب الغافلة والعقول الحائرة والنفوس الضالة. ²

وإذا نظرنا إلى عموم الخطاب في القرآن الكريم، نجد الخطاب موجه إلى المسلمين الطائعين، وآخر إلى العاصين المذنبين ودعوتهم إلى الرجوع والتوبة إلى رياض الإسلام ورحمته، وهناك خطاب موجه لغير المسلمين، من مشركين وملحدين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وتذكيرهم بما في كتبهم من الحق والهدى وأخذ العهد عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ³.

1- سورة النازعات الآية 26.

2- ينظر: الخطاب القرآني وتنوعه، عاطف عبد المعز الفيومي، مقال بموقع الألوكة، تاريخ الإضافة 2010/03/24 تاريخ التصفح 2021/03/05.

3- سورة البقرة، الآية 89.

وهناك خطاب يحمل من المهانة والحزني دون ذكر أوصافهم من المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا

الكفر... قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَدَعْنَا لِيَا بِلْسِنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹، وهؤلاء المنافقون الذين اسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم أشد على الإسلام من جميع أعدائه، لأنهم ينتمون إليه في الظاهر ويطعنون في دعوته من الداخل للصد عن سبيل الله تعالى، فقد كان يؤلمه ذلك ﷺ ويحزنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْمُرْكَ﴾² ﴿٤١﴾.

لقد أولى القرآن الكريم اهتماما بالغاً لمجريات الدعوة عبر تاريخ البشرية، مع الكوكبة المختارة من أنبياء الله تعالى ورسوله والذي خاطب الله تعالى بها الفئة المؤمنة، ودعاهم إليه وحثهم على الإتيان والاستجابة لله ورسوله ﷺ، فيما دعاهم إليه والابتعاد عما نهاهم عنه لتحصل لهم الهداية والسعادة في الدارين.

فقد خاطب الله سبحانه وتعالى الناس بصيغه العموم في بعض آيات القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في بعض أخرى، وخاطب أصناف الناس من المؤمنين والكفار والمشركين، وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى.

وإذا تأملنا في دقة الجانب الخطابي والذي خوطب به الناس عامة والمؤمنين خاصة، وجدنا أن القرآن يدعو إلى المطالب العالية والفضائل السامية والتشريعات الهادئة الموجهة إلى كل خير في

1- سورة النساء، الآية 46.

2- سورة المائدة، الآية 41.

الخطاب القرآني لا يقف أمام فرع وإصدار صورة واحدة من صور الدعوة بل يتنوع حسب المخاطب وحالته وطبيعته.¹

فتنوع الخطاب الدعوي يكمل في تنوع القوالب والمضامين في الشكل والباطن فمناها:

1. تنوع الخطاب في القوالب:

- الخطاب المباشر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُومُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) ².

- الحوارات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨) ³.

- القصص:

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ﴾ (٣) ⁴.

- الأمثلة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾ (٤٥) ⁵.

1- ينظر: الخطاب القرآني وأنواعه، خالد داد ملك، مقال بمجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد 22، 2015 م.

2- سورة المؤمنون، الآية 23.

3- سورة البقرة، الآية 258.

4- سورة يوسف الآية 3.

5- سورة الكهف، الآية 45.

- المواظ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾¹.

2. تنوع الخطاب في المضامين:

أ. إن أساس خطاب الكافرين والمعاندين قائم على الحجة العقلية والأدلة المادية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾².

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨﴾³.

ب. وأساس خطاب المؤمنين قائم على التأثير الغيبي والشعور الإيمان

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٢٢﴾⁴.

وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢﴾⁴.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٥﴾⁵.

وقد ركز الخطاب في المرحلة المكية على المسائل العقدية والحقائق الغيبية، حتى إذا ثبت الإيمان في قلوبهم، تعلق أرواحهم بما أعده الله تعالى لعباده واستمسكوا بدينه، جاءت المرحلة المدنية أو المرحلة التشريعية، وفيها ركز الخطاب على الأحكام والمعاملات والآداب الاجتماعية، والحاجات الحياتية وتنظيم شؤون الدولة والأمة.⁶

إن الخطاب الدعوي وما يحمله من مواصفات ومضامين وأهداف، قد انطلق منذ بداية الدعوة فكان يعتمد على صور شتى، فتنوع الخطاب من خلال الصفة، منها:

1- سورة لقمان، الآية 13.

2- سورة الأنبياء، الآية 22.

3- سورة يس، الآية 78.

4- سورة النور، الآية 22.

5- سورة آل عمران الآية 133.

6- ينظر: المنهج النبوي في بناء القيم في العهد المكي، علي الصلابي، مقال بموقع مدونات الجزيرة، تاريخ الإضافة 2018/01/23م، تاريخ التصفح 2021/03/12م.

1. خطاب الترغيب والترهيب:

إن الترغيب في ما أعدده الله تعالى من نعيم في الجنة لمن استقام، ومن الترهيب فيما توعده به من العذاب في النار لمن كفر وعصاه واعرّض عن دينه وهدايته، فهذا الخطاب يحرك مكامن النفس ويرغبها فيما عند الله تعالى، وما أعدده لعباده الطائعين وما يحمله من أخبار في عالم الغيب موجهة لعموم الناس للإيمان بها وتصديقها.¹

2. الخطاب القصصي:

لقد حمل القرآن الكريم كثير من القصص لأمم وأشخاص عبر تاريخ البشرية، وتحدث عن كفرهم وتحديهم ومعاداتهم لأنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام، وما أصابهم من الأذى والظلم إلى درجة القتل، فعاقبهم الله تعالى جزاء عنادهم وكفرهم وتكذيبهم لرسله وعدم الانصياع والاستسلام لشرائعه، فمنهم من خسف بهم الأرض ومن هم أصابتهم الرجفة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾² (٧٨) ومنهم من زلزل بهم الأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾³ (٢٦)

ومنهم من أرسل عليهم الصيحة وهم ينظرون، ومنهم من أرسل عليهم الريح العقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾⁴ (٤٢)، ومنهم من جعل الأرض عاليها سافلها ثم أمطر عليهم حجارة من السماء بما كانوا يفسقون، ومنهم من أخذهم الطوفان وهم ظالمون، ومنهم من أغرقهم في اليم بما كانوا يصنعون، ومنهم من أخذته صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون. فهذه الخطابات وما تحمله في مضامينها من تحذير ووعيد لمن خالف أمر الله تعالى وتنبيهها لهذه الأمة حتى لا يصيبها ما أصابهم.

1- ينظر: أنواع الخطاب في القرآن الكريم، أبحاث قرآنية، بواسطة unknown، تاريخ الإضافة 2016/05/24 تاريخ التصفح 2021/03/21.

2 - سورة الأعراف الآية 78 و 91.

3 - سورة النحل الآية 16.

4 - سورة الذاريات الآية 42.

والقصص عن أحوال الأمم والأشخاص كثيرة في القرآن الكريم، وهي تذكير عن نهاية أمرهم وخلاصة مكرمهم وعنادهم وتكذيبهم لمن بعثهم الله تعالى لهدايتهم والأخذ بأيديهم إلى صراط العزيز الحميد.

وأن ما حل بهم من العذاب المهين والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون.

وفي ذكر القصص في القرآن الكريم وما آلت إليه أقوامهم من الهلاك والدمار وإنفاذ قدر الله تعالى فيهم ونهايتهم الحتمية، فهو خطاب حقيقي واقعي يلامس شغاف القلوب، ويبعث على الرهبة والخوف من غضب الله تعالى في مخالفة أمره وعصيان رسله عليهم السلام. ولهذا لما تلا رسول الله ﷺ على أبي الوليد قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ¹﴾ ارتعدت نفسه وارتجفت فرائسه من التحذير والتهديد لعلمهم بما أصاب الأقسام التي ذكرتها الآية، فكان خطاباً مؤثراً بصدق حتى ناشده أن يتوقف وذلك لأخذ العبرة والعظة حتى لا يحل بهم ما قد حل بغيرهم ممن سبقهم من الأمم.

وفي القصص القرآني دليل على ترابط حلقات الوحي الإلهي على أنبيائه ورسله، لان الإخبار عن الذين سبقوا رسالة المصطفى ﷺ من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم من الرسل الكرام، يثبت صدق رسالته لأنها تعرضت لتفاصيل حياتهم وأحوالهم ودعوتهم وما لاقوه من أذى وعداوة أقوامهم وأممهم، واخبرهم بما لم يحيطوا به علماً، ولا يكون هذا إلا على لسان نبي قد اعلمه الله تعالى وأوحى به إليه، فهو يحدثهم عن كتبهم وتاريخهم وأحوالهم لأنه عليه الصلاة والسلام يمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة أنبياء الله تعالى ورسله².

1 - سورة فصلت الآية 13

2- ينظر: أنواع الخطاب في القرآن الكريم، أبحاث قرآنية، بواسطة unknown، تاريخ الإضافة 2016/05/24 تاريخ التصفح 2021/03/21.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾¹.

فهو خطاب لبني إسرائيل صدقا وعدلا، لا يقبل الشك ولا الجدل إلا من أعمى الله تعالى بصيرته وظل عن سواء السبيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمِّدُوا بِهَا وَاسْتَفِيقْنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾².

3. الخطاب العقلائي:

وهو الخطاب الذي يعتمد على مخاطبه العقل بتوجيهه نحو ملكوت الله تعالى، وما أودع فيه من عظيم آياته وأسرار حكمته وبديع صنعه، في كتابيه المقروء والمشهود وكم أبدعت يد الخالق في هذا الكون الفسيح في السماوات وفي الأرض.

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾³.
إن كل هذه المخلوقات تدعو إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له، من خلال الخطابات الصامتة والمحركة لفكر الإنسان وعقله، فهي رسائل إلهية دعوية تظهر عبودية الكون لله تعالى وخضوعه بين يديه وتسليم الأمر إليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁴.
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾⁵.

وقد جاءت الآيات القرآنية بالدلائل والحجج بما يثبت صدق الرسالة وربانيتها، فعرضت من التشريعات والأحكام بما يتوافق مع الفطرة السليمة والعقل الصريح، "فصحيح النقل لا يتعارض مع صريح العقل"⁶.

1- سورة يوسف، الآية 111.

2- سورة النمل، الآية 14.

3- سورة يونس، الآية 101.

4- سورة فصلت، الآية 11.

5- سورة الشعراء، الآية 04.

6- ينظر: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ - 1997م، ج 7/ص 39.

وهذا ما أكدته علماء الإسلام وجاء به الخطاب القرآني في مواجهة أصحاب العقول، بما يقدمه من براهين وإثباتات يقيم بناء الحق والعدل، ويزيل بها كل شبهة ولا يترك مجالاً للشك لكل مغرض حاقِد أو مجادل معاند.

وقد ختمت كثير من الآيات القرآنية في مخاطبة العقل ومدحه وبما أودع الله تعالى فيه من تقدير وتمييز وفطنة، لمعرفة الأشياء وضبطها بميزان الشرع، وإحاطة العقل وهي من أعظم النعم التي أمتنّها الله تعالى على عباده وامتحنهم بها وخاطبهم من خلالها، فهو مناط التكليف ليحمّلهم أمانته تطبيقاً وتبليغاً¹.

4. الخطاب التشريعي:

إن الإسلام إيمان وعمل، كما أنه عقيدة وشرعية، فما من نبي إلا ودعا قومه إلى توحيد الله تعالى وتصحيح عقيدتهم، من كل ما علق بها من شرك وباطل، حتى إذا ثبتت العقيدة وعُمر القلب بالإيمان، وتهيئت النفس لاستقبال شريعة الله تعالى وأوامره وأحكامه، وبعد أن تعلقت القلوب بالله تعالى، ورضيت بدينه واستسلمت لسلطانه... بدأت أحكام الله تعالى تنزل على الفئة المؤمنة، لتنظيم شؤونهم وتصحيح عبادتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، وذلك من أجل إيجاد الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة والأمة المسلمة.

فكانت الفترة المكية تثبيتاً لقواعد الأمة في بناء عقيدتها وتقوية ركائزها، لأنها القاعدة الصلبة التي تحمل مشروع الأمة وبناء صرحها الخالد، من خلال الخطاب التشريعي الذي جاء يعالج الأمة في المدينة، حسب الوقائع والأحداث متدرجاً في تنفيذ إصلاحاته وتكوينه وتربيته للجيل الفريد، الذي حمل على عاتقه بناء أمة، وإنشاء حضارة عجز التاريخ عن حل مشكلاتها، واحتار فيها وفي مدة وجودها وقيامها وانتشارها وسيادتها وعظم قدرها، فقد غيرت وجه التاريخ، ومعلمة الإنسانية معنى الحياة وصدق التوجه وإخلاص العبادة لله رب العالمين. فأكمل الله تعالى الدين وأتم النعمة ورضي للبشرية دين الإسلام.

1- ينظر: أنواع الخطاب في القرآن الكريم، أبحاث قرآنية، بواسطة unknown، تاريخ الإضافة 2016/05/24، تاريخ التصفح 2021/03/21.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

5. الخطاب التوجيهي:

الخطاب الإلهي أمر توجيهي من الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، ومنهم إلى سائر خلقه لتبليغهم دينه وشرائعه، من أمر ونهي ترغيباً وترهيباً، ترغيباً في ما أعدّه لعباده من النعيم المقيم لمن أطاع واتبع هدايه، وترهيباً لمن عصاه واتبع هواه.

إن الخطاب التوجيهي دعوة إلى الخير، يرشد الله تعالى عباده ويوجههم إلى ما فيه صلاحهم وهدايتهم، في التزام شريعته التي جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، لمن تمسك بها وامتنل أمره، ويحذرهم لمن خالف أمره من الظلال والهلاك والخسران. وقد جمعت الآية الكريمة هذا التوجيه الإلهي

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾².

والمتتبع لآيات الكتاب يجد أن خطاب الله تعالى فيه الكثير من التوجيه لفعل الخير والعمل الصالح وتصحيح العقيدة وإخلاص العبادة وحسن التصرف ومعاملة الناس بالحسنى، كما يوجههم إلى الابتعاد عن محارم الله تعالى والمحافظة على حدوده والبعد عن الأذى وفعل الشر. ومن الخطاب التوجيهي ما هو خاص بأنبيائه ورسله، فيوجه الله تعالى خطابه لهم ليأمرهم وينهاهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِشَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾³ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁴³.

1- سورة المائدة، الآية 3.

2- سورة الأنعام، الآية 153.

3- سورة الحج، الآية 26-27.

4- ينظر: أنواع الخطاب في القرآن الكريم، أبحاث قرآنية، بواسطة unknown، تاريخ الإضافة 2016/05/24 تاريخ التصفح 2021/03/21.

وخاطب نوح في صناعه السفينة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ^١،

وخاطب موسى في توجيهه إلى فرعون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ^٢ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ بِتَذْكُرُوا وَيَخْشَىٰ﴾ ^٣،

وخاطب عيسى بن مريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ

تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ^٤،

وفي خطابه لحبيه محمد ﷺ

:قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ^٥.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ^٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^٧.

والقرآن كله خطابات توجيهية للأنبياء والرسل الكرام وغيرهم من الناس باختلاف توجيهاتهم

وأديانهم.

وفي خطابه التوجيهي إلى خواص الناس وعمومهم، فقد وعظهم وأرشدهم إلى توحيده وعبادته

وتقواه فقال في خطابه للمؤمنين:

1- سورة هود، الآية 37.

2- سورة طه، الآيتين 43-44.

3- سورة المائدة، الآية 110.

4- سورة المائدة، الآية 67.

5- سورة الأحزاب، الآية 01.

6- سورة الشعراء، الآية 214.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١﴾¹، لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك.²

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّكَ زَلَزَلَةَ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾³ .
قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١١﴾⁴ .
وكما يوجه خطابه للأفراد يوجهه إلى الجماعات والمجتمعات والأقوام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ۝٥﴾⁵، إلى آخر الآيات التي تحمل خطاباً توجيهياً إلى الوفاء بالعهد والإيمان والرهبة والتقوى، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها من الأعمال الصالحة.

وكل مواصفات الخطاب التي ذكرت في القرآن الكريم يمكن للداعية أن يستشف منها أسلوب الخطاب الذي يوجهه إلى الناس، بعد الاطلاع ومعرفة أوجه الخطاب حتى يكون على يقين ويّينة من أمره، وما تحمله هذه الخطابات من معان ومدلولات بيانية تمكنه من استخدامها في دعوته، وينتقي منها ما يتوافق وحال المخاطبين باختلاف أجناسهم وأحوالهم ومؤهلاتهم.

1- سورة النساء، الآية 136.

2- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، ج1/ص53.

3- سورة الحج، الآية 01.

4- سورة البقرة، الآية 21.

5- سورة البقرة، الآية 40.

المبحث الثاني: مرتكزات الخطاب الدعوي

المطلب الأول: فهم مقاصد الشريعة

المطلب الثاني: مراعاة آداب الاختلاف

المطلب الثالث: فقه الأولويات والموازنة

المبحث الثاني: مرتكزات الخطاب الدعوي

يعتمد الخطاب الدعوي الناجح على جملة الركائز الأساسية حتى يضمن تأثيره في أفراد الأمة بما يحمله من فقه شامل في دين الله تعالى وأدب يتعامل به وخطاب معتدل و متوازن يعالج الواقع ويستشرف المستقبل لتمكين دين الله تعالى في الأرض ونشر تعاليمه في الناس، وهذه المراكز بمثابة الإطار الشرعي للخطاب والمجال الذي يستوعب أبجديات الخطاب أو الحدود التي لا يتعداها أو المحطات التي تعصمه من الزلل، وهي المعالم التي توجهه وتهديه الى سواء السبيل. وللخطاب مرتكزات عدة من أبرزها:

المطلب الأول: فهم مقاصد الشريعة.

مقدمة في مقاصد الشريعة:

تعد مقاصد الشريعة الإسلامية المنهج الأساسي للفهم عن الله تعالى، وحكمته في فرائضه وأحكامه، وهو علم فتح الباب أمام مستجدات الحوادث ومتغيرات الأمور، فتنزل الأحكام على الوقائع بناء على مقاصدها ومآلاتها فيستخرج الحكم، وهذا شأن العلماء والفقهاء، وأما عموم الناس فعليهم التسليم والخضوع لأمر الله تعالى دون البحث عن علة الحكم، وقد لا تتحقق له معرفة كل الأشياء، فلا يربط عبوديته لله تعالى وخضوعه له بمعرفة علل الأحكام، وإنما واجبه الإذعان والخضوع والتسليم لما جاء من عند الله تعالى، كما مُدح أسلافهم من قبل.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾¹

والداعية وهو يخاطب الناس ويعرض عليهم تعاليم الإسلام ومبادئه فلا بد له أن يحسن الحديث عن بعض مقاصد الشريعة وأهدافها، وما يخدم دعوته في توضيح معالم الشريعة وتعاليمها، وهذا يمكنه من الحديث عن شمول الإسلام وعالميته وبقائه على مر الزمان، وتجاوبه مع مستجدات الحياة ومتغيرات الواقع، وهذا لا يكون له إلا بمعرفة مقاصد الشريعة وأبعادها ومقوماتها، ليكون على بصيرة من أمره، ولا تختلط عليه الأمور فيسيء للإسلام من حيث يريد نصرته والدفاع عنه.

التعريف اللغوي والاصطلاحي للمقاصد.

المقاصد لغة: " قصد، القصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصداً، فهو قاصد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾¹، أي على الله تعالى تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة. والقصد بمعنى العدل، والقصد إتيان الشيء، والقصد بين الإسراف والتقتير².

المقاصد اصطلاحاً: إن المقاصد عند علماء الإسلام قد يعبر عنها بمطلق المصلحة سواء كانت هذه المصلحة جلباً للمنفعة أو درءاً للمفسدة. يقول ابن القيم: "فإن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها"³. قال علال القاسمي عن المقاصد: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"⁴.

وقال أحمد الريسوني: إن مقاصد الشريعة: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"⁵.

وعرفها يوسف العالم بقوله: "هي المصالح التي تعود على العباد في دنياهم وأخراهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو عن طريق رفع المضار"⁶.

وعرفها محمد اليوبي بقوله: "هي المعاني والحكم ونحوها التي رعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد"⁷.

1- سورة النحل، الآية 9

2- لسان العرب، بن منظور، ج 3/ص 354

3 - إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ، ج4/ص 337

4- مقاصد الشريعة ومكارمها، علال القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط5، 1993م، ص7

5- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بأمريكا، 1416هـ، 1995م، ص19.

6- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1994م، ص79.

7- مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد اليوبي، دار الهجرة، ط1، 1998م، ص37.

ويقول الطاهر بن عاشور عن المقاصد بأنها " المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو بعضها بحيث لا يختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص في أحكام الشريعة " ¹.

يقول القرضاوي: " وأما مقاصد الشريعة فيراد بها الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والمباحث، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأُسراً وجماعات وأمة " ².

ويضيف أن فقه مقاصد الشريعة "هو الغرض من المعاني والأسرار والحكم التي يتضمنها النص وليس الجمود عند ظاهره ولفظه وإغفال ما وراء ذلك" ³.

أهمية فقه المقاصد:

لذا تبدو أهمية فقه المقاصد في الخطاب الدعوي بأن المسلم داعية بين قومه إلى الخير على قدر فهمه وعلمه، ولا بد من الكشف عن حقائق هذا الدين ومقاصده وغاياته وحكمه، ليتكشف لكل الناس بأن دين الله يقصد إلى تحقيق مصالحه، فيطالبه بتطبيق أحكامه والالتزام بتعاليمه، وكلما تعمق بمعرفة مقاصد الشريعة كلما كان طرحه ودعوته لهذا الدين مُرغِّباً ومشوقاً، ومُحذِّراً من الوقوع في المعاصي ومخالفة أوامر الشارع... فلا بد له من التسلح بمعرفة علم المقاصد دون تعقيد ليتحقق فيه صفة المسلم الداعية إلى الله على بصيرة وعلم. ⁴

إن ما شرع الله تعالى الدين إلا من أجل تحصيل المنافع ودرء المفاصد وهي مصالح كلها وتتضمن أسمى مقاصد شريعة الإسلام، فمنها ما هو ضروري وحاجي وتحسيني، لذلك تعد حفظ الضرورات الخمس التي عليها مدار أحكام الدين الأساسية من أصول وكليات وقواعد، والحديث في هذا الباب أعظم من أن ينحصر في أمثلة قليلة.

1- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور. ت. محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط1، 1999م، ص183، مختصراً.

2- دراسة في فقه مقاصد الشريعة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر-القاهرة، ط1، 1427هـ-2006م، ص20.

3- المرجع نفسه، ص15.

4- أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم، د. سميح عبد الوهاب الجندي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008م، ص104.

الفصل الأول الخطاب الدعوي المعاصر

إن حفظ الضرورات الخمسة من مقاصد الشريعة وتتمثل في¹:

- حفظ النفس: فتشريع القصاص هو المقصد لحفظ النفس من القتل والتلف والهلاك وحتى لا يتهاجر الناس ويختل نظام المصالح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝١٩﴾²، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾⁴.
- حفظ المال: هو المقصد من تحريم التعاملات الربوية وكل أبواب الفساد ووضع حدودا للسرقة والحراقة وغيرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ۝١٩﴾⁵.
- حفظ النسل: وهو المقصد من تحريم الزنا واللواط وكل مفسدات النسل وتضييعه ووضع الحدود حتى لا تختلط الأنساب وتهدم العلاقات وتنقطع الأرحام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٦﴾⁶.
- حفظ العقل: وهو المقصد من تحريم كل المسكرات والأنواع المخدرات التي تفسد العقل وتعطل عمله، وتؤدي به إلى مفساد عظيمة، فإن العقل مناط التكليف وآلة الفهم عن الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ۝١٧٩﴾⁷، فتتعطل بفعل مادي أو معنوي فلا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا.

1- ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، (ت: 1250هـ)، تح: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1419هـ- 1999م، ج2/ص129-130.

2- سورة الإسراء الآية 33

3- سورة النساء الآية 29

4- سورة البقرة الآية 179

5- سورة النساء الآية 29

6- سورة الإسراء الآية 32

7- سورة الأعراف الآية 179

"فحفظ الشريعة للعقل ليس منحصرًا في تحريم المسكرات والمعاقبة عليها، فكم من عقول ضائعة وهي لم تر ولم تعرف مسكرًا قط. ولكن أسكرها الجهل والخمول والتعطيل والتقليد"¹.

- حفظ الدين: ومن أجل حفظ الدين شرع قتال الكفار وحد الردّة وكل من يحارب الدين ويعطل أحكامه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْخَلْنَاهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُوا لِلدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾². والفتنة هي الشرك³.

ومن حفظ الدين حفظ لشعائره وإقامتها على ما شرعه الله تعالى، وجعل لكل شعيرة منه مقاصد أعقبها بعد الحديث عن العبادة:

- إقامة الصلاة: فمن مقاصدها التي ذكرتها الآية الكريمة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر قَالَ تَعَالَى:

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁴، فزيادة على أن الصلاة عبادة وطاعة وقرينة إلى الله تعالى، إلا أنها فيها ذكر الله تعالى أكبر وأعظم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والصحيح أن معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر"⁵.

- إيتاء الزكاة: فالزكاة فرض على الموسر وحق للمعسر، وعبادة وطاعة، فهي مطهرة للمال وتركبة للنفس، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁶.

1- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط2، 1412هـ-1992م، ص270.

2- سورة الأنفال الآية 39

3- ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/ص525

4- سورة العنكبوت الآية 45.

5- تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 هـ ص429.

6- سورة التوبة الآية 103.

- صوم رمضان: فمن مقاصد الصوم تقوى الله تعالى، بما فيه من تزكية النفس وتطهيرها من عوالق الحياة ومغرياتها، مع أنها عبادة لله تعالى واطاعة لأمره، وهو موجب لاتقاء المعاصي ودواعي النفس المادية والمعنوية، فهو وسيلة للارتقاء إلى الصفات الملائكية الروحانية بعيدا عن كدر المادة والركون إليها، فالصيام وقاية من الوقوع في المآثم ومن عذاب الله تعالى ومن العلل والأدواء النفسية والجسدية¹. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾².

- حج البيت: إن الحج هو قصد البيت لأداء المناسك، "إن اجتماع الناس من أقطار بعيدة فيه يحقق منافع دنيوية كثيرة لا تحققها المؤتمرات الحالية، وكذلك تحقق أعمال الحج منافع: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ دينية بالتجرد عن مظاهر الدنيا، والتقرب إلى الله تعالى، واتقاء محظوراته، والمبادرة إلى امتثال أمره، وتذكر أهوال المحشر بالتجرد والاجتماع، والوقوف بين يدي الله تعالى، فتشتد الخشية ويعظم الخوف، ويحظى الناس بالخير والسعادة، والراحة والطمأنينة. قال سعيد بن جبير: «من أتى هذا البيت يريد

شيئا للدنيا والآخرة، أصابه»³. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا ٱلْبَاسِ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾⁴.

إن شريعة الإسلام مصالح كلها، إما جلبا لمنفعة أو درءا لمفسدة، وكل أحكامها تخفي وراءها مقاصد حسنة، علمها الناس أو جهلها، ولا يتطلب في تعبدنا لله تعالى بها معرفتها أو البحث عنها، بقدر ما نقابلها بالخضوع والتسليم لله رب العالمين، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾⁵.

1- ينظر: التحرير والتنوير، لأبن عاشور، ج2/ص156

2- سورة البقرة الآية 183

3- التفسير المنير، للزحلي، ج7/ص71

4- سورة الحج الآية 27-28

5- سورة البقرة الآية 285

وتظهر أهمية المقاصد بالنسبة للداعية في ترتيبه سلّم الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، فيقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات، ويقدم الأصل على التابع، ويقدم مافيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة، ويحذّر الناس من الضرر الأكثر خطورة قبل تحذيره لهم من الضرر الأقل خطورة، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم من الفهم، والداعية كالطبيب لا بد له من معرفة المقاصد لأنها الدواء الذي يجب أن يقدمه في الوقت المناسب وفي الظرف المناسب ويسمى هذا بمصطلح العصر فقه الواقع.¹

ولقد انتبه إلى أهمية مراعاة المقاصد في مجال الدعوة إلى الله تعالى الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالى- فيرى " أن الداعية ينبغي عليه أن يكون كالرسول ﷺ الذي كان هجيراً² الإرشاد إلى التيسير دون التعسير، وإلى التبشير دون التنفير، وإلى الألفة واجتماع الأمر، وينفر عن الفرقة والاختلاف، لما في الألفة من الجلب للمصالح والدفع للمفاسد... كان من أنفع دعاة المسلمين، وأنجح الحاملين لحجج رب العالمين..."³

" فالداعية يجب أن يكشف للناس عن المقاصد والأهداف باستمرار، ليتم الإقناع بدين الله تعالى والترغيب في شريعته والتشويق إلى تكاليفها، والدعوة إلى أحكامه، والمطالبة بتطبيقها والتزامها، لأن الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها... وأن مهمة الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام كانت تهدف إلى تحقيق هذه المقاصد "⁴.

1- ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فيرجينيا، ط1، 1416هـ-1997م، ص9-30.

2- هجيره كذا: إذا ألع بذكره وهذى به هذيان المريض المهجر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، لبنان، د ط، د ت، ص537، وما زال هجيره: أي دأبه وشأنه وعاداته وديده: لسان العرب، ابن منظور، ج5/ص250 و254

3- طلب العلم وطبقات المتعلمين، محمد بن علي الشوكاني(ت: 1250هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص134-135

4- مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف احمد محمد البدوي، دار النفائس، الأردن، ط1، 1421هـ-2000م، ص104...

المطلب الثاني: مراعاة آداب الاختلاف:

إذا كان الاختلاف سنة كونية وطبيعة بشرية فطرية وشؤون واقعية، تتطلبها مسيرة الحياة للعيش على وجه هذه البسيطة، والقيام بالمهمة العظمى في هذا الوجود، وما يرتبط به من نسيج معقد لتعاملات مختلفة ومتراصة، لتحقيق التكامل الإنساني في أرقى صوره وأرفع مستواه، ومن أجل ذلك بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالحق، على منهج الله تعالى ووفق شريعته التي ارتضاها لهم بالقسط والعدل، فيحفظوا دينهم وشريعتهم وأخلاقهم وعلاقاتهم وتعاملاتهم الإنسانية حتى يأتي وعد الله تعالى، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾¹.

إن الالتزام بمنهج الله تعالى هو النظام المحكم الذي يسيّر البشرية ويعطي لكل ذي حق حقه، ويحفظ لهم كرامتهم وإنسانيتهم، رغم اختلاف طبائعهم وميولاتهم، فالأدب هو العاصم من الانزلاق والتشرذم والاختلاف، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، الذي يدعوا إلى التشتت والانشقاق والفرقة. "إن الله تعالى خلق الناس بعقول ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائلها، وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله تعالى، فإن اختلاف مداركنا وعقولنا وما تثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله تعالى كذلك ودليل من أدلة قدرته البالغة"². إن الاختلاف موضوع قديم متجدد لاستمرار الحاجة إليه بسبب استمرار الاختلاف ما استمرت الحياة، ولظهور أخطاء في التعامل معه ربما تجاوزت حدود الخطأ الفردي والتطبيقي، إلى أن تكون أخطاء منهجية مبنية على رؤية لا تحتمل الاختلاف الطبيعي غير الشرعي، ولأن بعض الاختلاف عجز الكثيرون عن تطبيقه في أرض الواقع، لكونها تحتاج تقنيا واضحا لتبيين المنهج العملي لتطبيقه وتحديد مرجعيته العلمية للمحافظة على مساره الصحيح³.

1- سورة الحديد الآية 25.

2- أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ص 24.

3- ينظر: تأصيل التعامل مع الاختلاف، الشريف حاتم بن عارف العوني، د ط، د ت، ص 2.

فالواجب على صاحب الخطاب الدعوي من دعاة وعلماء ومصلحين وأهل الفكر أن يراعوا آداب الاختلاف في مخاطبة الناس باختلاف مداركهم ومشاربهم وتنوع بيئاتهم، والصبر معهم وعليهم، ولا يتم الأمر ويستقيم إلا بالصبر وبه تكتسب المعالي وتبلغ الغايات، وهذا ما أوصى لقمان الحكيم في شأن الدعوة فقال الله تعالى على لسانه: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹، وقال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾².

"إن على صاحب العلم والدعوة أن يستبين قيمة ما يدعوا إليه فليس الحق حكراً على مسلك، والخلاف في الرأي لا يكون مصدر لحاجة أو غضب".³

إن وقوع الخلاف أمراً فطرياً مسلماً به في دنيا الناس، وهو سنة الله عز وجل في خلقه، فهم يختلفون في كل شيء، في ألوانهم وألستهم وطباعهم ومداركهم ومعارفهم وعقولهم وأشكالهم، وإن اجتمعت وتوحدت كلمتهم على طاعة الله تعالى وعبادته ونصرة دينه ﷻ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾⁴، إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ⁵، يقول الرازي: "والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".⁵

"إن الاختلاف الذي وقع في سلف الأمة - ولا يزال واقعا - جزء من هذه الظاهرة الطبيعية، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده بل أُلزمت آدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد".⁶

فقد اختلف الصحابة على عهد رسول الله ﷺ في كثير من القضايا، ولكنه كان اختلاف تنوع في وجهات الفهم وسعة أحكام الشريعة لمعان متعددة، وقد أقرّ النبي ﷺ ذلك ولم يعاتب أحد على

1- سورة لقمان الآية 17

2- سورة الكهف الآية 28

3- أدب الاختلاف، صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الإعلام، ط3، 1412هـ، ص5.

4- سورة هود، الآيتين 118، 119

5- المرجع نفسه، ص7-8.

6- أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ص24.

فهمه وما ذهب إليه، وإن كان لكل درجة في الأجر والثواب، كما تقول القاعدة في حديث رسول الله ﷺ، من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد¹، ولا يبرر الخلاف بحسن النية والعفوية في العمل والارتجال في التصرف.

ولما انتهت غزوة الأحزاب أراد النبي ﷺ أن يؤدب الخونة من يهود بني قريظة، فقال لصحابته رضوان الله تعالى عليهم، لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة²، وفي طريقهم إليهم أدركتهم صلاة العصر فصلى البعض، وفهموا من حديث رسول الله ﷺ التعجيل ولا يعني تأخير الصلاة عن وقتها، والتزم الآخرون بظاهر النص، ولما ذكر ذلك للنبي ﷺ لم يعنف واحد منهم، واعتبر الفريقين على صواب، فاختلفوا وتوحدوا في محاربة العدو وكانوا صفًا واحدًا لنصرة الإسلام.

"ولعل من الأمور المفيدة في حمل المسلمين على التمسك بآداب الاختلاف، معرفة المخاطر الهائلة والتحديات الخطيرة والخطط الماكرة التي يعدها أعداء الإسلام للقضاء على الطليعة المؤمنة، التي تحمل لواء هذه الدعوة، وليس في حساب الأعداء أبداً أن تفلت من يدها إن استطاعت فئة دون أخرى، فالمهم هو القضاء على العاملين للإسلام على اختلاف مذاهبهم وتباين وجهات نظرهم، وهذا يجعل إثارة أي اختلاف بين المسلمين أو تنمية أسبابه أو تجاوز آدابه خيانة عظمى لأهداف الأمة، وجريمة كبرى في حقها لا يمكن تبريرها أو الاعتذار عنها بحال"³.

إن الاختلاف أمر واقعي، فالواجب التعامل معه بأدب، والجنوح عنه في كثير من المواطن والمواقف، وتقريب وجهات النظر من فنون ومهارة صاحب الخطاب ورسوخ قدمه وخبرته في الدعوة لبيتعد عن القضايا الخلافية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

1- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ »، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح6919، ج6/ص2676، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ح4584، ج11/ص395.

عن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحد منهم. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ح3893، ج4/ص1510.

3- المرجع السابق، 165-166

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) ¹.

ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الاختلاف والفرقة في كتابه الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ².

وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الاختلاف وكشف عن عواقبه الوخيمة وآثاره الجسيمة في الأفراد والجماعات، فقال: «... لَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ...» ³.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» ⁴، ومهما كانت الاختلافات بين الدعاة والعلماء والمصلحين فالواجب أن يكون اختلاف تنوع وثرء ولا اختلاف تضاد وعداء.

"فالقضايا الخلافية التي لا يجوز أن تفرقنا، هي تلك التي اعترف بها كرام العلماء من أئمة السلف، وتعاملوا معها من خلال آداب خاصة، وكان لديهم من الأدلة ما يجيز أكثر من وجه" ⁵.
و" لذلك فإن الإسلام يتسع لتلك الاختلافات كلها، طالما هي لا تهدد وحدة الأمة، فيكفي أن تتفق الآراء والتصورات في القضايا الكبرى والقواعد الأساسية، أما الأمور الفرعية التي يساعد اختلاف الرأي فيها على الجروح نحو الأفضل والأمثل فلا ضير فيه، على أن يكون لهذا الاختلاف ضوابطه وقواعده وآدابه" ⁶.

"والحق أن الاختلاف في ذاته ليس خطراً، وخصوصاً في مسائل الفروع وبعض الأصول غير الأساسية، إنما الخطر في التفرق والتعادي، الذي حذر الله تعالى ورسوله منه... لهذا كانت الصحوة

1- سورة الأنعام، الآية 159

2- سورة آل عمران، الآية 105

3- صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقدم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام، ص 654، ج 2/ص 425.

4- صحيح البخاري، كتاب الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ح 2279، ج 2/ص 849.

5- المرجع السابق، ص 163

6- أدب الاختلاف، عقيل بن محمد المقطري، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1414هـ، 1993م، ص 7

الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها في حاجة إلى وعي عميق مما نسميه بـ (فقه الاختلاف)¹.

" أما اختلاف التنوع فضروري ومطلوب لطبيعة البشر واختلاف لغاتهم وأفهامهم، وما تحمله اللغة من معاني وتفسيرات، ثم إن هذا الاختلاف إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وتنوع دائما مصدر إثراء وخصوبة وهو آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وبديع حكمته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُورُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾² 3.

إن هذا الاختلاف سنّة إلهية كونية وخلقية مست كل الخلائق في الجمادات والأحياء، فلا يوجد تشابه تام بحال، "فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة... وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله تعالى مختلفون متفاوتون"⁴، وهذه دلالة على قدرة الله تعالى النافذة في خلقه، وهي سنّة الاختلاف، فكيف يراد للداعية أن يجمعهم على رأي واحد، وفكرة واحدة وفهم واحد؟!.

وقد أنعم الله تعالى على عباده في أحكام شريعته، وما يتعلق بالفروع وما تتميز به من مرونة في فهم مدلول الآيات إلى معان متعددة لتحتمل أحكاما مختلفة، ولتسع طبائع الناس ومشاربهم مع تطور الحياة ومستجدات الواقع المتسارعة عبر مراحل الزمن.

1- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ليوسف القرضاوي، دار الشروق مصر، ط1، 1421هـ-2001م، ص6.

2- سورة الروم، الآية 22

3- المرجع السابق، ص46.

4- ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج3/ص479

وقد بيّن الحديث الشريف¹، " أن أسباب الاختلاف هو أن الأشياء المسكوت عنها تكون عادة من أسباب الاختلاف، لأنها تكون منطقة الفراغ التشريعي، يحاول كل فقيه أن يملأها وفقاً لأصوله، واتجاه مدرسته فواحد يتجه إلى القياس، وآخر إلى الاستحسان وآخر إلى الاستصلاح ورابع إلى العرف وغيره إلى البراءة الأصلية وهكذا... فalsكوت عن الحكم القصد منه التوسعة والتيسير على هذه الأمة وذلك يتمثل في أمرين:

1- ترك النص على بعض الأحكام أو (السكوت عنها) بتعبير الحديث الشريف وترك ذلك للعقول المسلمة لتجتهد في فهمه في ضوء النصوص على حكمه.

2- صياغة ما نص عليه من أحكام - في غالب الأمر - صياغة مرنة بحيث تتسع لتعدد الأفهام وتنوع الآراء والاجتهادات"².

" فهذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يرى بما أوتي من علم وبصيرة في اختلاف الصحابة سعة ورحمة، فيقول: ما يَسُرُّ في أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة"³.

فالقرآن الكريم نزل على أمة برعت في فنون لسانها وتعدد أوجه فهمها وبيانها، فكان المعجزة العظمى والى يوم القيامة، فالكلمة في القرآن الكريم الذي نزل بلسان العرب تحمل معان جمة، وسياقات متعددة، ولذلك كان اختلافهم رحمة للأمة وسعة في فهم النص الشرعي، وقد أقر النبي ﷺ في حضرته وعندما يخبر بذلك ولا يعنف أحد إذا كان النص يحتمل المعنى.

وهذا" يعني باختلافهم أتاحوا لنا فرصة الاختيار من أقوالهم واجتهاداتهم، كما أنهم سنّوا لنا سنّة الاختلاف في القضايا الاجتهادية وظلّوا معها إخوة متحابين"⁴.

1- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ لَكُمْ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رِئْكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِنْهُ لَكُمْ فَأَقْبَلُوهَا وَلَا تَبْخَثُوا فِيهَا»، المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الأُطعمة، ج7114، ج4/ص129، سكت عنه الذهبي في التلخيص.

2- الصحوة الإسلامية من الاختلاف المشروع والتفرق والمذموم، يوسف القرضاوي، ص50.

3- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، 1391هـ-1972م، ج1/ص209.

4- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، يوسف القرضاوي، ص53.

" ولعل من أخطر ما أصيبت به الأمة الإسلامية من أمراض هو داء (اختلاف التضاد المذموم) المستفحل المتفشي الذي شمل كثير من الحقول الدعوية والمؤسسات الخيرية في كل مصر وكل مجتمع ضمّ في دائرته البغيضة النكدة الفكر والعقيدة والتصور والرأي... وغيرها مما يوقع في حمأة الاختلاف فيتولد عنه التدابير والتنازع والتناحر، وضياع الجهود وفشلها، وذهاب الريح"¹.

" إن الإسلام ما أكدّ على شيء مثل تأكيده على "كلمة التوحيد" و"توحيد الكلمة"، فالأولى تدعو إلى الإيمان بالله تعالى إيمانا نقيًا خاليا من كل شائبة، والثانية انعكاسا من عمل تام للأولى، فمن ربهم واحد ونبيّهم واحد وكتابتهم واحد وقبلتهم واحدة وسبب خلقهم ومعاشهم واحد لا بد بالضرورة أن تكون كلمتهم واحدة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾²، ولكن المسلمين - للأسف - اخلّوا بكلمة التوحيد وزهدوا بتوحيد الكلمة"³.

إن الأمة التي غفلت عن مقاصد دينها واختلط عليها الأمر لضعفها وجهلها، وتركت دينها، ولم تستق من نبعه الصافي، وتستظل تحت ظلاله الوارفة، وتهتدي بأنواره المشرقة، عصفت بها رياح الأهواء والشهوات والشبهات، ما أتت على شيء من أمر دينها ودنياها إلا أضاعته وأهملته، وبُتّ فيها داء الاختلاف لأتفه الأسباب، ينخر كيائها ويزلزل بنيانها، فيخر عليهم السقف من فوقهم فتنهار أمتهم، فتصير ألعوبة في يد الأعداء.

" إن مشكلتنا التي نعاني منها اليوم هي ضعف فهمنا لمرامي ما نعلم، وقصور إدراكنا لغاياته ومقاصده، كما أننا افتقدنا الموجه الصحيح والمؤشر الضروري الذي يمنحنا السلامة ويكسبنا الصواب في الاستفادة من هذا العلم وتلك المعرفة، لقد اكتسبنا المعرفة وافتقدنا خُلُقَهَا، وامتلكنا الوسيلة وضعينا الهدف والغاية، وما أكثر ما فوتت علينا خلافتنا حول مندوب أو مباح أمرا مفروضا أو واجبا أو غاية عظمى، لقد أتقنا فن المبارزة والمحااجة والخلاف وافتقدنا آدابه وأخلاقياته، فكان أن

1- ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، لطفه جابر العلواني، ص8.

2- سورة الأنبياء، الآية 92

3- المرجع نفسه، ص8، 9

سقطنا فريسة سهلة للتآكل الداخلي، والتنازع والتناحر الذي أورثنا معيشة ضنكا، وحياة فاشلة، وانتهى بنا الحال إلى الفشل وذهاب الريح مصداقا لقوله تعالى:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹ " 2.

فليحذر الداعية وصاحب الخطاب من مخاطر هذا الداء ويعي آثاره المهلكة والتي تفرق الوحدة وتشتت الجماعة، وتهدد أركان الأمة، وهذا ما عناه هارون بن عمران حين عاتبه أخوه موسى عليهما السلام في قومه، وما حلّ بهم من الضلال ولم يحاربهم حتى لا يتفرقوا ويذهب ريحهم،

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾³،

وأنه خشي إن هو عاجل الأمر بالحزم في فساد عقيدتهم واتخاذهم العجل، أن تتفرق أمة بني إسرائيل شيعة⁴، ويكون بذلك قد خالف أوامر موسى عليه السلام الذي أوصاه أن يخلفه بالإصلاح ويتمسك به:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁵ (١٤٢)، " فمثل هذا الخطاب للنبي يراد به الأمر بالدوام والمتابعة، واستمرار تجنب الفساد⁶، وأن لا يُحدث فيهم أمرا مدة غياب أخيه عند ميقات ربه ﷻ.

" ولقد قصّ الله سبحانه وتعالى علينا تاريخ الأمم السابقة وما حدث بهم من السنن الإلهية للعبارة والحذر، فبيّن كيفية نخوض الأمم وبناء الحضارات، وجلّى لنا أسباب التدهور والانحطاط، وحذرنا من السقوط في علّة التفرق وداء الخلاف وزلقات التحزّب الضيق.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَانْقَرُّوا أَعْيُنُهُمْ وَالْفُلُوكُ جَوَّافَةٌ لَا تُرْمَى وَلَا تُسْأَلُ وَلَا تُكَلِّمُ وَلَهُ غُوبٌ مُّضَوَّنٌ﴾⁷ (٢١) مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾⁸ (٢٢). وذلك أن أهل الكتاب لم يؤتوا من

1- سورة الأنفال، الآية 46

2- المرجع السابق، ص 9، 10.

3- سورة طه، الآية 94

4- ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط 32، 1423هـ-2003م، ص 2348.

5- سورة الأعراف الآية 142

6- التفسير المنير، للزحيلي، ج 29/ص 220

7- سورة الروم، الآيتين 31، 32

قلّة علم، وضآلة معرفة وإنما كان هلاكهم لأنهم استخدموا ذلك العلم وتلك المعرفة للبغي بينهم

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

أَلْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّيْتُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ 1 2.

إن أزمنا أزمة فكر ومشكلتنا في جدية الانتماء، والأمة المسلمة عندما سلّم لها عالم أفكارها وكانت المشروعية العليا الأساسية في حياتها للكتاب والسنة، استطاعت أن تحمل الرسالة وتقيم حضارة على الرغم من شظف العيش وقسوة الظروف المادية...

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ 3،

ذلك أن حضور البعد الإيماني وتحقيق الفهم السليم هو الضمان الحقيقي لشرعية علاقتنا والملاذ الأخير لتصفية خلافاتنا ونزع أغلال قلوبنا. 4

إن أسباب الاختلاف في أمة الإجابة كغيرها في أمة الدعوة، ومن بيئة إلى أخرى ومن زمن إلى زمن ومن مجتمع لآخر. فيقع الخلاف بين العاملين في حقل الدعوة بسبب إعجاب كل ذي رأي برأيه والتعصب له، وسوء الظن بالآخرين رغم تحذير القرآن الكريم من ذلك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا

أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ 5.

وقوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ...» 6.

1- سورة آل عمران، الآية 19

2- أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر العلواني، ص 10.

3- سورة الأنفال، الآية 46

4- ينظر: المرجع السابق، ص 18-24

5- سورة الحجرات، الآية 12

6- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تحسسوا.."،

ح 5719، ج 5/ ص 2253

واعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن السبب الحقيقي لداء الاختلاف يرجع إلى الجهل والظلم، وهما أساس الشر في طبيعة البشر، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾¹، فجهل بأسس الدين ومقوماته، وظلم وتسلب واعتداء على الغير بالرأي والفكر والمعاملة، يكرسان عوامل الاختلاف والتفرقة في الأمة، وللخروج من هذا الوضع، على أن يعمل العلماء والدعاة والمؤسسات الدعوية على تثبيت قواعد العلم والعدل، فعليهما تستقيم الحياة ويصلح المجتمع، وهما أساس الحكم في المجتمعات البشرية².

وقد يضيق صدر الداعية بسبب اختلافه مع إخوانه خلال معالجته للأعمال الدعوية تخطيطاً وتحضيراً وتنفيذاً، علماً أن ساحة الدين وفروع الشريعة تسع الجميع في تيسير ورفق، وحكمٌ يحتمل تعدد الآراء والمعاني في الفهم، وقد اختلفوا من هم أعرف بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ في الزمن الأول ورسول الله ﷺ بين أظهرهم وفي مجلسه وبين ناظره، واختلفوا والقرآن الكريم ينزل ولم يعاتبهم لمشروعية اختلاف التنوع بين الصحابة الكرام، وكذلك سار على دربهم واقتفى أثرهم من جيل التابعين ومن خلفهم.

لقد كانت سنة الاختلاف ظاهرة صحية تسع الجميع، إذا كان اختلاف تنوع وثراء، وليست مرضية فيكون اختلاف تضاد وعداء، فتضيق به الصدور وتنفّر منه النفوس وتتفرق به الجماعات، وظلّوا مع ذلك إخواناً متحابين متآلفين، فهم يدّ واحدة على من سواهم، في نصرة دينهم وحماية مقدساتهم وبناء حضارة عمّ نورها كل مكان، ولم تحمل صدورهم حقداً ولا حسداً ولا سوء ظن على أحد منهم، وبهذا الخلق الرفيع فتح الله تعالى على أيديهم أفاق الدنيا، وعلموا البشرية أدب الحياة. والأمر الخطير أن يكون سبب الخلاف هو استجابة ضعفاء القوم لخطط الأعداء في تدبير المكائد والمؤامرات، التي تحاك ضد أبناء الأمة والعاملين في حقل الدعوة، لزرع الفتن وإذكاء فتيل نار الشهوة والهوى والشبهات، من أجل بث روح الهزيمة في نفوسهم والعجز والوهن، فتتشب بينهم معارك هامشية، تأتي على الأخضر واليابس، وتشغلهم عن نصرة هذا الدين ونشره في العالمين.

1- سورة الأحزاب الآية 72

2- ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تح: عبد الرحمن محمد بن قاسم، ج3/ص373.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ ¹
والسياق يدل على أن المعنى يردّوكم بعد وحدتكم متفرّقين، وبعد أخوتكم متعادين.²

" ومن بين الآداب التي يجب مراعاتها عند حدوث الاختلاف، حتى يتم التحكم فيه والتقليل من آثاره وتفويت الفرصة على الأعداء، وتفشيل مخططاتهم وتأمين نشاطات العاملين للإسلام، فلا بد لهم من إخلاص العمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته في الوصول إلى الحق بإخلاص وصدق، دون الانتصار للنفس أو لشيئته أو منصبه أو حزبه، وهذا ما تعاني منه الحركات الإسلامية اليوم.³
ومن أجل نجاح العمل الدعوي وتوحيد الكلمة ورص الصفوف " لابد من تحاشي الخلاف وسد منافذه والقضاء على آثاره ومخلفاته من خلال حسن الظن بالمخالف وتغليب جانب الأخوة في الله تعالى على كل اعتبار، وحمل كلام المخالف على أنه صواب، والتماس له الأعذار ومقابلته برحابة الصدر، وقبول الانتقاد والالتزام بآداب الإسلام، ورد الأمر المختلف فيه إلى الكتاب والسنة وقبول الحكم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ⁴
فالداعية حريص على توحيد الكلمة ولم الصفوف ونبد الخلاف، للمحافظة على جهود العاملين في حقل الدعوة، لتحقيق أهداف الإسلام وتثبيت قواعده.

المطلب الثالث: فقه الأولويات والموازنة.

يعتبر فقه الأولويات والموازنة من المرتكزات الأساسية في العمل الدعوي، وأحكام الشريعة عند التعارض والتزاحم فيقدم أيهما أولى بالتقديم لتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

1- سورة آل عمران، الآية 100

2- الصحوة الإسلامية من المرافقة إلى الرشد، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر، ط1، 2008م، ص340.

3- أدب الاختلاف، عقيل بن محمد المقطري، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1414هـ-1999م، ص48-49.

4- سورة النساء، الآية 83

5- المرجع نفسه، ص49-50.

1. فقه الأولويات

تعريف فقه الأولويات لغة واصطلاحاً:

لغة: الفقه: يقصد بها العلم بالشيء والفهم له، والفقه كذلك الحذق والفتنة.¹

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٣٢) ². أي ليتعلموا.³

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾ (٩١) ⁴. أي ما نفهم.⁵

وقال رسول الله ﷺ في دعائه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللَّهُمَّ فَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»⁶

الأولويات: أولى: جاء في المعاجم أن كلمة "أولى" تفيد معنى: أحق وأجدر وأحرى وتأتي بمعنى أدنى وأقرب.⁷

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُنَّ أُمَّهُنَّ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٦) ⁸.

1- ينظر: لسان العرب، ج13/ص522.

2- سورة التوبة، الآية 122

3- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ت، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، 1999ص ج4/ص206.

4- سورة هود، الآية 91

5- الجامع لأحكام القرآن العظيم، القرطبي، ت، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض السعودية، 1423هـ، 2003م، ج9/ص31.

6- مسند أحمد، ح2397، ج4/ص225. قال المحقق -شعيب الأرناؤوط وآخرون-: إسناده قوي على شرط مسلم.

7- ينظر: لسان العرب، لأبن منظور، ج15/ص407 وتاج العروس من جواهر القاموس، ج20/ص314.

8- سورة الأحزاب، الآية 6

يقول رسول الله ﷺ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»¹ أي لأقرب رجل في النسب²، من الميراث.

فقه الأولويات اصطلاحاً: هو "العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها".³
"إن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتاً بليغاً، وليست كلها في رتبة واحدة".⁴

وهذا مبين في كثير من موضع في كتاب الله تعالى حيث يقول:

﴿وَمَا كَانُوا لِيُفْرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾⁵

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾⁶

كما ورد في صحيح السنة المطهرة توضيحاً شافياً لمراتب الأعمال وأولوياتها، في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق... وفي الدعوة وفي مجالات الحياة المختلفة.

وفي وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن لدليل على التدرج في الدعوة وأولوياتها، حيث أوصاه قائلاً: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ

1- صحيح البخاري، كتاب الفرائض باب ميراث الولد من أبيه وأمه، ح 6351، ج 6/ص 2476.

2- متن عمدة الأحكام، تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي الجماعيلي الحنبلي، (ت: 600هـ)، تح: عادل بن حسن نصار، غزة، فلسطين، د ط، د ت، ص 98.

3- فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي أمريكا، ط 1، 1416هـ، 1997م، ص 16.

4- في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1416هـ-1996م، ص 9.

5- سورة التوبة، الآية 122.

6- سورة البقرة، الآية 217.

خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَتَّخِذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ...»¹

وقوله عيه الصلاة والسلام: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»²

" وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين كل الحرص على أن يعرفوا الأولى من الأعمال ليتقربوا إلى الله تعالى بها، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى "3.

" وفي الجانب المقابل وضعت معايير لبيان الأعمال السيئة، وتفاوتت دركاتها عند الله تعالى، من كبائر وصغائر وشبهات ومكروهات "4، والسنة المطهرة قد أوضحت ذلك من خلال أحاديث رسول الله ﷺ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلَاثًا - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ »⁵، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَقَاتِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ « الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ »⁶، والأحاديث في هذا كثيرة.

أ- ضوابط الأولويات في حالة التدرج الدعوي:⁷

1- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ح1425، ج2/ص544.

2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ح162، ج1/ص187.

3- في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ص10.

4- المرجع نفسه، ص12.

5- صحيح البخاري، كتاب استنباه المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، ح6521، ج6/ص2535.

6- صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات، ح6465، ج6/ص2515.

7- ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص141-183.

يتطلب العمل الدعوي تخطيطاً محكماً ومنهجية شاملة وعملاً منظماً، حتى يتمكن العاملون في حقل الدعوة من تحقيق مقاصد الدعوة وأهدافها في خدمة هذا الدين العظيم، وإرساء قواعده والوصول بركب الدعوة الى بر الأمان، وهذا يتطلب عملاً جاداً في ضبط أولويات العمل الدعوي وفق واقع المجتمع وسنن التغيير، حينها تصل الدعوة الى أسمى غاياتها في إعطاء الصورة الحسنة للإسلام في واقع عملي متوازن معتدل تكشف عن حقيقة هذا الدين وسماحة أخلاقه ومعاملاته وأحكامه.

" إن العمل من أجل التمكين لدين الله تعالى لا بد أن يتم خطوة خطوة، إذ لا يمكن فعل كل شيء دفعة واحدة... وهذه الخطوات التي على العمل الإسلامي أن يقطعها، تقتضي تخطيطاً مدروساً، ينجزه منظراً العمل الإسلامي ويسهرون على تنفيذه، لتحقيق أعظم الإنجازات والأهداف، وبدونه يظل العمل الإسلامي مبعثراً تُبدد فيه الجهود ولا يُستثمر فيه الزمن الاستثمار الكامل"¹.

ومن أجل القيام بالنشاطات الدعوية ضمن فقه الأولويات في مجال التخطيط والتنفيذ للعمل الإسلامي فلا بد أن ينضبط بشروط تكسبه سلامة الاختيار ودقة الترجيح وتحقيق الأهداف والغايات نذكر منها:

-الفقه بمراتب الأحكام الشرعية:

إن تصدّر الدعاة للعمل في حقل الدعوة دون اكتساب مهارات عالية في فقه الأولويات ومراتب الأعمال، وكيفية ترتيبها وفق الأحكام الشرعية، وإنزالها في أرض الواقع وتحقيق مقاصدها، يُعرض الجماعة والعمل الدعوي إلى إنزلاقات خطيرة، فتأتي على ما قد بناه الرجال لعقود من الزمن فتجعله هباءً منثوراً، فتعطل عملها وتمح مكاسبها وتُفشل مشاريعها وتُفقد الثقة من أتباعها قبل محبّيها وأنصارها، وتعود بحركة الدعوة سنين إلى الوراء.

" إن عدم فقه الداعية بأولويات الدعوة قد يوقعه في الخطأ، كما يحدث من بعض المنتسبين للدعوة في تهوينهم للأمر العظيم، وتعظيمهم للأمر الحقيق، وتقديمهم للمفضول مع وجود الفاضل

1- ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص142

وإغراقهم في الجزئيات الفرعية مع غفلتهم عن الأصول الكلية، مما قد يؤثر سلباً على الدعوة إلى الله تعالى¹.

فالداعية جدير بأن يعلم " أن الأحكام الشرعية مراتب، فيها الأعلى والأدنى والقطعي والظني والراجح والمرجوح والفاضل والمفضول... ثم إن المقاصد التي تقوم عليها هذه التكاليف درجات كذلك، فيها الضروري وغير الضروري والأصل والمكمل والخاص والعام، وهكذا فعلى صاحب الخطاب أن يكون على علم بهذه المراتب ويحترمها، ويضع كل عمل في رتبته ويعطيه وزنه وقيمته التي أعطاها الشرع له، وكل جهل بمراتب هذه الأعمال يؤدي إلى اختلال توازنها عند تطبيقها واضطراب سلم أولوياتها، وربما ينجم عن هذا الاختلال مفسد"².

-الفقه في الواقع الذي يستهدفه العالم الإسلامي:

إن معرفة الواقع الذي يعيشه المجتمع ويراد تغييره أمر في غاية الأهمية ليكون صرح البناء على أسس متينة موثوقة الثبات، لهذا كانت دعوة النبي ﷺ تسير على خطا ثابتة من العلم والمعرفة بما كان عليه المجتمع الجاهلي حينها. فقد بقي رسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة وهو يدعو إلى التوحيد ويطوف بالكعبة المشرفة وتحوي بداخلها ومن حولها ثلاث مائة وستون صنماً، ولم تمد يده الشريعة إلى واحد منهم ولم يأمر به أن يزال ولو أراد لفعل، ولكن الحكمة اقتضت ذلك، وقد عايش رسول الله ﷺ عشرات المنافقين مع علمه بما يكيدون للإسلام وتثيبتهم لضعفاء الإيمان في الغزو وتخذيبتهم وتوهين عزائمهم، وإثارة الفتن وإذكاء نار الحرب بين الصحابة كلما سنحت لهم الفرصة، وما حملته الجاهلية من عداوات، ولم يأمر ﷺ بقتلهم ولا محاسبتهم تفادياً للإساءة التي يمكن أن تلحق بالإسلام.

وما حديث عائشة رضي الله عنها لدليل على إطلاعه ﷺ ومعرفته بنفوس الناس، وتعلق قلوبهم بالكعبة الشريفة، وحديث عهدهم بالكفر وعدم تمكّن الإسلام من قلوبهم، فامتنع عليه الصلاة والسلام من بنائها على أسس إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فقال رسول الله

1- فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، الجوهرة بنت صالح الطريقي، بحث مقدم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، السنة الجامعية 1433هـ، ص66.

2- فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص143.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجُ مِنْهُ وَالزَّقْتُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ».¹

فهذه معرفة بواقع المجتمع، وخبرة بطبائع الناس ومعتقداتهم، وإحاطة بما يؤول إليه الأمر من بعد، ولا زال الزمن كفيل بحلّ كثير من المشكلات العالقة لمخلفات الجاهلية، وقد ظهرت حكمته ﷺ وصدق رؤيته زمن حُكم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على مكة، ولما بنى الكعبة كما أشارت إليه حالته عائشة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما أم المؤمنين، فهدمها الحجاج ثم أعيد بناؤها كما كانت من قبل...².

إن فقه الواقع والظرف الذي يعيش فيه الداعية المسلم أمر ضروري، وكل جهل به يُوقع في أخطاء قد تكون جسيمة، فلا بد من دراسة الإمكانيات الذاتية والمادية والبشرية والتقدير الواعي لقوات الخصم، كما أنه لا بد من المعرفة الدقيقة للبيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيش فيها الداعية، فدراسة الواقع بمفهومه الواسع وفهمه هو السبيل لحسن تطبيق نظام الأولويات، وكلما كان هذا الفهم أعمق، كلما كان تحديد سلّم الأولويات أسلم وأصلح، لأن تنفيذ الأحكام الشرعية محكوم بالواقع من جهة وبظروف الأشخاص من جهة أخرى.³

ب- دور فقه الأولويات

لفقه الأولويات دور مهم في ترتيب الأحكام بمقاييس شرعية والأخذ بما هو أولى في تطبيقها في حياة المجتمع المسلم وهذا عين الشريعة وحقيقة مقاصدها في جلب المصالح ودرء المفاسد. إن غياب فقه الأولويات في أجدديات العمل الإسلامي يعد من المعوقات الرئيسة للدعوة، وأحد التحديات التي تواجه مسيرتها وتعزل تقدمها نحو تحقيق أهدافها، ويرجع غياب هذا الأمر إلى ضعف البصيرة بالدين وبالواقع والحياة، فرمما تجد من الدعاة من يندفع فيخبط خبط عشواء، فيقدم ماحقه

1- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها ح 1509، ج 2/ص 574، مع تعليق مصطفى ديب البغا.

2- ينظر: السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، دط، 1395هـ - 1976م، ج 4/ص 310، والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، (ت: 1044هـ)، دار المعرفة، بيروت، دط، 1400هـ، ج 1/ص 290.

3- ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص 174-175.

التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، ويهتم بالفروع ويهمل الأصول ويكبر الأمر الصغير ويهون من الأمر الكبير¹.

والم تأمل في السيرة النبوية والمتمعن في أحداثها، يجد فيها من النماذج ما يدل على أهمية وضرة احترام سلم الأولويات، سواء في مواجهة التحديات التي تعترض مسيرة الدعوة، أو فيما يتعلق بحياة المسلمين أنفسهم.

فكانت أولوية الدعوة في مكة تهتم ببناء الإنسان عقائدياً، وتربية الجيل المؤمن على مكارم الأخلاق، وإعداده لحمل أعباء الدعوة في مستقبل أيامها، ولم يُشرع للمسلمين في هذا العهد، أن يحملوا معاولهم ويحطموا الأصنام التي كانت تحيط بالكعبة، وقد بلغت ثلاث مائة وستون صنماً، فالحكمة تقتضي (إزالة الأوثان من العقول قبل إزالتها من أرض الواقع).²

ومراعاة لهذا البعد فإن الرسول ﷺ أعطى الأولوية في صلح الحديبية إلى إتمام الاتفاق بدل التمسك بالصيغة الشكلية للوثيقة، لما رأى في ذلك من مصلحة أكيدة للدعوة.³

وفي غزوة حنين خصّ النبي ﷺ المؤلف قلوبهم من أهل مكة بمزيد من الغنائم، لقرب عهدهم بالإسلام، ووكل أهل الإيمان إلى ما في قلوبهم من الغنى والخير، وفي هذا مراعاة للأولويات وتقديم الأمر الأهم أو المهم.⁴

وتبقى هذه النماذج وغيرها، شاهدة على أهمية مبدأ التدرج في تنفيذ أولويات العمل الإسلامي، باعتباره أحد المعالم البارزة التي ميزت منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، والمنهج الأسلم في مواجهة التحديات وعلاج المشكلات بما يحقق المكاسب العظيمة للدعوة، وعلى الدعاة الذين يسعون إلى

1- ينظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، د ط، 1410هـ-1990م، ص36.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 39-40.

3- ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على الصلابي، دار ابن كثير، 1430هـ-2009م، دمشق، سوريا، ج2/ص299-305.

4- ينظر: منهج النبي ﷺ في الدعوة (من خلال السيرة الصحيحة)، محمد أمخزون، دار السلام، مصر، ط5، 1431هـ-2010م، ص 218-219.

استئناف الحياة الإسلامية وإقامتها في الأرض، أن يراعوا سنة التدرج في أولويات الدعوة لتحقيق أهدافهم آخذين في الاعتبار سمو الهدف وحجم الإمكانيات وكثرة المعوقات.¹

وإذا كانت سنة الله تعالى قد جرت في كل شؤون الحياة، حتى امتدت إلى التشريع الإلهي، لما عليه النفس البشرية من تمسك بعقائد فاسدة وعبادات ضالة وعادات جاهلية مقيتة، ليس من السهل الجنوح عنها وترك ما وجدوا آباءهم عليه من الضلال والكفر... وإذا كان التدرج في التشريع علاجاً تربوياً قد انتهى أمره بعد اكتمال الشريعة واستقرارها، فإن التدرج في الدعوة لم ينته بعد، إذ الحكمة التي تطلبت التدرج أول مرة يمكن أن تظهر مرة أخرى عندما تظهر دواعيها ومقتضياتها.²

2. فقه الموازنات:

إن فقه الموازنات من بين الركائز الأساسية في شريعة الإسلام لحماية تطبيق أحكام الله تعالى وتنزيلها في أرض الواقع والذي يتطلب دقة في معرفة مراتب المصالح والمفاسد وتنزيل الأحكام عليها وفق كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

الموازنة لغة: بمعنى المعادلة والمقابلة والمحاذاة. يقال وزنه أي بمعنى عادله وقابله وحاذاه³، والجمع موازنات، والوزن وهو معرفة قدر الشيء... والموازنة والتقدير.⁴

اصطلاحاً: تعارض المصطلحين وترجيح إحداهما⁵، أو ترجيح خير الخيرين وشر الشرين وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناها... ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناها.⁶

وقيل هو "العلم بالدلائل والأسس التي تضبط النظر في الترجيح بين المصالح والمفاسد - في ذاتها أو مع بعضها - عند التعارض ليتبين منها ويقدم في الحكم".⁷

1- بنظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، قطر، ط3، 1402هـ، ص105.

2- ينظر: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص63.

3- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ج4/ص283.

4- لسان العرب، ج13/ص447-448.

5- قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، لابن عبد السلام، مؤسسة الريان، بيروت 1990م، ج4/ص283.

6- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، عالم الكتب، الرياض، 1991م، ج20/ص48.

7- فقه الموازنات رؤية تأصيلية تطبيقية، أيوب سعيد زين العطيف، بحث مقدم لمؤتمر (فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصرة)، بتاريخ 27-29/10/1434هـ - 03-05/09/2013م، جامعة أم القرى.

وعرفه آخر بأنه، المفاضلة بين المصالح المتعارضة والمتزاحمة لتقديم الأولى بالتقديم".¹
 والتعريف المختصر الشامل قد تمثل في أنه "العلم بالأحكام الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها، بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها".²
 وأن المقصد من الموازنات هو: طلب تحقيق المصلحة أو درء المفسدة أو تحقيق أخف الشرين.³

- مشروعية فقه الموازنات

يعتبر فقه الموازنات من أعظم الأعمال الضرورية في الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية والحياة العامة والتعاملات المختلفة، في كل مجالات الحياة، وهو الميزان الحق والقسطاس المستقيم لاختيار الأمثل والأأنفع والحكم السديد، وإصابة عين الحقيقة والغاية المثلى.
 ودليل ذلك من كتاب الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾⁴.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴿٢١٧﴾﴾⁵.

إن آيات موسى عليه السلام والأحداث التي وقعت مع الخضر العبد الصالح، والتي ذكرت في آخر سورة الكهف، من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار، فهي تصرفات فيها موازنة بين المصالح والمفاسد، أو بين مفسدتين وتقديم أخفهما، أو عند تزاحم المصالح وتقديم أولاها بالتقديم.

1- تأصيل فقه الموازنة، عبد الله الكمالي، دار ابن حزم، ط1، 1421هـ-2000م، ص49.

2- فقه الموازنات وأدلتها الشرعية، محمود عثمان، بحث مقدم لمؤتمر (فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصر)، بتاريخ 27-29/10/1434هـ - 03-05/09/2013م، جامعة أم القرى.

3- فقه الموازنات بين النظرية والتطبيق، ناجي إبراهيم السويد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1423هـ-2002م، ص31.

4- سورة البقرة، الآية 219

5- سورة البقرة الآية 217

ومن السنة النبوية المطهرة ما روته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا».¹

قال رسول الله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلَزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ».²

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "لأن قريشا كانت تعظم أمر الكعبة جدا، فخشى النبي ﷺ أن يظنوا -لأجل قريب عهدهم بالإسلام - أنه غيّر بناءها ليتفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولا ما لم يكن محرما".³

وخلاصة القول في فقه الموازنات هو مجموعة المعايير والأسس التي يرجح بها بين ما تنازع من المصالح أو المفسدات، أي عند التعارض بين المصالح والمفاسد... وأن تتم وفق منهج منضبط، يقوم على أسس ومعايير دقيقة تجعل نتيجة الموازنة موافقة لمقاصد الشارع، ومحقة لما فيه الخير ومجانبة لما فيه الشر.⁴

– أهمية فقه الموازنات وأهدافه.

لقد عرفت شريعة الإسلام فقه الموازنات ليكون اختيار الفقهاء وأهل الدراية للحكم في كثير من مشكلاتها عند تزامن المصالح أو المفاسد وتعارضها، ليكون الطريق الأسلم في تنزيل أحكام الله تعالى وتطبيقها، وتحقيق مقاصد شريعة الإسلام في أرض الواقع بكل متغيراته وأحداثه.

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب يسروا ولا تعسروا، ح 5775، ج 5/ص 2269.

2- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ح 1509، ج 2/ص 574.

3- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، باب كسوة الكعبة، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 3/ص 457.

4- ينظر: فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، عبد المجيد محمد السوسوة، دار القلم، الإمارات، ط 1، 1425هـ-2004م،

إن الله سبحانه وتعالى ما شرع الشرائع إلا لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وأنه لما كانت المصالح والمفاسد متفاوتة في الرتب في شريعة الإسلام، ما يستدعي النظر والتأمل لوضع الفاصل الدقيق في منهج التطبيق، ومرحلة تنزيل الأحكام الشرعية وهو منبثق من المنهج المقاصدي، الذي يحفظ الفرد والمجتمع من المنزلقات، ويضبط المتصدرين للفتوة من التخبط والاستعجال في استصدار الأحكام الارتجالية الخاطئة، والذي يتسبب في ظهور الافتراق والاختلاف. وأن مصالح العباد لا يمكن أن تتم إلا بالاجتماع والائتلاف.¹

"لذا كان فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد هو المدخل الحقيقي لفهم فقه المرحلة والواقع، وهو مفتاح الرشد في التعامل مع واقعنا المعاصر بكل علله وتناقضاته، وهو السبيل إلى مد جسور التواصل مع مختلف فصائل العمل الإسلامي، مع تفاوت مناهجها في العمل واختلاف أساليبها في التغيير".²

لأن كثيرا من أخطاء المسلمين في مجال الدعوة والدعاة، والخلاف وأدب الخلاف والأعمال وسُلم أولوياتها والواجبات وتزاحمها وواجب الوقت، كل ذلك بسبب اختلال ميزان الأولويات، بما فيها أولويات مقاصد الشريعة الإسلامية.³

إن البعد عن معرفة فقه الموازنات أو التغافل عن الأخذ به والعمل في مجاله ومحتواه يعرض الدعوة وأتباعها إلى الاضطراب وعدم الثبات في المواقف وأخذ القرار الموفق والسديد، لأنه إذا غاب عنا فقه الموازنة سددنا على أنفسنا كثيرا من أبواب السعة والرحمة، واتخذنا فلسفة الرفض أساسا لكل تعامل، والانغلاق على الذات تكأة للفرار من مواجهة المشكلات... أما في ضوء فقه الموازنات فسنجد هناك سبيل المقاربة، والموازنة بين المكاسب والخسائر... ونختار بعد ذلك ما نراه أدنى للجب المصلحة ودرء المفسدة.⁴

1- ينظر: القواعد الأصولية المتعلقة بفقه الموازنات وعلاقتها بالأدلة الشرعية، نايف بن مرزوق الرويس، رسالة ماجستير في أصول الفقه، إشراف: محمود حامد عثمان، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية 1435-1436هـ، ص 87-88.

2- فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ودوره في الرقي بالدعوة الإسلامية، حسين أحمد أبو عجوة، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر (7-8 ربيع الأول 1426هـ، 16-17 أبريل 2005م).

3- فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، د، عبد السلام عيادة علي الكربولي، دار طيبة الدمشقية، ط1، 1423هـ-2008م، ص8.

4- ينظر: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، د ط، 1410هـ-1990م، ص36.

إن فهم الواقع مهمّ في الموازنة لأن اختلاف الواقع من الزمان والمكان وأحوال الناس له أثر في إصدار الأحكام على الفروع... أو لكل بيئة عللها ومشاكلها.¹

لأن فقه الواقع شرطاً من شروط الاجتهاد والإفتاء، إذ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: بأن "فهم الواقع والفقه فيه استنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامة حتى يحيط به علماً".²

" إن فقه الموازنة له أهمية كبيرة في واقع الحياة وخصوصاً في باب السياسة الشرعية، لأن أساساً تقوم على رعايته، وهو في غاية الأهمية لفقه الأولويات"³، و"لا بد أن يتكامل فقه الشرع وفقه الواقع حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط"⁴

– أقسام فقه الموازنات:

ومن أهم ما يقوم عليه فقه الموازنات:

1- الموازنة بين المصالح أو المنافع أو الخيرات المشروعة بعضها ببعض.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٧ ﴾⁵.

أفادت الآية أنه وقع تعارض بين مصلحتين قتل الأسرى وفديتهم ويبيّن القرآن الكريم أن المصلحة المعنوية كانت هي الأولى بالتقديم والعمل.⁶

2- الموازنة بين المفاسد أو المضار أو الشرور المشروعة بعضها ببعض.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنْظِلْهَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ٧ ﴾⁷.

1- فقه الأولويات في الشريعة الإسلامية (دراسة في القواعد والضوابط والتطبيقات المعاصرة)، حساني محمد النور محمد، دار اليسر، مصر، د ط، 2014م، ص 133.

2- إعلام الموقعين، لابن القيم، ج 2/ص 165.

3- فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2، 1426هـ-1996م، ص 31.

4- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، ص 24.

5- سورة الأنفال، الآية 67

6- ينظر: أولويات الحركة الإسلامية، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، د ط، د ت، ص 30، وفقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، عبد

المجيد محمد السوسوة، ص 17

7- سورة الكهف، الآية 71

لكن الخضر بين لموسى عليه السلام بعد ذلك حقيقة أمر السفينة وما كان يعترضها من مخاطر أشد من الحرق، وهو أن أمامهم ملك ظالم سيغتصبها إن لم تكن معيبة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ﴾¹، فوازن بين الضررين فارتكب أخفهما عند تعارضهما لتسلم السفينة لأصحابها المساكين.²

3- الموازنة بين المصالح والمفاسد أو الخيرات والشرور، إذا تصادمت وتعارضت بعضها ببعض،

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۖ﴾³.

ففي الآية تأصيل لقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد... فالخمر والميسر فيها منفعة من جهة التجارة ونحوها، والجهة الأخرى أكثر مفسدة بإضرار العقل وما يترتب عليها، قدّم سبحانه وتعالى حكم حرمتها لأن مفسدتها أكبر من نفعها.⁴

إن كل هذه الموازين التي وضعتها الشريعة الإلهية لحماية مصالح العباد من التلف والضياع، وعدم تعارض المصالح وتزاحمها في فهم الناس وتطبيقاتهم العملية، حتى يتم تقديم ما هو أولى وأجدر وأنفع للأمة وأحفظ لمصالحها، وهذا ما على الداعية أن يستوعبه في مخاطبة الناس وفي عرضه لشريعة الله تعالى وتوضيح معالمها في زمن كثرت فيه المستجدات وتعددت أوجه الأحداث واختلط على الناس تحديد المصالح من المفاسد عند التزاحم والتعارض.

1- سورة الكهف، الآية 79

2- ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ- 2000م

ط1، ج21/ص135، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج16/ص12.

3- سورة البقرة، الآية 219

4- قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، لأبن عبد السلام، ص98 والموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، مصر، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج1/ص276 وفتح القدير، للشوكاني ج1/ص254.

المبحث الثالث: إشكالات الخطاب الدعوي المعاصر وتحدياته

المطلب الأول: ضعف الخطاب الدعوي شكلاً ومضموناً
المطلب الثاني: مجافاة الخطاب الدعوي لأحوال الناس
والواقع

المطلب الثالث: اختلاف لغة الخطاب في قضايا الأمة
وأحكام الشريعة

المبحث الثالث: إشكالات الخطاب الدعوي المعاصر

إن ما تواجهه الأمة اليوم تحديات حقيقية أو مصطنعة تؤثر سلباً على خطابها الإسلامي، لما في الخطاب الإسلامي من تأثير مباشر على الشعوب الغربية وخصوصاً في مرحلة تجديد الدين - عند رأس كل قرن - كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، مما أوحى إلى كبار دهاة الغرب وخبرائهم وعلماء اليهود وأخبارهم، بخطورة الوضع وأن كيانه صار مهدداً بالزوال والمستقبل للإسلام الذي سوف يترفع على عروشهم، لأنهم أصبح يقلقهم ويقض مضاجعهم وجود الإسلام في أوروبا، وسرعة انتشاره وكثرة اعتناقه في الآونة الأخيرة، فدقوا ناقوس الخطر وحذروا الساسة وأصحاب القرار: بأن الإسلام سوف يقتحم ديارهم في العقود المقبلة، وتتحوّل أوروبا إلى قارة مسلمة. حينها لا يمكن مجابهته ولا الحد من زحفه وانتشاره، إن لم يسرعوا في اتخاذ التدابير اللازمة قبل فوات الأوان.

فبدأ الغرب في تدبير المؤامرات ومحاربة كل ما له صلة بالإسلام، دولا وحكومات ومنظمات وهيئات وشعوب، في نشر الرعب وزرع الفتن واختلاق الحروب لأتفه الأسباب، وإثارة النعرات الطائفية بين الأشقاء ودول الجوار، حتى تحدث حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار، فتفقد الشعوب أعز ما تملكه من العزة والحرية والأمن... وما الأكذوبة الكبرى التي قامت بها أمريكا في اعتداءات أحداث سبتمبر 2001 إلا جزء من المؤامرة الكبرى ضد الإسلام وشعوبه، وما تبعه من اعتداءات ضد الشعوب قتلاً ونهباً وتلاعبا بسيادات الأمم، والتحكم في كل شؤونهم، حتى وصل الأمر إلى التدخل في مناهجهم وبرامجهم التعليمية، ولم يكفهم ذلك، بل واصلوا في ملاحقة العلماء والدعاة والمصلحين، ووضع العراقيل في طريقهم للحد من دعوتهم، وإغراء بهم حكامهم ومسؤوليهم لفتنتهم وصدهم عن سبيل الله تعالى.

وبعد تشويه صورة الإسلام وإثارة الشبهات وتلفيق التهم لمبادئه وتشريعاته، والمساورة في تجديد الخطاب الإسلامي على المقاس الغربي، تحت صيحات من ضعفت همهم واستبدلوا الذي أدنى بالذي هو خير، وباعوا دينهم بعرض زهيد من دنياهم، فأصيب الخطاب الإسلامي بضعف في هياكله ومضامينه وكاد يفقد كل مقوماته وأسس وجوده ومكوناته.

ونظراً لكثرة التحديات الداخلية والخارجية وفي مختلف المجالات الحياتية، التي تعترض الخطاب الدعوي وتقلل من شأنه ومكانته وفاعليته، وقد يطول الحديث في عرضها وذكر أسبابها ومقترحات علاجها، فاكتمى الباحث بذكر بعض ما يتعلق ببنية الخطاب ومحتواه.

المطلب الأول: ضعف الخطاب الدعوي شكلا ومضمونا.

إن الموروث الانهزامي القديم، والتركة الثقيلة التي خلفها الاستعمار في كثير من دول العالم الإسلامي، خلال عقود من الزمن، وفي كل المجالات الروحية منها والمادية، وما الغزو الثقافي والتبشير المسيحي إلا أداة من أدواته وسبيل لا متلاك العقول، بعد أن زرع فيها الكنسيون والمستشرقون سيلا من الشبهات والأباطيل، من أجل تخريب المبادئ والقيم وتشكيك المسلمين في أصول دينهم وثوابته، والسخرية بجميع مقدساتهم وأحكام شريعتهم ثم استحكمت في الشعوب وأنظمتها، فصارت تسير وفق خطط وضعتها خدمة لمصالحها.

وكل هذا الواقع المرير الذي حل بأمتنا والهوان الذي أصابها، أثر سلبا على خطابها الإسلامي الداخلي والخارجي، في عرض الدين وتوضيح معالمه، على ألسنة بعض الدعاة والعلماء والمفكرين الذين أشربوا الفكر الغربي، فشوّهوا كل الحقائق وقلّبوا كل الموازين، وتحدّثوا عن أساسيات الدين باستحياء، وبرّروا بعض الأصول واعتذروا عن بعض الفرائض والواجبات، وترددوا في إثبات المعجزات حتى يقتنع بها العقل الغربي أو يكتشفها. وهناك حوادث في تاريخ الإسلام لا تتوافق والمنظومة القيمية عند الغرب، فيسارع هؤلاء إلى نفيها وإنكارها وتأويلها تأويلا غير مستساغ، وهناك بعض القواعد والفروع في المسائل الفقهية والعقدية لا تروق ولا تتفق مع أمزجة الغرب وقواعدهم، فيسارع هؤلاء إلى التلاعب بأحكام الله تعالى بدعوى أن الإسلام قد يتلاقى مع الأنظمة الإلحادية الباطلة والشرائع المحرفة¹.

فإذا فقد الخطاب أحد خصائصه الأساسية صار خطابا لا يحمل من الإسلام إلا اسمه، وقد يكون هذا الخطاب معول هدم لكل المقومات والمبادئ والأخلاق، وليس أداة بناء وتشديد لصرح الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للناس ديناً.

إن مما تعاني منه الأمة اليوم من مشكلات وفي بعدها عن الالتزام بشرع الله تعالى وامتنال أوامره، والتخلق بأخلاق شريعته، أدبا وتعاملا ليس من قلة العلماء والدعاة والمصلحين، ولا نقصاً في شريعة

1 - ينظر: الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، محمد موسى الشريف، دار بن كثير، بيروت، د ط، 1430هـ - 2009م، ص 30-31

الله تعالى وأحكامها، فقد مضت سنة الله تعالى في الخلق أن يكون كثيرا ما يعاني الناس منه شيئا مما عملته أيديهم، وما اقترفوه من ذنوب وآثام، وإتباعا لشهوات النفس وأهوائها وما اختلط عليهم من شبهات وأباطيل، وهذا من بين ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ أَصْبَحْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَلَمْ نَقُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝¹

إن من بين المشكلات التي تصيب الناس يكون سببها القصور الذاتي والأخطاء الداخلية الناتجة عن عدم امتلاك صاحب الخطاب الإسلامي ما يكفي من الأفكار والمفاهيم، والأساليب والأدوات لبلوغ أهدافه على صعيد التأثير في الناس وتحسين أوضاعهم في المجالات المختلفة، وهذا بالنظر إلى الإمكانيات المتاحة لصاحب الخطاب وملامح الخطابات التي يصوغها الدعاة².

وفي هذا العصر يشهد العالم تغيرات واسعة للغاية في مجال الإعلام والاتصال، من خلال التطورات التقنية والتكنولوجية المتسارعة، فتغيرت طموحات الناس ونظرتهم للحياة مع تطور العلاقات الإنسانية في واقعها ومستقبلها، فلا بد للداعية أن يطور من خطابه بما يتلاءم مع أفهامهم وتطلعاتهم، وهو ما يتطلب معرفة شاملة بمختلف العلوم. . حيث أن الساحة مزدحمة بالخطابات المتنوعة المحلية منها والعالمية، ومع زيادة وعي الشعوب وتطور قراءتهم للمعلومات والأخبار والأفكار، وصار ليس من السهل التأثير فيهم³.

لقد شهد السلف انطلاقة الخطاب الأول على لسان رسول الله ﷺ المبلغ عن الله تعالى، خطابا معصوما مؤيدا بالوحي الإلهي الكريم، وموجها بحكمته ومحاطا بحفظه لنشر رسالته في العالمين، فبلغها ﷺ كما أمر، استقامة وتطبيقا عمليا على أرض الواقع حتى ارتقى إلى درجة القبول والرضا والمدح.

1- سورة آل عمران الآية 165.

2- ينظر: مشكلات تواجه الخطاب الإسلامي، عبد الكريم محمد بكار، بحث بمؤتمر مكة المكرمة الثامن بعنوان: الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر، المنعقد في 5-7 ذي الحجة 1428هـ، 15-17 ديسمبر 2007م.

3- ينظر: المرجع نفسه.

وتتابعت القرون في حمل لواء الدعوة، في أمة تباعدت أطرافها واتسع مجالها، وتنوعت مشاربها وطباعها وتعددت ثقافتها ولغاتها، فكثرت أنواع الخطاب باجتهادات بشرية يعترئها الضعف والنقص شكلاً ومضموناً.

وما دام الخطاب الإسلامي قائم على اجتهادات العلماء والدعاة، قد يصيبه سوء تقدير وقلة فهم لما تعاني منه البشرية اليوم، أو ضعف في فهم النصوص الشرعية وفقه مقاصدها وتنزيلها في أرض الواقع ومعالجة مستجدات الحياة، وما تحمله من متغيرات وتطورات في كل المجالات عبر مراحل الزمن وتعاقب الأجيال.

" فالخطاب الإسلامي هو ما يستنبطه وبفهمه الفقيه والعالم والخطيب والمفكر والباحث من النص، والخطاب الديني وهذا الفهم لا قداسة ولا عصمة له، بمعنى أن الخطأ قد يطال ذلك الفهم والاستنباط، فالجتهاد يخطئ ويصيب والخطأ يصدر من وعاظ لا تتوفر فيهم الكفاءة أو النزاهة أحياناً"¹.

ونظراً لهذا التنوع في مدارك عقول الناس وأفهامهم، واختلاف قراءتنا لواقع الناس، تعددت مضامين الخطاب وأشكالها وإن حملت أسماء إسلامية وشعارات خادعة.

فالمشكلات الخطيرة التي تصيب الخطاب تكمن في ذاته، وهي أشد فتكاً مما يتلقاها من مكائد العدو ومؤامراته، فإن الضعف والوهن إذا دب إلى لسان الجماعة المسلمة وصوتها الشرعي يوشك أن يهدّ عليها السقف من فوقها، فتضيع جهودها وأعمالها ومكانتها، فينفض الناس من حولها.

إن إظهار الدين وتوضيح معالمه يتعلق بمدى فهمنا لنصوص الوحي الإلهي وفقهنا لواقع الناس، من خلال خطابنا الإسلامي وما يحمله من مبادئ ومقومات تنطلق من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، لذلك فإن ضعف الخطاب وقوته مرهون بمدى فهمنا لشريعتنا وتنزيلها على متطلبات واقعنا².

1- الخطاب الإسلامي والقضايا المعاصرة، حسن السيد عز الدين بحر العلوم، العارف، بيروت، ط1، 1431هـ- 2010م، ص5

2- ينظر: مشكلات تواجه الخطاب الإسلامي، عبد الكريم محمد بكار، مرجع سابق

ولقد نبّه القرآن الكريم أن أسباب الضعف والتخلف وعدم النهوض وتغيير الواقع، يرجع إلى القصور الذاتي للنفس البشرية والتشاغل إلى الأرض، والركون إليها، مما يبعث على الجمود والانحزام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾¹.

يتعرض الخطاب الإسلامي خلال مسيرته الدعوية إلى اضطراب وهزات وانحرافات تبعا للسنن الكونية الغالبة التي لا تحابي أحدا، فيؤدي به إلى القصور والضعف في الشكل والمضمون، إذ يتمثل الضعف في شكل الخطاب فيما يتعلق بفهم الواقع وحاجات الناس المختلفة، وما يقتضيه ذلك الفهم من استخدام الوسائل والأساليب التي تحقق مقاصد الدعوة وأهدافها، مع الأخذ بعين الاعتبار أولويات المرحلة.

وأما مضمون الخطاب وما يصيبه من ضعف، وما يحمله من رؤى ومفاهيم وأفكار وتطلعات ناتجة عن مدى فهمنا لمطالب شريعتنا، وتكريسها في واقع الناس ومجريات حياتهم، بصورة عملية يقتضي بها الناس، وهي أفضل الوسائل وأرقى الأساليب في تبليغ رسالة الله تعالى.

- ضعف الخطاب على مستوى الشكل.

إن الخطاب الدعوي يعاني ضعفا في مختلف أشكاله المتعددة، والمتمثلة في الأخذ بظاهر النصوص دون التفقه في مقاصد الشريعة، وتطور في الأداء والعرض، وضعف في لغة الخطاب وعدم اختيار الوسائل التي تحقق الغرض المطلوب دون تنوع الأساليب المقنعة التي تخاطب الوجدان وتقنع العقول، والبعد عن الخطابات الغوغائية والغنائية المتشائمة والمشحونة بالشكوى والتذمر، أو تلك الخطابات المتشددة التي تريد حمل الناس على آراء فردية ومفاهيم ضيقة، وغيرها من أشكال الخطاب التي لا تمثل الإسلام، ولا تعبّر عن سماحته وعدله ووسطيته.²

إن الخطاب الذي يحمل وابلا من النقد والتجريح لكل من خالفه في الفكر والرأي والمنهج ثم ترصد له كثيرا من التهم والاحتجاج والعتب وقد توجه إلى مختلف أطراف المجتمع من حكام ومحكومين، وشعوبا وأفرادا وإلى كل الأعداء الذين يكيدون لهذا الدين وأهله، وهذا الخطاب يجعل

1- سورة الرعد: الآية 11

2- ينظر: مشكلات تواجه الخطاب الإسلامي، عبد الكريم محمد بكار، مرجع سابق.

التفاعل مع الناس ضعيفا لا يرقى إلى درجة الاستجابة الحقيقية التي تجعل من شريعة الله تعالى وأحكامه منهج حياة.

إن الخطاب الذي لا يعتمد على المنهج العلمي في قبول الثابت من الدين وتحريي الصحيح من السنة المطهرة ويضمّ في ثناياه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيبني عليها قرارات وأعمال، ثم يتعجل في إصدار الحكم بناء على الفهم المنقوص وتبني المواقف دون دراسة متأنية علمية، فيقع في المبالغة والتهويل ومدح الذات ونقد الآخرين فيسقط في هاوية العجب والغرور¹.

إن شكل الخطاب اليوم يعتمد على مواكبة العصر وعدم الجمود مع الآليات القديمة والقول بتوقيفية الوسائل، والتعامل مع تقنيات الخطاب بالمفهوم الحديث واستخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة، وتقديم الدين في أبهى صوره التي تحفز المخاطبين على قبول مبادئ الإسلام وأحكامه بمنهج الوسطية والاعتدال وبما يتماشى مع ظروف الناس وواقعهم ويستجيب لمطالبهم واحتياجاتهم، وهذا ما على الدعاة وأصحاب الخطاب أن يولوه اهتماما بالغا في زمن تسارعت فيه الأحداث وتغيرت كل الموازين، فيبادروا إلى مخاطبة الناس بلغة العصر ووسائله الحديثة وأساليبه المتطورة.

- القصور في مضمون الخطاب

يشتمل مضمون الخطاب الإسلامي على أصول وكمليات ومبادئ وقيم ثابتة لا تتغير. ويشتمل على أفكار ورؤى وطروحات وحلول، وهذه تشكل جوهر الفكر الإسلامي، وهي وإن كانت تَصُلُّ مؤطرة بالأصول والثوابت إلا أنها أقرب إلى أن تكون أدوات للفهم والتحليل وتشخيص الواقع واستشراف المستقبل².

ويبقى هذا العمل جهدا بشريا ذو طابع اجتهادي لا عصمة له من الخطأ - ولا يحمل قداسة الخطاب الإلهي والوحي المنزل - فيعمل أهل الإسلام من فقهاء ومجتهدين وأهل الفتية على إثراء الخطاب الإسلامي، بما فتح الله تعالى عليهم من فيض عطائه وجميل كرمه وإحسانه. لذلك فقد شمل

1- ينظر: أين الخلل، يوسف القرضاوي، مقال في مجلة الأمة، عدد شعبان 1405هـ، ص11

2- ينظر: مشكلات تواجه الخطاب الإسلامي، عبد الكريم محمد بكار، بحث علمي مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثامن: الخطاب الإسلامي وإشكالات العصر بتاريخ (5-7 ذي الحجة 1428هـ/ 15-17 ديسمبر 2007م).

الخطاب الإسلام كله عقيدة وشرعية وأخلاقاً ومعاملة. وهو الخطاب الفاعل الذي يُرى على صورة عملية وأسوة حسنة، تؤكد صدق الخطاب وصاحبه.

وما يحدث من خلافات بين رجالات الدعوة وتعدد خطاباتهم لضعف مشاربهم من النبع الصافي، وغياب الفهم الكافي، لشرعية الله تعالى وإحاطتهم بواقع الناس الجاني، من أجل رفع مستوى الخطاب وتحسين أدائه بالوسائل الحديثة والأسلوب الشافي.

وقد يصاب الخطاب في مواقع متعددة ومجالات شتى ووجوه مختلفة:¹

- نقص في شمولية الخطاب وتغليب جانب على بعض جوانب التشريع في مضامين الخطاب، فيحدث خللاً في صورة الإسلام المتكاملة وعدم الأخذ بالمرجعية الشرعية.

- ضعف في الخطاب السياسي لعدم وضوح صورة الهياكل الأساسية، التي تدير شؤون المجتمع، والصيغة المثلى لإيجاد السلطة المشروعة لتقييم العدل وتنتشر السلم وتحفظ كرامة الإنسان وحرية وتضمن له العيش الآمن.

- ضعف في إعداد الخطاب وتبليغه، وذلك لضعف المؤهلات العلمية والخبرة اللازمة لدى الدعاة والتكوين الجيد.

- ضعف الخطاب المتعلق بالمرأة وهو الأمر الذي غفل عنه المجتمع وهو أساس الإصلاح، إذ أنها تمثل نصف المجتمع وتهتم بالنصف الآخر، وفي إصلاحها يصلح المجتمع ويستقيم حاله لأن في إيجاد المرأة المسلمة كأم ممتازة وزوجة صالحة وداعية مؤثرة ومشاركة متفوقة فيما كُلفت به من أعمال.

" إن الواقع المعاصر مازال في حاجة إلى مضمون الخطاب النبوي، على الرغم من تباين الأنظمة والتشريعات، فإن الرسالة الإسلامية إنما تتعامل مع فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها، مما يؤكد صلاحية الخطاب الإسلامي للمجتمع المعاصر، وفق مقاييس جديدة وأساليب مستحدثة، لكنها لا تخرج عن ثوابت العقيدة وحقائق الشريعة القطعية والمعروفة، فالأمر يستدعي عودة إلى الأصول

1- ينظر: الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، محمد موسى الشريف، دار ابن كثير، بيروت، د ط، 1430هـ- 2009م،

والاهتداء بالخطاب النبوي، الذي كان يصدر عن قواعد وثوابت العقيدة وسلامة التصور ووحدة الفكر".¹

المطلب الثاني: مجافة الخطاب الدعوي لأحوال الناس والواقع

عرف الخطاب الدعوي في صدر الإسلام اهتماما بالغاً، في شكله ومضمونه، في ضبطه وتكوينه، في وسيلته وأسلوبه وفي نوعه وتركيبه، وفي أهدافه ومقاصده. فقد كانت غايته أن تصل رسالة الله تعالى إلى البشرية جمعاء، فتنقذها من الظلمات إلى النور، ولما تَوَجَّ الخطاب بهذا الدور العظيم كان لزاماً عليه أن ينطلق من واقع الناس، فيغيّره بما يحمله من البينات والذكر الحكيم، وهذه من حُكم الله تعالى في إرسال الرسل من البشر - وإن جادل الكفار في ذلك - فيعلم حال الناس وقدرة تحملهم ونوازع نفوسهم وضعفها، وميولاتهم لأهوائهم وشهواتهم، فيخاطبهم على قدر عقولهم وبما يفهمون، فيخالطهم أفراحهم ويشاركهم أحزانهم، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويتعامل معهم في واقع الحياة.

فإذا تحدث إليهم وخاطبهم ليبين لهم من تعاليم الله تعالى وأحكامه، ما يُصلح حالهم وتستقيم به نفوسهم وتنظم به شؤون حياتهم، لأن تغيير حال الناس ينبع من واقعهم، وهذه من سنن الله تعالى التي قررتها الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾².

لهذا فإن الخطاب الدعوي المعاصر يعاني كثيراً من المشكلات والتحديات لبُعد واقع الدعوة وسبل توجيهها إلى المدعوين، وهذا راجع لضعف حملة الخطاب أدب الإسلام وفن التعامل، ومدى معرفتهم وفهمهم لحاجات الناس ومعاناتهم، مما أدى ذلك إلى نُفرة النفوس من هذا الخطاب وعدم الاستجابة له.

فأصحاب الخطاب اليوم عموماً من الخطباء والوعاظ والدعاة في الدروس وخطب الجمعة ينقلون من كتب أهل العلم دون أن يراعوا حال المخاطبين، فيقع التنافر الشديد بين الطرح وبين عقلية المتلقي... وأن ما يتطلب منا ألا نستغرق مع العلماء السابقين فيما استغرقوا فيه من تفسير

1 - أساليب ومضامين الخطاب الإسلامي، أحمد حسن محمد، مقال بمجلة البيان، رقم 223، ربيع الأول 1427هـ، ص 9

2 - سورة الرعد الآية 11

لنصوص التي أخبرتنا بالغيوب والسمعيات، خاصة إذا كان كثير من تفسيراتهم معتمد على روايات ضعيفة وإسرائيليات. وأباطيل شُوِّهت بها صورة الإسلام الناصعة¹.

والملاحظ في كثير من الخطابات أن "مصدر الخلل عند كثير من المسلمين هو وجود خلط بين ما هو مقدس وشرعي ومتفق عليه، وبينما هو محاولة بشرية اجتهدانية، قد تكون خطأ وقد تكون صواباً، ومن هنا قد يقع البعض لإخضاع النص للفعل البشري، فيقع العدوان على النص من قبل غير الفاقهين، أو أن يرفعوا الفعل البشري الذي هو اجتهد فقيه أو عالم إلى منزلة النص، فيصبح بمنزلة الذي لا يُسأل عما يفعل، ولا يُستدرك عليه ولا يُراجع أو يُصوّب"².

والمأمل في واقع الخطاب الدعوي المعاصر يجده يتخلله جملة من التحديات والمتمثلة في "اعتماد الخطاب الدعوي المجرد دون الربط بواقع المجتمع، ودون التعرض لمشكلاته ومتطلباته، مما جعل تلقي الناس لهم ضعيفاً، لا يرقى إلى مستوى القبول والتطبيق العملي، وجعل خطبة الجمعة واحة للاستراحة واستجمام النفسي على أحسن تقدير، لذا فإن المجتمع لا يمكن أن يتفاعل مع خطبة الجمعة أو غيرها من ألوان الخطاب الدعوي، حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بمهمومه وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته، أما أن تظل المواعظ المجردة محلقة في سماء الدعوة، فهذا يعني أنها ستظل في عليائها محلقة مرفرفة دون أن تحرك الواقع أو تؤثر فيه"³.

ومن مقتضيات عدم الاستجابة الكاملة للخطاب الدعوي: نفور الداعية عن واقع وحال المخاطبين وعدم المبالاة ومراعاة ظروفهم، فالعناية بمناسبة الخطاب الدعوي للواقع ومراعاة الحال مع استزادة الداعية بالعلم والوعي بما يجري ويحيط بالواقع، له أثر كبير في تعاويه مع قضايا أسر مجتمعه، مع أن المعالجة لكثير من المسائل والإشكاليات والمواضيع المستجدة بغية التأثير في الأوساط الاجتماعية⁴.

1- ينظر: تحديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، عطية عدلان، موقع شبكة الآلوكة، تاريخ الإضافة: 2013/5/16 م -

1434/7/8 هـ، تاريخ التصفح: 2019/01/29م، رابط الموضوع: <https://www.alukah.net>

2- ينظر: تحديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، عطية عدلان، المرجع السابق.

3- ينظر: المرجع نفسه.

4 - ينظر: الخطاب الدعوي لجماعة المسجد، نخبة من المؤلفين، إعداد شركة الخبرات الذكية للتعليم والتدريب، الرياض، د ط، د

ت، ص9.

"وإذا تأملنا في تاريخ الأمة الإسلامية الزاهر ونجاحها في مسابقة العمل الدعوي واستجابته لمعالجة المشكلات العالقة به، نجد ذلك النجاح راجع إلى تناسب الخطاب الدعوي لمضمون الرسالة، وهذا ما دأب إليه كثير من الدعاة الناجحين في ترابط مضمون الرسالة الدعوية والدينية بالفقه ومراعاة لأحوال المخاطبين، غير أن الواقع المعاصر للخطاب الدعوي عايش أزمة في القبول، وذلك لمخافة الخطاب الدعوي للواقع، مما أدى إلى ضعف الاستجابة له، وعدم مبالاة الداعية وتنسيقه في إسقاط الخطاب على معالجة المشكلات الراهنة"¹.

"وفي هذه الظروف العصيبة والواقع المرير الذي تمر به الأمة الإسلامية نرى أن "الأزمة التي لحقت بالأمة أصابت بنيانها من جوانبه المختلفة، وأصابت على وجه الخصوص جانباً من الخطاب الدعوي... وإنّ تَفَحُّص هذا الأمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة لواقع الخطاب الدعوي ومدارسة إشكالياته المعاصرة مع الذات ومع الآخر، وإن الظرف الحضاري اليوم يستلزم النهوض بالخطاب الدعوي ليلحق بأدوات العصر."²

كما أن "الخطاب الإسلامي المعاصر لم يتمكن من استيعاب أقرب الناس إليه، أو أكثرهم استعداداً للتجاوب معه، وهم جمهور المسجد، علاوة عن كسب الآخرين.. فهو خطاب أقرب إلى السلبية والجزئية والأحادية والارتجال والحماس، والذاتية منه إلى التفاعل مع هموم الأمة"³.

من خلال هذا الوصف نلاحظ أن حل مشكلة الخطاب الديني تكمن "في مراعاته لفقه الواقع ولا بد أن يركّز جُلَّ جهده على القضايا التي تتطلب واقع الناس المعيش، لأن تناول القضايا التي غابت عن عصرنا الآن هو لون من ألوان الهروب من المواجهة، وصورة من صور النقل من كتب العلماء دون تمييز، بينما نحن بحاجة إليه فعلاً وما لسنا بحاجة إليه، ولا يفعل هذا إلا من لا يتحمّل المسؤولية

1 - معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، طالب حماد أبو شعر، بحث علمي مقدم للمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، بتاريخ: 7-8 ربيع الأول 1426هـ / 16-17 أبريل 2005م، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة.

2 - المرجع نفسه.

3 - مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 3؛ 1419هـ/1998م، ص 61.

الدعوية، ومن يعيش الماضي ولا يكثرث بالحاضر، مع الاهتمام والتركيز على قضايا اليوم ومعالجتها فكريًا، ووضع الحلول لها بما يوافق الشرع الخفيف.¹

ومن مقاصد الخطاب الدعوي أنه يستوعب أحوال المخاطبين، ويفقه واقع الناس ومشكلاتهم الاجتماعية والتأثير فيهم، فمن متطلبات "الخطاب الديني لا ينبغي أن يجافي الواقع، باعتباره خطابًا دعويًا مجردًا دون الربط بواقع المجتمع، ودون التعرض لمشكلاته ومتطلباته، يُعدُّ خطابًا أجوفًا لا روح فيه. فالاجتماع لا يمكن أن يتفاعل مع هذا الخطاب حتى يشعر فيه بالطابع العملي التفاعلي، وحتى يرتبط بمهمومه وطموحاته، وحتى يكون فيه العلاج لمشكلاته وأزماته".²

وإذا تأملنا حقيقة الخطاب الدعوي في مراعاة واقع الناس وتطورات الحياة الاجتماعية فكانت "علاقة الخطاب الديني بالواقع المعيش هي علاقة تفاعلية متبادلة، لا علاقة أحادية استعلائية، بمعنى أنها ذات اتجاهين، أولهما يستهدف السمو بالواقع ليرتفع إلى ما ترنو إليه مقاصد الشريعة الإسلامية وقيمها الأساسية وأحكامها القطعية، من تحقيق مصالح الأنام الشرعية الضرورية منها فالحاجة والتحسينية، وثانيهما يستجيب لما يفرضه الواقع من تحديات تقتضي المزيد من المرونة والتيسير والمعاصرة والرحمة وسعة الأفق، فلا يتعالى عليه أو ينعزل عنه أو يحيله إلى معيشة ضنك، يُجرّم فيها كل فعل إيجابي من شأنه أن ييسر العيش على الناس".³

لذلك تعتبر الواقعية من بين سمات الخطاب الإسلامي وخصائصه الأساسية، والذي يقتضي أن يتعامل مع الواقع بكل مكوناته، وألا يحتمل المتلقي له إلى عالم المثاليات والكمال الذي لا يمكن تحقيقه.⁴

1- من خصائص الخطاب الديني.. مراعاة فقه الواقع»2»، شوقي إبراهيم علام، موقع مصرأوي، تاريخ الإضافة: الأحد 27 أبريل 2014م، تاريخ التصفح: 2019/01/30م، رابط الموضوع: <https://www.masrawy.com>

2- المرجع نفسه.

3- الخطاب الديني... من التجنيد إلى التجديد، حازم علي ماهر، مجلة المجتمع، تاريخ الإضافة: 2017/09/05، تاريخ التصفح: 2019/01/30م، رابط الموضوع: <https://mugtama.com>

4- ينظر: الخطاب الإسلامي سماته وأهدافه، سعيد عبد الله حارب، بحث بمؤتمر مكة المكرمة: الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر، 5-7 ذي الحجة 1428هـ، 15-17 ديسمبر 2007م.

فالواقعية في الخطاب تعني التوسط في عرض أحكام الله تعالى كما تدعو إلى بذل الوسع في المستطاع من العمل، ولا يعني مسايرة الواقع بكل أوضاعه من التحلل والضياع، لأن الإسلام جاء ليرفع البشرية إلى مستوى الربانية، ولا أن ينزل إليهم إلى مستوى الحضيض والتسيب والميوعة، والركون إلى حمأة الجاهلية، بعيداً عن الجدية والانضباط في فقه الواقع، وما يتطلبه العصر وما يطرأ عليه من متغيرات ومستجدات في حياة الناس.

ومن هنا نرى أن "واقعية الخطاب الإسلامي لا تعني الخضوع للواقع وصياغة شؤون الحياة وفق هذا الواقع وتأثيراته والخضوع له، واعتباره المؤثر الوحيد في التصورات والأفكار، لكنها تعني الاهتمام بهذا الواقع بحيث يعمل على تأكيد الجيد والصالح مما في الواقع وتغيير السيئ والفساد منه وفق منهج قويم هو المنهج الشرعي ورد كل ما في الواقع إلى هذا المنهج الشرعي"¹.

المطلب الثالث: اختلاف لغة الخطاب في قضايا الأمة وأحكام الشريعة.

لقد عاشت الأمة تفخر بخطابها الدعوي الموحد الذي كان ينطلق من ساساتها وعلمائها ودعاتها، مشبع بشتى العلوم ومختلف التجارب، والتي تصب في مصلحة الأمة ووحدها وتطورها، ويدعو إلى التماسك ووحدة الكلمة، فحافظت على كيانها وقوتها لبقاء لسان الدين ناطقا بالوحي الإلهي في هدايته وتوجيهاته، فكان يُتلقى الدين من ينابيعه الصافية المتدفقة غضا طريا كما أنزل، لا اختلاف فيه ولا تنازع في الأمر. يأخذون أحكامهم وعلومهم وثقافتهم من المصدر الأساسي، فيخاطبهم القرآن بلغتهم التي يفهمون وبأساليبها وبيانها التي يعهدون، يفهمون عن الله تعالى خطابه ويطبقون أحكامه ويلتزمون تعاليمه، فعاش الصحابة رضي الله تعالى عنهم حياة من الروحانية الإيمانية زمن الوحي في اتصال السماء بالأرض في معية أبكت أم أيمن - رضي الله تعالى عنها² - لفقدانها حلاوة الإيمان الذي كان يغمرهم والرحمة التي كانت تنزل عليهم وتغشاهم، لما دخل عليها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ وجداها تبكي - فضناها تبكي حزنا على رحيل

1- المرجع السابق، ص4.

2- أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، ويقول هي أُمِّي وكان يكرمها ويبرها مبرة الأم ويكثر زيارتها، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علي، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1425هـ - 2004م، ج3/ص223.

رسول الله ﷺ - فقالا لها: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟!، فقالت لهما: ما لهذا أبكي ولكن أبكي لأن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها.¹

فقد لامست قلوبهم حلاوة الإيمان ونور اليقين وشوق اللقاء ولذة النظر لوجه الله الكريم، فموته ﷺ انقطع الوحي وضعف شعورهم بمعية الله تعالى التي كانت تملأ حياتهم وتغمر نفوسهم وتعمّر قلوبهم إيماناً وخشية ومراقبة، وكأن أجسادهم في الأرض وقلوبهم معلقة بما وراء العرش.

وفي انقطاع الوحي بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام تحدث الفتن كما نبهت إليه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي حذرت من ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾².

فتحدث الفتن ويختلف الناس وتفترق الأمة فرقا وطوائف، وتكثر المذاهب ويتعدد الخطاب، فيقع التنازع وتشتد الصراعات وتقع المصائب والحن. وهذا ماحدث في الردّة الأولى بعد وفاة النبي ﷺ، وكاد الدين أن يضيع إلى الأبد لولا أن الله تعالى هيا لهذه الأمة صديقها فوقف لها موقف الرجال والقادة، الذين ربّاهم رسول الله ﷺ على القيادة وحسن التدبير لَمَّا ولى الخلافة، قال مخاطبا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما " إنه قد انقطع الوحي وتمّ الدين، أَفَيُنْقَضُ وأنا حيٌّ؟ "³. وماهو إلا زمن يسير حتى قضى على الفتنة وأعاد للأمة الإسلامية كيانها وأقام بنيانها وهياها لبسط نفوذها وانتشارها.

فالداعية بحكمته وتطلعه على تجارب السابقين في المجال الدعوي يستطيع بإذن الله تعالى تذليل الصعاب، ومعالجة الخلافات التي قد تعترض طريق الدعوة، وتضعف من همم الدعاة، وتعرقل خطواتهم، فطرق الدعوة كثيرة، ومجالاتها متعددة⁴.

1- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن رضي الله تعالى عنها، ح/6472، ج/7ص/144.

2- سورة آل عمران الآية 144

3- مواقف الصحابة - رضي الله عنهم - في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، د ط، ص/19.

4- ينظر: دليل الداعية، ناجي بن دايل السلطان، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1، د ت، ص/52.

إن ما يدعو إلى التعدد واختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بأمور الدين والحياة الإسلامية، كان رسول الله ﷺ يقف لها موقف الجد، ويوجهها الوجهة الحسنة بما يتوافق وأحكام الشريعة ومبادئها ومقوماتها، ويردّ ما يخالف ذلك ويلغيه، ويترصّد لكل ناعق للتشدد والرهينة فيعيده إلى الوسطية والاعتدال "كحديث النفر الثلاث"¹، وقد تسارع الصحابة للحفاظ على موروث النبوة على ما تركهم عليه رسول الله ﷺ وتمسّكوا به ليلغوا ما سمعوه وذلك من حفظ الله تعالى لهذا الدين.

وبعد أن ترامت أطراف الأمة الإسلامية في أقاصي الدنيا، وتعرّفت البشرية على هذا الدين، واعتنقه الناس طواعية، بين محب ومخلص قد خالط الإيمان شغاف قلبه وملاً عليه كيانه ووجدانه، وبين مبغض ومعادي يترصّد الفرص للكيد له والقضاء عليه.

وكان اليهود قد حملوا العداء من أول ما بُعث رسول الله ﷺ حسداً من عند أنفسهم، وقد شهد الله تعالى عليهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْنٍ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ².

وقد نقلت إلينا السيرة العطرة أنه أول ما تعرّف اليهود على أوصاف رسول الله ﷺ، وتأكدوا صحتها، حينها أعلنوا الحرب ورفعوا سيف الكراهية والمعاداة، كما وردت في قصة حيي بن أخطب حين دخل رسول الله ﷺ المدينة، قال له صاحبه: أهو هو، قال: هو هو، قال: فما في نفسك عليه، قال: عداوته والله ما بقيت³.

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأنقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح4776، ج5/ص1949.

2- سورة المائدة الآية 82

3- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجليل، بيروت، د ط، 1411هـ، ج3/ص52.

وبعد أن انتشر الدين في كثير من الشعوب والأمم وامتزج بمختلف الحضارات والثقافات، وتسلمت إليه كثير من الحركات الباطنية قد تأثرت بتراث الديانات القديمة والعقائد الضالة، ومنهم من لبست رداء النفاق وهي تحمل راية الدفاع عن الدين، وفي حقيقتها تطعن في ظهره من خلال بث السموم والشبهات، وإذكاء نار الفرقة والتشتت، فصار للدين أبواق شتى، وصور متعددة وأفكار مختلفة، منها ما هو من الدين، ومنها ما الدين منها براء.

إن " تعدد الخطاب الديني الذي تتخلله مسافات شاسعة بين أفكاره لا تسمح بالتلاقي على أرض مشتركة، ولا تؤدي إلى توافق بقدر ما تنزع بأصحابها إلى خلاف تتعدى آثاره الأمة الواحدة إلى العالم، فيقبح ذلك من قدر الإسلام لديه ويسمح له أن ينتقي من بين هذه الخطابات ما يؤيد وجهة نظر معارض الإسلام وأعدائه، ويجدون تلالا من الأفكار يختارون منها ما يخدم تصوراتهم، بل ما يفضي إلى تنفيذ أهدافهم وتحصيل مصالحهم على الوجه الأكمل"¹.

وقد حذر النبي ﷺ أن تنهدم عرى الإسلام أو أن يؤتى من قبلك، أو أن تترك ثغرا من ثغور الإسلام، فيلج العدو منها فيكسر شوكته، ويستبيح حرمة ويعيث في الأرض فسادا، ويضع لك العقبات ويحيك لك المؤامرات التي تعيقه عن النهوض، ويبق العالم مأسورا في حبالهم وفي قبضتهم، يسير وفق مخطط يخدم مصالحهم ويحفظ أمنهم وسلطانهم.

إن هذا التعدد في الخطاب الديني لا يجتمع على كلمة التوحيد ولا يفضي إلى توحيد الكلمة، وإنما يؤدي إلى الاختلاف والتعارض، وقد يصل إلى حد الصراع والتصادم ومنها إلى التفرق والتشتت وذهاب الريح².

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³، وقال عليه الصلاة والسلام «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَا هِيَ تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»⁴.

1- الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، محمد عبد الفتاح مصطفى، دار كنوز، الجزائر، د ط، 2017م، ص158.

2- ينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، لطفه جابر العلواني، ص8-9.

3- سورة الأنفال الآية 46

4- المستدرک علی الصحیحین، للحاکم، کتاب العلم، باب أما حدیث عبد الله بن عمرو، ح444، ج1/ص218

لقد عانت هذه الأمة كثيرا من الاختلاف والفرقة والتشتت عبر تاريخها الطويل، وأثقل كاهلها هذا الحمل والتبعات التي تلاحقها جراء إحياء الفتن القديمة والصراعات المذهبية - من عند أنفسهم وتدبير الأعداء - لإغراق الأمة في وحل الجمود والتخلف، وأن لا ينهض الإسلام من كبوته ويسير في ركب التطور والازدهار في شتى العلوم والمعارف.

ولازالت أمة الإسلام إلى اليوم ينخر جسدها اختلاف الجماعات والمؤسسات الدعوية والحركات والمذاهب المتعددة، وكل منهم يرى أنه يمثل الإسلام، وغيره مخطئ ضعيف الفهم قليل التجربة ضيق الفكر والتخطيط.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ^{٥٣} ^١.

لقد اختلف الصحابة رضي الله تعالى عنهم، زمن رسول الله ﷺ - ولم يكن اختلاف للفرقة والتشتت - وإنما اختلاف رحمة، وقد وسع الدين تنوع فهمهم وبُعد تصورهم وسعة أفقهم وثبات فقههم إرضاء لله تعالى وطاعة لرسول الله ﷺ، ولمرونة الأحكام وثبات الأصول، ليتم تنزيلها على مستجدات الأحداث في مختلف العصور والأزمان، لما يتميز به هذا الدين من خصائص أكسبته مسaire الزمان والمكان والإنسان.

وقد انتقلت عدوى الاختلاف في كثير من البلدان الإسلامية والغربية، فتعددت أنواع الخطاب المتباينة والمتناقضة وربما وصل الأمر في البلد الواحد والجماعة الواحدة، إن لم يتدارك أصحاب العقول الراجحة والنفوس الزكية والقلوب العامرة بالإيمان والتقوى، حتى لا ينفلت القيد من أيديهم وتضيع جهود قد أفنت أجيالا من العلماء والدعاة، من أجل حظوظ النفس أو فورة غضب، فتخسر الجماعة كل ما بنته من قبل وينهار صرح الدعوة، ويتحول أفرادها إلى دعاة تنفير لا هداة تبشير.

إن الاختلاف إذا وقع في جماعة فيما يتعلق بأساليب الدعوة أو وسائلها، أو اختيار منهج من مناهجها، أو من خلال تصوراتهم في كيفية العمل للإسلام، فهذا وإن وقع فيه الاختلاف فنتائجه لا تتعدى الجماعة الواحدة يمكن تداركها وعلاجها، ولكن إذا تعلق الأمر بالجرأة على الفتية والاعتداء

على أحكام الله تعالى والتهاون في إصدار الأحكام في قضايا تحير الصحابة في حلها، وكل منهم يحيلها لصاحبه حتى تعود إليه، ثم يعتذر ويكل علمها إلى الله تعالى ويقول لا أدري.

وإذا تعلق الأمر بقضايا الأمة الكبرى كمقدساتها ووحدتها وسيادتها وثوابتها والخلافة المفقودة وغيرها من القضايا الأساسية والمصيرية العظمى، تجد من تسول له نفسه ويتحمل أوزار تصريحاته في الحديث عن هذه القضايا باسم الإسلام والإسلام منه براء.

وللعلم أن الاختلاف سنة كونية اقتضتها حكمة الله تعالى في الخلائق كلها، وهذا ما أكدته الآية الكريمة حينما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾¹، فلم يكن الاختلاف مقتصرًا على بني الإنسان ولكنه تعدى إلى كل أصناف المخلوقات - ملائكة وإنس وجن وحيوان ونبات وجماد - باختلاف تنوعها وتعدد أشكالها وصورها، وقدراتها وإمكاناتها، ومقاماتها ومستوياتها، قال في الملائكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾²، وقال في البشر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝٢٢﴾³، وقال في الجن قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا مَّا الصَّلَاحُونَ وَمَتَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدَا ۝١١﴾⁴، وقال عن الحيوان والهوم.

1- سورة هود، الآية 118، 119.

2- سورة فاطر الآية 01

3- سورة الروم الآية 22

4- سورة الجن الآية 11

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{٤٥}، وقال عن النبات والجماد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^{٢٧}.

ومن حكمة الله تعالى جعل الخطاب الديني يحتمل معاني متعددة، فيما يتعلق بالجزئيات والفروع، لتمييزها بالمرونة التي تتفاعل مع المتغيرات المستجدة، لقيام الدين وبقائه على مر الزمان وتنوع الإنسان، بخلاف الكليات والأصول، فإنها ثابتة لا تتغير، وإذا اختلفت الدعاة في مدى فهمهم واستيعابهم لخطاب الله تعالى تنوعت خطاباتهم من حيث الشكل والمضمون وفي اختيار الوسيلة والأسلوب.

وضمن هذا الاختلاف تعددت الحركات الدعوية، باختلاف رؤاهم ومناهجهم، واتخذت كل واحدة منهم طريقا لنصرة هذا الدين والدعوة إليه، ونظرت لنفسها على أنها تمثل الإسلام وأنها جماعة المسلمين وليس جماعة من المسلمين، وأن من خالفها واتخذ سبيلا غير سبيلها، وإن كان أفضل مما هم عليه، ويخدم دين الله تعالى على أحسن حال، عابوا عليه واعتبروه مبتدعا واتهموه بالخروج عن الدين، واتباع غير سبيل المؤمنين، ولققوا له التهم والضلالات، وأنه على غير صواب، وعلى إثر هذا الاختلاف والتنوع زادت تحديات ومعوقات الدعوة الإسلامية للنظرة الضيقة لكل مخالف، على أنه اختلاف تضاد وتصادم، وليس اختلاف تنوعا وانسجام، وقد أثرت هذه النظرة في تعدد لغة الخطاب الديني وأفقدته الثقة والمصداقية.

إن المتصفح لتاريخ الدعوة الإسلامية ومراحلها الأولى، ليجد فيه قوة نجاح باهرة، وذلك من حكمة التشريع الإلهي في التزام المؤمنين بتوحيد المنهج والاتجاه في صعيد واحد، لتوصيل ما أمر الله تعالى به أن يوصل، وسد الذرائع المؤدية إلى تعدد الحركات والاختلاف في عملها، ولما تكاثرت

1- سورة النور الآية 45

2- سورة فاطر الآية 27.

الحركات الإسلامية وامتزجت ثقافتها بالثقافات الأخرى، أثر ذلك في بنية الخطاب الدعوي وأصبح هذا الأخير ليس له صدى في القبول والاستجابة¹.

ولقد وصى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في كثير من الآيات في الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية المطهرة، والتي ذكرت في مواطنها، والتي دللت على الابتعاد عن مواطن الاختلاف ضمن حقل الدعوة، لسلامة توصيل الرسالة وهداية الناس إلى صراط الله المستقيم، كما قال الله تعالى:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾²،

وقال أيضا:

﴿قَالَ تَعَالَى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾³.

وفي هذا السياق "تضمنت آيات القرآن الكريم العديد من الإشارات والتنبيهات، التي تلفت النظر إلى أهمية لغة الخطاب الدعوي في جميع مراحل ومستويات الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دورها المحوري في تبليغ الرسالة وإرشاد الناس إليها، وفي تركيبتهم وتعليمهم والتأثير فيهم وتغيير سلوكهم، وفي حملهم على الالتزام بها وتطبيقها وتمثلها في حياتهم"⁴.

ومن هنا نرى مضمون النص القرآني يدعو " إلى ضرورة الالتفات إلى طبيعة المخاطب وجنسه لتحديد لغة الخطاب المناسبة له، نجد هذا في.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁵، حيث يبين الله تعالى في هذه الآية سنته المطردة في بعث

1- ينظر: اللغة في الخطاب الدعوي، عبد الرحمن الكيلاني، موقع جمعية رابطة علماء الأردن، تاريخ الإضافة: 1 كانون/يناير

2014م، تاريخ التصفح: 2019/02/03م، رابط الموضوع: <http://olamaa.org>

2- سورة آل عمران الآية 103.

3- سورة آل عمران الآية 105.

4- اللغة في الخطاب الدعوي، عبد الرحمن الكيلاني، موقع جمعية رابطة علماء الأردن، تاريخ الإضافة: 1 كانون/يناير

2014م، تاريخ التصفح: 2019/02/03م، رابط الموضوع: <http://olamaa.org>

5- سورة إبراهيم، الآية 04.

الرسول بلغة أقوامهم، ويبيّن سبب هذا: بأنه أدعى إلى وضوح الدعوة وتبيّن معاني الرسالة والوقوف على حقيقتها ومعرفة مضامينها وأحكامها"¹.

فلسان القوم ليس من الضروري أن ينحصر في لغة القوم المتحدث بها، بل يشمل عاداتهم وتقاليدهم وما تميزوا به عن غيرهم. . فيأتي كل نبي في كل عصر ليفوق أعلام زمانه في علومهم وتطورهم، فيقيم حجته عليهم بما أيده الله تعالى بالآيات البينات لتبليغ رسالة ربهم وتبيين شريعته، فأيد سيدنا موسى عليه السلام بالعصا زمن السحر، وأيد سيدنا عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص زمن الطب، وأيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن العظيم زمن البيان، وتبقى معجزة اللسان قائمة على مرّ الزمان وإلى قيام الساعة، لأنها الرسالة الخالدة التي أراد الله تعالى أن يظهرها على الدين كله رغم كيد الأعداء وتحاذل أهل الإسلام.²

ورغم ما تستحوذ عليه المؤسسات الدعوية اليوم من خطط عملية ونظم إستراتيجية في إدارة العمل الدعوي، إلا أن ذلك يبقى غير مكتمل ومقصوراً على نجاح جانب دون آخر، نظراً لتعدد الحزبية الإسلامية وأشكالها في الأوساط الاجتماعية، ويبقى الاختلاف بين الدعاة في كثير من القضايا والأحكام، بشكل يثير الاضطراب والارتباك لدى الجمهور، ما يؤدي إلى ما يشبه الفوضى الفكرية والفقهية، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج سيئة تبدأ من تأخر القناعات، وتنتهي بتخلف الاستجابة.³ إن مقتضى واقع الخطاب الدعوي يستوجب على الداعية في هذا العصر مراعاة لسان القوم عند مخاطبتهم، وحال المدعويين ومدى استيعابهم لما يوجه إليهم، فيختار لغة التخاطب على قدر عقولهم وما تتشربه نفوسهم من المعاني والتوجيهات، وفق ما أرشد إليه القرآن الكريم وما ورد في صحيح السنّة المطهرة، فإنه لا يقتصر على مجرد أن يكلم كل قوم بلغتهم الخاصة بهم... ولكن بلغتهم

1- المرجع السابق.

2- ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ-2007م، ص17

3- ينظر: تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، عطية عدلان، مقال بموقع مجلة البيان، العدد 314، تاريخ

الإضافة: 2013/07/30م، تاريخ التصفح: 2019/02/09م، رابط الموضوع: <http://www.albayan.co.uk>

التي يفهمونها ويدركونها، ويخاطب الناس في القرن الحادي والعشرون بلسانهم ولغتهم لا بلسان قرون مضت¹.

ومن سنن الله تعالى في خلقه أن جعل الناس مختلفين في ألسنتهم متباينين في سلوكياتهم وطبائعهم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَلْسِنَ كُفًّا وَالْوَنُكُفَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢)، ولم يقتصر هذا الاختلاف على طبيعة البشر بل تعدى إلى تنوع لغة الخطاب وتعدد مناهجه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) ٣.

ومن خلال هذا نرى "الناظر في الساحة الدعوية، يجد أن ظاهرة التعدد والتنوع قد شملتها، ويرى الاتجاهات الدعوية في هذا العصر قد برزت بشكل كبير وواضح، ويرى مواقف الناس عامة والدعاة منهم خاصة متباينة من هذه الظاهرة الدعوية... وقد أدى هذا التباين في وجهات النظر إلى سلبات كثيرة على العمل الإسلامي، حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه في واقعنا الحالي، من التفرق والتشتت والتنافر، بل والمخاصمة أحياناً، فظهرت الفتن والعقبات، مما أبطأ بمسيرة الدعوة الإسلامية، وترك المجال لأعدائنا ليحققوا بعضاً من طموحاتهم ومطامعهم"⁴.

وهذا ما يؤكد عملية "انفصال الفقه عن الفكر في صفوف بعض الدعاة مما جعلهم يجهلون أحكام دينهم، ووزع علماء الأمة إلى فئتين: العلماء والفقهاء من جهة، والمفكرين والدعاة من جهة

1- ينظر: اللغة في الخطاب الدعوي، عبد الرحمن الكيلاني، مرجع سابق.

2- سورة الروم، الآية 22.

3- سورة هود، الآية 118.

4- التعددية الدعوية، معاذ بن محمد أبو الفتح البيانوني، دار إقرأ، بيروت، ط1؛ 1427هـ-2006م، المقدمة.

أخرى، وقد أحدث هذا خللاً كبيراً في المفاهيم والتصورات، وخروجاً عن الأحكام الشرعية، وأوقع الدعوة في تناقضات غريبة"¹.

ومن جهة أخرى فإن الخطاب الديني رهين بعض التصورات لرجال الحركات الإسلامية، مما أحدث تباين ملحوظ على منظومة الخطاب الديني. وإذا توغلنا في مضامين الخطاب الدعوي نلاحظ اختلال واضح أثر بذاته على الاستجابة للخطاب الدعوي، ومن ضمن هذه التيارات الإسلامية نجد من تميز بالوسطية والاعتدال في خطابه، ومنهم من اتسم بالتشدد بظاهر النص، ومنهم من امتاز باستعمال العنف عن طريق القوة بغية التغيير والإصلاح الاجتماعي والسياسي، ومنهم من التزم منهج التبليغ المباشر، وكلمن هؤلاء ينظر لغيره بأنه على غير صواب ولا يمثل حقيقة الإسلام².

ومن خلال ما سبق ذكره حول إشكاليات الخطاب الدعوي ومعيقاته يتضح لنا جلياً أن الاستجابة للخطاب الدعوي مرهونة على توحيد لغة الخطاب في الثوابت والأصول وقضايا الأمة الكبرى المصيرية. ويتنوع الخطاب في فروع الدين وجزئياته، بما يحقق مصالح العباد في دينهم ودنياهم عبر مراحل الزمن ومختلف الأحداث، بما يتماشى مع منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، وبينه في كتابه، وجاءت به السنة النبوية المطهرة تطبيقاً عملياً في أرض الواقع.

1- إشكالات وتحديات الخطاب الدعوي رؤية تفصيلية، بربر سعد الدين السمانى بربر، موقع طريق الإسلام، تاريخ الإضافة:

2014/07/05م تاريخ التصفح: 2019/02/11م، رابط الموضوع <https://ar.islamway.net>

2- ينظر: حال تحديد الخطاب الديني في مصر، إبراهيم غانم البيومي وآخرون، مركز البحوث والدراسات السياسية ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط:1؛ 2006م، ج2/ص805، 806.

الفصل الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب

الدعوي المعاصر

المبحث الأول: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد

المسلمين

المبحث الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد

الغرب

المبحث الأول: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في

بلاد المسلمين

المطلب الأول: عوائق الاستجابة تتعلق بالداعية

المطلب الثاني: عوائق الاستجابة تتعلق بالمدعو

المطلب الثالث: عوائق الاستجابة تتعلق بموضوع الدعوة

المطلب الرابع: عوائق الاستجابة تتعلق بأساليب ووسائل

الدعوة

المطلب الخامس: عوائق الاستجابة تتعلق بالواقع المعاصر

المبحث الأول: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد المسلمين

توطئة: للخطاب الدعوي عوائق ومشكلات تتعلق بأحد أركانه فيما بالداعية أو موضوع الدعوة أو بعموم المدعويين، أو الوسائل والأساليب المستخدمة في الدعوة الإسلامية المعاصرة¹:

- فالذي يتعلق بالداعية يتمثل بالطعن في شخصه وسيرته وسلوكه وإصاق التهم به، ورميه بالسفه والجهالة والضلال والجنون والافتراء إلى غير ذلك مما يكون المقصود منه تنفير الناس منه وعدم الثقة به.

- والذي يتعلق بموضوع الدعوة يتمثل اتهامها بالابتداع والخروج على مألوف الناس وتقاليدهم ونظامهم الموروث، مما يراد به تنفير الناس من الدعوة إلى الله تعالى وصددهم عن سبيله.

- والذي يتعلق بالمدعويين يتمثل بإظهار الحرص على مصالحهم وملتهم ودين آبائهم والحفاظ على نعيمهم وحياتهم المطمئنة، مما يقصد منه إثارة حماس الناس ضد الدعاة إلى الله تعالى.

- والذي يتعلق بالوسائل والأساليب: يتمثل في التعلق بالوسائل القديمة، والركون إلى أساليب الجيل الأول، باعتبارها أمورا توقيفية لا يمكن الخروج عنها، وأن ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة من وسائل متطورة، لا يمكن استخدامها ولا التعامل معها، وهذا ما أخر وتيرة العمل الدعوي، وجفت ينابيع العطاء فيها.

المطلب الأول: عوائق الاستجابة تتعلق بالداعية

يعتبر الداعية المسؤول الأول، ويتحمل أعباء ضعف الخطاب الدعوي، وقلة تأثيره في المدعويين لما يتعرض له في مسيرته الدعوية من معيقات كثيرة، تتعلق بتكوينه وتربيته وإعداداته وما يحيط به في مراحل حياته، بمختلف مجالاتها الثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية، ناهيك عن الواقع وما يحمله من متغيرات وأحداث متواصلة ومستمرة تحول دون أداء الداعية مهمته الدعوية على أحسن حال وأكمل وجه مما يؤثر سلبا في استجابة المدعويين، وعدم تأثرهم بالمستوى الذي يُقدم إليهم ويعرض

1 - ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط9، 1423هـ - 2002م، ص 427-428

عليهم من تعاليم الإسلام ومبادئه، والتي لا يرى لها أثر في حياة الدعاة ومعاملاتهم، مما يزيدهم بعدا وصدا عن سبيل الله تعالى.

والواجب على علماء الإسلام ودعاته تشخيص الأسباب التي أدت بالخطاب الدعوي إلى هذا الحد، ووضع الآليات والحلول لهذا الضعف الذي أصابه، والرفع من مستواه وإزالة كل العوائق والمخدلات التي تقف في طريقه حتى يرقى إلى درجة القبول والرضا، وتحقيق غاياته وأهدافه التي ارتضاها الله تعالى لعباده، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَى﴾¹.

إن الدعاة في هذا العصر متفاوتون في تقديم الخطاب الدعوي بين القوة والضعف، حسب مستوى الداعية ومؤهلاته المتنوعة وخبرته الدعوية وبيئته ومجتمعه، وبقي الخطاب الدعوي يراوح مكانه يخاطب الناس من عليائه، ولا ينزل إلى دنياهم ويخالط واقعهم، وينظم شؤون حياتهم، ويخدم مصالحهم، فإن الأمر يدعو إلى التجديد والأخذ بأسباب التغيير والسنن الإلهية الغالبة والتعامل معها، حتى نضمن العودة إلى روح الخطاب الدعوي الأصيل، الذي يمثل الدين الإسلامي في أرقى صوره وأشكاله.

ولما صار الضعف في الخطاب الدعوي هو الصفة الغالبة، فإنه لا يشترط في الأخطاء الدعوية والمعوقات الداخلية فتسمى مشكلات وعقبات حتى تنتشر في جميع الدعاة، وإن غلب عليها طابع العموم، ولكن يكفي أن توجد في صفوف الدعاة وإن قلوا أو يعاني منها المصلحون أيا كانوا، فإن المرض الخطير إذا وجد في فرد أو أفراد دون انتباه إليه سرعان ما يعم وينتشر في الآخرين وهم في غفلة عنه، نظرا للتداخل في العلاقات الإنسانية وسهولة الاتصال بين الناس².

وفي خضم هذه الأحداث المعاصرة والتحويلات المتسارعة صار " من اللازم والضروري أن يتعرف الداعية على العقبات التي تعترض طريق الدعاة حتى يتجنب مزلقها ومخاطرها وينجو من غوائلها ومهالكها، ذلك لأن أي عقبة تعترض طريق الداعية قد تعوقه عن مسيرته، وتشتت من همته،

1- سورة طه الآية 123.

2- ينظر: بصائر دعوية، أبو الفتح البيانوني، دار السلام، مصر، ط2، 1427هـ-2006م، ص92.

وتصدده عن غايته، وتوهن من عزيمته، وتبدد من جهده، وتقلل من إنتاجه... بل ربما أقعدته عن السير في طريق الدعوة والجهاد... فيقعّد مع القاعدين ويصبح في المجتمع من اليائسين المعوقين!!...¹

الفرع الأول: العوائق الإيمانية

العوائق الإيمانية كثيرة ومتعددة، تعرقل سير الداعية في مجال العمل الدعوي ومن أبرزها:

– ضعف الإيمان

إن ضعف الإيمان هو أعظم العوائق في حياة الداعية، ومنه تفتح عليه كل المصائب والأسقام والآفات، وتسلب عليه كل المهالك والعثرات، لأن الإيمان هو الوقود الحي لصلاح القلوب، وهو المحرك الأساسي للعزائم والهمم والجوارح في القيام بمهمّة الخلافة في الأرض، وتبليغ رسالة الله تعالى، والدعوة إلى الالتزام بشعائره وتعاليمه، فإذا نقص الإيمان وخفت جذوته في قلب الداعية انهارت عليه العلل، ودبت إليه الأمراض الخطيرة والمهلكة، وأحاطت به الآفات من كل جانب.

ومن المعلوم في عقيدة المسلم أن درجة الإيمان في قلبه غير ثابتة، تزيد وتنقص، فتزيد بالطاعات والقربات، وتنقص بالمعاصي والآثام، فليحذر العبد من أن يحال بينه وبين قلبه، فيحيد ويهلك، فإذا خوى القلب من الإيمان دخلته الأهواء والأسقام، فيجتمعن عليه حتى يضللنه عن سبيل الله تعالى، فإذا أحاطت العلل بالقلوب طغى عليها الران، فيفسدها ويكدر صفوها فتصاب بالقساوة والغلف والانتكاسة، وقد حذرنا الله تعالى من عدم الاستجابة لله وللرسول.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ

يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٢٤﴾²

فإياكم أن تردّوا أمر الله تعالى أول ما يأتيكم فيحال بينكم وبين قلوبكم، لأن الإيمان يتطلب استجابتك لله ولرسوله³.

1- سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، ص 537

2- سورة الأنفال الآية 24.

3 - ينظر: تفسير السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرسالة، بيروت، ط1: 1420هـ-2000م، ج1/ص358.

يقول صاحب الظلال: "ويالها من صورة رهيبة مخيفة للقدرة القاهرة اللطيفة.. (يحول بين المرء وقلبه) فيفصل بينه وبين قلبه، ويستحوذ على هذا القلب ويحجزه، ويصرفه كيف شاء، ويقبله كما يريد، وصاحبه لا يملك منه شيئاً، وهو قلبه بين جنبيه. . إنها صورة تستوجب اليقظة الدائمة والحذر والاحتياط لخلجات القلب ولفثاته وكل ميل، مخافة أن يكون انزلاقاً أو تردي في الضلال"¹.

إن تغيير حال القلوب وابتعادها عن رحاب الله تعالى يعرضها للموت وفقدان الحياة كما أشارت الآية الكريمة، لأن حياة القلوب حين تعمر بالإيمان والتوحيد الذي يقوّيها ويثبتها ويحميها من السقوط والانزلاق في مهاوي الشبهات والشهوات والمغريات المعاصرة، والفتن المتراكمة على أصحاب الدعوات وأهل الصلاح، التي جعلت المرء يتقلب في فتن كظلمة الليل الحالك، يصير فيها الحليم حيران لا يثبت على حال كما أخبر بذلك سيد الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»².

"فالداعية الناجح يتمتع بقسط وافر من الإيمان واليقين، مع حرصه الدائم وتعهده بالاستزادة المستمرة من طاعة الله تعالى والصبر على مكابدة المشاق، والتصدي للمكائد واحتمال الأذى والمتاعب، والتغلب على نزغات الشيطان، والاستعلاء على هوى النفس ورغبتها في الشهوات والمحرمات"³.

فعلى الداعية أن يتحسس قلبه ليكشف مواطن الداء فيسارع إلى علاجه، لذلك فإن ضعف الإيمان يظهر في الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات دون شعور بالذنب حتى تصير عادة مألوفة، وتتحول من السر إلى المجاهرة، فيزيد عظم الخطيئة لقوله عليه الصلاة والسلام "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا

1 - ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق - مصر، ط32: 1423هـ-2003، ج9/ ص1495.

2 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب البحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح328، ج1/ ص392.

3 - ينظر: من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب والسنة (ضعف الإيمان)، عبد المهيمن عبد السلام طحان، دط، 1421هـ، ص09.

المُجَاهِرِينَ"¹. أي بالمعصية ومخالفة أوامر الله تعالى فينتكس القلب وتكسوه قساوة تحرمه من التأثر بالموعظة والنصيحة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾².

فإذا ضعف الإيمان في قلب الداعية ضاق صدره واستوحشت نفسه نور الإيمان الذي كان يغمرها، فتضعف همته فيفتر عن العبادة، ويتكاسل عن الطاعات والقربات، ولا يتأثر بالقرآن العظيم ولا بوعده ووعيدته، فتتلقفه حبال الغفلة والنسيان، فيفقد لهب الغيرة من قلبه، فلا يأمر بالمعروف ولا ينكر منكرًا، حين تنتهك حرمت الله تعالى، لما أصابه من مفاتن الدنيا وزخارفها، فتغلبه الأنانية وحب الذات واحتقار المسلمين وعدم الاهتمام بقضاياهم، وكل هذه الأمراض والآفات التي تصيب القلب حتى يصير كالبيت الحرب المهجور، الذي تسكنه الحشرات والهُوَامُ³.

فإذا ضعف إيمان الداعية صار خطابه لا يقوى على القيام بمهمة الدعوة ولا تحقيق أهدافها وغايتها، لأنه كما يقال: إن فاقد الشيء لا يعطيه، وكلما أراد أن ينصر الإسلام من خلال خطابه التي لا ترقى إلى مستوى لغة العصر، باءت مساعيه بالفشل والخسران، إلا أن يرجع إلى رحاب الله تعالى بنفس مفعمة بالخضوع والتسليم بين يديه، لينهل من معينه الصافي، فيزداد إيمانًا مع إيمانه، فتكثر طاعته ويخلص عمله لله تعالى.

الفرع الثاني: العوائق القلبية (الأمراض الباطنية)

تعرض الداعية خلال مسيرته الدعوية كثيرا من العوائق والعقبات، قد تقلل جهوده العملية وتحول دون مواصلة الطريق في الدعوة الإسلامية، وقد لا يتفطن لها الداعية لغفلته، حتى توقعه في المهالك فيضل الطريق ويترك دين الله تعالى.

والمفاتن في هذه الدنيا كثيرة قديما وحديثا، وخصوصا في هذا الزمن، الذي كثرت فيه المغريات شديدة التأثير، وقلما من يقف أمامها ويتصدى لها من شدة فتكها بقلوب الناس، وعلى الدعاة أشد خطرا وأكثر فتكا.

1 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ح 5721، ج 5/ص 2254.

2 - سورة البقرة الآية 74.

3 - ينظر: ظاهرة ضعف الإيمان، محمد صالح المنجد، مطبعة سفير، الرياض، ط 1: 1413هـ، ص 9-31.

لذا فإن عمل الداعية في الجماعة أو المؤسسات الدعوية يزداد وينمو عند تكاتف الجهود وصفاء القلوب ووحدة الكلمة، وتبلغ الدعوة بعملها مراتب متقدمة في الرقي والعطاء والعمل المتواصل في تبليغ رسالة الله تعالى ونشر تعاليمه، حتى إذا ما أصيب أفرادها بأحد أمراض القلوب الكثيرة والتي لا يمكن حصرها، فإنها تحبط العمل وتبدد الجهود وتفرق الجماعة ويذهب ريحها.

فإذا دخل الرياء والسمعة قلوب العاملين بدأ التنافس على المسؤولية والتطلع إلى الصدارة، وفُقد الإخلاص وصدق التوجه إلى الله تعالى، وأصبح يباهي بما فعل من أعمال حتى يحبطه الله تعالى، لأن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾¹. فمن أشرك في عمله غير الله تعالى رده عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾².

يقول عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ" قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"³.

وما يُسقط الدعاة في هذه الحمأة إلا عدم معرفتهم بالله تعالى وخشيتهم له، وجهلهم وغفلتهم بالعواقب والآثار الناجمة عن هذا الداء الخطير، الذي يفسد عمل الدنيا والآخرة ويؤء صاحبه بالخسران، ولجماعته بالفرقة والتشتت، ولدعوته بالتوقف والضياع.

إن الإعجاب بالنفس مرض خفي يصيب الداعية، فقد يكون بدايته المبادرة إلى نشر تعاليم الإسلام، والاستمرار في العمل الدعوي من أجل إظهار معالم الدين وأخلاقه، وبعد زمن يدبُّ الداء إلى قلبه فيرى في نفسه أنه الأفضل وأنه صاحب الأمر والنهي في الجماعة، ولا يريد أن ينازعه فيها

1- سورة محمد الآية 33.

2- سورة البقرة الآية 264.

3- مسند أحمد، ح 23630، ج 39/ص 39، قال المحقق -شعيب الأرئوط وآخرون-: إسناده جيد.

أحد، فيتصدر كل المواقف ويشهد كل المحافل، فتعجبه نفسه ويغفل عن الذي أوقفه هذه المواقف ودفعه لتلك الأعمال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَحِّذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمُ بَعْثُوهُمْ وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹.

فإذا أعجب الداعية بنفسه ودخلها الغرور، تناول على الناس وتكبر عليهم واحتقرهم لأن الكبير «بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»²، كما قال عليه الصلاة والسلام. وضيّق عليهم سبل العمل في الحقل الدعوي، وانحصر النشاط في بقايا ما تُرك من الأعمال والتصرفات، مما يقلل وتيرة السير نحو التطلع إلى فضاء يسع الجميع وتتظافر فيه الجهود وتوحد فيه الكلمة وتُرص فيه الصفوف، في جو أُسري يسوده الحب والعطاء لا الحقد والحسد، ويتخلله الرضا والعدل لا الغضب والظلم، فتسلم الجماعة من أعاصير الفتن الهوجاء.

وقد يتعرض الداعية لمضايقات كثيرة خلال مسيرته الدعوية، وعمله المتواصل في إطار العمل الجماعي، وقد يتحلى بالصبر في بداية الأمر، وسرعان ما يزيّن له الشيطان مغبة هذه التصرفات، فيُشعل في قلبه نار الحقد والحسد ويدعوه إلى الظلم والانتقام، فتتفرق الجماعة وتزول هيبتها بين الناس، فيصبحوا دعاة تنفير وتعسير لا هداة تبشير وتيسير.

وبهذا تكون هذه الأمراض الباطنية التي تصيب القلب عائقاً حقيقياً عن بقاء أهل الإيمان في محاضنهم الدعوية وفي تعديل سلوكهم وتصرفاتهم العملية، وفي فتح المجال أمام أمة الدعوة لقبول دعوتهم والتمسك بها، واعتناقها لما فيها من سعادة الدنيا والآخرة.

الفرع الثالث: العوائق الأخلاقية

إن من الأمراض الخلقية التي تنخر جسد الجماعة المسلمة هي أمراض عملية وسلوكية. والجماعة الفطنة تحرص على سلامة قواعدها ومرافقها وكل الروافد التي تمد الدعوة وهيكلها بالعطاء والقوة وسلامة الطريق وحسن التصرف في الأمور كلها، وأن لا تدع مجالاً للغفلة والسخرية، ولا يترك الأمر

1 - سورة النحل الآية 94.

2 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، ح 275، ج 1/ص 327.

دون اهتمام من المسؤولين وأصحاب القرار، ولتكن رجالات الدعوة على حذر من تسرب الداء إلى أوساط الجماعة، فإنه يأتي على كل جهودها وإنجازاتها وتلك العلاقات الوطيدة والأخوة الصلبة فيمحققها ويهدد كيانها، لأن غياب الثقة وسوء الظن يقصم ظهر الجماعة المسلمة، ويفتت قوتها ويشغلها عن العمل ويعطل حركتها عن تقديم الإسلام في أبهى صورة وأرفع مقام، وإعلاء كلمته وعرض شريعته ومبادئه على كل الأنام.

إن سوء الظن إذا حل بأفراد الجماعة المسلمة ورجال الدعوة يقعدهم عن العمل، وعن أداء دورهم والقيام بواجبهم نحو دعوتهم وإسلامهم، ويفشل كل البرامج والمخططات التي تجعل الجماعة المسلمة في حركة دائبة من النشاط وتقدم الخدمات الدعوية، لأن فقدان الثقة ودخول مجال الشك في نوايا المسؤولين والقادة يعمل على عدم تنفيذ الأوامر والقرارات، وتبقى حبرا على ورق، وتتعطل عجلة الدعوة وتتوقف عن المسير والتقدم، فيضيع أمل المخلصين في انتشار الإسلام ولا تتحقق أهداف الدعوة، ولا تبلغ غايتها من أجل بقاء راية الإسلام مرفوعة على كل صعيد.

ولهذا نهى الله تعالى عن سوء الظن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾¹.

وقد حذر النبي ﷺ منالظن واعتبره أكذب الحديث فقال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»².

"إن وجوب سوء الظن بمسلم عُرف عنه المجاهرة بالمعصية والصد عن سبيل الله تعالى، وعدم الالتزام بالإسلام لجواز أن يكون أداة في أيدي الكافرين لتنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم على الإسلام والمسلمين، كما يشهد بذلك الواقع اليوم، ويكون سوء الظن بهؤلاء حينئذ من باب الحذر والحيلة اتقاء لشركهم وإبطالا لكيدهم ومؤامراتهم"³.

والجماعة المسلمة الفطنة التي تحفظ حماها حتى لا يَرْتَع فيه غيرها، وتأمين صفوفها من الاختراق والعبث برصيدها ومنجزاتها، فتعيش على حذر دائم من أن يلج إليها مرض يفسد أخلاقها وأعمالها

1 - سورة الحجرات الآية 12.

2 - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، ح 4849، ج 5/ص 1976.

3 - آفات على الطريق، سيد محمد نوح، كتاب الشاملة، ج 3/ص 7.

وتماسكها، فإن بقاء الجماعة وثباتها في أداء مُهمَّتها مرهون باليقظة التي تتحلى بها في متابعة أفراد الجماعة وملاحظتها وسد الثغرات التي تحدث من حين لآخر، وهذا أعظم ما يقوم به الدعاة الربانيين والمصلحين، وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ الدعوية.

والسيرة العطرة تزخر بمثل هذه المتابعات، فقد قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر حين عير بلالا بأمه «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»¹. وقال لعائشة رضي الله عنها حين وصفت المرأة بالقصر «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»². وقال للرجلين حين اغتابا أخويهما: «انزلا فكلًا من جيفة هذا الحمار» فقالا: يا نبي الله، من يأكل من هذا؟ قال: «فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه»³. وغيرها من الوقائع والأحداث التي كان رسول الله ﷺ لها بالمِرصاد. وما أعظم تلك الحادثة التي كادت أن تعصف بوحدة الجماعة، وهي حين أثرت نعمة الجاهلية بين الأوس والخزرج وتذكروا ما كان بينهم، حتى تنادوا إلى الحرب، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁴

وقال قوله التي لازالت تصدح في أذن الزمان «أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ»⁵. فتعاقب القوم وبكوا وندموا على ما كان منهم فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله:

1 - صحيح البخاري، كتاب الادب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ح 5703، ج 5/ص 2248.

2 - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ح 4875، ج 7/ص 237.

3 - المصدر نفسه، كتاب الحدود، باب رجم معاذ بن مالك، ج 6/ص 478.

4 - سورة آل عمران الآية 103.

5 - السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2: 1375هـ-1955م، ج 1/ص 556.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ءِيمِنِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ

تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾¹

فلولا حرص النبي ﷺ في لَمَّ الشمل ورض الصف وتوحيد الكلمة، لقامت الحرب وأتت على الأخضر واليابس وانتهى أمرهم وذهب ربحهم.

فكل أخلاق المسلمين الفاسدة وتصرفاتهم المشينة وتعاملاتهم غير الشرعية، تحمل صورة سيئة في وجه الإسلام، وتعبّر عن مدى بُعدهم عن دينهم وإسلامهم، وتكون دعوة تنفير وإبعاد للمسلمين وغير المسلمين من أمة الدعوة، في قبول الإسلام والاستجابة له، لأن الناظر في حال المسلمين اليوم وما هم عليه من تناقض وتناحر وتفرق يتهم بها الإسلام ويشكك في تعاليمه ومبادئه ومقوماته.

الفرع الرابع: العوائق النفسية

تتعرض النفس البشرية لكثير من الأمراض المستعصية والخطيرة، التي تعيق الدعاة عن الصمود في وجه تلك الأعاصير العاتية من الشهوات والشبهات، وكل الفتن والسهام التي تنخر جسد الأمة وتطعن في دينها، ومن بين هذه الأمراض:

– الضغوط النفسية في حياة الداعية

إن الحياة مليئة بالمشاغل والمهام وكثرة الأعباء وزيادة التكاليف، وكل هذا يؤثر سلباً في حياة الداعية. وهو يمثل شخصية اجتماعية مع جميع طوائف الناس، فكان واجبا عليه المعرفة الدقيقة لنفسيات الغير وفن التعامل مع الآخرين مع كسر الحواجز وتجاوز كل العقبات والعوائق التي تثبّط الداعية عن مواصلة دعوته، بعد بذل الجهود والطاقات واستفراغ كل القدرات من أجل الوصول إلى نجاح دعوته وتبليغ دينه، فإن ذلك يؤدي بالداعية إلى الإحباط والتأثير النفسي، فيتحول إلى ضغوط نفسية في حياته وقد تعيقه عن العطاء والبذل وتقعده عن مواصلة العمل الدعوي.²

1 - سورة آل عمران الآية 100، 101.

2- ينظر: الضغوط النفسية في حياة الداعية، عوض بن محمد مرضاح، مدار الوطن، السعودية، د ط، د ت، ص7

إن هذه المؤثرات النفسية ترجع أساساً إلى ضعف التربية الروحية في إعداد الدعاة وإشباعهم بمختلف العلوم والتجارب السابقة للعلماء في حقل الدعوة وما تعرضوا له في حياتهم من ابتلاءات وشدائد وفتن وما أصيب به بعض الدعاة من أمراض قلبية، كالحسد والإعجاب بالنفس وحب التسلط والظهور، فيؤدي ذلك إلى عشوائية التخطيط وفوضوية العمل، وقد تنتج ضغوط نفسية من ارتباط الداعية بعوامل خارجية كالزوجة والأولاد وأعباء العمل، وكثرة التكاليف والعلاقات الخارجية مع غياب المرجعية واستعجال الثمرة، أو الواقع الأليم أو المصادمات الدعوية بين الحركات والجماعات العاملة في حقل الدعوة.¹

– الفتور وضعف الهمة

إن الخطاب الدعوي مهمة شاقة ومسؤولية عظيمة، لا يمكن القيام بها والمصابرة عليها إلا أصحاب الهمم العالية، والعزائم القوية الصادقة، والإرادة النافذة، لأنه طريق شاق ومواجهة مستمرة حادة، تعترض مسيرته عقبات تعرقل خطواته، وتحول دون بلوغ مقاصده وتحقيق أهدافه، من خلال تشويه صورته وتهوين أمره ووصفه بما لا يليق به، لتنفير الناس عنه وعدم الإصغاء إليه. وقد أثنى الله تعالى على أصحاب الهمم العالية من الأنبياء والرسل الكرام، وخص أولي العزم من الرسل، ورفع قدر محمد ﷺ من بينهم، بما حباهم الله تعالى من مكانة رفيعة، وقد تجلت هممتهم العالية في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله تعالى كما بين ذلك في عرض قصصهم في القرآن العظيم.²

ومن أجل الانطلاقة الحسنة للدعاة في دعوتهم واستمرار نشاطهم وبعث روح الجهاد والمثابرة في العمل الجاد، ومن أجل تحقيق أفضل النتائج بأن تتعلق هممتهم بما كان عليه أصحاب المقامات العالية من العاملين والمجاهدين من علماء الإسلام ودعاته، اللذين أبلوا بلاء حسناً في مسيرتهم الدعوية وما تكبدوه من مشاق وشدائد، وضيق وحر، وكيف تعاملوا مع معوقات الطريق وسبل مواجهتها والتغلب عليها.

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 8

2- ينظر: علو الهمة، محمد إسماعيل، دار الإيمان، مصر، د ط، 2004م، ص 126-129.

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

إن صاحب المهمة العالية لا يتوانى في نصرة دينه، والعمل على نشره والقيام بما يطلبه منه من واجبات وأعمال تثبت صدق خطابه، وحقيقة إسلامه ودمائه أخلاقه، ليكون قدوة عملية تدعو الناس بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة وطيب الأعمال، لا بالأوهام والوعود والأقوال. فالداعية البصير يعلم أن طريق الدعوة طويل وشاق، مملوء بالأشواك والصعاب لا تتحمله إلا نفوس الرجال، ولا تقوم به إلا همم الصادقين الأبطال، لا تقدر على مواصلة السير فيه النفوس المريضة المترهلة، ممن أصابها وهن العزيمة ونضب وقود الإيمان فيها¹.

إن هذا الطريق هو طريق الأنبياء، فيه تعب آدم ونوح لأجله نوح و طال أمد دعوته، ورمي في النار الخليل لأجل توحيده وعقيدته، ووسد للذبح إسماعيل لتسليمه وخضوعه وطاعته، وبيع يوسف بثمن بخس لهداية الناس ورفعته، وقاس المرض أيوب صابرا لقضائه في محنته، وتحمل الحبيب محمد ﷺ كل صنوف الأذى والمحن من أجل هداية قومه ونصرة دينه ورفعته².

إن دوام الإطلاع على حياة وسير الصالحين من العلماء والدعاة، وتتبع خطواتهم في مسيرتهم الدعوية طوال عقود من الزمن، عاينوا فيها كثيرا من العقبات والشدائد والمعوقات التي وقعت في طريقهم، في محاولات لصددهم عن دعوتهم ونشرهم لدين الله تعالى، وكيف تعاملوا معها وعالجوها بالحكمة والصبر.

وإذا تحلّ الداعية بالصبر والعمل الجاد والمثابرة وتجنب المواجهة المادية والردود الارتجالية السريعة... ويسير بمنهجية ثابتة وفق السنن الإلهية التي بثها الله تعالى في الحياة وفي الأنفس، كسنة الصراع والتدافع، والتدرج في القيام بواجب الدعوة، مع علمه بأن طريقه مخوف بالمكاره، وسوف تعترض طريقه المصائب والفتن والشدائد، مصداقا لقوله تعالى:

﴿الْم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ﴾³.

1- ينظر: بصائر تربوية، مجموعة من الكتاب، راجعه عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، د ط، 2004م، ص 135.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 135.

3- سورة العنكبوت الآية 1-3.

وهذا ما بينه ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ قبل الانطلاق في دعوته حين أتاه الأمين جبريل عليه السلام وبشره بالرسالة واختيار الله تعالى له رسولا لهذه الأمة، وقبل أن يصدع بالدعوة ويدخل مجال المواجهة، قال له: يا ليتني أكون فيها جذعا ! يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ! فردّ عليه رسول الله ﷺ متحيرا من كلامه: "أومخرجي هم؟"، فقال: "إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا..."¹.

عرف النبي ﷺ أن أصحاب الرسالات سيواجهون بأصناف من الأذى ومختلف الفتن، تصل إلى الإخراج أو القتل.

فالداعية الفطن يعرف انه يحمل رسالة ويؤدي أمانة، فيستعد لمواجهة كل العوائق وأنواع الأذى، ويتحمل كل المتاعب والحن في سبيل دعوته، ويتقوى في هذا الطريق بصحبة الصالحين وأصحاب الهمم العالية، إذ أن هؤلاء لهم من الصفاء النفسي والإشراق القلبي والإشعاع الروحي ما يسبي ويجذب، بل ما يحرك الهمم والعزائم ويقوّي الإرادات².

— السخرية والاستهزاء

كل دعوة جاءت تحمل النور وتنشر الهداية بين الأنعام، إلا اعترضت طريقها العديد من العوائق والعقبات لتعرقل مسيرتها، وتصدها على تحقيق غايتها وأهدافها، فهذه سنة الدعوات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾³، ورغم أن الآية تعني الكفار لتعرضهم لدعوات الأنبياء والمصلحون بالسخرية والضحك حتى يُنْفَرُوا الناس من دعوتهم وإجابتهم، ولكن سنة الله تعالى جارية في أتباع الأنبياء ومن جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فيتهيئون له ويعدّون له عدته حتى لا يشيهم عن تبليغ دعوتهم.

1- ينظر: سيرة ابن كثير، ج 1/ص 395.

2 - ينظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح، دار الوفاء، مصر، ط 1، 1433هـ-2012م، ص 23-26.

3- سورة المؤمنون الآية 109-110

فإن أول ما يتعرض له الداعية في بداية دعوته السخرية والاستهزاء والتطاول، وهذه طبيعة البشر وسنة جارية في حياة الأنبياء والرسل الكرام، وكل نبي إلا وقد واجهه قومه بشيء من ذلك، وقد تشمل السخرية بالعبادة وبشخصه وحاله وأتباعه، ﴿ وَقَالُوا يَأَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۚ ¹، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ۚ ²، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ إِلَّا الَّذِي كُنَّا نَرَىٰ وَمَا نَزَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۚ ³، والآيات في كثيرة.

وقد يغلب على الناس عاداتهم وما ألفوه من عقائد وأفكار وأخلاق، تراكت عبر سنين الحياة وما ورثوه من أبائهم وأجدادهم هو الموجه والحاكم في تصرفاتهم وأعمالهم وإن كان على ضلال، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ۚ ⁴، فَالْأَناس لَا قَرِيبَ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ۚ ⁵، فَالْأَناس لَا تَسْتَسْلِمُ لِلتَّغْيِيرِ بِسَهُولَةٍ، فنوازع النفس تربطها بماضيها ولا تقبل التحول وإن كان إلى هدي واستقامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۚ ⁶.

فالنفوس تنفر من التقيد والالتزام للتعاليم الشرعية، والأوامر الإلهية، وتميل إلى حياة الراحة والدعة، وعدم بذل الجهد في معرفة الحقيقة وغاية الخلق، وإذا قاموا بهذه التصرفات تجاه الدعاة وأهل الحق، إنما أرادوا تشييطهم عن مواصلة الطريق والحد من عزائمهم، وإضعاف همهم، وهذا حال أعداء الإسلام في كل عصر ومصر.

1- سورة الحجر الآية 6

2- سورة الزخرف الآية 31

3- سورة هود الآية 27

4- سورة الزخرف الآية 22- 23

5- سورة الزخرف الآية 24

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَقِّقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾¹،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾².

إن طبيعة أهل الباطل والكفر لا يرضون بأن يرو أهل الإيمان بما وهبهم الله تعالى من فضل وهداية، إلا أن يكونوا مثلهم في الغواية والضلال حسدا من عند أنفسهم، فيفتعلون لهم العوائق والعقبات للكيد لهم، ويُسخِّرون كل وسيلة للسخرية والاستهزاء، والخط من قيمتهم وثني عزيمتهم وصدهم عن مواصلة الطريق، وهذه من حبائل الشيطان وجنوده من الإنس والجن في محاربة الحق وأهله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ

مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³.

– اليأس والقنوط والتشيط

إن ظاهرة اليأس والتشيط إذا استفحلت في أمة، وترسخت في نفسية الدعاة والمصلحين فإنما تكون بمثابة القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي، والحالقة التي تخلق التفاؤل بالنصر، لأن اليأس مرض خطير يأتي على العمل الدعوي فيحبطه، ويوهن النفس ويهزمها من داخلها فيفقد الخطاب قوته ونشاطه وتأثيره وفاعليته⁴.

ومن أجل الخروج من هذه العثرات والأمراض النفسية المحدقة بالدعاة والمحبطة لنفوسهم، والمضعفة لهمهمهم، أن يبدلوا ما في وسعهم لتوفير خطابات ذات مستوى رفيع، لتبليغ رسالة الله تعالى بكل ثبات ويقين، مع أمل استجابة المدعوين لخطابهم، بعد صبرهم وتحملهم لصنوف الأذى والحن، فيحيطهم الله تعالى بتأييده ونصره، ثم يمكّنهم في الأرض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، كما كان حال الأنبياء وأتباعهم من قبل.

1 - سورة الممتحنة الآية 02.

2 - سورة النساء الآية 89.

3 - سورة البقرة الآية 109.

4 - ينظر: مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ-1997م، ج2/ص645.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾¹
 ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
 وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾².

ومن المشكلات التي تواجه الداعية في مسيرته الدعوية، بعد بذل الجهد والعمل المتواصل، ومشقة الطريق، ونفرة المدعوين وقلة الاستجابة، فيدب إلى نفسه اليأس والقنوط وتكثر عليه وساوس النفس وإملاءات الشيطان، بإعراض الناس عنه ورفض دعوته التي لم يتخللها بأسوة حسنة تؤيدها وتؤكد صدق خطابه، فيستسلم للقعود عن العمل ويصيبه الملل وعدم الرغبة في تغيير واقع المدعوين وتحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها، فيعتزل الجماعة ويترك العمل الدعوي.

ومن أجل أن يكون الداعية على حذر من عقبات الطريق ومثبطات الأعمال فقد حدثنا القرآن الكريم عن نبي الله نوح عليه السلام في حياته المعمرية، ومراحل دعوته وخطوات مسيرته الدعوية، وما لقيه من قومه من الشدة والعتل لقرون من الزمن، ولم يتبادر إلى نفسه اليأس والقنوط في عدم استجابة قومه له، حتى أبلغه ربه بأن لا حياة لهؤلاء القوم في قبول دعوته والاستجابة لأمر الله تعالى، فلا تحزن عليهم، وما سوف يحل بهم من الخزي والهوان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾³
 وعذر الله تعالى نوح في مهمة البلاغ ثم أحلّ بهم العذاب، وأغرقهم الطوفان وهم ينظرون،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
 ظَالِمُونَ﴾⁴.

وقد أدرك العدو مدى خطورة الهزيمة النفسية وشدة آثارها المدمرة ومداهها الطويل، لتضمن التبعية والاستسلام الدائم " فالهزيمة النفسية تفوق بكثير في آثارها ونتائجها الهزيمة العسكرية، لأن

1 - سورة السجدة الآية 24

2 - سورة آل عمران الآية 146.

3 - سورة هود الآية 36.

4 - سورة العنكبوت الآية 14

الأخيرة قد تتحول إلى نصر يوم أن تنطلق الإرادة لتواجه التحدي، لكن الهزيمة النفسية تظل تقيد إرادة الإنسان، وتعطل قدرته على المقاومة وتدفعه للشعور بالإحباط، لتقضي على كل أمل للإصلاح والتغيير، وبدلاً أن يبحث عن سبيل للخروج من الأزمة، يكتفي بالعويل وأن لا مجال للخروج من الأزمة إلا بالاستسلام والرضا بالواقع.¹

— الغلو في الدين وآثاره

لقد عانت الحركات والجماعات الإسلامية من الوقوع في الأمراض النفسية عند بعض رجالها، الذين تشربت نفوسهم هذه الآفات المهلكة، فتمكنوا في إحداث تخلخل في كيان الجماعة وهيكلها، ففقدت توازنها وثباتها ثم تفرقت كلمتهم ولم يعد لهم مكان في الحقل الدعوي والعمل الإسلامي المتواصل.

إن التنطع والغلو في الدين وتحميل أفراد الجماعة من العمل مالا يطيقون، ومن المسؤوليات ما تنوء به الشم الرواس، وقد يتحمس الداعية في بداية عمله، وينبهر بعدد المشاركين وينخدع بالنتائج المغرية، ولكن الأمر يتطلب استمرار في بذل الجهد، وتواصل في العمل الدعوي الرصين المتوازن، وقد حذر النبي ﷺ أمته من الغلو والتشدد في الدين، وبَيَّنَّ مَعْبَةَ ذَلِكَ فِيمَنْ سَبَقْنَا مِنَ الْأُمَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾². وقال ﷺ: «لا تُشَدُّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَلَكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِيَارِ (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)»³ 4.

إن عدم الالتزام بما أمر به الشارع الحكيم من الإتيان والتسليم، وما ورد عن رسول الله ﷺ في العمل بالوسطية والتوازن والاعتدال، والتدرج في التطبيق العملي للتعاليم الإسلامية وأوامرها، يؤدي

1 - ينظر: فكر الهزيمة خطره وسبل مواجهته، محمد بخيت، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، كلية أصول الدين بجامعة المدينة المنورة، أبريل 2007.

2 - سورة النساء الآية 171.

3 - سورة الحديد الآية 27.

4 - سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، ح 4904، ج 7/ص 265، قال المحقق - شعيب الأرناؤوط وآخرون -: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد محتمل للتحسين.

ذلك إلى الغلو في الدين والتشدد على النفس والله تعالى يرشدنا إلى إتباع صاحب الأسوة الحسنة عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾¹ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام للنفر الثالث الذين جاؤوا يسألون عن عبادته فتقَالَوْهَا، وأرادوا التشديد على أنفسهم بكثرة الصلاة والصيام وعدم الزواج، فخرج عليهم ﷺ وقال إني والله لأعلمكم بالله وأحشاكم له، أما وإني أقوم وأنا وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فقد وضع رسول الله ﷺ حدا للمتنتهين والمتهورين الذين يعبدون الله تعالى على هواهم، وظنوا أن الدين تشديد على النفس وحرمانها مما أحل الله تعالى من الزينة والطيبات من الرزق، فبين عليه الصلاة والسلام أن الدين رحمة ورفق بالنفس البشرية.

إن الغلو في الدين يرجع إلى قلة العلم وإتباع الهوى، والغفلة عن معالم الدين ومبادئه، وقلة التجارب والخبرة في العمل الإسلامي والدعوي لهذا الدين، والاستعجال في الوصول إلى النتائج دون قطع المراحل اللازمة في سلم التدرج والتلطف في عرض الإسلام على الناس، وتتبع السنن الإلهية التي بنَّها في الخلاق وفي الأنفس، ومسايرتها وعدم التصادم معها لأنها لا تحابي أحد.

إن التشدد في الدين يؤدي إلى كراهية العبادة وعدم تذوق حلاوتها، ودون الإحساس بالخشية من الله تعالى والقرب منه، فيغلب عليه الفتور وثقل الطاعة فسرعان ما تحدّثه نفسه بالتوقف والانقطاع، فينفر الناس منه فتضيع مكانته وهيبته، فيصبح وبالا على دعوته ويعرضها للسخرية والانقضاض عليها من طرف الأعداء، ثم التمزق والتشتت.

فإذا أصيب الداعية بالفشل في إنفاذ برامجها وتطبيق خطته، والتي أراد بها حمل الناس على تكاليف كثيرة وأعباء ثقيلة، وأعمال متنوعة ونشاطات دائمة دون دراسة الواقع ومتغيراته، والنفوس وتقلباتها، وما تطيق من العمل وتحمل من الطاعات وأعمال الخير، أدى به إلى اليأس والقنوط من عدم استجابة الناس إلى خطابه وقبول دعوته، فاستوحش الناس وطوّعت له نفسه عزلتهم، وتعلقت بالانزواء والوحدة هروبا من مخالطة الناس والتعامل معهم، وهذا ما لم تأمر به شريعة الإسلام، وقد أكد

النبي ﷺ أن "المُسْلِمَ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ"¹.

فالغلو في الدين ظاهرة سيئة وعمل مذموم يرفضه العقل السوي في كل الأحوال، لأنه تجاوز في الحد وخروج عن طبيعة البشر، التي فطرها الله تعالى على الوسطية والاعتدال والرفق والرحمة، وجعل تشريعاته تتوافق مع فطرتهم فتستجيب لها وتعمل بمقتضاها.

الفرع الخامس: العوائق الاقتصادية (الظروف الاقتصادية)

إن من المعوقات الخطيرة التي تصيب العمل في حقل الدعوة وتضعفه هو الذي يتطلب بذل وعطاء مادي كبير، حتى يسير ركب الدعوة وتعب عباب بحر الفتن والشهوات والشبهات، وتبني لنفسها قواعد وتفتح مراكز للتربية والتعليم، والإعداد الروحي والنفسي، لخوض معركة الوجود وتحقيق غايته، ومن أبرز هذه العوائق:

– ضعف الكفاية المادية (نقص التمويل)

من أجل نجاح الدعوة وما تملكه من رصيد إيماني وعلمي، لا بد من تغطية مادية تفي بكل متطلبات العملية الدعوية بما فيها الدعاة، حتى يتمكن القائمين على الدعوة من مواصلة العمل لتحقيق الأهداف وبلوغ المقاصد الشرعية، فلا بد من التغطية المادية لمختلف مجالات الدعوة وتلبية احتياجاتها، والذي يتطلب تمويلاً قوياً ودائماً، واستثمار كل الجهود والطاقات البشرية والمادية².
والذي يلتمس الواقع يدرك أن ما يعانيه الخطاب الدعوي من ضعف وتراجع بسبب تخفيف ينابيع الدعوة وروافدها، وأن ما يرصد للدعوة من أموال وحسابات هزيلة لا تتناسب مع عظم المهمة الدعوية وتكاليفها، في ظل المتغيرات التي يشهدها واقع الدعوة من وجود أفكار ودعوات هدامة وغزو

1- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَؤْدَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، د ط، 1998م، ج 4/ص 243.

2- ينظر: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، أسامة حمدي السيد، حولية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر، مصر، 1437هـ، 2016م، ص 1050-1127، م 8 العدد 8 موقع جامعة الأزهر.

فكري، ترصد له ميزانيات دول، وتُتاح له كل الإمكانيات والوسائل، وتُهد له الطاقات وتُزاح عنه كل العثرات ما لا يتاح للدعوة إلى الله تعالى¹.

إن المعاناة التي تثقل كاهل المؤسسات الدعوية والجماعات الإسلامية من نقص التمويل، وعدم الاهتمام بمتطلباتها، لا يمكن أن تستمر... ولولا أن الإسلام حق ثابت مؤيد بتأييد الله تعالى له، لما بقيت له بقية أمام جحافل الظلم والطغيان المزودة بكافة الوسائل الدعوية الحديثة، من نشرات ومجلات وصحف ومسارح وإذاعات ومحطات فضائية، ومن وسائل إعلامية واتصالية مختلفة، وكل هذه الوسائل قد جمعتهم الشبكة العالمية بأقل كلفة، ودون إهدار للجهود وضياح للوقت، وكل ذلك للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم، وكل ما وصلت إليه ذبذبات الصوت وحقول الشبكة العالمية والتي عمت الكون كله في عصرنا الحاضر، لإفساد عقائدهم وأفكارهم².

والدعوة بكل أركانها وآلياتها، وبما تزخر به من ثروة إيمانية وعلمية وأخلاقية، لا يمكن أن تظهر على الناس وتؤتي ثمارها، ما لم تتوج بينابيع من العطاء المادي الذي يبعث الروح في كل جوانبها، بدء بالداعية الذي يمكنه أن يتفرغ لدعوته ولا ينشغل بأسباب الحياة، ولا أن يكون ضعيفا يتطلع إلى عطايا الناس ورحمتهم، فيفقد الخطاب قوته وتأثيره، فلا بد للداعية أن يغنوه عن السؤال بما يكفي متطلباته وحاجياته ليؤدي دوره وينهض بخطابه على الوجه المطلوب.

ومن أجل القيام بالدعوة ونجاح مشاريعها ومخططاتها، والتحرك في أوسع نطاق، وبث الخطاب في كل مكان، وبناء مؤسسات الدعوة ومراكزها وتمويلها بكل ما يؤهلها للقيام بواجبها نحو دينها وإسلامها من العتاد والعدة، ومن ثروة علمية متعددة الأطراف ووسائل حديثة مختلفة وغيرها، وهذا يتطلب بذل أعظم الجهود المادية والمعنوية لسد حاجيات الشعوب والمجتمعات التي تفتقر اليوم لمثل هذه المحطات الدعوية المعاصرة.

1- ينظر: المرجع السابق.

2- ينظر: مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها، محمد أمين حسن بني عامر، حولية دراسات كلية الشريعة والقانون جامعة اليرموك، الأردن، المجلد 35 العدد 1، سنة 2008، ص 80

إن قلة المال وضعف التمويل يُعدّ سبباً في إهمال المشاريع الاقتصادية الاستثمارية المغطّية لاحتياجات الدعوة الإسلامية ومتطلباتها المادية، واعتماد الدعوة في تلك المتطلبات وسدّ تلك الحاجات على أموال التطوع والصدقات الآتية المحدودة، مما أوقع الدعوة في ثغرات وأزمات خانقة، أدت بها إلى الانغلاق والتوقف عن مواصلة العمل الدعوي وضياع كل الجهود¹.

فإذا كان التمويل المادي للدعوة والدعوة أمراً مطلوباً وضرورياً فإن إظهار الشفقة والإحسان إلى المدعوين من أساسيات الدعوة النبوية، فقد أعطى النبي ﷺ من العطايا لتأليف قلوب الناس حتى يلتفوا حول الإسلام لحداثة عهدهم به، وليتبنوا ويقوى إيمانهم، وقد عدّها الإسلام من أبواب الإنفاق الثمانية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَوْلَفَةَ فَلَوْلِيهِمْ﴾². والسيرة النبوية العطرة مليئة بمثل هذه الأحداث والتصرفات النبوية، فقد أعطى النبي ﷺ ناساً من المهاجرين ولم يعطي الأنصار فاشتدّ ذلك في نفوسهم، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك... (قال: إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ...)³.

فإذا كان الدّين يتطلب التجديد فالدعوة إليه من مظاهره، ومع تطور الحياة يتطلب تجديد آليات الدعوة ووسائلها لتواكب العصر، وتسير مع ركب الحضارة ومستجدات الواقع المتطورة، وهذا لا يمكن الحصول عليه وتحقيقه إلا عن طريق توفير المادي الكافي، ليتمكن الخطاب الدعوي من مخاطبة الناس بلغة العصر وأدواته الحديثة.

إن التمويل المادي لأعمال الدعوة ونشاطاتها ضروري للغاية، فهو عصب الحياة وبمخاطبة الروح للجسد، والمحرك الأساسي لكل العناصر التي تبني الصرح الدعوي، فتثبت قواعده في الأرض ويرتفع فرعها في السماء ويوتي أكله كل حين بإذن ربه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾⁴ تَوَقَّيْ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

1- مدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح الببانوي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط3، 1415هـ-1995م، ص360.

2- سورة التوبة الآية 60.

3- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح4076، ج4/ص1574.

4- سورة إبراهيم الآية 24-25.

فإذا كان الداعية قد كفوه مؤنة حياته وأهله وأغنوه عن الحاجة ومتطلبات الحياة المتعددة، وتمكن من مواجهة أعباء الحياة وثقل المسؤولية المادية ليتفرغ بعد ذلك لخدمة الدعوة ونشرها بين الناس، كما امتن الله على رسوله ﷺ بأن يسّر له مال خديجة رضي الله تعالى عنها ليكفيه مشقة طلب الرزق، وتمويل متطلبات الدعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾²¹

فإذا قلّ العطاء وشح التمويل المادي كمؤسسات وأفراد ودول في تلبية نداء الحق سبحانه في القيام بدعوة الله تعالى، ونشر تعاليم دينه في العالمين، يوشك أن يتعثر الدعاة في مواصلة مسيرتهم الدعوية، ويضعف صوت الحق، وتتحف ينابيعها، ويقل تأثيرها لقدم وسائلها وعدم تجديدها في مواكبة تطورات العصر ومطالبه، فينأ الناس عن التطلع لدعوة قد تخلى أهلها عن القيام بها وتمويلها، فبقيت عاجزة عن أداء دورها ومهمتها وتحقيق أهدافها.

إن دعوة ضعيفة الجانب قصيرة اليد لا يمكن أن تصمد أمام التيارات والحركات الهدامة المتعددة، والتي تُدرّ عليها الأموال والإمكانات المادية من كل جانب، بل ترصد لها ميزانيات دول من أجل محاربة الإسلام وملاحقته في كل صعيد، والتعرض له والصد عن سبيله، بل تشتري همم القادة والعلماء والدعاة من أجل ضرب الإسلام وطعنه في مقاتله، وصرف الأموال الطائلة لتشويهه والعبث بتاريخه وحضارته، حتى لا تقوم له قائمة بعد أن صنعوا على أعينهم جيلاً يهدم دينه وينكر تاريخه وحضارته. وهم يحسبون أنهم حماة الإسلام وحراس عقيدته والمنافعون عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾³.

— سبل اكتساب المال لخدمة الدعوة:

إن الله تعالى قد امتحن عباده في المال لكثرتهم وقلته، في الغنى والفقر، والمؤمن الغني أنفع لعباد الله تعالى الفقراء، وأنفع لدعوة الإسلام، وقد يميل المال بصاحبه، فمنهم من يترك دينه ويدخل في عالم الربا والغش والاحتكار والرشوة، وكثير من الدعاة من قادهم المال وفتنهم عن دينهم، رغم سابق علم الدعاة أن المال مال الله تعالى وأنهم مستخلفون فيه، وأنه الشيء الوحيد الذي يُسأل عنه مرتين

1- سورة الضحى الآية 08.

2- ينظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، ص 437، 438.

3- سورة الكهف الآية 104.

يوم القيامة، في ما اكتسبه وفيما أنفقه، فعلى الداعية أن يكون حكيماً في صرف المال لخدمة دعوته ونصرة دينه، وألا يكون صورة سيئة في الصد عن سبيل الله تعالى بتصرفاته المشبوهة، فيسيء للإسلام من حيث يريد نصرته والدفاع عنه ونشر تعاليمه¹.

الفرع السادس: العوائق الثقافية والفكرية

إن من أخطر ما أصيبت به الأمة أن دُخل عليها من فكرها وثقافتها، فخرّبوا كل القيم والمبادئ وشوّهوا كل الثوابت والأصول، وعمّلوا على محو التاريخ وإنكار الحضارة التي تربعت على سُلّم الحكم لقرون من الزمن - وكانت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس بحق - وهي التي أنقذت البشرية الحائرة من عبودية الإنسان وجبروته، وأضاءت بنورها على الغرب المظلم وقضت على مظالم الملوك والجبابرة وأراحت الشعوب والأمم من تصرفات الكنسية المجحفة، وأسعدت العالم بأسره، ومن أبرز هذه العوائق:

– الغزو الثقافي:

يعد الغزو الثقافي من أبرز التحديات التي يواجهها الخطاب الدعوي المعاصر، بعد أن عجز الأعداء عن مجابهة المسلمين بالقوة، فعمدوا إلى محاربة الفكر والعمل على إضعاف الخطاب الدعوي الإسلامي، وسلخ المسلمين عن دينهم وإبعادهم عن تعاليمه وأخلاقه "ويتمثل الهجوم الثقافي على الخطاب الدعوي الإسلامي في الانتقادات والاتهامات الموجهة لهذا الخطاب، والتي تهدف إلى التمرد على الإسلام وتشريعاته ومبادئه، والتي تشكل الأمن الثقافي والسياسي والعسكري لهذه الأمة ولكيائها الحضاري متذرعة بالتجديد في الخطاب أحياناً، وبالإصلاح أحياناً أخرى إلى غير ذلك من المصطلحات الخادعة، التي يتم تسويق مشاريع الهيمنة الثقافية من خلالها"².

ومن بين مظاهر الغزو الثقافي في بلاد المسلمين هو إحياء الفلسفات القديمة والاحتكام إليها، واعتبارها المرجع الأساسي للمبادئ والأخلاق، وهي دعوة صارخة للطعن في سماحة الإسلام ومقوماته

1- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، ص114.

2- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ط1، 1412هـ 1991م، ص36.

وإحياء النزعات الجاهلية، والتي جاء الإسلام لاقتلاع أثرها، وهي دعوة لتحرير الإنسان من كل قيود التشريعات الإلهية وقيمه وأخلاقه.

ويدخل الغزو الثقافي من خلال التبادلات الثقافية، بحجة تمازج الثقافات وتلاقحها في المعاهد والجامعات الخاصة التي تُخرج أجيال المستقبل بأفكار غريبة لا تمت إلى الإسلام بصلة، أو تأتي عن طريق المساعدات الاجتماعية أو الإغاثية فترة الكوارث والحروب والأزمات، فتتلبس بمظهر الأعمال الخيرية والمساعدات الإنسانية في بناء الملاجئ والمستشفيات ووكالات الإغاثة ودور الأيتام والمسنين وغيرها¹.

ومن أجل المحافظة على مكانة الخطاب الدعوي وأهدافه يجب فضح مخططات الأعداء وتبصير الأمة بما يحاك ضدها من دسائس ومؤامرات تنال من دينها وعقيدتها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ (٢١٧) ².

فهذه طبيعة الأعداء، فالعداوة سارية في دمائهم، وبغضهم لأهل الإسلام متأصل في جذورهم وطبائعهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (١٢٠) ³.

فالأمة معنية بالقيام بواجب حماية الدين وأهله، وتحصين الجيل من كل دخيل، بالإيمان والعقيدة الصحيحة وتبصيره بكل أعدائه، وهذا دور العلماء والباحثين والدعاة.. وفضح مخططاتهم ومؤامراتهم أمام الرأي العام الإسلامي، والترصد لهم عبر جميع وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وعبر كل الوسائل الحديثة ووسائطها، حتى تكون أفعالهم سهاما في صدورهم وحجة عليهم لا لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٥٢) ⁵⁴.

1- ينظر: الغزو الفكري في التصور الإسلامي، أحمد عبد الرحيم السايح، بحث بمجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد 07، ص2111-2118، وينظر: فقه الدعوة إلى الله، حسن حبنكة الميداني، ج2/ص597.

2- سورة البقرة الآية 217.

3- سورة البقرة الآية 120.

4- سورة فصلت الآية 53.

5- ينظر: الغزو الفكري التحدي والمواجهة، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، مصر، ط2، 2013م، ص335-336.

الفرع السابع: العوائق التربوية

إن الواقع الدعوي المعاصر يكشف عن تصدر بعض الدعاة ليس لهم حظ في التأهيل والتدريب الدعوي، فكان ضررهم على الدعوة أبلغ، من خلال تردي الخطاب الدعوي وضعفه، والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن تكون الدعوة على بصيرة، والتي تقتضي العلم والمعرفة والتدريب الجيد، والتكوين العلمي والتدريب العملي، حتى يتمكن الداعية من عرض دعوته وتبليغها وتوجيه المدعوين والتأثير فيهم، فالتدريب العملي ينمي الملكة العلمية لدى الداعية، ويحوّلها إلى واقع عملي بما يحوطه من توجيهات وإرشادات تكسبه المهارات الدعوية والخبرات العملية، وذلك لكسر الحاجز النفسي والنهوض بالعمل الدعوي¹.

إن التناقض في سلوك بعض الدعاة يؤثر سلباً على خطابهم الدعوي، فيفقد صدق الانتماء وحسن التوجه وأمانة التبليغ، لأنه من خالف فعله قوله نفر الناس منه وأنكروا عليه ذلك، ولهذا عاتبهم القرآن الكريم وإن لم ينزع عنهم صفة الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ²، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾³.

إن مخالفة أقوال الدعاة لأفعالهم مرض قديم يسري في الأفراد والجماعات، ويخشى على من هذا حاله أن يفضح يوم القيامة أمام الأشهاد، ويلقى به في النار كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيُّ فَلَانٍ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"⁴.

1- ينظر: من فقه إدارة الدعوة، التدريب العملي، محمد يسري، مقال على شبكة المعلومات الدولية. www.dar.alyousr/?p=265

2- سورة الصف الآية 32

3- سورة البقرة الآية 44

4- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، ح 3094، ج 3/ص 1191

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى واصفا حال الدعاة الذين لا ينتفع بخطابهم إذا خالف قولهم فعلهم في الظاهر أو الباطن فعملهم مردود عليهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق"¹.

إن النفوس مجبولة على من رأت خطابه في صورة حيّة وواقع عملي، ولمسوا منه صدق كلامه في تطبيق معالم شريعته والتمسك بأخلاقها ومبادئها، وإن خالفها حلّ عليه غضب الله تعالى، وكان وبالا على دعوته ومنفرا لها وعائقا في طريق الإسلام.

وما يحدث لبعض الدعاة من قصور في علمهم بالأحكام الشرعية ومقاصد الشريعة، وفي ضعف رؤيتهم الواقعية، يؤدي بهم إلى خلل في تصرفاتهم ومعاملاتهم الدعوية، فقد تصدر عنهم مواقف أو فتاوى قد توقع كثير من المسلمين في الحرج والعنت الذي بعث النبي ﷺ لرفعه، حتى ظهر الدّين الإسلامي بمظهر التشدد والتزمّت، ثم تُلصق هذه الصفات بكل من أحب الالتزام بالدّين والدعوة إليه².

لو نظرنا إلى الخطاب الدعوي المعاصر نجد قصورا عند بعض الدعاة في فقه الوسائل والأساليب، مما يشكل عقبة تحول دون تأثير الخطاب الدعوي وفاعليته، فالوسائل الدعوية ما زال يشوبها بعض الجمود والتحجر، دون سعي إلى تطويرها والنهوض بها والعمل على تنوعها ضمن الضوابط الشرعية، مع اختيار الوسائل والأساليب المؤثرة في المدعوين بمختلف أصنافهم ومشاربهم، حتى لا تضيق الجهود الدعوية³.

والحكمة في الدعوة تقتضي الاختيار الأمثل لأساليب ووسائل الدعوة في مخاطبة أصناف المدعوين، ومراعاة لأحوالهم ومستوياتهم، ومدى تأثيرها وتحقيق مقاصدها وأهدافها لأن " الوسيلة

1- الفوائد، ابن القيم، ت- محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، السعودية، ب ط، ب ت، ص 85

2 - ينظر: فقه الموازنات الدعوية، معاذ أبو الفتوح البيانوني، ص 631

3 - ينظر: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، ص 1078 - 1082

القاصرة والضعيفة فلا يمكن أن توصل إلى غاية في الوقت المناسب ولا بالكيفية المطلوبة، وإن تكافؤ كل وسيلة إنما يكون بحسبها وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها¹.

الفرع الثامن: العوائق التنظيمية (الأخطاء التنظيمية)

إن طريق الدعوة معبد بالمخاطر ومحفوف بالشدائد والملمات، وليس مفروشا بالورود والمسرات، كما تحدّث عنه القرآن الكريم في معرض حديثه عن مختلف الدعوات عبر مراحل الحياة، وما لاقوه من شدائد ومحن في مجتمعاتهم. وما الدعاة اليوم منهم ببعيد، في مواجهة كثير من العوائق والعقبات التي تعترضهم في طريقهم، من سنن كونية وطبيعة بشرية، ومن أمراض مجتمعية تحول دون الوصول إلى تبليغ دين الله تعالى ورسالة الإسلام إلى الناس جميعا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²
إن العوائق التنظيمية كثيرة ومتعددة، لذلك فإن العمل المنظم المنضبط والتخطيط المحكم، والأخذ عن أهل الخبرة والاختصاص من أجل وضع الدعوة على المنهج السليم والأمن، ورفض كل الأعمال الارتجالية والعشوائية، التي لا تنطلق من قواعدها الأساسية، أو من غير أهلها، الذين يفتقرون إلى أدنى أسباب العلم والفهم والتسيير، ومنها:

– الانحرافات المنهجية عن طريق الدعوة

إن الدعوة الإسلامية تسير وفق سنن إلهية، ومنهج ديني واضح لا يمكن تجاوزه أو التغافل عنه، فإن سنن الله لا تُغلب... فما على الداعية إلا مسيرتها والأخذ بمعاملها واستغلالها في خدمة الدعوة، لتحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها، حتى لا يقع في أخطاء منهجية وسوء تسيير أو تخطيط عشوائي، فإن سنن الله لا تحابي أحدا والتاريخ مليء بكثير من هذه المخالفات السُّنَّية، وآثارها على أصحاب الدعوات وأتباعهم، من الجزع عند حلول الابتلاء، وعدم الصبر على المحن والشدائد، واستعجال النصر قبل توفير شروطه، وقطف الثمار قبل نضجها، واختلاف وجهات النظر في العمل لهذا الدين، والتنازع لحظوظ النفس والهوى، وتأخر نصر الله تعالى حتى ينصروه في أنفسهم.

1- بصائر دعوية، أبو الفتوح البيانوني، دار السلام، مصر، ط2، 1427هـ، 2006م، ص 83

2- سورة سبأ الآية 28.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾¹.

" إن غفلة بعض الدعاة عن الإفادة من السنن الربانية الثابتة في حياة الدعوات، أو ضعف تعاملهم معها، مما أوقع كثيرا منهم في الاستعجال والتخبط، أو اليأس والقنوط، مما أثر في بناء الدعوة وحركتها، وأخرها عن الوصول إلى أهدافها"².

" إن قلة الوعي في صفوف كثير من الدعاة، وغفلتهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى، مما جعل كثير منهم تُحركهم العواطف وتخدعهم الشعارات، ويقفون مواقف شتى تجرهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم"³.

إن عدم الإحاطة بالواقع ومجريات الأحداث وتخطيط الأعداء، يوقع الدعوة الإسلامية في نتائج لا ترقى إلى مستوى الواقع، ويبقى العمل الدعوي مرهونا باكتساب الخبرات والاطلاع الجيد على تاريخ الدعوات، "فعلى الداعية أن يكون على يقين بأن طريق الدعوة مخوف بالمكارة والصعوبات والابتلاءات، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَلَأْنَا قُلُوبَهُمْ نِفْسًا تُحِبُّ الدُّنْيَا ۖ لِيَمْلِكُوا بِالْعِزِّ الدُّنْيَا ۖ وَأَعْمُوا عَالِيهَا﴾⁴. وأن يحققوا نصر الله تعالى في نفوسهم، بالتزام أحكام دينه وتعاليم شريعته، فينصرهم على أعدائهم بعد توحيد كلمتهم، وحرص صفوفهم مع رصيد وافر من الذكاء والفطنة، لمعرفة ما يُحِيكه الأعداء من تخطيط ومؤامرات، لاجتثاث أصول الدين وطمس معالمه في قلوب أهله وأتباعه"⁵. وهذه سنن التدافع التي تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾⁶.

1- سورة الحج الآية 40.

2- مدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 355.

3- المرجع نفسه، ص 356.

4- سورة العنكبوت الآية 1- 2.

5- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، دار النفائس، الأردن، ط 1، 1425هـ-2005م، ص 111-113.

6- سورة البقرة الآية 217.

- نتائج عدم التخطيط ومعرفة الواقع

إن حالات البلاء التي وقعت فيها الجماعات الإسلامية، لا تحدث جميعها بسبب تخطيط الأعداء، بل جزء كبير منها نتيجة الطيش والاستعجال، وعدم التثبت وقلة الخبرة واستدعاء البلاء، وإذا كان الدعاة مدركين التآمر العالمي فلم يحسبوا له حسابه، فيتحركون وفق خطة متأنية وخطأ ثابتة دون إحداث خسائر مادية أو معنوية¹.

وإذا لم يأخذ الدعاة بكل أسباب النصر والتمكين، فإن النصر يتأخر، وقد يصابون بالهزائم ضمن مؤامرات وتخطيط تفشل دعوتهم، وتضيع جهودهم، وتعيدهم إلى مرحلة البداية والانطلاق... ويدخل الدعاة في مسلسل الترميم وإعادة البناء ولألم الجراح، والبحث عن العون والمساعدة ورعاية الأيتام والثكالي، والمطالبة بالإفراج عن المساجين، عوضاً عن العمل الجاد والتخطيط الجيد ضمن الإحاطة بكل أسباب النصر، وبمعرفة الواقع ودقة التنفيذ، لينتصر دين الله ويتم له التمكين ولشريعته بالحاكمية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾².³

إن كثيراً من المشكلات التي يعاني منها الخطاب تعود إلى عدم مراعاة الداعية لسلم الأولويات، فالخطاب اليوم يحتاج إلى دعاة يملكون من الفقه والحكمة ما يراعون فيه أولويات العمل الدعوي وهو وضع الشيء في محله من حيث الزمان والمكان والحال، كما بدأ رسول الله ﷺ بتوحيد الله تعالى في أول دعوته، وأمر صحابته بذلك حين بعث بهم دعاة إلى مختلف الأمصار، وحذر من مخالفة ذلك لأنه مضر بمنهجية الدعوة وأهدافها ومقاصد الشريعة الإسلامية⁴.

إن العمل الدعوي في كثير من مراكز الدعوة ومؤسساتها، يسير بعفوية وارتجال ودون تخطيط محكم ومنهجية واضحة، وهذا ما يوقع العاملين في الحقل الدعوي إلى مشكلات ومعوقات تحول دون إعطاء الصورة الحسنة لتعاليم الإسلام، ويزج بالخطاب الدعوي في قفص الاتهام لعدم ارتقائه إلى المستوى المطلوب، وعرض مبادئ الإسلام ومقوماته في واقع عملي ملموس، يتم من خلاله نجاح

1- ينظر: المرجع السابق، ص111.

2- سورة الحج الآية 40.

3- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، مرجع سابق، ص113.

4 - ينظر: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، أسامة حمدي السيد، ص1076-1078

الخطاب الذي يُعنى بتبليغ الدين الإسلامي، ويخضع لمنهج محدد المعالم، ليتحقق من خلاله هدف الدعوة¹.

- ضعف روح التضامن والتعاون بين الدعاة

إن الاختلاف بين الناس طبيعة خلقية وسنة فطرية، ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهَا لِيَخْلُقِ اللَّهُ ۖ﴾² وهذا الاختلاف ظاهرة صحية لو عرف الناس كيفية التعامل معها، وليست مرضية لمن قَصُرَ فهمه وقَلَّ علمه وضعفت تجربته، وليكن اختلاف تنوع للتعاون والثراء وليس تضاد للتشتت والعداء، وأحيطت بجملة من الآداب والقواعد التي تضبطه، وتوجه مساره نحو خدمة الدعوة ومجالاتها، وتؤلف بين الدعاة وتوحد جهودهم وكلمتهم في بناء صرح الإسلام، فالبشر مختلفون في طبائعهم في الظاهر والباطن، واختلاف في الصور والأشكال والألوان والألسن، واختلاف في المدارك والأفهام، واختلاف في المشاعر والأحاسيس والآمال والآلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾³ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ⁴ ۖ﴾³.

إن الاختلاف بين الدعاة يجب أن يكون اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، لأن اختلاف التنوع يثمر تضافر الجهود، وتجميع القوى، وتوحيد الصفوف، أما اختلاف التضاد فإنه يؤدي إلى التنافر والتنازع والشقاق، وهذا مآله الفشل والضياع، لأن الاختلاف إذا لم يستغل في أبواب الخير فتح أبواب الشر، وأتى على الأخضر واليابس فأفسده وأبطله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁴.
إن دائرة الاختلاف بين دعاة الإسلام إذا خرجت عن أخلاق الإسلام ومبادئه، فإن مرده إلى الأهواء الشخصية وإعجاب كل ذي رأي برأيه، لذلك فإن التعددية داخل الصف الإسلامي لا بد أن تُنظم في إطار مرجعية الكتاب والسنة، وما انبثق عنها من المعلوم من الدين بالضرورة، وما اجتمعت

1 - ينظر: منهج الدعوة إلى الله تعالى، حسين خطاب، ص23

2- سورة الروم الآية 30

3- سورة هود الآية 118-119.

4- سورة الأنفال الآية 46.

عليه الأمة، وأما المسائل التي فيها وجهات نظر متعددة، وغالبا ما تكون في دائرة المباح أو المتروك، أو ما اختلف فيه من قبل وخرج عن دائرة الإجماع، فهذا فيه سعة في الدين، ويدخل ضمن دائرة الاجتهاد في رحلة البحث عن الحقيقة والأصوب¹.

ومن أعظم صور التجرد وتوحيد العمل الدعوي ونبذ الفرقة، ما قاله أحد الدعاة: (نعمل في ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، وهذه قاعدة في العمل الدعوي الجماعي المستمر بين أفراد الجماعة الواحدة، أو التعاون المشترك بين الجماعات الإسلامية، من أجل نشر دين الله تعالى، والتفاني في خدمته، وما دام حمل الدعوة ثقیل وشاق والطريق طويل وموحش، فلتتضافر الجهود في حمله وتتعاون على بلوغ غايته، وتحقيق أهدافه،

إن روح التضامن والتعاون تظهر في العمل الجماعي المؤسسي، وإن برزت الدعوة الفردية في حياة النبي ﷺ ضمن توجيهاته وممارساته لها، سواء خلال دعوته آحاد المشركين أو أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فالخطاب الدعوي الفردي وإن آت أكله وكانت له نتائج حسنة ومواقف جادة وأثر بالغ في المجتمع، ولكنه سرعان ما يافل وتنطفئ شعلته، ويخفت صوته، وتضعف قوته، وذلك بانتهاء نشاط الداعية أو بموته، ولهذا فإن الدعوة الفردية وإن أدت دورها، وقامت بمهمتها وأثرت في فئة من الناس، إلا أنها لا تفي بمقاصد الشريعة وأهدافها ومواصلة الخطاب وترقيته في إطار التضامن والتعاون في إحياء الأمة، وبعث روح العمل الجماعي بين الدعاة وتضافر الجهود، من أجل إيجاد خطاب دعوي شامل متوازن ومستمر يخاطب الناس بلغة العصر².

إن التعالي والتفاخر في حياة الدعاة تُحدث الفرقة والاختلاف وضياع الجهود وإحباط العمل والأجر، لذلك فإن الواقع الدعوي المعاصر حافل بكثير من هذه الوقائع والأحداث والتعاملات اللامسؤولة، والتصرفات المتسرفة دون رؤية ثاقبة ومعرفة شاملة وفقه متوازن ومعتدل.

1- ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، مرجع سابق ص358. وفقه الدعوة، بسام العموش، مرجع سابق ص108.

2- ينظر: الدعوة الفردية مشروعيتها وآدابها وأثرها في الاستيعاب، يحيى علي يحيى الدجني، بحث بمجلة جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية غزة، العدد2، سنة 1429هـ - 2008م، ص212

وهذا " مما أساء نظرة بعضهم البعض وظن بعضهم ببعض وجرأ كثير منهم على إصدار الأحكام على غيرهم بالتكفير تارة والتضليل والتبديع تارة أخرى، ففرق بين صفوفهم وباعد بين قلوبهم.. حتى أصبح بعض الدعاة ينظر إلى الداعية من غير جماعته أو على غير منهجه عدو لدود... واختلت مقاييس بعض الدعاة، في الحب والبغض، داخل العمل الدعوي، ناسين أو متناسين أن من أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله تعالى" ¹.

ومثل هذه التصرفات التي تصدر عن بعض الدعاة تجعل المدعوين ينفرون منهم ومن خطاباتهم لما يرون ويشاهدون من شقاق واختلاف وفتنة تعصف بكل المجهودات والانجازات التي بذلت لزمن طويل من العمل الدعوي المتواصل.

ومن المعلوم: أن الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه من أعظم أعمال البر والإحسان والتقوى، التي تقتضي تضافر جهود الدعاة وتعاونهم في القيام بها على أحسن وجه، وحمايتها من كل ما يعكر صفوها ويعرقل خطاها، ويجعلها في مأمن من الضربات واختراق الصفوف وتعطيل مسيرتها، ولهذا أمرهم الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ²، ³. فأوجب الله تعالى على المؤمنين والعلماء والدعاة، بالأخص في التعاون والتشاور في العمل الدعوي وتضافر الجهود ورص الصفوف، لأن المهمة صعبة وشاقة، والأعمال كثيرة ومتنوعة والطريق طويلة ومليئة بالشدائد والعقبات.

قال صاحب المنار: " لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم... " ⁴

1 - ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، ج2/ص520

2 - سورة المائدة الآية 02

3 - ينظر: معالم في منهج الدعوة، صالح بن حميد، دار الأندلس الخضراء جدة، السعودية، دط، 1999م، ص 122، ومقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، سعيد ابن علي ابن وهب القحطاني، مؤسسة الجريسي، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ-1994م، ص 102.

4 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1990م، ج2/ص 108

فلا بد من تضافر الجهود بين الدعاة كل في مجال تخصصه، والدعوة تسع جميع العاملين على اختلاف رؤاهم وتصورهم لخدمة هذا الدين، وبذل أقصى الجهود للوصول إلى خطاب دعوي جاد ومؤثر.

– التساقط على طريق الدعوة

إن ظاهرة التساقط على طريق الدعوة ظاهرة عامة وخطيرة ومتكررة... والذي يتتبع تاريخ الحركة الإسلامية في كل قطر وعلى امتداد العالم الإسلامي، يمر بأسماء كثيرة، بلغ بعضها شأوا في مجال العمل والمسؤولية، ثم لم يلبث أن اختفى من حياة الدعوة بشكل أو بآخر.. فتصبح ظاهرة الانسلاخ والتساقط هذه عاملا مساعدا على انتشار وشيوع ظاهرة مرضية هي ظاهرة التعددية في العمل الإسلامي المتضارب، وبالتالي فإن سقوط العاملين والدعاة في حمأة الصراع على الساحة الإسلامية، مما يؤثر سلبا على كيان الدعوة وأتباعها، فيشعل الفتن ويكشف خبايا العاملين في حقل الدعوة والتعرض لأسرارهم، فتضعف حركة الدعوة وتسبب في بُعد الناس عنها، وزعزعة الثقة بها والتطاول عليها وعرضة للإجهاز عليها وتصفيتها.¹

الفرع التاسع: العوائق السياسية

يعتبر العمل السياسي من أخطر الوظائف وأشدّها بلاء على أهل الدعوة وأصحاب المبادئ والمقومات. لأن هذا الأخير يعتمد عند كثير من الساسة والحكام على المراوغة والخداع، واستعمال كل الوسائل للوصول إلى الأهداف والغايات ولو على الجحاحم والأشلاء وسفك الدماء – وعندهم الغاية تبرر الوسيلة – ليتربع بعد ذلك على سدة الحكم، ويتحكم في رقاب الأمة بالظلم والجبروت، وإن كانت على أنقاض الدين وتشريعاته، ومن بين هذه المعوقات:

– الوظائف السامية والمجالس النيابية

إن الدخول في معترك السياسة والجري وراء الاستحقاقات الانتخابية للحصول على مقاعد برلمانية في مختلف المجالس، قد يُحَيِّل للداعية أول مرة أن الأمر هيّن والعمل فيه بالرصيد العلمي

1- ينظر: المتساقطون على طريق الدعوة، فتحي يكن، دار الشهاب، الجزائر، د ط، د ت، ص 3-5

والثقافي، لا بالدهاء والمكر، ويمكنه أن يخدم الإسلام من خلاله ويقدم خدمات جليلة في صالح المجتمع، ومنها إلى توصيل صوت الإسلام وتعاليمه إلى قبة البرلمان، ويسعى إلى تقديم رأي الدين فيما يُعرض عليهم من قضايا تخص المجتمع داخليا وخارجيا، فيكتشف بعد ذلك أن الحمل ثقیل والتبعات كثيرة وخطيرة، والعلاقات بين الأطراف متضاربة ومتشابكة فيدرك أن تغيير وضع كهذا يتطلب عقودا من الزمن، ولا تكفي فترة النيابة أن تحدث مفاجئات خيالية على أرض الواقع، وأصبح أمر التغيير شبه مستحيل، ويبقى الداعية على يقين من ظهور الإسلام في العالمين، وعلى كل دين كما بشر بذلك سيد المرسلين، في بلوغ دينه كل بيت مدر ووبر، ولا تستطيع قوى الأرض مهما كانت أن تقف في وجهه، لأنه وعد الله تعالى ولن يخلف الله تعالى وعده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾¹

وقد يتعرض الداعية في هذه المرحلة إلى الفتن والإغراءات المادية والمعنوية من أجل إغراقه في بحر الشبهات والشهوات، حتى ينشغل عن مهمته العظمى التي جاء من أجلها، وينسى عهده مع الله تعالى بعد أن دبّ إلى نفسه اليأس والقنوط في تسلّق مركبة التغيير في مسيرتها الطويلة الشاقة، دون أن يجني من ذلك ما تقرّر به العين وتُمنأ به النفس وتطمئن في خدمة الدين وإرساء قواعده ومبادئه، وفي مجتمع طالت غربته وعبثت بتاريخه وحضارته يد الإستعمار، ولا زالت تسيطر على كثير من مواطن صنع القرار في بلد أعطى الكثير من أجل عزته وكرامته.

– تولي المناصب

قد يتعرض الداعية إلى تولي المناصب الوظيفية، من أجل خدمة الصالح العام، وأن يجدوا في تعامله وتصرفاته أخلاق الإسلام وسلوكاته، فيعطي الصورة الحسنة للفرد المسلم الذي يجتهد ويتفاني في خدمة العباد والبلاد.

ونظرا لخطورة المهمة يحذر الداعية أن يؤتى الإسلام من قبله "فإن تقلد المناصب الدنيوية والارتقاء فيها مزلة للسقوط في مغريات الرئاسة والتسلط وخدمة للمصالح الشخصية، واستغلال

1- سورة التوبة الآية 33.

المنصب لأعمال قد تضرّ بالدين وأخلاقه، والداعية أن يكون حيث ما استولاه الله تعالى أن يعطي الصورة الحسنة بأخلاقه وسلوكه، وأن يكون منصبه خدمة لدينه وتحقيقاً لمصالح أفراد أمته، وأن يمثل النموذج الحي للمسؤول المسلم في خدمته وتفانيه في عمله وتواضعه وزهده¹.

ولا يتعذر الداعية بفتنة المنصب فيتركه لمن لا يستحقه، فيكون وبالا على المجتمع في ما أسندت إليه من مهام ومسؤوليات، فقد سأله يوسف عليه السلام من قبل، لما توفرت فيه صفات المسؤول الواثق من نفسه بالنجاح في مهمته من حفظ وعلم، قال تعالى على لسانه:

﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾². بعد أن مكّنه الملك وعرف أمانته ومقامه. وأعلمه بأنه حفيظ لما ولاه في شأن الخزائن، عليم بتصريف الأمور وتديرها³.

وأما الداعية الذي لا يمكنه القيام بمهامه على أحسن حال، وقد يستغله أصحاب المهام المغرضة فينساق وراءهم في خدمة الباطل وأهله من حيث لا يدري، وتغريه كلمات الثناء والمدح، ويكون بفعله هذا قد أساء للإسلام ودعوته، من حيث يريد له التمكين وإرساء قواعده والتمسك بمبادئه وأخلاقه، فينفّر الناس من دعوته التي لا يمثلها أحسن تمثيل.

الفرع العاشر: العوائق الاجتماعية

من خلال التعاملات الحياتية وتفاعل العلاقات البشرية، يتولد عنها كثير من المشكلات والأمراض الاجتماعية، التي تنخر جسد الأمة، فتقضي على كثير من المقومات والمبادئ، وتفقد الأمل في أسباب النهوض والتقدم نحو الأفضل، والدخول إلى عالم التطورات الحديثة، وتغيير الواقع ليواكب هذا العصر بكل مستجداته، تحقيقاً لمقاصد الدين وخدمة للمجتمع ورفعاً لمقامه ومكانته، ومن أبرز هذه المشكلات والعوائق:

1- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، ص114، 115.

2- سورة يوسف الآية 55.

3- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج9/ص213.

– الجهل والفقر والامية والتخلف

إن مثل هذه المشكلات التي تصيب الأمة، تعد من أخطر الأمراض والمعضلات التي تنخر جسد الأمة وتهد كيانه وتزلزل بنيانه وتجعل المجتمع يعيش في جهل وتخلف، فتصبح مهمة الداعية صعبة وشاقة أمام هذه العثرات والتحديات التي تفتّ جهودده، وتثقل كاهله للوصول بدعوة الله تعالى إلى قلوب الناس.

ومن أجل إنقاذ المجتمع مما هم فيه من الأدواء المهلكة، إلا أن يتزود الداعية بالتقوى ويتجلد بالصبر في تعليم أفراد الأمة وشحذ هممهم، والأخذ بأيديهم إلى أسباب الحياة، ومواكبة العصر، والارتقاء نحو الأفضل لخدمة الدين والحياة، وإن هي غفلت عن ذلك وأهملت سنن التدافع والتغيير، تكون مطية الذل والهوان، وألعوبة في أيدي الخصوم، فيصبحوا معاول هدم لأمتهم لا أداة بناء لنهضتها.

– البطش والإيذاء

من حكمة الله في الدعوات لا تمكّن حتى تُبتلى، وهي من السنن الجارية في الخلائق التي قدرها الله تعالى على عباده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿۱﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿۲﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿۳﴾¹.

وقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن هذه السنّة التي جرت على أصحاب الدعوات والرسالات من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وأتباعهم، وما لاقوه ويلاقونه من أعدائهم من صنوف العذاب والإيذاء عبر تاريخ البشرية وإلى قيام الساعة.

وقد تعرض رسول الله ﷺ لكثير من محاولات القتل وما لحقه من الأذى النفسي والجسدي في المرحلة المكية، وقد أمروا بكفّ اليد ودعوتهم إلى تحمّل الأذى والصبر واحتساب ذلك عند الله تعالى، وتربية النفس على متطلبات الدعوة ومشاقها، لأنه ما وراءها أشد على النفس وأعظم، وهو مواجهة

1- سورة العنكبوت الآية 02، 03.

الأعداء من كل جانب، حتى يتم تحقيق وعد الله تعالى وانتصار الإسلام وإظهاره على الدّين كله، رغم تحدي الأعداء وتخطيطهم ومؤامراتهم للقضاء عليه.

"وفي العصر الحاضر فقد تعرض دعاة الإسلام إلى الأذى الشديد، فهم بين طريد وشريد وسجين وقتيل، والمتصفح في تاريخ الحركات الإسلامية وما تعرّضت له من اضطهاد وتعذيب وتنكيل لا تظن أن الفاعل بشر، بل شيطان في صورة إنسان لا يعرف معنى للرحمة"¹.

وقد يسجن الدعاة وأتباعهم لعشرات السنين يسوموهم سوء العذاب، ويذيقوهم صنوف من الأذى والظلم إلى حد القتل لأتفه الأسباب، وثم كاذبة، وادعاءات باطلة لآلاف من خيرة شباب الأمة وعلمائها ودعاتها ومصلحيها.

ومن حسن تربية الجيل المسلم وبعد تعرضه لكل أنواع البلاء والإيذاء، وقد يقضي شطر عمره بعيدا عن أهله وأبنائه وأحبابه، وما أن يُطلق سراحه حتى يسارع إلى العودة إلى محضن دعوته للانطلاق من جديد، بروح ملؤها التفاؤل والأمل، عسى الله تعالى أن يحقق على أيديهم نصرة الإسلام وعزته، إنها نفس المؤمن الواثق بوعد الله تعالى وتأيبه.

إن ما تعرضوا له من الفتنة والإيذاء ليشنوهم عن دعوتهم وإسلامهم، وليصدوهم عن دين الله تعالى، فازدادوا إيمانا بعقيدتهم ودعوتهم واحتسبوا ذلك عند الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾². فلا تخيفهم تهديدات العدو ولا يغترون بتوعدده، همهم تعلق بما وراء العرش، فقد تعلق برهم وإعلاء كلمة الله تعالى ونصر دينه في العالمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما يصنع أعدائي بي؟: أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحلت فهي معي لا تفارقي، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة"³.

1- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، ص 118.

2- سورة آل عمران الآية 174.

3- الوابل الصيب من الكلام الطيب، ابن القيم، تح: عبد القادر وإبراهيم الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق سوريا، دط، 1393هـ - 1973م، ص 81

فالداعية قد باع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاته، فهو ينافح عن دينه ودعوته، لا يضيره ما أصابه في سبيلها من أجل تحقيق مقاصد دينه وتبليغ رسالته، إلى أن يقف الحق في أسنى صورته يتحدى الباطل في عنفوانه قائلاً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾¹.

وهذا يوسف عليه السلام لم تمنعه معاناة السجن وشدته وتثنيه عن تبليغ دعوته، ونشر الخير والأمل وكلمة التوحيد بين السجناء، وبعث روح الأمل والحياة في نفوسهم للتعلق بالله تعالى الحق، وإخلاص العبادة له.

وهذا ما رب عليه الصلاة والسلام أصحابه في مرحلة الإعداد بمكة يوم شكوا إليه أذى قريش وطلبوا منه النصر والدعاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»².

فقد أكد النبي ﷺ في هذا الحديث أن الابتلاء واقع لا محالة، فما على الداعية إلا الصبر ومواصلة المسير على طريق الدعوة، حتى يتم الله تعالى هذا الأمر وينتصر دين الله تعالى في الأرض ويتحقق وعده سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَاثِبًا حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾³.

1- سورة طه الآية 72.

2- صحيح البخاري، كتاب الإكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ج 6/ص 2546.

3- سورة الروم الآية 47.

تأثير القرابة والصداقة والأحوال الشخصية

تعتبر الدعوة مهمة صعبة، والداعية يختار لنفسه من يحمل معه همّ الدعوة فيعينه على تبعات التبليغ ومشقة العمل، ويشد من أزره ويكون له عوناً على مواصلة الطريق واستمرار العطاء، فخير الأصحاب كما قيل: من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرّك.

ولهذا استعان سيدنا موسى عليه السلام بإشراك أخيه - هارون عليه السلام - في مهمته الرسالية فقال الله تعالى على لسانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ^(٢٩) هَرُونَ أَخِي^(٣٠) أَشُدُّ بِهِ أَزْرِي^(٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^(٣٢)﴾¹.

فاختار موسى عليه السلام من يليق بمقام الصحبة والإشراف بالمهمة والقيام بمتطلباتها، وذلك من أجل الإكثار من التسبيح والذكر، وتبليغ رسالة الله تعالى على أكمل وجه، ففي التعاون البركة والزيادة ودوام العمل، قال ابن عطاء الله السكندري "لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله"². لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "الرجُلُ على دينِ خليلِهِ، فلينظر أحدُكم من يُخالِلُ"³، وقال أيضاً: «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»⁴

فليحذر الدعاة من الصحبة السيئة فإنها ما فتئت تفتك بهم، وتبعدهم عن طريق الله تعالى، وتثبط عزائمهم وتوقف مسيرتهم الدعوية، وتكون صحبتهم منفرة عن الدعوة.

ومن بين المشتبكات الاجتماعية الأخرى زواج الدعاة من كلا الجنسين، إذ يعتبر نقطة تحول في حياتهم ويتغير معها كل شيء، إلا من عصمه الله تعالى فيثبت في طريق دعوته إذا اختار زوجة مؤمنة تعينه على حفظ دينه ومواصلة الطريق، وإذا أساء الاختيار تعرضت العلاقة الزوجية مشاكل وخلافات قد تحتم بالانفصال، فإذا صبر كلا الزوجين على شظف العيش ومرارته وسوء المعاملة، وهذا الوضع يقلل من نشاط الداعية ويعطل مسيرته الدعوية، ويعيق اتصاله بالمدعوين، وقد يصل الأمر عند بعض الناس إلى الانحراف

1- سورة طه الآية 29-32.

2- الحكم العطائية، لأبن عطاء الله السكندري، ش: ابن عباد النفري الرندي، مؤسسة الأهرام، مصر، ط1، 1408هـ-1988م، ص54

3- سنن أبي داود، كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس، ح4833، ج7/ص204، قال المحقق -شعيب الأرنؤوط وآخرون- إسناده حسن.

4- المستدرک علی الصحيحین، للحاکم، کتاب الأطعمة، باب وأما حديث عمر، ح7169، ج4/ص143، قال الذهبي في التلخيص: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُجَرَّحَ.

وترك الإسلام ودعوته، وقد يتأثر به كثير ممن كان يستمع لدعوته، فلا يستجيبوا له لعدم ثبات الداعية على مبادئه وأخلاقه ومخالفة منهجه¹.

وقد يسقط بعض الدعاة في العزلة والانطوائية، بسبب تصرفات أولي قرابتهم وبدافع أهلهم بترك العمل الدعوي، للخوف على مصير أبنائهم وذويهم من سطوة الباطل وتهديداته ومتابعاته لأهل الحق، حتى لا يصيبهم ما أصاب غيرهم من الظلم والأذى في السجون أو القتل..²

وقد حذر الله تعالى الدعاة من فتنة الأهل والأبناء، أن يكونوا عائقا لهم عن قبول دين الله تعالى والتزامه أو التقاعس عن تأييده ونصرته

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٢٤﴾³

– العنف والإرهاب والملاحقات الأمنية

إن مسيرة الحياة في تطور مستمر، وكلما اتسعت دائرة التعامل بين الناس إلا وزادت تداخلا وتعقيدا، وتراكما للمشكلات، فإذا تعطلت العدالة ضاع الحق وأكل القوي منهم الضعيف، وانتشر العنف والإرهاب ليغضّ مضاجع الأمنين، والداعية في خضم هذه المشكلات قد تعرقل مسيرته مشاغل وارتباطات أسرية تقلل من عطائه، وتضعف قوته ونشاطه، وقد تحول بينه وبين مواصلة العمل الدعوي برمته.

وقد برعت يد الشر العالمية في صناعة ظواهر اجتماعية تصدر من بلد لآخر، تأتي على كل مقدرات المجتمع ومقوماته، وتحصد الأرواح وتبدد الثروات وتقضي على كل أمل في الحياة، والنهوض والارتقاء والتقدم، فنشروا الرعب في أوساط الشعوب حتى أنكر الأخ أخاه، وتبرأ الوالد من بنيه، ليتم لهم بسط نفوذهم بحجة محاربة الإرهاب وإحلال السلام في المنطقة، فاستولوا على كل مقدرات الأمم

1- ينظر: فقه الدعوة، بسام العموش، ص116.

2 - ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، ص668

3 سورة التوبة، الآية 24.

وثرواتها، فأُسروا وقتلوا وهجروا، ودمروا البلاد وتركوها خاوية على عروشها، فحطّموا حضارة قامت لقرون من الزمن، ونهبوا كل كنوزها وآثارها ليزينوا بها متاحفهم كما فعل أشياعهم من قبل، وسيبقى التاريخ شاهداً على فضاغة إجرامهم وهمجيتهم التي طالت كل قرية كانت آمنة مطمئنة، فأذاقوها صنوفاً من الأذى والعذاب، فدمروا البلاد وشتتوا العباد وعاثوا في الأرض الفساد.

فأصبح الداعية في بلده وفي غيره معرّضاً في كل وقت للاتهامات الموهومة والادعاءات الباطلة، من أجل محاصرة نشاطه وأعماله وتحركاته، فيتلقى التهديدات من حين لآخر والتحذيرات الدائمة، وتجري عليه الملاحقات الأمنية والمساءلة والتحقيقات الإجرائية، التي تعرقل مسيرته الدعوية وتشوه صورته العملية، لتخيف بها الناس والأتباع وتبعث في نفوسهم الرعب، حتى لا يستمع لخطابه أحد ولا يستجاب لدعوته، فتجف ينابيع الخير وروافد العطاء التي كانت تثري الجماعة المسلمة وتثمن أعمالها ومجهوداتها، لرفع راية الإسلام ونشر تعاليمه بين الأنام.

الفرع الحادي عشر: عوائق الواقع

إن الواقع الدعوي المعاصر والظروف المحيطة به تؤثر في فاعلية الخطاب نحو المدعويين، وتكون حائلاً لتحقيق أهدافه وعقبة في طريق الدعوة، وهذه العوائق تنبع من واقع الناس المتغير، والتي يمكن تشخيصها ومعالجتها، بخلاف المشكلات الداخلية فإنه ليس من السهل القضاء عليها، لاختلاف قناعات الدعاة وأفكارهم وأمراضهم الخفية وآرائهم المتضاربة والمتشددة والانتصار لها، ومحاولة فرضها على الجماعة المسلمة وإن كانت خاطئة، وقد تتسبب في انهيار صرح الدعوة، وينهدّ كيانه لتصرفات طائشة وقرارات عشوائية وردة فعل متسريعة.

ويرى بعض الدعاة "أن المشكلات التي تأتي من خارج المناخ الدعوي تكون أقل ضرراً وتأثيراً من تلك المشكلات التي تبث في الدعوة من بعض أهلها أو المحسوبين عليها، فتلك الخارجية مرصودة ومتوقعة بحيث يسهل مراجعتها أو على الأقل التخفيف من نتائجها"¹.

وتعد وسائل الإعلام المعاصرة من المشكلات الخارجية التي تضيق على العمل الدعوي وتحصره في كل صعيد، ولا يمكن مجابهتها لما تمتلكه من ترسانة قوية لها تأثيرها الفعال في الشعوب والجماعات،

1- النقد الذاتي للواقع الدعوي، سليمان بن عبد العزيز الربيعي، مقال بمجلة البيان، العدد 116، ربيع الآخر 1418هـ.

فإن كانت الصحافة قديماً قد تبوّأت مكانة السلطة الرابعة، فإن وسائل الإعلام المعاصرة بتقنياتها الحديثة وانتشارها الرهيب وسهولة استعمالها واستخدامها في شتى الميادين، تعد السلطة العصرية الموجهة للشعوب والأمم، والمتحكمة في الرأي العام العالمي، لذا أصبحت وسائل الإعلام المعاصرة من أخطر الأسلحة فتكا وضراوة، بيدها مقاليد الحكم وسلطة القرار.

وبعد انتهاء الحرب الباردة بين قطبي الصراع، حوّل الصراع بعد اختيار العدو الجديد المتمثل في الإسلام باعتباره الدّين الخالد، والمصارع القوي الذي لا يُغلب، وإن كانت له بعض الهنّات لكنه سرعان ما يللمم شتاته ويستجمع قواه ويعود إلى الصدارة من جديد وينصره الله نصراً عزيزاً...

فلما وجهت أصابع الاتهام إلى الإسلام باعتباره العدو المثالي، الذي تُعدّ له العدة لمحاربه والصدّ عن سبيله، فأخذت وسائل الإعلام المعاصرة حملات شعواء للطعن في الإسلام وتشويه تعاليمه، والدسّ في تاريخه والعبث بحضارته، فتعددت هذه الوسائل الصوتية والمرئية والمكتوبة، ناهيك عن أم الوسائل الإعلامية التي جمعت كل الخصائص المتفرقة من مختلف الوسائل وخرجت بوسيلة جديدة وصل مداها ما بلغ الليل والنهار، وقد دخلت كل بيت مدر ووبر، فأصبح يث من خلالها ما كان محرماً من قبل من فساد وانحلال، وتحلل من القيم والأخلاق.

"إن بعض وسائل الإعلام المعاصرة بالبلاد الإسلامية تدور في دائرة واحدة عنوانها -حرب الإسلام- من خلال تشويه حقائقه والكذب والافتراء عليه وعلى شريعته وعقيدته ونبيه ودعائه، وإهمال البرامج الدينية وحجب محاسنه عن الناس"¹.

كما عملت تلك الوسائل على محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة بالتلميح تارة وبالتصريح تارة أخرى ليلاً ونهاراً، بالإضافة إلى إفساح المجال للمنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر المنحرف ولتحريف معاني النصوص الشرعية، مع تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى في كثير من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، على أن منهم من هو منحرف خُلُقياً وأنهم طلاب

1- مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها، محمد أمين حسن بني عامر، مقال بمجلة دراسات لعلوم الشريعة والقانون، جامعة اليرموك، أريد، الأردن، مجلد 35، العدد 1، 2008م.

دنيا... حتى لا يستمع الناس إليهم ولا يثقون في كلامهم، وبذلك تخلو الساحة لهذه النوعية المضلة لبث دعواهم¹.

لهذا يجد الخطاب الدعوي نفسه ضعيفا، أمام الهجمات الشرسة والضربات الموجعة، التي توجه إليه من خلال الإعلام المضاد، بما يمتلكه من عتاد وعدة مادية ومعنوية وبشرية، وأصحاب تخصص وخبرات عالية المستوى وبخطاب متعدد الألسن واللهجات، وبإجادة شاملة في مختلف المجالات، ومن أجل الوقوف أمام هذا الطوفان الجارف والتصدي لكل معاول الهدم، فلا بد من إيجاد إعلام إسلامي قوي بكل آلياته العصرية وامتلاك كل العناصر المؤثرة في الخطاب الدعوي الإعلامي، حتى نحتمي المجتمع من الآثار السلبية والسلوكيات الدخيلة عن ديننا وأمتنا².

وقد يحمل الإعلام الإسلامي ضعفا في كوادره وهياكله، وقلة التأهيل المهني والتقني في الوسائل الاتصالية الحديثة، فإن غاية المشرفين لا تكفي لتحقيق الأهداف، إذا اختلطت بمخالفات شرعية، أو حملت أفكارا تطعن في الإسلام من أعداء يتظاهرون بالإسلام وألسنتهم وأقلامهم تمج سما في خاصرته وتنخر في بنيانه³.

وهذا ما جعل الإعلام المضاد للإسلام، يتسلل إلى كل وسائل الإعلام العالمية، من خلال برامج وآلياته وأفراده، لإضعاف دور الخطاب الدعوي، ليفقد تأثيره في المخاطبين.

إن غياب الوعي بالواقع الدعوي يؤدي إلى قصور في الفقه الدعوي، فينتج خطابا دعويا ضعيفا، يتطلب إعادة النظر في الشكل والمضمون، وتفاعله في أرض الواقع واستجابته لمتطلبات المدعويين. لأن الخطاب الدعوي المعاصر يعاني من ضعف في إدراك الواقع أو غيابه، مما نتج إهمالا للمشكلات الحقيقية والتي ينبغي أن يتناولها الخطاب الذي تحوّل إلى خطاب وعظي إرشادي، لا يمس مصالح المدعويين ولا يلي حاجاتهم لتغافل الداعية عن واقع الحياة ومتغيراتها المستمرة، كما أدى

1- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، دار الوطن الرياض، السعودية، ط1، 1411هـ، ص15

2- ينظر: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، أسامة حمدي السيد، ص1107-1108

3- ينظر: الإعلام الإسلامي في خط المواجهة، خباب الحمد، موقع الإلكتروني المسلم،

<https://ar.islamway.net/article/5774>

بعضهم إلى عدم مراعاة الواقع الدعوي وإلى الجمود والتحجر والانغلاق، بسبب إغفاله لمقاصد الإسلام وترك تنزيل الشرع على الواقع¹.

" فالحركة الإسلامية في العصر الحديث هي أحق من غيرها في أن تنظر في واقعها، وأن تتدارك الأخطاء التي تكتنفها، وتنزيل آية عقبة تعترض سبيلها، وأن تأخذ بأفضل الحلول التي تدفع بها نحو حياة إسلامية فاضلة وحكم رباني كريم"²

الفرع الثاني عشر: عوائق الأعداء

إن الحملات الصليبية والهجمات الوحشية والحروب الاستعمارية، والتي كادت أن تقضي على كيان الأمة ومحوها من الوجود، لولا أن تداركها الله تعالى بحفظه ورعايته، فبعث فيها من يُعيد لها الأمل لعودة الإسلام، إلا أن الأعداء يغيضهم نهضة الأمة ويَقْطِطها، حسدا من عند أنفسهم حتى لا تستعيد قوتها ومكانتها، فالتقى الكيد الخارجي والعجز الداخلي، فبدأت مظاهر الاعتلال المزمن تلازم العمل الدعوي ورجاله، وانتشرت في صفوفه أمراض معدية وأخرى منقرّة، أوهنت الجهود المبذولة وأصيب العمل الدعوي في مقتله، وظهر جيل تحمله الدعوة. . فذبّ الخلاف والتفرق المذموم والتعصب المحموم وتحول ذلك إلى خصومات وعداوات بلغت حد التفسير والتكفير³.

وفي هذا العصر تعترض الدعوة الإسلامية كثيرا من المشكلات الخارجية، فتعوق مسيرتها وتعرقل خطواتها نحو الوصول إلى نتائجها وأهدافها.. وتنبع هذه المشكلات والعقبات من خارج الحقل الدعوي، ويكون من الأعداء الذين يتربصون برجال الدعوة لمحاربة الإسلام والصد عن سبيل الله تعالى ومن بين هذه العقبات:

1 - ينظر: أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، ص 1104-1105

2 - سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله ناصح علوان، ص 841

3 - ينظر: المعوقات الداخلية في طريق الدعوة الإسلامية، أحمد أبو زيد بوسجادة، مقال بمجلة معارف، الجامعة الاسمية، ليبيا، السنة الرابعة، العدد السابع، د ت.

– مكر الأعداء المستمر للإسلام وأهله:

يتمثل كيد الأعداء في القيام بالمؤامرات والتخطيط المستمر للقضاء على الإسلام وروافده، وهذه من سنن الله تعالى الثابتة القديمة في حياة الدعاة والمصلحين من الأنبياء والمرسلين، وهو الصراع الأبدي بين الحق والباطل على مر التاريخ البشري وحياة الدعوة¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾²، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾³.
ومن أشد البلاء في حياة الدعاة التردد الدائم والكيد المستمر والمتنوع في أحواله وأشكاله: المادي منه والنفسي والجسدي، لذا فلا بد للداعية أن يكون على يقظة من أمره ولما يحاك ضده من كيد ومكر، وما يفعله الأعداء من تدبير الخطط والدسائس ليحولوا بين الداعية ودعوته ويصدوه عن تبليغ رسالته ونشر تعاليمها وأخلاقها. يقول الله تعالى متحدثاً عما يحدث لنبيه ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾⁴.

وقد تأتى الفتن من داخل صفوف الجماعة وضمن الحقل الدعوي وهي من أخطر الآفات والتي يصعب علاجها والقضاء عليها " فإن الأعداء في الداخل والخارج يطعنون في الإسلام وفي تعاليمه وأخلاقه، من خلال ويتدبرون لكل الأخطاء التي يقع فيها بعض العاملين في إطار التصرفات العملية والنشاطات الحركية فتُحمل على ظهر الإسلام ويرموه بالتشدد والعنف والإرهاب، ويعملون على مواجهته والتضييق عليه، والإساءة إليه وإلصاق التهم والافتراءات به وبأتباعه، وذلك للحد من نشاطات أتباعه وانتشارهم ليصدوا الناس عن سبيل الله تعالى، لهذا فهم يحاولون القضاء على الإسلام والمتمسكين به والداعين إليه، مسخرين لذلك كل ما أوتوه من قوة، وما توصلوا إليه من وسائل حديثة

1- ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتوح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1435هـ، 2014 م، ص 368.

2- سورة سبأ الآية 33

3- سورة إبراهيم الآية 46

4- سورة الأنفال الآية 30

متطورة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ²¹¹.

— تضافر جهود الأعداء واجتماعهم في محاربة الإسلام:

إن تعاون الأعداء في ضرب الإسلام وأصوله وقواعده ضربة رجل واحد ويتفرق دمه بين الأمم، ويهدم كيانه ويشتت أتباعه، فلا تقوم له قائمة ولا يستطيع أصحابه وأتباعه مواجهة الأعداء فيرضوا بالتبعية المقيتة بعد الهزيمة النكراء، وتنهال عليهم الضربات والشدائد من كل جانب إلا من وثق في وعد الله تعالى وأنه غالب على أمره، وناصر جنده، وأن الغلبة لهذا الدين مهما توالى المحن وكثرت الشدائد والصعاب، فإنها ستنمحض منها المنح والعطايا من نصر وتمكين وانتشار. وهذا ما اجتمعت عليه قبائل العرب في مواجهة الإسلام في أيامه الأولى للقضاء عليه ومحو معالمه وآثاره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ ¹⁰ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ³. ويرى الداعية الحصيف من تجمع الأحزاب لحرب الإسلام على ما كان بينهم من العداوة والخلاف، فيوقن حينها أن الكفر ملة واحدة، وإن اختلفت صوره وأشكاله، لكنها تتوحد في حرب الإسلام.

واعتبر الأعداء أن الإسلام هو العدو الأوحده الذي يجب استئصاله والقضاء عليه، لأنه الدين الذي يقض مضاجعهم، ويكشف خبثهم وسوء نواياهم ومؤامراتهم، ويظهر زيف باطلهم، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ⁸² ⁴.

1 سورة الأنفال الآية 36.

² ينظر: فقه الموازنات الدعوية، معاذ البيانوني، ص 633. 634

3-سورة الأحزاب الآية 10-11

4-سورة يونس الآية 82

وإذا أُخبر الداعية ما تعرض له أصحاب الدعوات من الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام من شدة الأذى والبأس، تهون عليه المصائب والشدائد التي يتعرض لها في سبيل دعوته وإسلامه، فيثبت فؤاده إخلاصاً لوجه الله تعالى وتصديقاً لوعده، لما جرت عليه سنة الابتلاء والتمحيص حتى يمكّنه الله تعالى من نصر دعوته والظهور على الدين كله.

وقد حذر النبي ﷺ أمته أن تقع في شرك المؤامرة، ويتحامل عليها الأعداء من كل جانب، بعد أن تركت أمته الجهاد ومالت إلى الدنيا بزخارفها وأهوائها وشهواتها، فأصابها الله تعالى بالوهن، فتداعت عليها الأمم بعد أن مسحها داء الغثائية، فأباد العدو قوتها وأضاع هيبتها وتقاسموها تقاسم السباع لفريستهم.

يقول النبي ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُذُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ». فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ »¹.

— قوة أساليب ووسائل الأعداء:

إن تنوع أساليب الأعداء في مواجهة كل من له صلة بالإسلام، أو بالأخص عناصر الدعوة الثلاث، فيتعرض الدعاة للتضييق والتهديد والتهميش، وترصد أقلامهم وإعلامهم لمواجهة الدعوة بالتضليل والتشويه والتكذيب، وللمدعويين بالمغالطة والتخويف والتخذيل، ويستخدمون كل الوسائل المادية والإعلامية والتكنولوجية الحديثة، فتهدد الفرد والمجتمع والأمة وتطال يدها كل من خرج عن طاعتها، بل وصل الأمر إلى التحكم في المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية، والمؤسسات الفاعلة في البلاد، وهذه الإجراءات المُهينة وهذا التسلط الظالم هو ما تحمله العولمة من آثار مدمرة.

إن على الداعية أن يستغل كل التطورات التكنولوجية الحديثة في خدمة الدعوة، حتى يصل بها إلى كل أهل الأرض، فيُظهر محاسن دينه وينشر مبادئه وتعاليمه، فتتحقق بذلك نبوة رسول الله ﷺ

1- سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح 4297، ج 6/ص 355، قال المحقق -شعيب الأرناؤوط وآخرون-: حديث حسن.

ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار... " ¹ ، ولا يُرهبنّه ما يواجهونه به من قوة العتاد والعدة، لأن الداعية موصول بربه سبحانه يأخذ منه القوة والمدد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ² ، وقد وعد الله تعالى لمن صبر على كيد الأعداء ومكرهم، واتقى الله تعالى في دينه ودنياه بالظفر والنصر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ³ .
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ⁴ .

وما تعرضت له الأمة قديما ولا تزال في عصرنا الحاضر، من مواجهات وتحديات من طرف أعدائها المتربصين، والذين تغيضهم ما تزخر به الأمة من ثروات ومدخرات في الظاهر والباطن، فيدبرون لها المكائد ويحيكون لها المؤامرات، للهيمنة وبسط النفوذ، بأساليب المكر والخداع، وبما برعت فيه من التفوق العلمي والتكنولوجي في كل الميادين، وبرزت في مختلف العتاد الحربي وفنون التسليح، حتى وصلوا إلى قمة التحدي بتجريد الإنسان من كل مقوماته، من دينه وثقافته، تاريخه وحضارته.. ليعاد برمجته من جديد ليُخرجوا لنا إنسانا عالميا.. منزوع الإرادة، وممسوخ الثقافة، ومشوه الدين، ومنسيّ الحضارة، وهذا ما أنتجته النزعة الأحادية المتوحشة والممثلة في العولمة وما خلفته من آثار خطيرة.

1-مسند الإمام أحمد، ح23814، ج39/ص236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون- إسناده صحيح على شرط مسلم.

1- سورة التوبة، الآية 33.

2- سورة الحج الآية 40

3- سورة آل عمران 120

4- سورة آل عمران 186

– الطعن في الدعاة وإلصاق التهم بهم:

إن من بين السبل التي يتخذها الأعداء لمحاربة الإسلام والصد عنه، هو الطعن في أبرز معالم الدعوة والتي يمثلها الداعية، فإذا تمكّنوا من تشويه صورته والخط من قيمته، تحققت أهدافهم وبلغوا غايتهم من أيسر السبل، وهذه طبيعة البشرية عبر تاريخها الطويل مع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فيحرص الملاء وأتباعهم على إبعاد الناس عن الدعاة إلى الله تعالى بالطعن في أشخاصهم وأمانتهم وعقولهم، فيتهمونهم بالسحر والجنون والضلال، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢) ﴿أَتَوَصَّوْنَهُ بِبَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٥٣) ¹.

ومن أخطر ما يثار حول الداعية من شبهات الاستعلاء والرئاسة وتغيير عقائدهم وتقاليدهم الموروثة، وأن ما جاء به بدعة مضرة ودعوة مفرقة، ما سمعوا مثلها من قبل وأنها تؤدي إلى الفساد في الأرض، فيجب أن يقاوم الداعي ودعوته ويمنع من الاستمرار فيها ²، وهذا ما تحدّث به القرآن الكريم وما دار بين فرعون وقومه، في رده على موسى عليه السلام: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦) ³، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ (٢٤) ⁴، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ﴾ (٤٣) ⁵.

فهذه الاتهامات التي تثار ضد الدعاة من أجل ترهيب الناس وصدّهم عن قبول دعوتهم، بأن لهم علاقات مشبوهة مع العدو وأنه يخدم مصالحهم وينفذ مخططاتهم، وهذا ما ينافي أخلاق دينه، وما فعل ذلك إلا لتقلد المسؤوليات وارتقاء المناصب خدمة لمآربه الشخصية، وهذا التاريخ يحدثنا عن أحوال الدعاة ومسيرتهم الدعوية، وما فعلته قريش مع رسول الله ﷺ أكبر دليل على ما يفعله الأعداء

1- سورة الذاريات الآية 52 . 53

2- ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 428 . 430

3 - سورة غافر الآية 26

4 - سورة المؤمنون الآية 24

5- سورة سبأ الآية 43

مع الدعاة والمصلحين، وما أثارته من شبهات وأباطيل خلال بعثته الأولى وانطلاق دعوته كما أخبر بذلك المولى سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾^٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فِيهِ ثُمِّلَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا^{٢١}

إن كل هذه العوائق التي تقف في وجه الخطاب الدعوي، من طرف الأعداء في الداخل والخارج، تكون حائلا دون وصول صوت الإسلام للناس جميعا، تخويفا وتهديدا وتحذيرا، فلا يمكن أن تحدث استجابة لنداء الحق سبحانه إلا من عصمه الله تعالى، وثبته على نصرته هذا الدين ويسر له أبواب الهداية وسبل القبول رغم كل المعوقات، لأن ذلك يصيب ضعاف القوم والمتخاذلين منهم وأهل الشك، ومن يرهبهم التهديد والخوف والوعد والوعيد، أما أصحاب الهمة والمروءة والقوة والشجاعة فإنهم يقفون في وجه الباطل يتحدثون عتوه وجبروته في عزة وكبرياء، كما فعل الفاروق عمر رضي الله عنه بعدما أسلم، وقف في نادي قريش وقال بأعلى صوته..: أنا على دين محمد ﷺ من أراد أن تشكله أمه ويستم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي. ³. إنها العزة والكرامة لمن يملك قوة الحق وحق القوة.

ولازال العدو في الداخل والخارج يلاحق الدعاة ويرصد تحركاتهم وخطواتهم، شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى إذا زادت نشاطاتهم وكثرت مراكزهم في أي مكان، وتضاعف عدد المعتنقين لهذا الدين، تحركت قواعد الشر ومدّت يدها لوضع حد لهذا الانتشار والتوسع والاستيعاب، باختلاق العراقيل والمعوقات للأعمال والرجال، وقذفهم بالتهمة والدعاوى الباطلة كالمساس بأمن الدولة، وأن خطابهم يهدد مصالحهم، فلا بد من تضيق الخناق وتخفيف ينابيع الدعوة، وضبط تحركاتهم أو وضعهم في غياهب السجون لسنين عديدة، حتى يضمنوا توقف الدعوة وسكون حركتها.

1- سورة الفرقان الآية 64

2- ينظر: أصول الدعوة، مرجع سابق، ص 432

3- ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (ت: 630هـ)، تح: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م، ج4/ص137

وخلاصة القول وبعد ذكر أبرز العوائق التي توصل الباحث إلى جمعها والتقاطها من كثير من الرسائل والبحوث والكتب العلمية، والتي تتعلق بالداعية حيث كان ومتى وجد، فهي تشمل الداعية في أمة الإجابة وأمة الدعوة على السواء، وما يعانونه الدعاة في أرض الإسلام وفي المجتمعات المسلمة قد يشابهه أو يزيد عليه في مجتمعات أمة الدعوة.

إن ما تصاب به الدعوات من آفات وأسقام وأورام كمثليها في الأجساد البشرية، فتنتقل العدوى عن طريق الأفراد والجماعات إلى المراكز والمؤسسات الدعوية في مختلف بلدان العالم، علموا ذلك أم جهلوه، ورُبَّ حامل داء إلى مجتمع سليم وهو لا يدري، فكم عانت مراكز الدعوة للأقليات المسلمة من مشاكل ومعوقات، حملوها من مجتمعاتهم وبلدانهم ثم نشروها في شعوب العالم، بزعمهم أنها تمثل الإسلام، والإسلام غني عنهم وعن تصرفاتهم وتمثيلهم السيئ لأخلاقياته ومبادئه، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾¹، لأنهم حملوا إليهم إسلاماً مشوهاً، وأخلاقاً وتصرفات دخيلة على الدين، لا تمثل سماحة الإسلام ولا مبادئه وقيمه السامية.

المطلب الثاني: عوائق الاستجابة تتعلق بالمدعو

إن أول ما تحدّث به القرآن الكريم عن عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي وعدم قبول المدعوين للتوجيه الإلهي، واتباعوا ما تأمرهم به أهواءهم، لأن عناصر تكوين الخطاب مكتملة الجوانب، فموضوع الدعوة أو الخطاب هو كتاب الله تعالى، والداعية رسول الله ﷺ الذي اجتباها الله تعالى لحمل أمانته وتبليغ رسالته الذي مدحه ربه في دعوته فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾² ثم مدحه سبحانه في هدايته فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾³، لذلك بقي المدعو أو المخاطب بما يملكه من سمات وأخلاق تحول دون قبول الحق والتسليم له والاستجابة لندائه، لهذا

1 - سورة النحل الآية 25.

2 - سورة المؤمنون الآية 73.

3 - سورة الشورى الآية 52.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾¹.

فهو النفس إذا غلب على الإنسان وملك إرادته، وأصبح الأمر الناهي يتحكم في تصرفاته وأفعاله في الحق والباطل فيصمّه ويُعمى قلبه وبصيرته، حتى يستحكم في حياته ودينه فيستعبده من دون الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾².

— عوائق المدعويين:

إن للمدعويين عوائق كثيرة تمنعهم من قبول الحق، أو تعيقهم عن الوصول إليه، زيادة على عوائق الدعاة والتي ينالهم منها نصيب، كما تحيط بأصحابها فتفشلهم عن أداء مهامهم وتصدهم عن سبيل الله تعالى، ومن هذه العوائق:

— الغلو والتعصب والجمود الفكري

لقد أصيب كثير من الدعاة والعلماء بأمراض عملية في المجال الدعوي والتطبيقي لتعاليم الإسلام وأخلاقه، فيغالي في تنفيذ أحكام الله تعالى ويشدد على نفسه وغيره، وقد نهى النبي ﷺ عن المغالاة في كل الأمور فقال ﷺ «أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»³، فهو داء الأمم ومهلك المجتمعات ومفسد الدين الذي جاء رحمة للعالمين.

فإذا كان الداعية متشددا في دين الله تعالى، فيضيّق على نفسه ما وسّعه الله تعالى على عباده، فيَحْمِلُ المدعويين ما لم يتعودوا عليه من عبادات وطاعات، فيشق عليهم حمله لشدة تكاليفها، فتتفرغ نفوسهم منها، ورسول الله ﷺ يأمر بالرفق في الأمور كلها ومن الأعمال ما تطيقه نفوسهم والتدرج

1- سورة القصص الآية 50.

2- سورة الجاثية الآية 23.

3- سنن ابن ماجه، أبواب المناسك، باب من أين ترمى جمرة العقبة، ح3029، ج4، ص228، قال شعيب الأرناؤوط في التحقيق: إسناده صحيح.

في سلّم الأولويات والرفق في التطبيق العملي والسلوكي لتعاليم الإسلام، حتى يشتد عودها، ويثبت قوامها.

وقد وقع كثير من الدعاة في مخالفات ومحاذير شرعية ضمن الاجتهادات العملية والتصريحات في الإطار الدعوي، فوقع تباينا واضطرابا بين الخطاب الدعوي والواقع العملي، وهذا يحدث عند غرور بعض الدعاة بآرائهم ومقترحاتهم واجتهاداتهم في التطبيقات العملية في أرض الواقع، فيقنعوا أتباعهم في قبول هذه الأفكار واعتناقها والدعوة إليها، وتقديس أصحابها دون عرض أقوالهم على الكتاب والسنة، ومعرفة الفهم الصحيح منها والموافق لأقوال علماء الأمة وفقهائها.

ومثل هذه الأعمال والتصرفات التي تقع في حقل الدعوة والعمل للإسلام تُظهر مدى الجمود الفكري وقلة الإطلاع والتفقه في شريعة الله تعالى وسوء الفهم، وعدم خلق فسحة لمجال الاختلاف ووجهات النظر وأقوال الفقهاء والمخالفين في مسائل الاجتهاد وجزئيات الأحكام التي سكت الدين عنها أو وسّع مجال النظر فيها.

"ولم يسلم عصر من العصور لا في القديم ولا في الحديث من هذا الغلو والتعصب والجمود الفكري للمذاهب والآراء الدعوية، والانحراف في منهج التلقي، والافتتان بالعلماء والدعاة الذي قاد إلى التباغض والتفرق والعداوة والتأخر بين أبناء الدعوة الإسلامية، بل شهد التاريخ معارك شديدة جلبت على مجتمعات الإسلام الويلات"¹.

فتعددت الحركات والجماعات والأحزاب، وكل منهم يرى الإسلام من وجهة نظره ولم يحط به علما وتحقيقا ومعرفة وهدفا، فاختلقت رؤاهم ونظرتهم في فهمه ومقتضاه، واقتصرت على جانب من جوانبه، والإسلام أعظم وأشمل: كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾².

1- التحديات المعاصرة التي تواجه الدعوة الإسلامية وطرق مواجهتها، ميساء روابده، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الأول (التطوير في علوم الدعوة والتنمية البشرية المعاصرة) جامعة ملايا، ماليزيا، في الفترة 15-16/05/2013م.

2- سورة المؤمنون الآية 53.

فهذا الواقع المرير والحالة المرضية والتي تدعوا إلى الدهشة والحيرة في أمة كانت بالأمس سيدة العالم، دخل دينها كل المدائن، فوحد بين الشعوب والقبائل والأمم لما كان بينهم من اختلاف وتنوع، فكيف بهم اليوم يتفرون ويختلفون، لولا أن أمراضا قد أنهكت جسد الأمة بالغلو والتعصب والجمود الذي عكّر صفو الجماعة المسلمة وشتت شملها، وفرق كلمتها، وأصبحت دعوة صارخة في وجه الإسلام وتنفير الناس عنه، وإظهار الإسلام على غير حقيقته بما يحمله من تبعات، فهؤلاء قد أساءوا للإسلام من حيث يريدون نصرته والدعوة إليه.

– الفتور والكسل

إن ضعف الإيمان عند المدعو يبعث في نفسه الفتور والكسل عن الاستجابة لدعوة الإسلام، أو الإعراض عن سماع الخطاب الإسلامي من أفواه العلماء والدعاة الذين لا يراعون أحوال المدعويين، ولا ينزلون بدعوتهم في واقع الحياة، وقد يصيب الفتور المدعويين لكثرة مشاغل الحياة وانفتاحهم على مغرباتها وشهواتها، فتكثر معاصيهم وذنوبهم فتحول بينهم وبين دعوة الله تعالى لقبولها والاستجابة إليها، وامتنال أخلاقها وسلوكياتها.

إن ما يحيط بالمدعو من مشاكل متنوعة، وهموم كثيرة فتضعف همته وعزمته، وتفتت قوته في مواجهتها لقلّة الزاد وبعد السفر ومشقة الطريق، فيصيبه الخَوَرُ والقصور والكسل، فيستسلم لمتطلبات الواقع ومفاتن الدنيا.

وما ذكر من عوائق تصيب الداعية والتي تعرض لها الباحث خلال المطلب السابق، قد تصيب المدعو على السواء، وهي ما يتعلق بالعوائق النفسية والقلبية. وأغلب العوائق الداخلية منها والخارجية، وهي أمراض باطنية، وآفات قد تحرق بالإنسان من حيث لا يدري حتى تبعده عن سواء السبيل، أو تقعده عن البحث في ملكوت الله تعالى والتفكر في مخلوقات الله تعالى لتوصله إلى أسباب الهداية واليقين، فيكون كما:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَلَيْهِ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْنَا﴾¹

لا يصدق بكل ما يعرض عليه من أمر الإسلام وتعاليمه، أو يكون كالذي، قال

﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾¹، فهو كمن ركن إلى الأرض وتعلق بأسبابها، فأثقلته عن الاستجابة لصوت الحق، وألقى بسمعه لهواه حتى أضله السبيل وانتكس، وسلك سبيل الغواية وأعرض عن ذكر الله تعالى ولم يستجب لندائه، فحسر دنياه وآخرته، وذلك هو الخسران المبين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾².
فينكر على الدعاة وأهل الخير دعوتهم، فيصيبه اليأس والقنوط، ولا تلين نفسه ولا يخشع قلبه إلى ما يدعونه إليه من الهدى والرشاد، فيغلب عليه هواه فيكون حائلاً وعائقاً بينه وبين دين الله تعالى.

المطلب الثالث: عوائق الاستجابة تتعلق بموضوع الدعوة

إنّ موضوع الدعوة أو الخطاب الدعوي يُعتبر العنصر الأساسي، أو المكوّن الرئيسي لمجموع قواعد الدعوة الإسلامية، نظراً لأهميته ولكونه حاملاً لرسالة الله تعالى وخطابه وتشريعاته، وما دعا إليه الإسلام من المحافظة على شكله ومضمونه من الاختراق والتغيير، لضمان استمراره على نهج النبوة ومبادئ الإسلام وتأثيره في الناس، وعدم السماح للأيدي المغرضة أن تعبت بالخطاب واستفراغه من محتواه بحجة التجديد أو عدم مواكبة العصر...

فالخطاب الدعوي هو مقياس نهضة الأمة وقيامها ومبعث عزّها وكرامتها، وإن بدا لك في الخطاب تحافياً وضعفاً أو لا يُمثّل روح الإسلام ومبادئه وأخلاقه، فاعلم بأنّ الأمة قد تُودّع منها وسلّمت مقاليد حكمها، وصارت قيادتها بأيدي غيرها، فقد هانت على الله تعالى.

إنّ الخطاب الدعوي الناجح الذي يحمل نور الهداية وأمانة الله تعالى التي استودعها خيرة عباده، في خطاب يتضمن تشريعات الإسلام ومبادئه، على نهج النبوة وسيرته العطرة التي بلّغ بها ﷺ وحيه ودينه، وبأساليب متنوّعة خاطب بها أمّته على اختلاف عقولهم ومستوياتهم ومشاربهم، وبالوسائل المتعدّدة والمتاحة في كلّ زمان ومكان، تعالى.

1 - سورة الأعراف الآية 176

2 - سورة طه الآية 124

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾¹، ليتحقق أمر الله بكل وسيلة شرعية مباحة، تحمل في ثناياها بيانا وتوضيحا لآيات الله تعالى وكلماته، وتحديد الأهداف البلاغ وإقامة الحجة على الناس.

ومن أجل المحافظة على ثراء الخطاب الدعوي وتأثيره، يعمل الدعاة على التصدي لكل المعوقات التي تحاول المساس بجوهر الخطاب وشكله، أو تغيير مساره أو إبطال مفعوله أو تشويه صورته، أو التعرض له بكل نوع من أنواع التخذيل والتهميش والعدوان.

وقد سبق أن تطرق الباحث لإبراز إشكالات الخطاب الدعوي المعاصر وتحدياته من خلال ضعف الخطاب الدعوي شكلا ومضمونا، ومجافة الخطاب الدعوي لأحوال الناس والواقع واختلاف لغة الخطاب في قضايا الأمة وأحكام الشريعة، وهي بمثابة عوائق تتعلق بموضوع الدعوة في صورة الخطاب الدعوي المعاصر بما يحمله من ضعف في مواجهة مستجدات العصر ومتغيرات الحياة، وعجز عن حمل الإسلام وتقديمه في أبهى صورته وأعلى مقامه دينا شاملا لكل مناحي الحياة، باق على مَرِّ الدهور والأزمان ولكل الناس بمختلف أجناسهم ومجتمعاتهم وبيئاتهم، وهذه العوائق أوصلت بالخطاب إلى مستوى الانحدار والتقهقر وعدم الاهتمام بما يدعو إليه لفقده لكلمة الحق، وحق الكلمة، وضاعت بين هذا وذاك هيبة صاحب الخطاب ورجل الدعوة الحقيقي الذي يحمل سلوكيات الإسلام ومبادئه عقيدة وشريعة وأخلاقا.

المطلب الرابع: عوائق الاستجابة تتعلق بأساليب ووسائل الدعوة

لقد عرفت وسائل الدعوة وأساليبها اهتماما بالغاً منذ بعثة الرسول ﷺ إلى البشرية، وبزوغ شمس الإسلام على الحياة وظهوره على الدين كله، حتى بلغ الآفاق وفتحت البلاد واعتنق الناس الإسلام، بفضل الأساليب التي جرت على لسان رسول الله ﷺ، والتيورد ذكرها في القرآن الكريم في كثير من الآيات، وما استشف من حياته ﷺ الدعوية وأعماله وتصرفاته وأخلاقه، ومن الوسائل التي اتخذها رسول الله ﷺ ليبين للناس ما نزل إليهم من الأحكام والمعاملات والأخلاق.

1 - سورة النحل الآية 44.

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

وكان رسول الله ﷺ يستعمل كل وسيلة ويستغلها في الدعوة، ويستخدمها للتوضيح والبيان وتقريب المعنى للمخاطب، فقد استعمل الخطبة والدرس والموعظة الخفيفة والنصيحة الآنية للمواقف العاجلة، وقد استعمل العصا والشجر والجلي الأسك وغيرها مما أوردته السنة المطهرة وهي تزخر بكثير من المشاهد والمواقف التي قدم رسول الله ﷺ دعوته بأساليب ووسائل متنوعة ومتعددة.

فلما تطاول على الناس الزمن وتباعدت الأجيال، تعلّق بعض العلماء والدعاة بالوسائل القديمة وبالأساليب التي أوردتها الأخبار والآثار عن رسول الله ﷺ، وما عمل به الرعيل الأول واعتبروها توقيفية لا يمكن الخروج عنها، ولا يمكن تجاوزها، رغم ما حدث من تطورات عبر مراحل الزمن، مما يسهّل عملية الدعوة وتوصيلها إلى أقصى الدنيا بوسائل متطورة وأساليب حديثة، ومبالغ زهيدة وفي زمن قصير ﴿كَلِمَاتٍ أَبْصَرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾¹.

إن الجمود الذي حدث من بعض ممن يزعم تعلقه بالدين وفهمه لتعاليمه وأحكامه، فحصروا الوسائل فيما استخدمت من قبل ونبذ كل وسيلة جديدة، فإنما أرادوا بذلك غلق منافذ الدعوة وتخفيف منابع العطاء والفتح الإلهي على الناس، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾²، وقد حجروا على الناس من الوسائل والأساليب ما وسّع فيها الإسلام، وفتح الباب أمام كل وسيلة تُوصل إلى الله تعالى، ما لم تخالف شريعة الإسلام.

إن التضيق على الوسائل والأساليب قد تحجب الهداية على كثير من الناس، إذ أن الوسائل القديمة لا يمكن أن تصل إلى كثير من المجتمعات في أمة الدعوة لعدم تمكنهم من حضورها ولا الاهتمام بها، لأنها تخاطب أمة الاجابة وبلغة القوم، وربنا سبحانه يخبرنا توضيحاً وتنبهاً إلى أنه ما بعث رسولا إلا بلغة قومه، ليفهموا عنه شريعته وأحكامه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³.

1 . سورة النحل الآية 77

2 - سورة المجادلة الآية 18

3- سورة إبراهيم الآية 4

فواجب أمة الإسلام أن تُخاطب أمة الدعوة بكل لغاتها ولهجاتها، وتستخدم كل وسيلة شرعية لتوصل صوت الدين ومبادئ شريعته لكل الناس، على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم وأحوالهم، وتتنوع من الأساليب ما يحقق أهداف الدعوة ومقاصدها، مع اختلاف أنواع المخاطبين وتطور حياة الناس ووسائلهم على مرّ الدهور والأزمان.

فإذا جئت في زمن تطورت فيه كل الوسائل واستحدثت فيه أدوات التواصل، وتخطبهم بوسائل الأولين فإنه قلّ من يسمعك

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾¹، لقلة تأثيرها وصغر دائرة تلقّيها وبلغة لا يفهمها أغلبية سكان المعمورة، فتكون هذه الوسائل في هذا الزمن بمثابة العائق الحقيقي لعدم استجابة الناس لدين الله تعالى، ويبقى حكمهم إلى الله تعالى كحكم "أهل الفترة"² الذين لم تصلهم الدعوة ولم تبلغهم الرسالة ولا تقام عليهم حجة البلاغ.

إن الواجب اليوم على علماء الأمة ودعاتها، هو تحديد الدعوة في أساليبها، وتحديث طرائقها والإبداع في وسائلها، واختراع آليات جديدة في تفعيلها، دون المساس بلب الدعوة وأصولها، لأن الزمان تغير والحياة تطورت في كل مكوناتها، وتبدل نمط العيش فيها بما صاحبها من تطورات علمية وتكنولوجية، في المجالات الحيوية من الإعلام والاتصال، ولا يمكن أن نعتمد على الوسائل العتيقة والأساليب التي خاطب بها الأولون فقط، بل يجب أن نستغل كل الوسائل الحديثة والأساليب المتجددة، لأنه لكل عصر خصوصيته ولكل مجتمع ما يناسبه، ولكل ظرف نوازله ومستحدثاته،

1- سورة فاطر الآية 14

2- "أهل الفترة"، الفترة : لغة : الانكسار والضعف، وقيل أقام وسكن، لسان العرب، لابن منظور، ج5/ص43 واصطلاحاً : هي ما بين نبين، كانقطاع الرسالة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2/ص35، وقال الألوسي رحمه الله تعالى : أجمع المفسرون على أن الفترة هي انقطاع ما بين رسولين، روح البيان، الألوسي، ج6/ص103، فأهل الفترة وهم الذين عاشوا في زمن لم يكن فيه نبي ولا دين صحيح، والأصح في الأقوال أنهم يمتحنون يوم القيامة، أهل الفترة ومن في حكمهم، موفق أحمد شكري، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار بن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1409هـ - 1988م، ص57-59 (وأصل الكتاب رسالة ماجستير، إشراف / عبد العزيز الراجحي، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، سنة 1401هـ).

فُتسقط الأحكام على أحوال الناس وواقعهم بفقهِه متجدد يستجيب لكل الإشكالات المطروحة في دنيا الناس ومستقبلهم¹.

فتجديد الدعوة يحفظ الأصول والثوابت والمرونة في المتغير من الأساليب والوسائل، لأن الأصول هي شريعة الله تعالى وأحكامه، فلا يمكن أن يطرأ عليها التغيير محفوظة بحفظ الله تعالى في كتابه وما بيّنه رسول الله ﷺ في صحيح سنته، وأما الأساليب والوسائل زيادة على ما ورد تشريعه هو خاضع لمستجدات العصر ومتغيرات الأحداث، ولكل عصر أدواته ووسائله وما أنتجته الثورة التكنولوجية والتطورات العلمية من مبتكرات واختراعات، حيّرت العقول وأذهلت البشرية، وجعلت التواصل بينهم أمراً ميسوراً، إلى أن أصبح الناس كأهم في بيت عالمي واحد، وما يحدث في العالم من أحداث وتقلبات وأحوال يرونها في وقت واحد رأي العين ويتعاملون معها إثر وقوعها.

إن تجديد الدعوة ليس إلا استجابة لتغيرات العالم المتسارع يوماً بعد يوم، واستغلال وسائلها ومنتجاتها خدمة لدين الله تعالى وتبليغا لشريعته وتعاليمه، ومن الحكمة أن لا نقف في وجه هذه التطورات دور المتفرج المتخاذل، ويُفسح المجال لغيرنا ليكونوا معاول هدم، من تشويه لديننا وإفساداً لأخلاقنا وعلاقاتنا، لأن ذلك يعد دليلاً على انطماس البصيرة، وقمة الجهل والغباء بمجريات الحياة المعاصرة والواقع².

إن التجديد في الوسائل والأساليب لا يعني إلغاء ما عمل به الأولون عبر قرون من الزمن، وكانت لها الريادة في فتح شرق البلاد وغربها، وانتشار دين الله تعالى في الأنفس والآفاق، بل يجب العمل والاحتفاظ بها وتبقى تؤدي دورها وتحقق أهدافها ومقاصدها رغم نتائجها المتواضعة، وهي أدوات في تجدد مستمر بدخولها وانفتاحها على عالم تكنولوجي متسارع ومتطور.

والتطور في الخطاب الدعوي لا يعني الإتيان بشيء جديد في الدين، بل المقصود به تطوير الوسائل الدعوية والأساليب، ومن حكمة الداعية وفطنته أن يواكب تطور الوسائل وخاصة في هذا

1 - ينظر: فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها، علي بن أحمد بن الأمين الريحوني، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1425هـ، 2004م

2 - ينظر: المرجع السابق.

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

العصر، وأن لا يتخلف عن ركبها واستعمالها لما لها من أثر كبير في توسيع لإطار الدعوة وتوضيحها، بل عليه أن يبتدع فيها وأن يُبدع في استخدامها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً¹.

فتطوير الوسائل الدعوية والتجديد والابتكار فيها أمر لا ينبغي أن يستهان بأهميته، فهو يفتح مجالات جديدة للدعوة ويسهم في توسيع دائرة انتشارها وتأثيرها، ويذهب السامة والملل ويجدد الهمة وروح الجد والنشاط لدى العاملين والدعاة، ومواصلة مسيرة الدعوة.

ولكن ألا تؤدي المطالبة بالتطوير والتجديد والإبداع إلى احتقار البرامج والوسائل الدعوية، التي ألفها الناس واعتادوها، وتركت آثاراً كثيرة في المدعوين، وكانت السبيل الوحيد الذي تعرّف الناس من خلاله عن الإسلام، وأخذوا مبادئه وتعاليمه منه لعقود من الزمن، ولا زالت آثاره إلى اليوم تحقق أهداف الدعوة ومقاصدها في كثير من البلدان والمجتمعات².

فإذا كان التجديد يمس الوسائل الدعوية، فإن الأساليب من باب أولى، لأن الإنسان الذي تلقى الخطاب الدعوي بالأمس ليس هو الإنسان اليوم في تكوينه وتربيته ومؤهلاته، ومن حكمة الله تعالى لما خاطب رسوله ﷺ بأن يدعُ إلى سبيل ربه بالأساليب الثلاثة، والأمر لأُمَّته كذلك، وذكر الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وكلها أساليب منفتحة ومتجددة وقابلة للتطوير والإبداع وغير مقيدة ولا محدودة.

إن انفتاح الأساليب الثلاثة في الخطاب الدعوي يتماشى مع خصائص الإسلام ودعوته، في شموله وعالميته واستمراره، لأنه الدين الخاتم، ليخاطب كل الناس باختلاف مشاربهم وعقولهم وألسنتهم على مر الدهور والأزمان، وما يعترضهم من تطورات وتغييرات في كل مناح الحياة، فلا بد للداعية أن يتفاعل مع الوسائل الحديثة ويستغل منافعها في خدمة الأمة، وما يصلحها في دينها ودنياها، ويتجنب مفسادها وأخطارها حماية للدين ومبادئه وأخلاقه.

إن التقيد ببعض الأساليب الدعوية التي تناقلتها الأخبار عن الرعيل الأول في خطابهم ومع ذاك الجيل الفريد وما أبدعته القرون الخيرة الثلاثة، والمستوى البديع الذي يتعاملون به ويخاطبون به الناس لن يتكرر، لأنه الجيل الوحيد الذي اختاره الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ونصرة دينه.

1 - ينظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان بن محمد آل عرعر، دط، ط1، 1426هـ. 2005م، ص115

2 - ينظر: تأملات دعوية حول التجديد والإبداع، محمد بن عبد الله الدويش، مجلة البيان، العدد 148، ص54

فلما تعاقبت القرون وتطاول الزمن وذقت فيها أمة الإسلام مرارة البعد عن الإسلام، وتلقت ضربات موجعة تجرّعت فيها ويلات الحروب والهزائم، وكادت أن تنسى وجودها وكيانها وحوربت في كل شيء، وعقدوا على لسانها وعرفوا أن لا طريق إلى هزيمة أمة الجهاد إلا بالطعن في آلة الفهم عن الله تعالى، فتوجهوا إلى لغة القرآن الكريم، وخزّبوا قواعدها ومبادئها، واتهموها بالعجز عن مواكبة ركب الحضارة، ومنعوا تدريسها واستبدلوها بغيرها، حتى انسلخت الأمة من تاريخها وحضارتها، فلم تعد تعرف من الإسلام، إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، فإذا حدثتهم بأسلوب الأوائل بقوته وسمو مكانته وبراعة تركيبه وتصريفه ومكوناته، قلّ من يفهمك ويستجيب لك، فالواجب أن نحدّث الناس على قدر عقولهم وبما يفهمون، وبأساليب التي يستوعبون بها الخطاب الموجه إليهم من رب العالمين، ولا نلزمهم بأساليب أمم عفا عنها الزمن فتكون لبعضهم فتنة وصد عن سبيل الله تعالى.

إن الاكتفاء بالوسائل الأولى التي انطلقت بها الدعوة الإسلامية في بداية طريقها، وعدم الاعتراف بشرعية الوسائل الحديثة والمتطورة والتكنولوجية، التي غيّرت وجه العالم المعاصر، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا العيش بمعزل عن التعامل بها واستخدامها في كل مجالات الحياة، يعد عائقا عن فتح الباب أمام التطورات العلمية والتكنولوجية البديعة، والوسائل التي لم تكن من قبل، والتي اختصرت كل أسباب الحياة، تماشيا مع السنن الكونية في الزمان والمكان، وتعاملات الإنسان.

وقد اختصرت التكنولوجيا الحديثة اليوم العالم كصفحة صغيرة بين يديك، ممثلة في هاتف ذكيّ يربطك بعالمك كتابة وصوتا وصورة في اتصال دائم وإعلام وتجاوز، فتخاطب به كل إنسان أينما وجد في أرض الله تعالى وكيف شئت وبما شئت ومتى شئت.. فتبلّغ رسالة الله تعالى العالمية الخالدة، فتكون قد قطعت آلاف الأميال، وانتقلت من بلد إلى بلد، ومن مجتمع إلى آخر، تنشر فيها رسالة الإسلام وتشرح تعاليمها ومبادئها، وتجاوز وتجادل وتعرض الحجج والبراهين على صدق دعوتك وربانيتها وأنها للناس جميعا، ولسعادتهم في الدنيا والآخرة.. وأنت متكأ على فراشك في بيتك...

إن عملا كهذا كان في الزمن الأول تُرصد له الأموال العظيمة، وتهبّ له الجيوش الجارّة، ويجمع له العتاد والعدة الكثيرة، وكل متطلبات الحرب المختلفة، وتُقطع فيه أكباد الإبل للوصول إلى تلك الأقوام والبلدان، ويُجهد فيها الرجال وتُنهك قواهم لمسيرة ليالي طويلة وأيام.. وتُفتح فيها البلدان، ويلتقي فيها الجمعان، فتطير فيها الرؤوس وتشلّ فيها السواعد والأقدام، وتسال فيها أنهار الدماء

وتترامى فيها الأجساد والجماجم والأشلاء، حتى يتمكنوا بعد ذلك من الوصول إلى الناس وتبليغهم أمانة الله تعالى ورسالته.

كم كان الإسلام عظيماً وغالياً في نفوس الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيّه ونصرة دينه.. فحق على الله تعالى أن يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم.. حتى بذلوا من أجله الجهود والمتاعب وتجرع فيها الرجال مرارة الصبر في الجهاد ومقارعة الأقران، لأداء مهمة الدعوة في سبيل الله تعالى، بأن وعدهم الرضا والقبول ودخول الجنان.

المطلب الخامس: عوائق الاستجابة تتعلق بالواقع المعاصر

لقد مرّت الأُمّة الإسلامية بمراحل متعددة ومتباينة، قامت وازدهرت حتى ملكت زمام الأمر وتقاليد الحياة، وبلغت أطرافها مشارق الأرض ومغاربها، وأشرقت شمس الإسلام على البشرية، وأحكمت قبضتها على جميع الأمم، وكانت لها اليد العليا لقرون من الزمن، فأصابها داء الأمم وغلبت عليها السنن الإلهية لَمّا خالفتها، فلا محابة مع سنن الله تعالى، ففقدت عناصر القوة بعد أن طال عليها الأمد حتى تركت معالم الدّين ومقوماته، ونسيت عهودها ومواثيقها وذهبت تبحث عن سبل الهداية والنجاة في غير الإسلام، من الشرائع المحرّفة والقوانين الوضعية والفلسفات القديمة، فتاهت عن سواء السبيل، فتخطفتها يد الشر فمزقت أوصالها وتناهشتها سباع الأمم، فقضت على وحدتها وفرت كلمتها، وحاولت طمس معالمها وتشويه تاريخها وحضارتها.

لقد كانت الخلافة الإسلامية في آخر عهدها وإن بدت في ظاهرها القوة والوحدة، وفي باطنها تحمل عوامل السقوط والانهيار، وذلك في بُعدها عن شريعة الله تعالى وفساد قد طال الحاكم والمحكوم، وبقيت لسنين تخيف الأمم وتعمل لها ألف حساب، فعمد العدو للطعن في جسدها عن طريق المستشرقين والمنصّرين، الذين عاثوا في الأرض فساداً، من تعطيل وتشويه وإفساد، فما دلّهم على سقوطها إلا داء الأمم ينخر كيائها، فلما تهاوت أركانها وانهدبنيانها، عرف الناس حينها أنها لم تكن قائمة على أصولها، وكانت جسداً بلا روح وهيكل بلا قواعد تشد من أزرها، وأمة قد فقدت مبادئ دينها ومقوماتها الذي يحفظها من الزوال والذوبان والتبعية.

إن واقع الأُمّة اليوم وما تعانيه من جهل وتخلّف عن ركب الحضارة، وضعف وتعثّر في مسيرة الدعوة الإسلامية، مما جعلها تُحمل في هامش الحياة وتعاني الهجر والبُعد. إن مسيرة الأُمّة الحافلة

بالانتصارات عبر قرون من الزمن صنع لها أعداء كثيرين، ومتربصين حاquدين يتحينون الفرص ويتآمرون ويخططون للقضاء على هذا الدين، بكل ما أوتوا من قوة ودهاء ومكر، وما أن عرف العدو أن هذه الأمة لا تؤتى من قبل القوة العسكرية حين تُرفع كلمة الجهاد، فعمدوا إلى الحروب الفكرية والعقدية من خلال أعمال المستشرقين والمنصرين، الذين اطلعوا على أمة الإسلام ودرسوا مواطن القوة والضعف فيها، فدخلوا من خلالها بالتشويه والتشكيك والتكذيب، لكل مقومات الدين ومبادئه، والطعن في تاريخ الأمة وأمجادها وطمس حضارتها، فضعفت عناصر القوة في نفوس الناس، وخفتت جذوة الإيمان في قلوبهم، وتعلقت نفوسهم بزخارف الحياة الدنيا، وتركت ذروة سنام الإسلام كراهية الموت، فأصابهم الوهن، وفتح باب الشهوات والفتن، فتداعت عليهم الأمم من كل جانب، فتنازعوا على أخذ كل ما طالته أيديهم من مقدرات الأمة وثرواتها وعلومها ومكتسباتها الحضارية والفكرية.

وبقيت الأمة تتخبط في شرك الاستعمار ومخططاته ومؤمراته الدامية الدائمة والمتجددة، ولا زالت آثارها تلاحق الأمم وتتحكم في مسارها وتوجهاتها، ولا زالت سيادتها بأيدي غيرها، فكم تعاني البشرية اليوم من الاضطهاد والاستعباد والذل والهوان وانتهاكات ودمار وتخطيط وانقسام. إن واقع الأمة اليوم لا يبشر بخير، إلا ما رحم ربي، ولا يعبر عن حقيقة دينها ودعوتها، وصار واقعها يكشف عن مدى بعدها عن شريعتها، ويدعو إلى الثفرة والابتعاد عن رحاب الله تعالى والتعلق بدينه.

لقد اختلفت صور الاستعمار من بلد لآخر، حتى وصلت إلى طمس الهوية وتشجيع التبعية، فتفرقت الأمة وضاعت كلمتها، ثم اختلفت فتناحرت فضعفت فهانت على عدوها فاستحكم فيها، فصار الحق ما قال وما فعل، والباطل ما خالف أمره واعترض مصالحه وقراراته.

إن الواقع المعاصر الذي آلت إليه البشرية، واستحكمت فيه المصالح الدولية، للمتسلط العالمي الصهيوني، من إشعال فتيل الحرب في كثير من دول العالم الإسلامي، وزرع أسباب الخلاف بين الشعوب، وبث الفتن زيادة على ما يعانيه الناس من الجهل والضعف والتخلف في كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية، وأصبحت الأمة لا تمثل شيء عن حقيقة الإسلام في واقعها وفي حياة الناس.

فالناس تعيش الفقر والحرمان وقلة أسباب الحياة، وتتخبط في المشاكل الاجتماعية، وتعرض للغزو الثقافي والتوجيه الفكري، والبعد عن الدين واتهام إتياعه بالتعصب والعنف والإرهاب، وملاحقتهم في كل مكان ماديا ومعنويا، والزج بهم في السجون والمعتقلات أوقلتهم.

وبهذا الوضع المزري المسلط على الشعوب المسلمة وتقييد حركة العلماء والدعاة حتى تجف روافد الدعوة والعمل للإسلام، وتُشغل الرأي العام بحروب وهمية لتحول دون النهوض والعودة إلى الحياة من جديد، وتكون عائقا لمعرفة الإسلام والاقتناع بتعاليمه ومبادئه واعتناقه.

إن الواقع المعاصر هو نتيجة لمختلف الصراعات الدولية والتكتلات الأمية والإقليمية واختلاف موازين القوى للتسابق نحو بسط النفوذ والسيطرة في العالم، وذلك عن طريق التخطيط المحكم والتنفيذ الدقيق، في إحاكة المؤامرات وبث الدسائس لإسقاط الحكومات، وإثارة الفتن واختلاق الحروب لأتفه الأسباب، وتسليط العقوبات الاقتصادية لإخضاع البلدان التي تخاذلت عن الاستسلام والإذعان لقرارات الهيمنة الدولية.

وقد تحولت دول العالم الإسلامي إلى حظائر يعث بها العدو كيفما شاء، بأخذ ما يرضيه من ثرواتها ومقدراتها، ويتحكم في سياساتها بما يخدم مصالحه المتعددة الداخلية منها والخارجية.

وبهذا الواقع المعاصر المرير حوّل الدول الإسلامية إلى مستنقعات للظلم والفقر والجهل، وبعث فيهم الخوف والرعب والمهانة لانتزاعه كل مقومات القوة والنهوض، وإعادة إحياء الأمة لتواصل حمل أمانة الله تعالى إلى الناس جميعا، وتخطي العثرات وإصلاح ما أفسده المغرضون لقرون من الزمن، وقد ازداد الأمر تعقيدا مع الوسائل التكنولوجية الحديثة الإعلامية والاتصالية، وتأثيرها البالغ والخطير في انتشارها الواسع والتشويه الخبيث للإسلام وتاريخه وحضارته.

إن الأزمات التي مرت بها الأمة كثيرة ومتعددة، قد أثقلت كاهلها، وأهكت قوتها وسلبت منها مقوماتها الذاتية لقرون من الزمن، وتركها تتعرثر الطريق وتبحث عن أسباب الخلاص عند عدوها وألدّ خصومها، فضلت عن سواء السبيل، بعد أن فقدت الأمل وعرفت نفسها أنها تلهث وراء أوهام

وأباطيل تجاوزها الزمن ووعود ﴿كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾¹.

1- سورة النور، الآية 39.

1 - الواقع الاقتصادي:

يتميز الاقتصاد الإسلامي بالحيوية والنشاط والنمو والتوازن لاعتماده على آليات ثابتة وروافد متدفقة مستمرة، لذا فقد عرفت دولة الإسلام النظام الاقتصادي بما استوحته من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، في نظام محكم يضع الأمور في نصابها، ويتصرف في أموال الأمة بما حددته شريعة الإسلام ليقيم الدين ويحفظ مصالح العباد، لأن المال عصب الحياة يخدم شؤون الأمة ومصالحها، وبالمال تقام الأمم وتتقوى وثهاب، وبدونه تسقط وتنهار وثهان، وتكون عالة تستجدي اللئام على ما بقي من موائدهم وفضلاتهم بالذل والهوان.

ورحم الله تعالى خليفة المسلمين حين أغرقت خزائن الدولة بأموال الزكاة والفيء، فأرادوا توزيعها على المسلمين من خلال أبواب المصارف، فلم يجدوا من يأخذها فحوّلت إلى إعفاف الشباب وإقامة الأسر المسلمة، وبقي المال على ما هو عليه فأصدر أمير المؤمنين قراراً قلّ مثيله عبر تاريخ البشرية "أن ذروا القمح والطعام على سفوح الجبال ليأكلها الطير والهوام حتى لا يقال جاءت الدواب في عهده وخلافته..."¹.

وما أن حادت الأمة عن شريعة الله تعالى، وعبث الأمراء بخلافة المسلمين ودولتهم، وصُرفت الخزائن في غير أبوابها وفُتحت الدنيا بشهواتها وزخارفها على الملوك والأمراء، فعاثوا في الأرض فساداً قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾².

فاستباح العدو حرمتهم وأعراضهم، وتقاسموا قصعتهم وتداعت عليهم الأمم من كل أفق، وأخذوا ما في أيديهم واستخرجوا ما في باطن أراضيهم من الكنوز والثروات، حتى قالت امرأة لابنها الأمير لما سقطت آخر قلاع الأندلس: أتبكي كالنساء على ملك أضعته ولم تحافظ عليه كالرجال، ولازال العدو جاثماً على مقدرات الأمة وثرواتها يختلق لها الأسباب دون تحريك الأساطيل وتسليح الجيوش واستعمال الطرق القديمة، كما كان من قبل من أجل استغلال مواردها وما وهبها الله تعالى

1 - مقولة سمعتها أو قرأتها عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.. ثم بحثت عنها فلم أجد لها أثر في كتب السير والأخبار.

2- سورة النحل، الآية 112.

وخصها به من مدخرات باطنية عظيمة، فكانت تؤخذ كجزية لحماية عروش الملوك والسلاطين والأمراء والحكام، ومرة تؤخذ كقروض وهمية بعد إدعاء الانهيار الاقتصادي وإفلاس البنوك والشركات العملاقة، وأخيرا وبعد تسرب الفيروس المٌحَوَّر أو نشره في العالم بطرق وأسباب لا نعرفها، ولا يمكننا الوصول إليها، وبعد هلاك الآلاف من كبار السن والمرضى عبر دول العالم، أعلنوا اكتشافهم للقاح المضاد لهذا الفيروس، ليتمّ تصنيعه وتوزيعه بعد قبول المنظمة العالمية للصحة المالية والعميلة، ثم تهافت الدول وتتسارع لاقتنائه بمليارات الدولارات لتلقيح شعوبهم والعبث بصحة البشر.

ومن السياسات المهلكة لاقتصاد الدول، وبعد زرع الفتن وتدمير المؤامرات مع وجود السياسات الفاشلة في الدول العربية والإسلامية والاقتصاد المنهوب، تضطر الحكومات إلى الاستدانة من البنك الدولي، وحينها تغرق في الوحل الذي لا يمكن الخروج منه ولا التخلص من تبعاته، حتى تعجز عن دفع فوائد الدين، فيتدخل المدين للتحكم في سيادة الأمة وتصرفاتها.

ومن الدول من تحاك ضدها الفتن الداخلية والحروب الأهلية، والنعرات الطائفية والتحريض بين دول الجوار لإذكاء فتيل الحرب، فتتشب حروب طاحنة للسنين يروح ضحيتها آلاف الأرواح، وقد يجهل الطرفان الأسباب الحقيقية لهذه الفتنة، فتأتي على مقدرات الأمة المادية والمعنوية فتهلكها، ومنها من تُحاصر اقتصاديا فتكثر فيها الأمراض والمشكلات وينتشر الفقر والجاعة، فتفقد البلاد مقومات الحياة وأسباب العيش، ومن اليأس الذي مُنيت به شعوب العالم الإسلامي، أن بلدانهم تزخر بثروات أسالت لعاب الأعداء، وعملوا لها ألف حساب للاستيلاء عليها بكل ما أوتوا من دهاء ومكر، ومن المؤامرات والحيل وأساليب الخداع تارة والتهديد تارة أخرى، وبقيت الشعوب تعاني الأمرين، مع الاضطهاد والفقر وأموال الأمة تصرف لحماية عروشهم وما يخدم مصالحهم، ومنها ما يُنهب من سمسرة السياسة والحكم أو توضع قوانين لابتزاز الأموال والأغراض دون حسيب أو رقيب.

ويبقى الواقع الاقتصادي لدول العالم الإسلامي يئنّ تحت وطأة العملاء والخونة وأهل السلطان، ولا يُبحث له عن مصادر الانتعاش والنماء، ثم يحوّل القليل منه لذرّ الرماد في عيون المراقبين إلى إقامة البنية التحتية للبلاد وخدمة مصالح العباد، وبهذا الواقع المرير والانهيارات الاقتصادية المتكررة والمصطنعة أحيانا، فإنه لا يمكن أن يستقر حال الأمة وتستجيب لدعوة الله تعالى وتعمل على تطبيق شريعته.

2- الواقع الأمني:

إن الواقع الأمني يعيش حالة من الضياع منذ أن فقدت الأمة وحدتها، وسقطت خلافتها والتي كانت تمثل الملاذ الآمن لكل المجتمعات العربية والإسلامية وغيرها، وقد كانت تخاف الأمم سطوتها وتخشى بطشها وغضبها وهي خاضعة ومستسلمة لسلطانها وحكمها، ولما فُتحت الدنيا على الناس وخالطوا بمحبتها وزخرفها، وإزيت في قلوبهم وغرقت نفوسهم في الشهوات والملذات، وانشغلوا عن دينهم ونسوا ما ذُكروا به، وغفلوا عن ربهم، وما استأمنهم عليه في شأن الإسلام ودعوته وعبادته، فوقعوا في الغواية وحلّ بهم الذل والهوان، يقول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾¹ يعني خسراناً²، في الدنيا والآخرة.

وما أن فقدت الأمة أغلى ما تملكه من العزة والكرامة في دينها، حتى انهالت عليها الضربات من كل جانب، ودخلت في حروب مستمرة طاحنة ما أتت على شيء إلا جعلته كالرميم. فضاعت حضارة عمّرت لآلاف السنين، ونشرت من الخير في ربوع الكون ما الله تعالى به عليم، فأزاحت الظلم والقهر عن العالمين، وأنارت بعلمها عقول الحائرين، وعاش الناس في كنف الإسلام آمنين.

وما إن انتفضت دول الغرب وملكت أسباب القوة المادية وتخلّينا عن قوّتنا المعنوية، فتداعت علينا الأمم من كل أفق « كما تداعى الأكلة إلى قصعتها »³، أو كما تداعى السباع إلى فريستهم فمزقوا أوصالها فكان لكل منهم نصيب، فقتلوا العباد وأحرقوا البلاد وساموهم سوء العذاب، فمرت عقود من الزمن تذوق الناس فيه مرارة الخوف والرعب والإرهاب.

ومنذ ذاك الزمان وإلى الآن، والغرب يبني مصالحه على ترويع الأمنين وزرع الحروب والفتن وتحريض الأقليات واستغلالها، لبسط نفوذه وإحكام سيطرته على كل مكان كشف فيه عن مصالحه

1- سورة مريم، الآية 59.

2- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1420هـ، 1999م، ج5، ص245

3- سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح4297، ج6/ص355.

الإستراتيجية والأمنية ومن روافد كثيرة لإنعاش اقتصاده، فأصبح العالم يحكمه قانون الغاب، وسياسة الهيمنة وتقاليد الجاهلية، فأصبح الحق للقوة ولا لقوة الحق، "وكثيرا ما تتصارع الدول الكبرى تصارع الذئاب حول الفريسة، ينهش بعضها بعضا لا دفاعا عن الفريسة لتنجو، ولكن ليستأثر بها كل ذئب لنفسه دون بقية الذئاب والفريسة مأكولة أيا كانت نتيجة الصراع"¹.

لأن البشرية لما أعرضت عن دين الله تعالى وتحكيم شريعته، فقدت صلتها برّبها سبحانه وتعالى فتخلّت عن إنسانيتها، فأصبحت تهيم كالوحوش في البرية يأكل القوي منها الضعيف، قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾².

وقد عانت البشرية من أفضع أنواع الحروب عبر تاريخها الطويل، والتي استخدمت فيها مختلف الأسلحة القديمة والمتطورة والجائزة والمحرمة دوليا، ومن القنابل الذرية والجرثومية والغازية، وكل ما أجمرت به يد الإنسان من اكتشافات واختراعات في عالم التسليح والدمار، راح ضحيتها ملايين البشر ولازال الأمر أشد فتكا وأعظم إجراما، فتحوّلت حياة الناس إلى جحيم تفرضه الهيمنة العالمية، لتعيش الشعوب تحت رحمة الفرقاء من القهر والظلم، يَمَلِّكُهُمُ الخوف والرعب الدائمين والضياع لأدنى أسباب الحياة الآمنة.

وبقيت الشعوب العربية والإسلامية تُتهم في دينها بسبب تمسّكها بإسلامها ودعوتها إليه، بزرع الإرهاب في العالم ظلما وعدوانا حتى لا تقوم للإسلام قائمة، لعلمهم ببقائه وظهوره على الدين كله لما يحمله من عوامل التحدي ومقوماته الذاتية، التي أودعها الله تعالى فيه ليكون رحمة للعالمين في كل زمان ومكان ولكل إنسان.

ومع ذلك كله فقد نشر أعداء الإسلام والمسلمين الشعارات البراقة الخادعة لحقوق الإنسان والسلام العالمي والتعايش السلمي والإنسانية، وأقاموا الأجهزة والمنظمات والمؤسسات التي تخدم مطامعهم وتحقق أغراضهم كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، وغيرها من

1- ينظر: ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق، مصر، ط1، 1422هـ - 2001م، ص160 - 161

2- سورة طه، الآية 124

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

التشكيلات الوهمية والتي لا تصدر قرارات، وإن صدرت فلا تُنفذ وإذا نفذت فإنما هي عمليات تخدير وتسويق وإهمال، لإخضاع المظلوم وإرضائه بحكم الواقع المتسلط الظالم¹.

فالأعداء وأصحاب القرار للدول الكبرى هم وراء كل المصائب والدمار العالمي في تدبير الحروب وتموينها وتنفيذها ليتسنى لهم تحقيق مصالحهم القريبة والبعيدة.

وقد يخرج العدو في زينته عبر وسائله الإعلامية البراقة والمنتشرة في كل العالم، ليبرر عدم تورطه في كثير من الأحداث العالمية والحروب المصطنعة، التي أتت على الأخضر واليابس، وأزهقت أرواح الملايين وهجرت بمثلها من الناس، وعبثت أيديهم بمقدرات الأمة وممتلكاتها وآثارها وتاريخها وحضارتها ومحو كل المعالم التي كانت تفخر بها أمة الإسلام لقرون من الزمن الغابر.

وفي كثير من المؤتمرات العالمية تجدهم يتبححون بشعارات السلام والعدل والحرية، وفي حقيقتهم يخاطبون العالم بلغة الجباية والطغاة ﴿يَأْتِيهَا أَلَمًا مَّا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾²، وما يريد بذلك إلا نصحهم وإرشادهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾³، فكشف الله تعالى عن سوء عمله وخبث طويته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁴.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾⁵.

فهذا حكم الفراعنة والطغاة يتجدد في كل عصر، وإنما تتغير الأسماء والصفات والوسائل والأساليب واللغات.

وبهذا الوضع المؤلم والأزمة الخانقة وما أفرزته من أحداث وملامات، عصفت بأمن الشعوب واستقرارها فلا يمكن لصوت الإسلام أن يجد إلى قلوب الناس سبيلا إلا قليل منهم.

1- ينظر: صور من الطغيان المادي المعاصر، سعيد عبد العظيم، دار القمة، ودار الإيمان، مصر، ب ط ب ت، ص 233.

2- سورة القصص، الآية 38.

3- سورة غافر، الآية 29.

4- سورة القصص، الآية 04.

5- سورة يونس، الآية 83.

3- الواقع السياسي:

إن من حكمة الله تعالى أن وضع في الحياة سنن إلهية كونية تخضع لها الخلائق باختلاف أجناسها وتنوعها، فلا بد للخلائق من حركة دؤوبة تجدد لها الحياة، وتبعث فيها الحيوية والنشاط فالماء الراكد قد يفقد طهارته ولا يجوز التطهر به والبحر إن لم يزود بحركتي المد والجزر لما أمكنه تنظيف نفسه بنفسه، وكذا حركة الحياة بين الشعوب والمجتمعات فإن سنن الله تعالى تحرك كيانهم وتدفعهم إلى البحث عن التملك والتوسع والانتشار وذلك من أجل السيادة والتحكم والاستمرار والبقاء.

إن سنة التدافع جارية على الشعوب والأمم، منذ خلق الله تعالى الخلائق وأورثهم أرضه واستخلفهم فيها، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ويبقى الصراع يحرك دواليب الحياة، وتعيش الأمم ثم تزدهر ثم تفتن، ثم تنهض أمم أخرى، لتنمو وتشتد وتسيطر وهكذا... فكل من أخذ بعوامل القيام والنصر بلغ مقصده ونال مراده وفق السنن الإلهية الغالبة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ۚ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾¹.

وقد تحدث عمر بن العاص رضي الله عنه داهية العرب عن محاسن الروم وقد أنصفهم في وصفهم من نصرتهم للمظلوم وإكرامهم للمعدوم، فهم أحلم الناس وأفطنهم في الحرب وتسيير الأمور..

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»² فقال عمر بن العاص رضي الله عنه إِنَّ فِيهِمْ لَحِصَالًا أَرْبَعًا، إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَبَيْتٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.³

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الله سبحانه وتعالى يقيم أو ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة.⁴

1- سورة الروم الآية 2-5.

2 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ح 7461، ج 18/ص 327.

3- صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ح 7461، ج 8/ص 176.

4- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تح: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، مصر، ط3، 1426هـ - 2005م، ج 8/ص 63.

ومنذ القدم يحتدم الصراع بين الشعوب والأمم لأتفه الأسباب كما حدثنا التاريخ عن حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء وغيرها، وقد طالت سنين وعقودا من الزمن، سفكت فيها الدماء، وأزهقت الأرواح، وترامت الجثث والأشلاء، ثم تتوقف الحرب بعد أن أفنت قبائل برمتها، وقد تكتنفها عهودا وموathيق وتكتلات دولية بلسان العصر، وهذا ما سارت عليه دول الغرب اليوم لتشكل قوة تقف سدا منيعا للمساس بمصالحها الحيوية والإستراتيجية والأمنية.

ولقد كشفت السياسة العالمية المعاصرة عن خبثها، وكيدها في تمرير مخططاتها لفرض التبعية لسلطانها، والتحكم في سياسات الدول وقوانينها والنظام المعمول به، ومزج الثقافات ونهاية التاريخ، لنسيان الماضي ومحو ذاكرة الأمم حتى تنسلخ الشعوب من أجدادها ونهضتها، وتتعلق بأوهام صنعها الأعداء، لينشئوا أجيالا يسهل توجيهها وقيادتها بعد أن فقدت مرجعيتها، فتفرق بهم عن سبيله لقول الله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) ¹.

وقد نشأت الحضارات في تاريخ البشرية في تكامل وتعاون، ولم يحدث بينها صدام كما زعم الأعداء في هذا العصر، حتى يثبتوا العداء المتجذر في قلوبهم ويلبسوه الحضارات، وإذا وقع الصدام والعداء كما قالوا: فلا يمكن أن تتلاق الحضارات وتتلاقح، فخلطوا الخبيث بالطيب لإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد المزعوم، الذي يحكم البشرية ويسير شؤونها، وبدءوا في تنفيذ مخططاتهم في تغيير سياسات الدول وإنشاء خارطة سياسية جديدة تخدم مصالحهم الأمنية والاقتصادية والسياسية على الخصوص.

إن هذا الواقع السياسي العالمي المعاصر يشكل خطرا على سياسات الدول وسيادتها، ويقيد تصرفاتها وتعاملاتها وعلاقاتها مع غيرها، ويمنع عنها التكتلات والاتفاقيات والعهود إلا بعد موافقته ورضاه. وبهذا تفقد الدول كيائها ومصادقيتها، وتصبح أطرافا تابعة وليست دولا قائمة. وهذا ما أراده الغرب منّا، أن نستسلم للعولمة ونخضع لنظامها الرهيب.

1- سورة الأنعام، الآية 153.

إن للنظام العالمي الجديد أثرا سلبيا على واقع السياسة الوطنية والإقليمية والعالمية، وأورثها آثارها المدمرة من الخوف والرعب والطغيان وما وصلت إليه أمتنا من الذل والهوان، في أمة تحمل في ثناياها ديناً قيماً يدع إلى الإعداد والقوة، ويعمل على تحقيق العدالة والحرية، ويهرب الأعداء ويغض مضاجعهم.

إن الواقع السياسي اليوم الذي تمر به دول العالم الإسلامي، أوقعها في شرك التبعية وهيمنة النظام العالمي الجديد المتسلط، الذي فرض عليها العولمة في كل مناحي الحياة، حتى تختلط الأديان، فلا يتميز أحدهم عن الآخر، وأن تطوى صفحة التاريخ وتمحى ذاكرة الشعوب والمجتمعات، ويبدأ التاريخ بصفحة عالمية جديدة، وتنتزع الثقافات المختلفة، لتصاغ ثقافة للإنسان العصري الحديث، وأن من طبيعة الحضارات الصدام، وفي وجود وتطور الحضارة الحديثة قد ألغت كل الحضارات التي سبقتها، والقصد من ذلك كله إلغاء شريعة الإسلام وثقافته وتاريخه وحضارته، وفي هذا الوضع المزري لا يمكن للخطاب الدعوي أن يحقق أهدافه ولا يصل إلى غايته، في زمن تشبعت فيه نفوس الناس بالظلم والقهر والاستبداد.

4- الواقع الثقافي:

لقد حفلت الأمة بثقافتها المتميزة لقرون من الزمن، بما تحويه من علوم ومعارف شتى، حتى طالت كل المجالات، وكانت وجهة ومقصدا لشعوب العالم، ينهلون من معينها المتدفق ونبعها الصافي، فأخذوا صنوف العلوم وتشبعت بها عقولهم، فكتبوا وألفوا وحولوها إلى بلدانهم بألسنتهم، فسلكوا طريق العلم وصروح التطور، فبنوا نهضتهم على أنقاض نهضتنا، فجعلت من أمهم سادة إلى عصرنا الحاضر، وامتدت أيديهم إلى شعوب أمتنا، وتحكّموا في البلاد والعباد والثروات، فقد تداعي الأكلة إلى قصعتها رغم كثرتهم، لما أصابهم من الضعف والوهن.

وما أن بلغت الأمة مرحلة العجز، ونخر كيانها الفساد والبعد عن دين الله تعالى، وفُتحت عليهم الدنيا بزخارفها وشهواتها ومغرياتها، وتهور الحكام وظلمهم، حتى بدأت قواعد الحكم تتهاوى من بلد إلى بلد حتى آخر قلاع الخلافة الإسلامية.

ومنذ أن سقطت خلافة المسلمين وتقاسم الغرب كل ما أنتجته الحضارة الإسلامية من ثروات علمية وثقافية ومادية، ومنه ما أحرق، وكثير منه مزج بماء الأنهار، فاكتمسى ثوب السواد حزنا على موروث علمي أفنى أجيالا من الفقهاء والعلماء والدعاة، قد أهدرت قيمته وعبثت به يد الأعداء،

وقد يكون عقاباً إلهياً للأمم، ما نفعها علمها وما أخذت به لرد كيد الأعداء عنها، فابتلاها الله تعالى بحرماتها منه، لأنها كانت غافلة عن الله تعالى مستغنية عما وهبها من الهداية والنور المبين فهي، ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾¹.

وبعد كر وفر مع الغرب في حروب متتالية، ضاق فيها الغرب بسالة أبطال الإسلام، وأنهم الجيش الذي لا يقهر عند رفع راية الجهاد فباعت حروبهم بالهزيمة النكراء، فعمدوا إلى وسيلة خبيثة مأكرة بعد طول بحث وتفكير عميق عن سرّ قوة المسلمون، فعرفوا أنها تكمن في تمسكهم بدينهم، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى المحرك الأساسي لكل تعاليم الإسلام ومقوماته، وأنه لا يمكن مجابهة القرآن الكريم ولا المساس به، لأنه محفوظ من الله تعالى، فلا بد للدخول على المسلمين من أدوات فهمه وإدراكه ومعرفة معانيه، فحاربوا لغة القرآن الكريم ومنعوا شعوب الأمة الإسلامية من تعليمها للأجيال وشوّهوا معانيها وعبثوا بقواعدها وأصولها، واتهموها بالضعف والتأخر، وأنها ليست لغة التقدم والحضارة، وتمّ تعويضها بلغة الأعداء حتى تنشأ أجيالاً في غربة عن دينها ولغتها، إلا ما تبقى من آثارها، وأتو على تاريخ الأمة فشوهوا حقائقه وظهروا للناس مواطن الفتن والخلاف، وإحياء النعرات وإذكاء نار الحرب بين الشعوب.

فعاثت الشعوب الإسلامية - وإن زعمت أنها انتزعت استقلالها- مغيبة عن كل مقومات دينها وشخصيتها وانتمائها التاريخي والحضاري، فقد توارثت الأجيال أمية كادت أن تقضي على آثار الدين ومعامله. فضاع الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه، فأصبح الناس لا يحسنون فهم القرآن الكريم ولا معانيه، لعدم معرفة اللغة التي نزل بها ولا إحاطتهم بقواعدها وتراكيبها وتنوع أساليبها.

ورغم ما بذلت من جهود، من أجل إعادة اللغة العربية إلى مكانتها السامقة، وفهم القرآن الكريم من خلالها، إلا أن التبعية لازالت حاجزاً أمام الأمة في سيادتها واختياراتها، وفرض مكانتها بين الأمم.

وبعد أن أعدمتم كل الرموز وشوّهت كل المعالم، ومُسخت الشخصية الإسلامية بالقضاء على لغة القرآن الكريم أداة القراءة ومفتاح الفهم عن الله تعالى، تغيرت كل الحقائق، فصوروا للناس الحق

1- سورة الجمعة، الآية 5

باطلا والباطل حقا، وسموا الأشياء بغير مسمياتها، فأصبح التمسك بالدين تخلفا والدفاع عن الإسلام إرهابا، وتطبيق الشريعة رجعية وعدم مسايرة العصر في النهضة والتطور. وأصبح التفسخ والمجون فنا وثقافة، ومحاربة الدين وتعطيل شريعته تطورا وانفتاحا، والتبرج والعري حرّية شخصية، وغيرها من المهارات الاصطلاحية حتى طمع فينا العدو بالتدخل الساخر إثر التسلط العالمي والسيطرة الأحادية، بعد أحداث سبتمبر المصطنعة والهجوم الموهوم من أجل بسط الهيمنة على كل دول العالم، وخصوصا دول العالم العربي والإسلامي، والتدخل في كل شؤونها إلى أن وصل الأمر إلى إعادة النظر في المناهج والبرامج التعليمية والدعوة إلى توحيد الثقافة ودمجها ضمن ثقافة عالمية، والعمل على تقارب الأديان، ومحاربة الفضيلة، وتفكيك أواصر الأسرة أعظم لبنات المجتمع وتماسكه وصمام الأمان لوحده والمحافظة عليه.

وبهذه الإجراءات المحخفة أصبحت الأمة تتوارى عن ذكر الدين والدعوة إليه، خشية أن توجه إليها أصابع الاتهام ثم تحاكم بتهمة انتمائها للدين الإسلامي والدعوة إليه بمسمى الإرهاب.

5- الواقع الاجتماعي:

يعتبر الواقع الاجتماعي هو النتيجة الحتمية لمعترك الحياة باختلاف مشاربها وثقافتها، وتلك الصراعات المتعددة والتي تراكمت عبر تاريخ المجتمع، وما خلفته من آثار تزيد في معاناة الناس وتؤثر في توجهاتهم واختياراتهم لما يصلحهم ويرفع من شأنهم، وهذا ما أرهق الدعاة وأثقل كاهلهم من حال تحريك المشكلات الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع، من أجل وضع العثرات أمام مشروع الدعوة، فيدس في طريقها الشبهات والفتن المتمثلة في الوقائع والأحداث الاجتماعية، والتاريخ حافل بمثل هذه المواقف والتي يراد منها زعزعة الروابط الاجتماعية، والطعن في مبادئها ومقوماتها التي دعا إليها الإسلام، وأقام لها حصونا من الرعاية والحفظ، وأي مساس بها يعرض المجتمع إلى الانهيار والضياع. إن اتهام يهودي بسرقة درع لأحد المسلمين¹، مع وجود الدرع في بيته أمر مقبول، ورفع الأمر إلى رسول الله ﷺ مع إثبات الأدلة، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقيم أمة تحكمها شريعة الإسلام

1- ينظر: تفسير ابن كثير، ج2، ص359، 360، محمد مسعد ياقوت، الزهراء للإعلام العربي، ط1، 2007م، ص 115، 117.

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

التي أرست قواعدها على الحق والعدل، فلا يمكن أن يُظلم فيها أحد زورا وبهتانا ولو كان على غير دينهم، فأخبر الله تعالى نبيه بحقيقة الأمر وبرأ اليهودي مما ألصق به حتى يعلموا:

﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ¹ (١٣)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِتَحَكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ ² (١٠٥) وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ³ (١٠٧).

وقد أثار اليهود في المجتمع الإسلامي نعرات الجاهلية، وضغائن العداء الدفين بين قبيلتي الأوس والخزرج الذين جمعتهم أخوة الدين، حتى تنادوا إلى الحرب، وكاد أن يشتعل فتيلها بين الفريقين وينهدم صرح الإسلام، لولا حفظ الله تعالى ثم مسارعة رسول الله ﷺ إلى الخروج إليهم لإخماد نار الفتنة في مهدها، حتى لا ينفلت القيد من يده ﷺ وقال "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم..." ⁴، فذكرهم رسول الله ﷺ بنعمة الإسلام وأخوة الدين فبكوا وتعانقوا وامثلوا أمر رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقَانِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ ⁵ (١٠٠) وَكَيْفَ

تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ⁶ (١٠١).

وقد ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم ودعوته إلى الوحدة والاعتصام بحبله المتين في ختام الآيات فقال تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ⁷ (١٣).

1- سورة الطلاق، الآية 12

2- سورة النساء، الآية 105-107.

3- السيرة النبوية لابن هشام، ج3، ص94.

4- سورة آل عمران، الآية 100-101

5- سورة آل عمران، الآية 103

ولم يترك الأعداء جانباً من جوانب المجتمع إلا وحاربوا من خلالها الإسلام، وخاضوا فيها بالظعن والتشويه وإثارة الفتن والكيد لأهل الإسلام، يستغلون كل حركة في المجتمع من الحوادث والمزالق والأخطاء فينبون عليها مكائدهم، وتخرج ضغائنهم ليحملوا الإسلام تبعات الحياة ووقائعها وأحداثها، فيحملون عليه محاربتهم والنيل منه، والتعرض له في كل ميادين الحياة.

ومن أخطر ما تقوم به الجاهلية في كل عصر إيقاع القطيعة بين العامة والدعاة، لصدهم عن سبيل الله تعالى "من خلال الإقصاء والمقاطعة كما فعلت قريش في بداية الدعوة"¹ حين قاطعت بني عبد المطلب اقتصادياً واجتماعياً لثلاث سنين، حتى أكلوا أوراق الشجر، وكاد أن يهلك القوم لولا رعاية الله تعالى وحفظه، وتربيته لهم على الجَلَد لما هو قادم، في حمل أمانة الدعوة والصبر على كل المشاق والعنت، وما تفعله الحكومات اليوم من تهجير للعلماء والدعاة خارج أوطانهم، أو تغييبهم في السجون والمعتقلات لسنين حتى تنطفئ شعلتهم ويخفت صوته وتنقطع دعوتهم، وقد يصل الأمر إلى الإجهاز عليهم بشتى الوسائل الخبيثة، وتصفيتهم جسدياً وإعدامهم بعد الحكم عليهم ظلماً وعدواناً، لأنهم عرفوا أن بقاء الأسود خلف القضبان يغض مضاجعهم في كل حين، ودعوة صارخة للثبات على مبادئهم ونصرة لدينهم ودعوتهم.

وقد وصل الأمر إلى الطعن في عرض رسول الإسلام ﷺ، وكانت أعظم فتنة وأشدّ بلية على رسول الله ﷺ وعلى رسالته ومبادئها وأخلاقها، حين فتر الوحي فكثرت الكلام، وخاض الناس وكاد عقد المجتمع أن ينصرم، وقواعد الدين أن تنقض وينهدّ صرح الإسلام، حتى أنزل الله تعالى البراءة وعاتب الخائضين، وعاقب رسول الله ﷺ القائلين وتوعد الله تعالى الذي تولى كبره منهم - رأس المنافقين - بالعذاب العظيم يوم القيامة، وحفظ الله تعالى المجتمع من التفرق والضياع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾².

1- السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص 198.

2- سورة النور، الآية 11

لذلك شدد الله تعالى على الخوض في أعراض الناس لأن الأخلاق حصن المجتمع وسيواجه المتين، فإذا مست الأخلاق في المجتمع، وعبثت بها أيدي المغرضين تهاوت قواعد المجتمع وانهد كيانه. لذلك فإن قضية المرأة تعتبر العنصر الأساسي والحيوي في الجانب الاجتماعي للأمة. وهي بمثابة القلب للجسد، إذا صلحت صلح المجتمع برمته وارتقى وازدهر، وإذا فسدت ضاع المجتمع بمن فيه "ولهذا عمل الغرب في كثير من حركاته الاجتماعية لتحرير المرأة الغربية طوال القرن الماضي، وحمل أراذل القوم الذين باعوا ضمائرهم وفقدوا شخصيتهم الإسلامية، وغابت معالم الدين لديهم وتعاليمه، وانبهروا بالمدينة الغربية وأرادوا أن ينشروا هذه الظاهرة المريبة إلى العالم الإسلامي، دون مراعاة لطبيعة المرأة المسلمة والطبيعة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، التي نشأت فيها وضنوا أنهم بفعلهم هذا يبنون أوطانهم ومجتمعاتهم، وهم يحملون معاول الهدم لكل القيم والأخلاق التي ربّاهم عليها الإسلام ونطقت بها آيات القرآن الكريم، وإنما كان المقصود هو التخريب في الواقع الاجتماعي وفق القلب الغربي ومفاهيمه وقيمه"¹.

"وفي العصر الحاضر إذ تسعى العولمة في الجانب الاجتماعي إلى تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أن الواقع هو إفساد وتفكيك الأفراد واختراق وعيهم، وإفساد المرأة والمتاجرة بها واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، وبالتالي إشاعة الفاحشة في المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل وتعقيم النساء، وتأمين هذه السياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات ذات العلاقة، وما تخرج به هذه المؤتمرات من قرارات وتوصيات واتفاقيات تأخذ صفة الدولية، ومن ثم إلزامية في التنفيذ والتطبيق.. وما تلبث آثار ذل أن تبدو واضحة للعيان في الواقع الاجتماعي، استسلاما وسلبية فردية وتفككا أسريا واجتماعيا وإحباطات عامة وشلل تام لدور المجتمع، الذي تحوّل إلى قطيع مُسيّر ومنقاد لشهوته وغرائزه"².

إن ما خلفته العولمة في المجتمعات التي وجّه إليها هذا الفيروس من آثار وخيمة وأضرار جسيمة، جعلت منها أمما تعيش على هامش الحياة، وخصوصا في الجانب الاجتماعي والذي لم يعد له الدور

1- ينظر: موسوعة الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، على بن نايف الشحود، ج7، ص335.

2- مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، مركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005م، ص163.

الريادي في قيادة المجتمع والمحافظة على تماسكه وأمنه ووحدته، فتحول إلى مسرح للجريمة وتحريك الفتن، والعبث بأواصر الأمة وعلاقاته الروحية والدموية، فينتج عنها عدم استقرار الوضع فتنتشر البطالة ويعم الفقر أوساط المجتمع، وتضيع العلاقات الاجتماعية، جراء السياسات المتعقّنة، والإجراءات التعسفية والظلم المتسلط على الطبقات الضعيفة، وما وصلت إليه من حرمان وضياع في نظام الغاب.

"وهذا الواقع الاجتماعي المتردي يمثل الوجه الحقيقي لما يراد عولمته، رغم تغطيته بطبقة خادعة من الهالة الإعلامية، والبريق الحقوقي الزائف حيث تزداد هناك حالات العنف الأسري والاغتصاب والتحرش الجنسي... كما يزداد العنف على المرأة وضياع الأطفال والتسرب المدرسي، مما يزيد في تفاقم المشكلات والأخطار التي تقضي على تماسك المجتمع ووحدته"¹.

"إن كل متأمل في أوضاع المجتمع الغربي، يدرك أن ثمة من يستثمر مآسي المجتمع وأمراضه لتحقيق مصالح خاصة، تقوم على معاناة الآخرين بغض النظر عن النتائج الأليمة التي تترتب على ذلك. إن انهيار الأسرة في المجامع الغربية وحرمان الطفل من الرعاية الأسرية التي تمنحه العطف والاستقرار النفسي وانتشار الإباحية التي تفرز العنف والإجرام وشتى الأمراض النفسية والهدف منه تقويض المجتمع الإنساني"².

والواجب على المسلم الذي يحمل رسالة الإسلام إلى العالمين، أن يدرك خطورة الوضع الاجتماعي الذي تعاني منه البشرية، وهي لازالت تبحث عن ملاذ آمن يعيد إليها إنسانيتها وطبيعتها التي فطرها الله تعالى عليها، من أجل تحقيق وتثبيت قواعد المجتمع والمحافظة على علاقاته، استجابة لأمره تعالى وعملا بشريعته.

إن تمسك الداعية بدينه إيمانا وعملا، وهو حقيقة الانتماء وصدق التوجه، وهو بذلك يعطي الصورة الصحيحة والقدوة الحسنة للإسلام، وهو بذلك يعكس أحكام شريعته وتعاليمها الأخلاقية ونظامها الاجتماعية إلى سلوك عملي في أرض الواقع، وهذا يكون له اثر بالغ في قلوب الناس، من خلال أخلاقه الفاضلة ومعاملته الحسنة، فيبعث في المجتمع أواصر المحبة والتعاون والوحدة.

1- ينظر: وثيقة حقوق المرأة المسلمة وواجباتها، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، على بن نايف الشحود، ص9.

2- ينظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، على بن نايف الشحود، ج8/ ص88.

المبحث الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في

بلاد الغرب

المطلب الأول: التآمر على الإسلام في المناهج التعليمية

والبرامج الإعلامية للغرب

المطلب الثاني: الدعوات المضادة للإسلام

المطلب الثالث: الأقليات المسلمة والتثليل السيئ

لأخلاقيات الإسلام

المطلب الرابع: نظرة الغرب للعالم الإسلامي

المطلب الخامس: ضعف الخطاب الدعوي بالسنة الغرب

المبحث الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد الغرب

المطلب الأول: التآمر على الإسلام في المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية للغرب

لقد تعرض الإسلام منذ نشأته إلى شتى أنواع المعارك الفكرية والمادية، ولا يزال يحارب ويتآمر عليه من خلال وضع خطط وآليات، لتحول بين الإسلام وأمة الدعوة، متمثلة في المناهج والمقررات التعليمية بمختلف مراحلها، والبرامج الإعلامية في الوسائل القديمة منها والفضائيات والوسائل التواصلية الحديثة.

وهذا العداء قديم قدم الرسالات السماوية، فما من نبي جاء قومه بشريعة تدعو إلى الله تعالى وإلى مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة، إلا اشتدت عداوته وحاربوه وأعلنوا عليه الحرب من كل جانب: نفسياً واجتماعياً واقتصادياً، وخططوا لإخراجه من أرضهم أو قتله، وهذه طبيعة الصراع بين الحق والباطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾¹.

ويبقى أعداء الإسلام يمحرون بأهله، ويضعون لهم العوائق والعراقيل، ليحول بينهم وبين تمسكهم بدينهم ويكيدون لهم، ويقعدون لهم كل مرصد للقضاء على الإسلام ومحو تعاليمه وتشويه صورته عند الناس، ويبدلون في ذلك كل ما أوتوا من قوة بمختلف مكوناتها العقلية والفكرية والمالية ليصدوا عن سبيل الله تعالى، ويفعلون كل شي لإسكات صوت الحق بالسجن أو النفي أو القتل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾².

ويبقى التآمر متواصلاً في محاربة الإسلام في الغرب من خلال مناهجهم التعليمية والإعلامية ليعدّوا أجيال مسبقة الكراهية لكل ما يمت للإسلام بصلة حيث تركز مناهج التربية والتعليم في الدول الغربية على نظم علمانية غير دينية، حيث لا يتم تدريس الدين في المدارس الحكومية، وذلك استناداً إلى قرار إلغاء مادة التربية الدينية في إطار تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة³.

1- سورة البقرة، الآية 217.

2- سورة الأنفال، الآية 30.

3- الإسلام والإعلامفوبيا، المحجوب بن سعيد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1434هـ- 2013م، ص 37-38.

"والغرض الأساسي من وراء ذلك هو بث أفكار مسبقة في أذهان الطلاب الغربيين لعدم الاهتمام بالآخر، وعدم معرفة تاريخه وحضارته، وأنه لا يستحق الاهتمام الذي توليه المناهج الدراسية الغربية، والتي استقت معلوماتها من دوائر المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام والحضارة الإسلامية وموسوعاتهم، وبذلك ظل تشويه صورة الإسلام والمسلمين معرفة تتناقلها الأجيال عبر وسائط متعددة".¹

وبهذه الوسائل والآليات وما تحمله مناهجهم من تسويق ونشر للكرهية بين الشعوب والمجتمعات، وتكريساً للأناية المقيته ونبد الآخر مهما كان، بما يملكه من مقومات ومبادئ وتاريخ وحضارة، التي أشرق نورها على العالم وعلى الغرب بالخصوص، والذي أنقذهم من ظلمات الجهل والتخلف التي كانت أوروبا ترزح تحت وطأتها، بفعل ما تمليه عليهم أوامر الكنيسة والسلطة الحاكمة. فسارع الغرب في ملاحقة الإسلام على كل الأصعدة لإضعاف قوته والحد من انتشاره، فيعمدون إلى تشويه صورة الإسلام عبر وسائلهم الإعلامية، "فنجح هذا الإعلام في تضليل المواطن الغربي العادي، لأنه لا يعرف عن الإسلام إلا ما تنقله وسائل الإعلام إليه، من صور وأخبار وتحليلات وتعليقات موجهة توجيها يهدف إلى أن تتكون في ذهنية هذا المواطن العادي صورة مشوهة عن الإسلام، ونتيجة لذلك أصبح الرأي العام الغربي يخلط في تصوراتهِ بين الإسلام الصحيح، وبين بعض الاتجاهات التي تلجأ إلى العنف واستخدام القوة".²

"ليس من شك في أن وسائل الإعلام الغربية تعتمد الإساءة للإسلام وأهله، والدليل على ذلك هو تركيزها على فكرة الخوف من الإسلام، وإلقاء الرعب في قلوب الأوروبيين من كل ما هو إسلامي، وبذلك عملت وسائل الإعلام الغربية على تجسيد الأحقاد والكرهية الغربية للعرب والمسلمين، بما تبثه من أفلام تحوي الكثير من الأكاذيب والزيف، وكل ما من شأنه أن يقلل من قيمة العرب والمسلمين وتشويه صورتهم".³

1- المرجع السابق، ص 37-38.

2- المرجع نفسه، ص 89-90.

3- صورة الإسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي عوامل التشكيل وسبل التعبير، أسماء بوعنان، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 47 جوان 2017، المجلد أ، كلية الإعلام والاتصال والسمع البصري، جامعة صالح بونيدر، قسنطينة الجزائر، ص 284.

فقد شهد العالم العربي والإسلامي موجة من عواصف التغيير بعد أحداث 11/09/2001، والتي تركت وراءها آثارا مدمرة، واضطرابات هزت كيان الأمة وزلزلت بنائها من القواعد، فبرزت تحديات داخلية وخارجية تشكك في مبادئ الإسلام وتعمل على تشويه صورته عند أهله حتى تقطع جذور الأمة من أصولها، فيسهل تسويق الكراهية للشعوب الغربية، مما أعطى الفرصة لأعداء الإسلام ليحملوا هجماتهم على الإسلام باعتباره المحرك الأساسي للعنف والإرهاب في الفكر الغربي، وذلك من أجل إضعاف قداسة الإسلام ومكانته في نفوس المسلمين، فتخفت جذوة الإيمان في قلوبهم، ومن ضعفت معرفتهم بالإسلام فترءوا منه وكرهوا تعاليمه، فصاروا معاول هدم للدين ودعاة تنفير لا هداة تبشير.

لقد عاشت الأمة مرحلة من الضياع، وفقدت فيه كل أدوات التوازن والثبات، "حيث أن المتتبع لتداعيات تلك الأحداث لا يملك إلا أن يستغرب لفضاعة الصورة التي يشكلها الإعلام الغربي بكل مكوناته عن الإسلام والمسلمين حيث وجد في الصورة المصطنعة عن الإسلام مادة خصبة لنسج صور نمطية موهلة في الازدراء والاستخفاف بتعاليم الإسلام ومبادئه من جهة، وعادات وتقاليد المسلمين من جهة أخرى".¹

إن ما يقوم به الغرب من حملات التشويه والتظليل ما يشكل هذا الأخير عائقا أمام استجابة الفرد الغربي لقبول دعوة الإسلام، التي تمثل الدين الحق، الذي تعهد الله تعالى بحفظه وإظهاره على كل الشرائع ونشره في العالمين، لقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾²، وقد أخبر النبي الكريم ﷺ بانتشاره في ربوع العالم لقوله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا

1- صورة الإسلام في الغرب بين التشويه وواجب التصحيح، مجموعة من الباحثين، يوم دراسي بكلية الشريعة بفاس، يوم 9 ماي

2006م، مطبعة أنفو فارس، ص3.

2- سورة التوبة، الآية 33.

الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزُّ عَزِيزٍ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُنْذِلُ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»¹.

"إن مما لا شك فيه أن الإسلام كدين بما تضمنه من مبادئ وقيم إنسانية وحضارية، يشكل أحد أبرز هواجس الغرب في الآونة الأخيرة، فظهوره على الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية داخل المعازل والأوساط الغربية ذاتها، جعل منه العدو الأكبر للغرب، نظرا لما يمثل من قوة وجاذبية وتأثير جعلته يكتسح عدة مناطق من ربوع العالم، وقد كان لا بد لهذا الغرب من إستراتيجية قوية تحاول دفع الإسلام والحد من انتشاره وانجذاب الغربيين إليه، ولعل من أبرز الوسائل المتبعة في هذا المضمار العمل على تشويه صورته وتمييع حقائقه"².

"إن وسائل الإعلام تعد من أخطر المؤسسات المساهمة في خلق روح العداوة لدى الإنسان الغربي عن الإسلام، وإن كان هذا العداوة يتركز على ما أفرزته مصادر ومؤسسات أخرى، فالمؤسسات الإعلامية بما تمتلكه من قدرات وإمكانات وقدرة على التأثير، تعمل على توجيه الخطاب الإعلامي، وجعله مادة جماهيرية يتفاعل معها المشاهد أو المتلقي الغربي، فيتأثر بها، مما يخلق لديه انطبعا سلبيا، وتصورا خاطئا عن الشرق الإسلامي... لا فرق في ذلك بين الصحافة المكتوبة، والإذاعة المسموعة والتلفزيون والسينما والانترنت..."³.

وبفضل ما أودع الله تعالى من مقومات في هذا الدين، ورغم ما أصابه في تاريخه الطويل من حروب وتشويه، فإنه لا يمكن القضاء عليه، فقد تكفل الله تعالى بحفظه، حتى يظهره على الدين كله مهما فعل الأعداء فما يزيده من فعلهم ومحاربتهم إلا صلابته وقوة وانتشارا، وقبولا عند الناس بعد الإطلاع عليه ومعرفته، ومن المكر والدهاء لدى المسؤولين الغربيين، فإنهم ينقلون كل التصرفات المشبوهة الناتجة عن بعض الجهلة والمتنطعين من مختلف الجماعات التي تحسب على الإسلام بأفعالها الغبية والتصرفات اللامسؤولة، وقد تكون بدافع من أعداء الإسلام ليخلطوا الأوراق على علماء الأمة

1 - مسند الإمام أحمد، ح23814، ج39/ص236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون- إسناده صحيح على شرط مسلم.

2- صورة الإسلام في الغرب بين التشويه وواجب التصحيح، مجموعة الباحثين، ص3.

3- الإعلام الغربي وصورة العرب والمسلمين، محمد الدرداري، موقع شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة 2017/09/10م، تاريخ التصفح 2019/10/12م، رابط الموضوع www.alukah.net

ودعاتها وجعلهم في سلة واحدة، ليتّم توجيه أصابع الاتهام ووصفهم بالإرهاب ومحاسبتهم بما فعل السفهاء منهم.

ولما ظهرت الصحوة الإسلامية في العقود الأخيرة، استطاعت أن تلفت إليها نظر الدوائر الغربية بكل مكوناتها، وقد أدى هذا الوضع إلى زيادة تركيز الإعلام الغربي على الحركات الإسلامية في البلاد العربية، وخاصة منها الجماعات المناضلة في وجه الاستعمار والاستبداد، ولقد كان هذا الإعلام حريصاً في نشراته على أن يقرن بين الجماعات الجهادية وغيرها من المنظمات الإرهابية المتطرفة، وذلك للإيحاء بأن أعمال القتل والتدمير والتخريب تدخل في إطار التعاليم الإسلامية.¹

"لقد أضحى الحديث عن الإسلام يشكل وجبة دسمة في مختلف وسائل الإعلام الغربية، التي برعت في إلصاق تهمة العنف والإرهاب به وبأتباعه، مما فاقم من حدة الاهتمام والمتابعة لكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي، الذي أمسى منبع الخوف والريبة بالنسبة للغربيين، ولا شك أن الإعلام الغربي بما يمتلكه من إمكانات جبارة وقوة الجذب والتأثير قد استطاع أن يجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، الذي أصبح في الآونة الأخيرة ينظر إلى المسلم في الديار الغربية نظرة حذر وارتياح".²

وقد يصل الأمر إلى محاربتهم والتضييق عليهم في حياتهم ومعاشهم، والحد من حرياتهم خلاف ما يرفعونه من شعارات توهم الجاهل بأن الحضارة الغربية تحفظ كرامة الإنسانية وحرّيته، وما حوته قوانين الأمم المتحدة من حقوق الإنسان وحرية التعايش والتملك والتصرف، إلا أنها تبقى شعارات جوفاء أو حبر على ورق، إذا تعلق الأمر بالمسلمين في ديار الغرب، فإنهم يكيلون بمكيالين وتضطهد فئة دون أخرى بل يعاملونهم بما يحملونه من مبادئ ومقومات، تخالف بما تُكَنّه صدورهم من خبث ومكر وكيد تجاه الدّين وأهله.

إن الحديث عن الإسلام في الغرب وظاهرة الخوف منه، ليست وليدة اليوم بل تزامن ظهورها منذ مطلع فجر الإسلام، حينما كانت المسيحية الديانة الغالبة في أوساط المجتمعات الغربية، فجاء الإسلام ليبعث الحياة في روح المجتمعات وينير لهم سبل الهداية والطريق إلى الله تعالى، عندها أثار هذا

1 - المرجع نفسه، www.alukah.net

2- صورة الإسلام في الغرب بين حملات التشويه وواجب التصحيح، مجموعة الباحثين، مرجع سابق، ص3.

الدين الجديد اهتمام الغرب من خلال ضياع سلطتهم التاريخية، فبدأ في تشويه صورة الإسلام والدعاية الإعلامية ضده، وإعداد الخطط لمحاربه والحد من انتشاره والتقليص من نفوذه¹.

لقد عمل الغرب على تنشئة الأجيال منذ المراحل التعليمية الأولى في كراهية الإسلام ووضعها في منهاجها التعليمية المختلفة، وتبثها عبر الفضاء من خلال الوسائل الإعلامية، في الحديث عن الإسلام ونبيه وتاريخه وبعض خلفائه بصورة سيئة ومشوهة تبعث على كراهية الدين ومحاربه ونبذ كل ما له صلة بالإسلام.

إن المستشرقين الذين درسوا الإسلام وكشفوا عن مقوماته وأخلاقه وعرفوا عظمتهم وسرّ قوته، وانه لا يمكن أن يقف أحد في طريقه، فاهتدوا بحبهم ومكرهم إلى محاربه من خلال نقاط القوة فيه، فطعنوا في صدق أخباره وشوهوا حقائقه ونفثوا في تاريخه السموم والدسائس، وحركوا مكامن الفتن وأشعلوا فتيل الحرب بين الشعوب والقوميات، فأصبح الفرد الغربي يرى أن الإسلام دين الهمجية والقتل وسفك الدماء، ويقضّ مضاجع الأبرياء والآمنين².

ويرجع ذلك إلى اعتماد الغرب على تراث حركتي التنصير والإستشراق، باعتبارهما المرجعية الرسمية التي ينهل منها مفكري الغرب وعلمائها، تم إدراجها ضمن المقررات التعليمية في مختلف أطوارها، وقد اتخذوا هذه المناهج الدراسية مطية لبث أفكارهم التي تعمل على تشويه الإسلام وقطع الطريق عليه، حتى لا يؤثر في العقلية الأوروبية، وبذلك يتم تنفير الغربيين عن الإسلام وتعاليمه. وفي هذا المدى فقد شق على الغربيين كثيرا أن يقرّوا أو يقرروا ومن ثم في المناهج التعليمية بانفصال الحضارة الإسلامية على البشر، وعلى الحضارة الأوروبية بالذات وساد التجاهل والصمت إزاء تلك الحقائق³.

فقد عمّل الغرب ولا يزال على معاداة الإسلام، حتى صارت ثقافة تتناقلها الأجيال عبر كل الوسائل الإعلامية والتعليمية، القديمة منها والحديثة، فاستقرت في قلوب أفراد المجتمعات الغربية ووطغت على فكرهم وملكت عليهم كيانهم وأصبحت كراهية الدين شيئا موروثا، فاستمسكت بها

1- ينظر: ظاهرة الإسلاموفوبيا: صناعة مشتركة بين الغرب والمسلمين، سعيد شبار، أعمال الندوة الدولية ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبيل التعامل معها، جمع وتنسيق حسن عزوزي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، 1436هـ-2015م، ص7

2- ينظر: الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، محمد وقيع الله أحمد، د ط، ط1، 1427هـ-2006م، ص89-173

3- المرجع نفسه، ص176

أيديهم واستيقنتها أنفسهم حمقا وجهلا، وصار الجليل بعد الجليل يحكيها ويوصي بها مَنْ بعده، حتى يحجب نور الإسلام عن شعوبهم، ولا يمكن لعلماء الغرب ومفكريهم أن يستيقظوا من سباتهم وينتبهوا من غفلتهم، حتى يعرفوا الإسلام عن قرب، ويكتشفوا عظمتة وقوته، وصدقته وأمانته، وأنه مبرأ مما يقولوا المبطلون، وأنه من عند الله تعالى رحمة للعالمين.

المطلب الثاني: الدعوات المضادة للإسلام

لقد واجه الإسلام منذ أن جهر رسول الله ﷺ بدعوته في قومه ولا زال كثير من الحركات والتيارات المعادية والتي تحمل معاول الهدم لكل صرح إسلامي، ويقطعون عنه سبيل الانتشار ومخاطبة الناس، لتبليغهم رسالة الله تعالى، ومن أبرز هذه الحركات والتيارات المعادية للإسلام:

- التبشير والإستشراق والإستعمار

لقد تعرض الإسلام من خلال مسيرته التاريخية كثيرا من الدعوات الفكرية الهدامة، التي تعمل على تشويه صورته والطعن في مبادئه وأخلاقه، وإضعاف مكانته بين الناس للصد عن سبيله ووضع كل العراقيل في طريقه، حتى لا يصل إليهم ويحل بدارهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝¹

فدخل عليهم الإسلام في أقطارهم بعد ظهوره في معاقلهم والأوساطهم الغربية ذاتها، جعلوا منه العدو الأكبر نظرا لما يمثل من جاذبية وتأثير بالغين، مما دفع الغرب إلى البحث عن آليات وسبل لتشويه صورة الإسلام، والقيام بحملات تمييع الحقائق المرتبطة بالدين الإسلامي وتزييفها².

لأن الغرب عجز عن محاربة الإسلام في كل الميادين ومحافل الشرف، وكان يؤول بالهزيمة تلو الأخرى، وكانوا كلما أشعلوا نار الحرب أطفأها الله تعالى، وولّوا على أدبارهم بالذل والمهانة والخسارة،

1- سورة الحشر، الآية 2.

2- الإسلام والإعلام فوبياء، المحجوب بن سعيد، ص 88.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٦٤﴾¹.

"فمنذ أن انتشر الإسلام وظهر على الدين كله، وأهل الكتاب من يهود ونصارى يضمرون له ولأهله الحقد العظيم. وزاد الأمر بالنسبة إلى النصارى أن دخيلاً دخل على نفوس قادتهم الدينيين والسياسيين، منذ الحروب الصليبية وارتداد الصليبيين على أدبارهم مهزومين إثر حروب دامت قرنين من الزمان، فولد هذا في نفوس هؤلاء أحقاداً وآلاماً صعباً عليهم أن ينسوها، فكان من نتائجها مخططاتهم الهادفة للغارة على العالم الإسلامي بحروب من نوع آخر، منها مخططات التبشير بالنصرانية بين الشعوب الإسلامية، أو تحويل المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين"².

فأعدّ الغرب لهذه المهمة عدته وعنتاده القديم والحديث، من المال الوفير والرجال من المبشرين والمستشرقين العدد الغفير وانتشروا في ربوع العالم الإسلامي، واستغلال الحروب والكوارث والتقرب من الشعوب المهزومة والمصابة والمحرومة، وتقديم يد العون لهم في قالب المساعدات الإنسانية من غذاء وكساء ودواء في مرحلة هم في أمس الحاجة إليها، وفي من وقف بجانبهم وخفف عنهم معاناتهم وجبر خاطرهم وكان معهم في أزمته³.

وهذه من أخطر الدعوات التي تحارب المرء وتساوره في دينه، وهو في حالة من الضعف والانكسار، لقبول أي عرض للخروج من المعاناة وتخفيف الآلام وتضميد الجراح.

وقد نجحت هذه الدعوات في كثير من بقاع الأرض، وخصوصاً إذا تخلفت الأمة في مساندة إخوانهم ومدّ جسور التعاون لنصرتهم والذود عن حياضهم، لأنها كانت يوماً تمثل قصعة الأكلة التي تمهلت الأعداء على نهشها فيما بينهم، فطالت هذه الحملات الكثير من البلاد التي عاشت ردحا من الزمن في نور الإسلام فحوّلها المبشرون والمستشرقون إلى مرتع للمسيحية والإلحاد، ومسح آثار الإسلام وتشويه مبادئه، والتشكيك في صدقه والطعن فيه بالباطل.

1- سورة المائدة، الآية 64.

2- أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط8، 1420هـ، 2000م، ص62-63.

3- المرجع نفسه، ص64-65.

وعمل الغرب على إغراق هذه الشعوب بالأموال والمساعدات وبناء المدارس والمستشفيات ودور الرعاية، وتمويل المشاريع الخيرية، وجلب المتطوعين من الأطباء والمتخصصين في كثير من المجالات الحيوية.

لقد "واجه الإسلام التحديات الخارجية منذ اليوم الأول لوجوده، واجهها في بيئة مكة، ثم في بيئة المدينة، ممثلة في مقاومة الوثنية واليهودية له... ثم اتسع نطاق هذا التحدي بعد أن فتح الإسلام بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، حيث واجه تحدي الدولة الرومانية المسيحية، ثم امتدت هذه التحديات في صورة الدعوات الهدامة المتعددة التي واجهت الإسلام عبر مراحل الزمن، وكلها دعوات مؤيدة بقوة الفكر والسلاح، وانبعثت من قلب العالم الإسلامي نفسه، ولا يبعد أن تكون مؤيدة بقوة خارجية، غير أن التحديات التي واجهت الإسلام من خارج نطاقه، ومن خلف حدود العالم الإسلامي قد بدأت بالحروب الصليبية، حينما أحست أوروبا خطر الإسلام الذي نما واتسع سلطانه"¹.

وقد عرف الغرب أن الإسلام لا يمكن مواجهته والتصدي لقوته، فعملوا على محاربته في مجالات الفكر والسياسة، فعمد الغرب حينها إلى خطة خبيثة مأكرة، وهي صورة من صور النفاق، بإرسال البعثات إلى عاصمة العلوم الإسلامية، يوم كانت تشعّ بأنوار الثقافة والعلوم المختلفة فتعرفوا على الإسلام، وتفقهوا في دين الله تعالى، واطلعوا على كل مكامن القوى فيه ونقاط ضعف المسلمين، فكان تعلمهم للدين ليطلعوا فيه لا لينصروه، وليكيدوا له ويمكروا به لا ليعتزوا بالانتماء إليه إلا القليل منهم، ممن شرح الله تعالى صدره للإسلام.

"وفي خلال هذه الفترة الطويلة الممتدة، مضى إلى غايته العمل الكبير الذي أعده الغرب لمواجهة الإسلام، ومحاولة القضاء عليه، وفي خلاله برزت هذه التحديات الضخمة في صورة التبشير والاستشراق والتأليف، والصحافة، والمؤسسات المختلفة والإرساليات العديدة التي اندفعت إلى هذه

1 - أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، ط 1 1404هـ، 1984م، ص 09.

المنطقة، في ظل النفوذ الأجنبي المسيطر على الدولة العثمانية، وتحت سمع الحكومات المختلفة وتأييد القنصل، لتبدأ عملية الغزو الكبرى التي واجهها الإسلام بقوة (وأدال)¹ منها".²

وبعد أن تمكنت هذه الإرساليات من التغلغل في العالم الإسلامي، والعمل على تشويه الإسلام، من خلال الحديث باسم الإسلام والاستدلال بالأدلة الشرعية، وبث الأراجيف وزرع الثغرات، وإذكاء نار الفتنة في أوساط الحكام والمحكومين، كما فتحت الدنيا بزخارفها وعمّ الفساد في المجتمع، وابتعد الناس عن تعاليم دينهم، وتركوا الجهاد فأصيبوا بالذل والمهانة وحب الدنيا، فتكالبت عليهم الأمم فآخذوا ما في أيديهم وهذا ما حذر منه المصطفى ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْقَوْمُ إِلَى قَصْعَتِهِمْ قَالَ: قِيلَ: مِنْ قِلَّةٍ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّهُ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يُجْعَلُ الْوَهْنُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَيُنَزَعُ الرَّغْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ لِحُبِّكُمْ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتِكُمُ الْمَوْتَ»⁴³.

وقد حملت النهضة الغربية في تضاعيفها عوامل التحدي للإسلام، كرد فعل لقوته الذاتية التي استطاعت أن تميل على الغرب في أكثر من معركة وأن تهزمه في عديد من المواقع، وإن كانت معركة الغزو الغربي للعالم الإسلامي، قد حملت عديدا من الخطط الفكرية التي أريد بها تمزيق وحدته أو إخضاعه للسيطرة الاستعمارية، تمثلت في دعوات التجزئة والتغريب والقوميّات الضيقة، والفرعونية والفينيقيّة والبربرية، فإن الخطة الكبرى فيما يبدو كانت في مواجهة الإسلام بالذات كعامل ضخم يحول بين الاستعمار والنفوذ الأجنبي، وبين تحقيق أهدافه في السيطرة الكاملة على معتنقيه، ذلك أن الإسلام في صميم تعاليمه يحمل قوة للمقاومة والدفاع عن النفس لا حد لها. وقد كان تاريخه كله معركة متصلة لدفع الغاصبين والمعتدين، فضلا عن أن الإسلام لم يكن في صميم تعاليمه دينا فحسب، ولكنه كان دينا ومجتمعا وحضارة متصلة بشؤون الحياة والحكم والفكر، وهو بطبيعته قادر

1- (أدال) الشيء جعله متداولاً وفلاناً وغيره على فلان أو منه نصره وغلبه عليه وأظفره به وفي حديث وفد ثقيف (ندال عليهم ويدالون علينا)

المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، باب الدال، ج1/ص304

2- المرجع السابق، ص 12.

3- سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح4297، ج6/ص355، قال المحقق -شعيب الأرنؤوط وآخرون-: حديث حسن.

4- ينظر: أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، ط1 1404هـ، 1984م، ص 18.

على مواجهة تطور الأزمان، واختلاف البيئات والأقطار، وله من القدرة الذاتية ما يمكنه من التبلور والتناسق".¹

ويبقى الغرب يترصد لكل راية ترفع للإسلام في كل بقاع الدنيا إلا وتمتد إليه يده، لينزلها بالتحويق تارة، أو بإشغال فتيل الحرب في المناطق الآمنة تارة أخرى، حتى لا تظهر كلمة الإسلام وتعلو بين الناس وتلقفها شعوبهم لاقتناعهم بصحته وما يدعو إليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾².

إن ما قام به المبشرين في ترسيخ صورة الإسلام المشوه لدى الجالية المسلمة في أوروبا وغيرها في البلاد العربية، حتى تنشأ أجيالا قد أرضعت ثقافة إسلامية مغشوشة، تهز من واقع الإسلام ومقوماته، وتنزع منه صفة القداسة والربانية، ليسهل بعد ذلك الطعن في أصوله وثوابته.

"وقد جاء في كتبهم من الدسائس والأساطيل والمفتريات، ومنها بأن الإسلام منقول عن الثقافة الهيلينية الإغريقية ومتأثر بالفلسفات اليونانية والوثنية، وأن رسول الإسلام كان يأخذ دينه ويتعلم القرآمن رجل أعجمي كان في الحجاز، فردّ عليهم القرآن الكريم حينها على مشركي العرب وأفحم أباطيلهم بالحجة الدامغة فقال الحق سبحانه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّاتِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ۖ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۝١٠٣﴾³.

فهذه الثقافة العدائية والتي تزرع الحقد والكراهية، توضع في برامج يتعلمها أبناء المسلمين في بعض المدارس التبشيرية النصرانية، وأن الفتحة الإسلامي الذي قام به العرب المسلمون إنما كان توسعا عربيا لا امتداد إسلاميا، تزويرا في الحقائق التاريخية التي تدسّها المدارس التبشيرية والأجنبية والمستشرقون في عقول أبناء المسلمين، الذين يتلقون علومهم على أيدي أعداء الإسلام، وبأخذ

1- ينظر : المرجع السابق، ص 18-19.

2- سورة فصلت، الآية 53.

3- سورة النحل، الآية 103.

بذلك الشهادات العالية برفع نفسه إلى مستوى العلماء، ويقدمه المجتمع بسبب شهادته إلى سدة القيادة التعليمية، فينشر في أمتة ما كان قد تلقاه من آفات في مدارس أعداء الإسلام¹.

إن ما يتلقاه هؤلاء أشباه العلماء من سموم وافتراءات يأتون بعد ذلك بلادهم ليتحدثوا بأن الإسلام أذاب شخصية الفرد وقضى على كبريائه، وأنه غذى النزعة الحربية والعدائية تجاه الشعوب، وأن الحضارة التي ينسبها المسلمون إلى أنفسهم ليست إلا هجين من حضارات قديمة هندية وإغريقية أو فارسية اقتبسها العرب وجعل منها حضارته، وأن الفتوحات الإسلامية اعتمدت على تدمير الشعوب وإذلال المجتمعات التي وقعت تحت رحمة الغزو العربي الإسلامي، وأن نبي الإسلام كان رجل حرب يحب الزعامة وكان أمياً، وغير ذلك من الافتراءات وتزييفاً للحقائق والوقائع².

- اليهودية والصليبية والشيوعية

"لقد كان اليهود منذ فجر الإسلام يكيّدون للإسلام ويزرعون له الفتن ويخططون له المؤامرات، مما جلبت المصائب والويلات على الإسلام والمسلمون. ولا زالوا - إلى اليوم - محققون بأفكارهم وأقلامهم ومكرهم ما عجزوا عنه بالأمس، فيلصقون بالإسلام البدع والخرافات والعقائد والأساطير التي دسها اليهود وعبيدهم من المبشرين، والتي استغلها المستشرقون من اليهود في النيل من الإسلام وإضعافه وتشويهه. ولا زالت الأمة تعاني منه. ولولا أن الإسلام دين الله الذي فطر الناس عليه ولولا عوامل القوة الكامنة في هذا الدين لاستطاع اليهود بدسائسهم ومكرهم أن يقضوا عليه منذ أيامه الأولى"³.

إن عوامل القوة الكامنة التي أودعها الله تعالى في هذا الدين، جعلته يتصدى لكل تلك الأعاصير والرياح العاتية والتي ﴿مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾⁴، لكن الإسلام بقي صامداً كالجبال الشم الرواس شامخ في عليائه، لا تضره رياح الافتراءات ولا طوفان الشبهات، والأيام كفيلة بالقضاء على كل الأعداء والجبابة، ويبقى الإسلام بريئاً من كل التهم والأباطيل.

1- ينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص 82-89

2- ينظر: المرجع السابق، ص 82-89

3- ينظر: عبدالله التل، جذور البلاء، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1390هـ، 1971م، ص 171.

4- سورة الذاريات، الآية 42.

ويبقى الصراع مستمرا...

"ففي هذه الجولة الأخيرة من الصراع طالت سكرتهم وطاشت فكرتهم، وأمعنوا في الانحدار والتردي، رغم الحن الهائلة التي تكاد تقتلعهم من جذورهم، لولا بقية من لطف الله عز وجل!!، فقد حاول جمهور الأمة المسلمة أن يتشبث بدينه العظيم في ساعات العسرة، ولكن قوى الشر التي طرأت على قيادة أمتنا، قد أجهضت هذه المحاولات دائما، ولم تسمح بها إلا مجرد طوق نجاة لا منهج حياة، أو وسيلة تحريض ومقاومة، لا شريعة تطبيق ومعايشة...!!"¹

لقد تمادي العدو في خبثه ومكره أن صنع لهذه الأمة عدوا من نفسها يمسك قبضته في إذلال الشعوب وقهرهم، وخدمة لمصلحة الأعداء في الداخل والخارج، تمثلت في زعامات موهومة وشخصيات عميلة، من ملوك وسلاطين وحكاما صنعتهم على عينها، يقومون مقامهم ويأثمرون بأوامرهم، ويحملون أسماء المسلمين وهم أشد خطرا على الإسلام وأهله.

فهذه الدمى تعمل على دحض أي حركة تبعث الروح في جسد الأمة، لتعيد لها عزتها وكرامتها وتحفظ دينها وأخلاقها ومبادئها... إلا ويحيطونها بوابل من التهم والافتراءات وتهديدهم بأقصى العقوبات وتوعدهم بالنفي أو القتل، إن أصروا على دعوتهم وتمسكهم بدينهم. وأجتمع الفرقاء في محاربة الإسلام..

إن القوى المتحركة والمتضاربة متجسدة في أعداء الإسلام وأهله، والمتمثلة في التبشير والاستعمار والشيوعية الدولية، والصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة، ولكل هذه القوى المعادية تنظيما وأسلوبا ووسائلها... في إفساد الجيل المسلم والتآمر على شبابه وشباباته، ثم السيطرة على بلاد الإسلام، ولقد نجحت هذه القوى في الوصول إلى أهدافها في أكثر البلاد الإسلامية، وصار لها عملاء من الداخل يأثمرون بأمرها وينفذون مخططاتها، ويقطعون السبيل أمام الجيل المسلم الذي تتقاذفه الأهواء وتجرفه التيارات من كل جانب، لتبعده عن هدفه المنشود.²

1- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، عبد السلام فتح الله سعيد، دار الوفاء، مصر، ط5، 1410هـ - 1989م، ص 6.

2- ينظر: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، مصر، ط2، 1427هـ، 2006م، ص11.

فأصبحت هذه التيارات المعادية للإسلام ودعوة الإسلام، من المعوقات الخطيرة التي أحالت دون التزام الناس بدينهم وتمثله في حياتهم والدعوة إليه، مما جعل الإسلام غريبا في دياره وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»¹. فقد عاش الإسلام غربة في بداية بعثته، وتبقى غرته كلما طال على الناس الأمد، وقست قلوبهم وابتعدوا عن هدي الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

ومن أجل معالجة الآثار المترتبة عما أفسدته هذه الحركات والتيارات، التي تكنّ العداء الدائم لهذا الدين، وعملت على إفساده والدس في حقائقه، وتشويه تاريخه والطعن في حضارته، والتي عمّ خيرها كل الشعوب والأمم، ومن أجل كشف الحقائق وإظهار زيف باطلهم وإدعاءاتهم المغرضة، حتى يتبين لهم أنه الحق، "فلا بد من الأناة الطويلة في معالجة هذه الآثار، لأنها عُرس في حياة أمتنا عبر سنوات وأحقاب، ولا يتصور إزالة كيد قرون في أشهر معدودة، أو سنين محدودة، وإنما مع الجد والاجتهاد لا بد من إطالة النفس والمعاناة، حتى تتفاعل التربية خلال أجل يتفق مع السنن الإلهية لتقوم الأمة مؤمنة، ذات أخلاق راسخة تصلح لورثة الأرض جميعا، وانتزاع زمام الحضارة من كهنة المادة والإلحاد".²

إن ما خلفته التيارات المعادية للإسلام من آثار مدمرة، قضت على كل مقومات الأمة وعناصر قوتها وأنستها تاريخها وشوهت معالمه وعطلت مرجعيته، ولولا حفظ الله تعالى لكتابه لضاع الدين وتاهت الأمة في غيها وجهلها.

وبعد سنين التيه والضلال انتبعت الأمة من غفلتها، وأزاحت عن نفسها برائن الجهل والتخلف، وأثار سبيلها علماء أجراء ودعاة مخلصين، عرفوا حقيقة دينهم وإسلامهم، وحملوا على كواهلهم نهضة الأمة، وبعثوا فيها الروح من جديد، وأزاحوا عن دينهم كل الشبهات والأباطيل، وردوا على كل الافتراءات التي وضعها أعداء الإسلام قديما وحديثا.

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، ح 389، ج 1/ص 476.

2- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، عبد الستار فتح الله سعيد، دار الوفاء، مصر، ط 5، 1410هـ، 1989م، ص 14.

ورغم كل التحديات التي واجهتها الأمة عبر مراحل الزمن، وتصدى لها أهل العلم في كل الميادين، وردوا على كل الافتراءات بالحجة والبرهان، ومع هذا فإن الإسلام يواجه في العصر الحديث - وخاصة في العقود الأخيرة منه - عاصفة عاتية من الأباطيل والافتراءات والمزاعم والدعاوي وحملات التشكيك، في كتابه ونبيه، وتاريخه ورجاله، وشريعته وعقيدته، وأخلاقه وصفاته، وثوابته وشعائره، لأنهم يعتبرونه العدو اللدود الذي ينبغي محاربه والقضاء عليه.¹

فقد حاربوا الإسلام في كل ميادينه، ويطعنون في مبادئه وينالون من شخصيّة رسول الله ﷺ، كما يحاولون النيل من تاريخه وحضارته، لأنهم يستقون ذلك من فترات الضعف في التاريخ الإسلامي، فيركزون عليها مبررين الخلافات والنزاعات والخصومات، من أجل تدمير صرح الإسلام ونقض بنيانه، وذلك من خلال اعتمادهم على الطعن في القرآن الكريم، لأنهم يدركون أن سرّ قوة المسلمين في تمسكهم بكتابهم، وهو مصدر عزّهم وسرّ تجدد في نفوسهم، فعمدوا إلى النيل منه ووصفه بالتناقض والاضطراب ومخالفته للعقل والعلم الحديث، الذي كانت الحرب على القرآن من أخطر الحروب وأشدّها وأشرسها، لأنهم يؤمنون بأن ذهاب الأصل يؤدي بالضرورة إلى ذهاب الفروع.²

ومن حكمة الله تعالى أن تكفل بحفظ كتابه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ³

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ⁴

المطلب الثالث: الأقليات المسلمة والتمثيل السيئ لأخلاقيات الإسلام

لقد تميز المسلمون الأوائل بأخلاقهم الفاضلة، ومعاملاتهم الحسنة بين الناس في ربوع الكون الفسيح، فعرف الغرب أن لهذه السلوكيات سرّ يمتلك هذه النفوس، لأنها تنطلق من مبادئ راقية

1- ينظر: موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، نخبة من كبار العلماء، دار نهضة، مصر، ط1، 2012م، ص53.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص53.

3- سورة الحجر الآية 09

4- سورة التوبة، الآية 33.

جعلت من نفسها دعوة صامته، تبعث على التسليم والإتباع، فرقّت قلوبهم لهذا الدين وأُشربت نفوسهم تعاليمه فاتبعوه، وعرفوا أنه الدين الحق.

فكان لهذه المظاهر الإسلامية أثراً في نشر دين الله تعالى، حتى وصل إلى أقصى الأرض، فلما تطاول عليهم الزمن وفتحت عليهم الدنيا بزخارفها ومغرياتها، وخالط المجتمع الشهوات وكثرت عليه الشبهات، فابتعدوا عن تعاليم الإسلام، وعبث الشيطان بقلوبهم وزين لهم ما هم فيه من الحضارة المادية، ﴿فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾¹، فأضاعوا الصلاة وغفلوا عن مبادئ دينهم، فهانوا على الله تعالى، فسلط عليهم عدوا من أنفسهم «... يستبيح بيضتهم»²، حتى إذا قتل بعضهم بعضاً، وتفرقت جماعتهم وضعفت قوتهم، طمع فيهم العدو الغادر فباغتهم، واستباح أرضهم وعرضهم، وتهاقت عليهم الأمم من كل جانب، فأخذوا ما في أيديهم وساموهم سوء العذاب، وجعلوا أعزة أهلها أذلة لما هم عليه من الوهن والهوان، فمزقت أمتهم شرّ ممزق، فما تركوا في قصعتها من نصيب، وتفرقت وحدتها وصارت فرقا متباعدة ومتصارعة، وتناثرت شعوبهم عبر بلدان الغرب، ممن دخلوا أيام الفتح ومن بعده، فطالتهم يد الظلم والقهر والإقصاء والتطهير العرقي والديني.

لقد عاشت الأقليات المسلمة في الغرب تتواري عن القوم من سوء ما أصابها من الأذى والعذاب، يؤدون عباداتهم وتقاليدهم الدينية خفية عن سمع النظام وعينه، حتى إذا تطاول عليهم العمر، وخفتت جذوة الإيمان في قلوبهم وأعقبتهم أجيالا متتالية، أخذت عن الغرب عقيدته وسلوكياته ومعاملاته، وعبث الثقافة الغربية بعقولهم، فصار الجيل بعد الجيل يمجت الإسلام وتعاليمه،

1- سورة المائدة الآية 14

2- فيستبيح بيضتهم: يريد جماعتهم وأصلهم أي مجتمعهم وموضع سلطانهم ومُسْتَقَرَّ دعوتهم أراد عدواً يستأصلهم ويُهْلِكهم جميعهم. لسان العرب، ابن منظور، ج7/ص122، والحديث: قال: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْنِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض، ح7440، ج7/ص301.

وربما حملوا سيف العداة أكثر مما يحمله الغرب، فصاروا معاول هدم لدينهم وأمتهم ودعاة ضلالة وتنفير إبعاد.

لقد نشأت الأقليات المسلمة في غربة عن الوطن وغربة عن الدين، تتقاذفهم تيارات التغريب والتهويل والتخويف، فاستلهمت الأجيال تلك الثقافة التي اعتمدت على إطلاق الحريات وإباحة كل شيء، مما أدى إلى التفسخ والفجور والإباحية فتبعت هذه الأجيال خطوات الحضارة الغربية شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو كان على حساب دينهم، والتي قضت على المقومات والمبادئ التي حملها المسلمون إلى الغرب أيام الفتح الإسلامي.

ولما انقطع السبيل بالمسلمين في الغرب ولم تدعمهم أواصر الرحم وتمنعهم من الذوبان، ضاع الأبناء بين انشغال الأولياء في كسب لقمة العيش، وبين خبث القائمين على المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية، الذين ﴿سَكَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾¹، ومسحوا عقولهم واستعملوها في ضرب الإسلام من الداخل، والطعن فيه والقضاء على كل مظاهر الدين وأخلاقه.²

لقد أرسى الإسلام جملة من المبادئ والأخلاق في نفوس المسلمين، باعتباره منهجا قويا وشرعية كاملة لكل مناحي الحياة، وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ليتجسد واقعا سلوكيا في حياة الناس ومعاملاتهم، وهذا المستوى من التطبيق العملي يتفاوت في قرب الناس وبعدهم عن الإسلام. فلما طال على الناس الأمد وخفَّت نور الإيمان في قلوبهم داخل المجتمع الإسلامي وخارجه، وتأثر الناس بمخلفات الحضارة الغربية وما تحمله من سلوكيات وأخلاق ومعاملات، قد تتوافق مع الإسلام أو تتعارض، مع التقليد الأعمى بكل ما أنتجته الحضارة الغربية، فسار الناس وراءها ينهلون من خيرها وشرها وأصبحت مضرب المثل في كل شؤون الحياة. وقد حذر النبي ﷺ والتبعية المقيتة لأعداء الإسلام وأصحاب الأهواء والديانات الباطلة، فقال عليه الصلاة والسلام «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ

1- سورة الأعراف، الآية 116.

2- الإسلام والغرب، يحي أبو زكريا، دار ناشري للنشر الالكتروني، دط، 2004م، ص 41 و 114.

قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ؟¹.

"ومع تدفق العرب والمسلمين المهاجرين على الغرب، واستيطانهم بشكل ملفت للنظر في المدن والعواصم الغربية، بات في وسع الغربيين أن يحتكّوا بالجالية العربية والإسلامية بشكل مباشر، وأن يطلّعو عن كثب على طبيعتهم الاجتماعية والخلقية والنفسية للعرب والمسلمين، وللأسف الشديد يمكن القول أن الغربي الذي كانت في ذهنه صورة سلبية عنالعرب والمسلمين جراء قراءات معينة، فإن هذه الصورة ازدادت رسوخا وتأكّدت بشكل كامل بل وازدادت سوداوية، لأن العديد من العرب والمسلمين قدموا أداء سلبيًا عن حضارتهم وثقافتهم وباتوا وبالأعلى على حضارتهم"².

إن المسلمين الذين عاشوا في الغرب منذ الفتح الإسلامي، وتكاثروا عبر مرور الزمن، قد أحاطت بهم الثقافة الغربية من كل جانب، فمسخت شخصيتهم وفقدوا معالم دينهم، وضاعت أخلاقهم ضمن الحملات المتواصلة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وعبر مناهج التربية والتعليم في مدارسهم ومعاهدهم، من أجل دمجهم في المجتمعات الغربية والقضاء على هويتهم الإسلامية، فأصبح المسلمون في الغرب في حالة من التيه والضياع يخالطون الناس في كل أعمالهم فتجد في كثير من بلاد الغرب من يملك المراقص والحانات ومحلات لبيع لحوم الخنزير والمحلات الخليعة، والمتورطين في تجارة المخدرات، واختلاس الأموال واغتصاب النساء والولدان من المسلمين، لذا تجدهم تغص بهم السجون والمعتقلات، بالإضافة إلى ذلك فقد علّمنا هؤلاء الغربيين الكذب والدجل والتهرب الضريبي والاحتيال، وكل ما يقوم به هؤلاء يحسب على الإسلام والإسلام منه براء³.

فالجالية المسلمة في بلاد الغرب تعيش غربة في الدّين وأخرى عن الوطن، بحكم نشأتهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، لم يتلقوا مبادئ الإسلام إلا يسيرا في المراكز الإسلامية لضعف الوعي بالتعاليم الإسلامية، ولقلة الدعاة المؤهلين الذين يؤثرون بعلمهم وثقافتهم وأخلاقهم في الناس، أو لأسباب واقعية من خلال الهجمات الشرسة ضد الإسلام والمظاهر التي يدعو

1- صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح 3269، ج3، ص 1274.

2- الإسلام والغرب، يحي أبو زكريا، دار ناشري للنشر الالكتروني، 2004م ص 41 و 114.

3- ينظر: الإسلام والغرب، يحي أبو زكريا، ص 60-61.

إليها، فيحارب من كل جانب وتسد منافذ انتشاره حتى لا يصل إلى الناس، فكلما بحثت عن الإسلام في أخلاق الجالية ومعاملاتهم فلا تجدوا إلا القليل منهم لجهلهم بالدين وبعدهم عن التطبيق العملي لسلوكيات الإسلام ومبادئه، وهذا ما يعيق العالم الغربي عن قبول الإسلام والإطلاع عليه ومعرفته والاستجابة لأوامره.¹

إن كثيرا ما تقع خلافات فكرية بين عناصر الجاليات المسلمة في ساحة العمل الإسلامي بالمراكز الإسلامية وخارجها، وذلك من خلال تشرذم علمي، يوشك أن يمثل تفرقا في الدين أو تشرذم تنظيمي يوشك أن يمثل تفرقا في الرؤية. فالأول يجعل الساحة تموج بالمفاهيم المتصارعة، بسبب الخلط بين الثابت والمتغير أو المحكم والمتشابه، والواجب أن المحكم تتوحد فيه كلمة المسلمين، بخلاف المتشابه الذي تتسع ساحته لتتمازج فيه الأفكار والرؤى، ليتواصل العمل الإسلامي خالصا لوجه الله تعالى بعيدا عن صراعات حظوظ النفس ورغباتها.²

"واليوم نقدم نحن المسلمين-وللأسف- صورة عكسية لذلك الماضي الجليل التي تنقّر من حولنا عن ديننا، من خلال تصرفاتنا الطائشة التي تجافي هدي ديننا القويم، فنكون سببا في ضلال الضالين وغياب الحقيقة عنهم... والحقيقة التي لم تتحول إلى واقع نعيشه، فيراه الناس، ويتعلمون منه والناس في عاداتها تبصر أكثر مما تسمع، ولذلك فكلماتنا تبقى جوفاء بتراء عاجزة عن الوصول إلى قلوب الآخرين ما لم تتوج منا بفعال..."³

إن القدوة السيئة التي يراها الأوروبي في كثير من المسلمين في البلدان الأوروبية نفسها، إذ أن الجاليات المسلمة في بلاد الغرب يغلب عليها الجهل بالإسلام، وكثير من أفرادها وأُسرتها غير ملتزمين بآدابها، بل إن بعضهم لا يقرّ بمبادئه، ولا يؤدي شيء منها، إضافة إلى صفات سيئة يتصفون بها ينفر

1- ينظر: المرجع السابق، ص 60-61

2- ينظر: إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب، ليلي البيومي، مقال بتاريخ النشر 27 شوال 1428هـ - 2007/11/08م تاريخ التصفح 2019/10/29. موقع مداد.

3- الدعوة والداعية رؤية معاصرة، منقذ بن محمود السقار، ص 154.

منها الأوروبي، مثل خلف الوعد والكذب والغش، وعدم وجود نموذج صحيح يؤكد لهم قيم الإسلام ومبادئه في عالم الواقع، وصدق ما يدعيه المسلمون من رقي دينهم وسماحته.¹

إن من بين الأسباب التي تشوه صورة الإسلام في المجتمعات الغربية والخوف منه، غياب النموذج الإسلامي في أرض الواقع، لأن الأمة أصيبت بالغثائية بالرغم من الحشد الهائل الذي يفوق المليار، إلا أن تعلقهم بالإسلام لا يغدوا أن يكون شكليا أو عاطفيا، لا يحمل عقيدة قوية ولا فكرا نيرا، يشبه الواقع العملي في حياة الناس، فلو تحدث الدعاة والعلماء عن الإسلام وسماحة الإسلام وعدله آلاف السنين لم يغنوا عنه شيء، لأنه لو كان حقا لصدق انتمائهم فظهرت محاسنه في أخلاقهم وحسن معاملاتهم، كما كان أسلافهم من قبل، الذين حملوا نور الإسلام إلى البشرية وعلموا الدنيا معنى الحياة.²

ولقد قرأ أحد الغربيين عن الإسلام فقال: يا له من دين لو كان له رجال، وحمد الله تعالى آخر أن هداه الله تعالى إلى الإطلاع على الإسلام قبل أن يرى العالم الإسلامي، فقال: الحمد الذي عرفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

إن أبناء الجاليات الإسلامية في الغرب هم من يحمل هم الإسلام في أمة الدعوة، ومن يكون عليهم مستقبل أوروبا في ظل تعاليم الإسلام وعدالته، وتعم رحمة مشارق الأرض ومغاربها وتنعم البشرية بسعادة الدنيا والآخرة " غير أن واقع المسلمين اليوم في أوروبا لا يسر على الإطلاق من حيث انتشار البطالة والجرائم والمخالفات القانونية الكثيرة بين المسلمين، وهذا مما يعطى انطبعا خاطئا عن الإسلام في الغرب، لأن معظم المسلمين الذين يعيشون في الغرب لا يعرفون الإسلام إلا النزر اليسير، والواقع أن القيميين على الدعوة في بلاد الغرب عموما لا يملكون مؤهلات تمكنهم من عرض الإسلام بالصورة اللائقة، وبالأدوات والوسائل العصرية، واللغة الصريحة والأسلوب المؤثر، وتنقل حضارة

1- ينظر: إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب، ليلي البيومي، مقال بتاريخ الناشر 27 شوال 1428هـ، 2007/11/08م تاريخ التصفح 2019/10/25. موقع مداد.

2- ينظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، مسابقة كاتب الألوكة الثانية، ب ط، ب ت، ص 92.

الفصل الثاني عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

الإسلام بأمانته، وتعريف الغرب بحقيقة الإسلام وبمبادئه السمحاء، وبمقوماته الذاتية التي أودعها الله تعالى فيه للاستمرار والبقاء وسعادة البشرية¹.

إن واقع المسلمين في العالم الإسلامي قد طبعت فيه صورة التخلف والجهل والفقر، وقد حمل الإسلام ثقل مسؤولية الأخطاء والسلوك السيئ، والمعاملات الطائشة المتهورة لبعض المسلمين، ناهيك عن التشدد والعنف الذي تميزت به بعض العناصر التي تسمت بالإسلام، وهم أشد عليه مما يفعله الأعداء به، وهذا ما يرسخ الصورة المشوهة التي ينشرها الغرب عن الإسلام والإسلام منها براء. لذلك فإنخطورة الأفكار التي يحملها بعض الجماعات لرفع راية الجهاد في بلدانهم وضد شعوبهم وحكامهم المشددين وشرعية هذا الأمر، فقد استغلت التيارات المعادية للإسلام هذه الصورة والتيارات الخاطئة، لضرب وتشويه صورة الإسلام وإظهاره على أن هذه هي صورته الحقيقية².

وقد تفخر هذه الجماعات لما تُلَقِّقُ ضدهم كثيرا من العمليات الإرهابية، كتفجير المراكز التجارية والمؤسسات الحكومية وحرق الكنائس، والتصفية الجسدية لبعض الشخصيات البارزة، ظنا منهم أن ذلك يخدم الإسلام ويرفع من شأنه، وما الإسقاط المفتعل للبرجين التجاريين بأمريكا منّا ببعيد، إنها الأكذوبة العالمية المدبّرة، والخطة الماكرة الخبيثة، والتي من خلالها استطاعت أمريكا رفع لواء السيطرة الأحادية في كل العالم، وأعلنوها صراحة حربا صليبية ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾³ وبعدها بسطت نفوذها على كل مقدرات الدول، وعبثت بكل المقدسات والمحارم والحريات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾⁴، فاستحلت كل شيء وأخذت كل ما طالتها يدها، فقتلت وهدّمت وأحرقت وسجنت وعذّبت، فخضعت لها كل الشعوب والحكومات، خوفا من سطوتها وطمعا في رضاها ولسان حالها يهتف بما قاله فرعون لقومه.

1- الإسلام والعرب، يحي أبو زكريا، ص 101.

2- ينظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، ص 88-93.

3- سورة آل عمران الآية 118

4- سورة فصلت، الآية 15.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي آتِيكُمْ أَهْلًا مَّا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾¹، وهذا ما يقوله الفراعنة في كل عصر، وهذه هي أفعالهم في الإجرام والاستعلاء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾².

فعاثت قوى الشرّ في الأرض الفساد وعلت وطغت، ولم يعد صوت الإسلام يُسمع لعظم التبعات التي أثقلت كاهله وعرقلت خطواته، فأفقدته توازنه وأضعفت قوته، لَمَّا حَمَلُوهُ مَا لَيْسَ مِنْهُ، ودفع المسلمون الثمن غاليا في الأرواح والأموال والأوطان.

وأن ما تقوم به أفراد الجالية العربية في الغرب، قد فاق ما يقوم به الغربيين أنفسهم من سيء الأخلاق والتصرفات الإجرامية، والتي نتجت عن غياب التربية وتُعدِّهم عن دينهم، وهذا ما أنتجتة الحضارة الغربية، التي فَتَحَتْ على المجتمع كل أبواب الشهوة والمغريات وأنواع الفساد، فكانت لا تخلو الصحف الغربية... من أخبار القتل والسرقة والاعتصاب والاتجار بالمخدرات والتهرب من دفع الضرائب والتحايل على مؤسسات الدولة، والتي أبطأها للأسف الشديد من العرب والمسلمين. والحقيقة التي يجب أن يعرفها الغرب، أن التصرفات السلبية لكثير من العرب والمسلمين لا تجسد إطلاقا حقيقة الإسلام وحضارته الراقية، بما تحمله من قيم ومبادئ لكل البشر³.

وتبقى حركة الإستشراق الحديثة لم يؤدي أسلوبها الموضوعي إلى تصحيح كلي للصورة المشوهة للإسلام لدى الغربيين، رغم إنكارها لحمالات الطعن التقليدية ضد الإسلام، فلم يؤخذ بعين الاعتبار إلا عند المراكز العلمية المتخصصة، دون أن يصل إلى الوعي العام عند عوام المسلمين، لأن ما يروونه حولهم من أحداث ومؤامرات يؤكد لهم صحة رأيهم، بأن حملات الطعن والتشكيك المسيحية ضد الإسلام لم يتوقف للعداء القديم والحسد المتأصل في قلوبهم نحو الإسلام وأهله، لأن الإسلام قضى

1- سورة القصص، الآية 38.

2- سورة القصص الآية 04.

3- ينظر: الإسلام والغرب، يحيى أبو زكريا، ناشري، كتاب الكتروني، سنة 2004م، ص 114-115.

على تميّزهم وكبريائهم، وأبطل كل الشرائع التي قبله والتي طالتها أيادي التحريف والتغيير، ولمّا وصلت إليه البشرية من نُضج تحكمه شريعة الله تعالى الخالدة والتي ختم بها الرسالات¹.

إن التمثيل السيئ للإسلام لا ينعكس من خلال الموروث الثقافي الغربي، الذي أطلق الحريات الإنسانية والشهوات النفسية، حتى استحكمت في المجتمع رغم الفساد وانتشرت الرذائل والمنكرات، وأصبحت الأقليات المسلمة تعطى الصورة السيئة للحضارة الغربية في الوقت الذي ينتظر أن يظهروا مبادئهم وأخلاقهم الإسلامية التي يفتقر لها الغرب، فيكونون هداة خير في بلاد الغربة حتى صاروا معاول هدم لدينهم وحضارتهم، وسمة سيئة في جبين المسلمين.

"وقد يكون التمثيل السيئ للإسلام من خلال الصراعات الحزبية أو الفكرية أو المذهبية وبروز النعرات القومية، والذي انعكس سلباً على وضع هذه الأقليات، وغطى على صورة الإسلام الحقيقية، فهذه الصراعات والخلافات أفقدت الأقليات المسلمة القدرة على تأكيد الذات والبناء والإبداع والتفاعل، وهذا التفرق والتشتت ترتب عليه الحد من فاعليتهم وعدم تمكنهم من الانتظام في هيئات وجمعيات إسلامية للدفاع عن الإسلام وأهله"².

إن عدم توحيد الجاليات الإسلامية في الغرب لا يمكن لهم أن يكونوا قوّة مؤثرة في أمّتهم، ولا أن تُسمع كلمتهم إذا كان كل منهم يحمل في جعبته رصيда من الأنانية القومية والاستعلاء على الآخر، مع نقل صور العداء التي صنعها العدو بين مختلف المجتمعات العربية والإسلامية، فتكون هي الصورة المصغرة عند الأقليات، ومنها يكون قاعدة الحوار وتوحيد العمل وأتّاهم ذلك!. إذا أعجب كل ذي رأي برأيه وبانتمائه القومي، وكأنه الممثل الأساسي للإسلام وغيره تبعاً له، وهذا الداء الذي كان ينخر جسد الأمة قديماً ولازال مستمراً إلى هذا العصر الحديث، وهو يفتّ وحدثها ويهدم كيائها وحضارتها.³

1- ينظر: الإسلام في عيون غربية دراسات سويسرية، مرجع سابق، ص 100.

2- ينظر: مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، مسابقة كاتب الألوكة الثانية، ب ط، ب ت، ص 73.

3- ينظر: مشكلات الدعوة إلى الإسلام ومجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا وسبل علاجها، توفيق بن عبد العزيز السديري، إشراف: عبد الله بن محمد آل الشيخ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، السنة الجامعية 1421هـ، ص 144-147.

وما قام به العلماء والدعاة من لمّ شمل الأقليات وتوحيد كلمتهم، والعمل على المحافظة على جهودهم في العمل الدعوي، وضبط حركاتهم وأعمالهم وفق شريعة الإسلام، بما يتوافق مع وضعهم وطبيعتهم بفقه الأقليات المسلمة في بلاد الغرب وغيرهم، ويتلاءم مع الظروف التي يعيشونها، والمعاينة التي يقاسونها، والمضايقات التي تلاحقهم في مساجدهم ومراكزهم ومؤسساتهم، بدعوى الخوف من الإسلام، فيختلقون المشكلات ويلصقون لهم التهم ويصفونهم بالإرهاب، حتى يهاجم الناس وينفرون منهم ومن دعوتهم.¹

إن واقع المسلمين اليوم في الغرب إثر مختلف الهجرات العالمية، والتي تمثل أهم الظواهر الحركية في حياة البشر، فتحوّلت كثيرا من البلدان إلى مزيج من الثقافات ومشارب متعددة في مجتمع واحد، يحكمها قانون وضعي لم يستوعب أوضاع الناس ومشاربهم، مع العلم أن الأقليات المسلمة التي تحوّلت إلى بلاد الغرب يحملون في عقيدتهم، أن الإسلام قد وضع منهجا متكاملا للحياة نظّم من خلاله العلاقات الإنسانية بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم من الديانات الأخرى، وتناول كل جوانب الحياة، ووضع لها أحكاما وقواعد على مقتضى الحق والعدل، وإذا كان هذا حال الشريعة معالجة قضايا الناس في كل مكان وزمان، فكان من الواجب على الفقهاء المجتهدين أن ينظروا ويوسعوا دائرة الاستنباط الفقهي، لتشمل جميع النوازل والمستجدات الفقهية، التي لم يتطرق لها العلماء قديما، كما هو حال الأقليات المسلمة في الغرب.²

"إن المسلمين اليوم يعيشون خطرا كبيرا، منهم في بلاد لا يحكمها الإسلام ويسودها نظاما لا يتوافق والأحكام الشرعية، ففي أوروبا وحدها يقطن ما يقارب الستين مليونا من المسلمين، وهذا التواجد أعقبه الكثير من المشكلات التي واجهت المسلمين هناك، فيما يتعلق بالعبادات والأحوال الشخصية والمعاملات والأطعمة ونحو ذلك، فالواجب على الفقهاء والمجامع الفقهية أن يجدوا حُلولا تتفق وروح الشريعة ولا تتعارض مع التواجد الإسلامي في تلك البلدان".³

1- ينظر: ومشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 114.

2- ينظر: فقه الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمة، ساجدة طه محمود، بحث بجامعة بغداد، 2011 كانون الأول.

3- المرجع نفسه.

ومن أجل المحافظة على عقيدة الفئات الذين دخلوا الغرب إبان الفتح الإسلامي، أو الذين ولدوا هناك أو الذين هاجروا في القرون المتأخرة، على بلدانهم "أن يعينوا هذه الأقليات المسلمة أفراداً وأسرًا وجماعات على أن تحي بإسلامها حياة ميسرة، بلا حرج في الدين ولا إرهاب في الدنيا¹. إن حقيقة الوجود الإسلامي في بلاد الغرب يجب أن يكون له أثر باعتبار أن الغرب هو الذي أصبح يقود العالم، ويوجه سياسته واقتصاده وثقافته، وذلك من أجل المحافظة على المسلمين وتدينهم ودعمهم روحياً ومعنوياً، والعناية بمن هاجر إليهم ومن اعتنق الإسلام منهم وإمدادهم بما يلزمهم من حسن التوجيه والتفقيه والتثقيف، بالإضافة إلى نشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين. وأن لا نترك الساحة للنفوذ اليهودي وحده يستغله ويوجهه لحساب أهدافه وأطماعه، ويؤثر في سياسته وثقافته وفلسفته، ويبقى المسلمون بمعزل في مسرح الحياة التي استأمنهم الله تعالى عليها وحملهم أمانة نشر دينه في العالمين، حيث.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾³². "لقد عرفت الأقليات المسلمة في العقود الأخيرة تطوراً ملحوظاً في تعامل العلماء والمفكرين المسلمين مع قضايا الوجود الإسلامية في البلدان الأوروبية، برز خلالها خطاب علمي وفقهي لم يقتصر على فتاوى فردية بل إلى تأسيس منهجية شرعية كلية ذات أصول وقواعد علمية تناسب أوضاع ذلك الوجود الإسلامي وظروفه المختلفة، فتراعي أوضاعهم وبيئاتهم في فقه الأقليات المسلمة... ثم تحول الحلم إلى حقيقة حين دعا الشيخ يوسف القرضاوي -حفظه الله تعالى- إلى إنشاء المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث مع كوكبة من إخوانه العلماء في العاصمة البريطانية لندن، وهو ما يزال يواصل عمله في عقد الندوات وإصدار الفتاوى، ونشر البحوث ذات العلاقة بقضايا الأقليات المسلمة في البلدان الأوروبية، موظفاً في ذلك موقعه الإلكتروني ومجلته العلمية وسلسلة الكتب التي يصدرها"⁴.

1- في فقه الأقليات المسلمة، يوسف القرضاوي دار الشروق، مصر، ط1، 1422هـ-2001م، ص34.

2- سورة يوسف الآية 108.

3- ينظر: مرجع سابق، ص33

4- ينظر: أصول الفقه الأقليات المسلمة وضوابطها بين النظرية والتطبيق، حليم مرزوقي، رسالة دكتوراه في معارف الوحي والتراث، قسم الفقه وأصول الفقه كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2018م، ص3.

المطلب الرابع: نظرة الغرب للعالم الإسلامي

لقد ظلت نظرة الغرب للعالم الإسلامي من المعوقات التي حالت دون قبول الإسلام للمجتمعات الغربية وغيرها والبحث في مقوماته ومبادئه وكشف حقيقته، ويرجع ذلك إلى فظاعة تلك الحملات الشرسة التي خاضتها الكنيسة من خلال علماء الاستشراق ودعاة التنصير، في كل مجالات الحياة في المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية، وكل ميادين الثقافة والأنشطة الخاصة والعامة داخل أوروبا وخارجها، إلا وقد طالتها أيادي الاستئصال والتشويه وكثرة الافتراءات والكذب على الإسلام وتاريخه وحضارته، والطعن في نبي الإسلام: في شخصه وعرضه ودينه، وذلك للعداء المتأصل في طبائعهم وكراهية الإسلام ومحاربه على كل الأصعدة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَهُ يَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢) ¹.

ولقد أرشد الله تعالى نبيه للاهتمام بدعوته وعبادته لربه، ولا يلتفت إلى ما يقوله الاقفاكون المفترون في حق الإسلام ونبيه وأهله، وما لحقهم من الأذى ما يضيق به الصدر وتتألم به النفس. فالداعية يحتسب ذلك عند الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِي أَقْمِرُ الصَّلَاةَ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) ².

ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٧) ³.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) ⁴.

1- سورة المائدة، الآية 82.

2- سورة لقمان، الآية 17.

3- سورة الحجر الآية 97.

4- سورة المزمل، الآية 10.

إن ما قام به "علماء الغرب ومفكرهم لأحقاب من الزمن في إصاق التهم والافتراء في حق الإسلام والعالم الإسلامي، وبذلوا في ذلك كل طاقاتهم المالية والزمنية والعلمية، وكتبوا بحوثاً وكتبوا وطعنوا في قدسية الإسلام ومكانة نبي الإسلام، وهم يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء في معارج الحضارة، ما داموا مقيدين بنصوص القرآن التي يقولون إنها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون"¹.

والمنصفون اليوم قليل، فهم يسعون دائماً إلى تصحيح الصورة المشوهة للعرب والإسلام في عقول الغربيين. وهذا لا يكفي بالمقارنة بمن جرّدوا أعلامهم حياء الأخلاق، وجهلوا صدق الكلمة وأمانة الخبر، وأطلقوا لحقدهم الدفين ليتجرأ على أقدم دين وأفضل أمة أخرجت للناس، بالتهكم والسخرية والافتراءات الباطلة وتشويه معالم الدين وقيمه، ونكران الجميل ونسيان الماضي الذي كان يضم حضارة قد أشرقت بنورها على العالم كله، وكان ذلك أساس نهضتهم وانطلاق ثورتهم الفكرية والصناعية وغيرها، وقد كتب كثير من المستشرقين المنصفين لظاهرة الصحة الإسلامية المعاصرة وردوا عن مطاعن القوم وتشويههم مكانة الدين في نفوس الغربيين بالدرجة الأولى ونشرها بين الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾².

إلا أن هذا العدد من الذين كتبوا عن سماحة الإسلام وعدله، لا يكفي بالمقارنة بمن حاربوه ونصبوا له كيد العداء وسلّوا في وجهه سيف المواجهة أبد الدهر...

"إن جذور الكراهية التي تنمّيها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام، يعود إلى وجود الكيل من الأكاذيب والافتراءات في المخزون الثقافي والتراث الغربي، وهذا العداء ليس وليد الحاضر، وإنما يضرب في عمق التاريخ القديم، يوم ظهر الإسلام وأشرقت شمس هدايته على الناس، حمل العداء على أشده، وهذه حقيقة الصراع بين الحق والباطل، باعتبارها ستّة من سنن التدافع"⁴.

1- ينظر: أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1406هـ - 1984م، ص57.

2- سورة الصف، الآية 8.

3- ينظر: الإسلام في عيون غربية دراسات سويسرية، أريك جيسلينج وغيره، تر: ثابت عيد، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ص73-80.

4- ينظر: الإسلام والغرب، محمد عمارة، مركز الإعلام العربي، مصر، ط1، 1427هـ - 2006م، ص7-8.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾¹
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُم حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۝٢﴾²

ولا يزال الغرب يعمل ليل نهار على محاربة الإسلام بكل ما أوتي من قوتي العدة والعتاد، لأن نظرهم للعالم الإسلامي على أنه العدو المتربص الذي لا يمكن الوقوف أمام امتداده، وهو يزحف نحو ديارهم، فيصرفون أرصدة طائلة لعرقلة مسيرته وتشويه صورته لتطول غريته، لأن عقلاءهم يدركون أنه الدين الحق الذي سيظهره الله تعالى على الدين كله، وسوف يدخل كل بيت مدر ووبر بعز عزيز أو بذل ذليل، كما أخبر عنه المصطفى ﷺ، لذلك

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ۝٣﴾³

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٤﴾⁴

فإن النظرة العدائية للغرب -تجاه الإسلام- تزامنت مع بعثة الحبيب محمد ﷺ، وقد أعلنها اليهودي حبي بن أخطب حين رأى من صفات النبي ﷺ وأخلاقه وتأكد من صدق الخبر لما في كتبهم، وعلم أنه هو. فقال له صاحبه: فما في نفسك منه قال: عداوته ما بقيت.⁵

"وقد اعترف كثير من الغربيين بقدوم العداء الغربي للإسلام، وأنه يعود إلى القرن السابع الميلادي أي إلى ظهور الإسلام"⁶، ومنذ ذلك الحين وهم يحملون معاول الهدم ومخططات الإجرام في محاربة الإسلام بكل مكر ودهاء، وبمختلف أساليبهم الخبيثة ووسائلهم المتجددة.

1- سورة البقرة، الآية 109.

2- سورة البقرة، الآية 217.

3- سورة الأنفال، الآية 36.

4- سورة الصف، الآية 8.

5- ينظر: السيرة النبوية لابن كثير، ت مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت، د ط، 1395هـ-1976م، ج 2، ص 298 والسيرة النبوية لابن هشام، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، د ط، 1411هـ ج 3 ص 52.

6- ينظر: صورة الإسلام في التراث الغربي دراسات المانية، تر: ثابت عيد، تح: محمد عمارة، نخضة مصر، القاهرة، د ط، 1999 م، ص 03.

إن العالم الإسلامي كغيره من المجتمعات، تمر عليه مراحل السنن الكونية، من تطور وانحيار في حياة الأمم، تتقاذفها سنن التدافع والتسابق نحو السيطرة والبقاء، فقد كان العالم الإسلامي يزخر بما وصل إليه من ازدهار ورقي في مختلف العلوم والاكتشافات، يوم كان الغرب يزرع حتى وطأة التخلف والجهل والانحطاط، فلما أشرقت شمس الإسلام على الغرب ونهل من بحر العلوم الإسلامية، فانزاحت عنه تراكمات الظلم الكنسي والإقطاعي واستبداد الأنظمة الحاكمة، وانطلقت المجتمعات الغربية في التطورات الثقافية والاكتشافات العلمية والثورة الصناعية وما تتطلبه من إمكانات مادية وثروات باطنية، أدى بها إلى أن تمد يدها إلى الحضائر المهملة من بلدان العالم الإسلامي، لتأخذ ثروتها ومقدراتها، فتداعت عليهم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فملكوا البلاد والعباد وساموهم سوء العذاب، وأتوا على تاريخها وحضارتها فشوهوه، وأرادوا محو القرآن فما استطاعوا فابعدوا الأمة عن لغتها وعبثوا بأعظم مخزون من المؤلفات العلمية فاحرقوها ومنها ما رموا بها في الأنهار حتى علا سواد مدادها وجه الماء فلبس رداء الحزن على حضارة وئدت بعد أن حكمت قرونا في تاريخ الأمم، فضاعت بذلك ثروة علمية وتراث أجيال وثقافة صنعها العقل الإسلامي عبر قرون من الزمن.

فعاشت الأمة لعقود من الزمن وهي تعاني ويلات الحروب والتهميش والاضطهاد، فأصابتها الجمود والتقليد في كل المجالات، وبقي الغرب ينظر إليها على أنها رمز التخلف والانحدار في سلم الحضارات، ويصفونها بكل نقيصة لتشويه صورة الإسلام عند شعوبهم ومجتمعاتهم.

" وقد أعلنوها صراحة بعد نهاية الحرب الباردة، وسقوط المعسكر الشرقي الممثل في الاتحاد السوفياتي، أن العدو الأوحده في المرحلة القادمة هو الإسلام، بما يملكه من مقومات ومبادئ لا يمكنه الذوبان في مختلف الحضارات ولا السيطرة عليه، وأنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي للمجتمعات الغربية، وحتى نفهم أبعاد الموقف الغربي من الإسلام... وخلفيات الصورة الغربية عن الأمة الإسلامية، ولمعالجة هذه المشكلة بعيدا عن السطحية والاختزال والتزييف، نحتاج إلى شهادات غربية من العلماء والمفكرين الغربيين المنصفين الذين تحدثوا عن الإسلام في هذا الأمر"¹.

ويقول أن الإنسانية هي أسرة واحدة، ينبغي أن يتعايش أفرادها في محبة وسلام وان الاحتكاك والتعايش بين الشعوب والأجناس خير وسيلة لمحاربة الكراهية والعداء والعنصرية²، ومن أعظم ما نقدمه

1- ينظر: صورة الإسلام في التراث الغربي، هربرت هيركوفر، تر: ثابت عيد، نخبة مصر، القاهرة، ب ط، 1999م، ص 6-7

2- ينظر: المرجع نفسه ص 11-12.

لشعوب الغرب (شهادات كثيرة من علماء الإستشراق) في إنصافهم الإسلام، لنثبت صدق حديثهم وقوة لمحتهم استنادا لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدْ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾¹، ولنكلمهم بلسانهم، ونبين لهم مواطن التضليل والخلل في كثير من الافتراءات والتهم والشبهات في حق الإسلام وحضارته وأهله، لأنهم أعلم بمواطن التأثير فيهم وكشف زيف الأكاذيب التي وضعها المغرضون لتشويه صورة الإسلام في العالم الغربي، من الجوانب الدينية والتاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها.²

إن من دهاء الغرب ومكره ينظر إلى الإسلام من خلال بعض تصرفات الحركات الإسلامية، التي اضطررها ظروف القهر والتعذيب والقتل إلى سبل التطرف والعنف ضد حكوماتهم ومسؤوليهم، فتعمد الغرب إلى نقل هذه الصورة وتعظيمها في أعين الغربيين ليتهم الإسلام بالإرهاب، والتشجيع على حمل السلاح وزعزعة الأمن على المستوى العالمي، والمساس بمصالحه الحيوية وتهديده من خلالها. وبقيت النظرة القديمة للغرب على أن الإسلام إنما انتشر وتوسع في ربوع العالم بالحديد والنار، وأصبحت أسطورة تُروّج ضمن المشاعر العدائية تجاه الإسلام، فالمسلمون يوصفون بالعنف والعدوانية، وبذلك فهم يمثلون تهديدا صارخا للحضارة الغربية، ولم يتغير شيء من هذه الصورة منذ القرون الوسطى إلى اليوم، رغم كافة الخبرات التاريخية التي أصبح يتحدث بها العدو قبل الصديق، وأن الإسلام انتشر بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة، إلا ما اضطررنا إليه حينما يحال بين الإسلام والبشرية.³

" فالفتوحات الإسلامية كانت تحريرا لأوطان الشرق من الاستعمار والاستعباد والاستغلال الروماني.. وكانت إنفاذا لنصارى الشرق ونصرانيتهم من القهر الروماني... حررت الأرض.. وحررت ضمائر الشعوب ثم تركتهم وما يدينون في سلام.. فكانت نصرانية الشرق بهذه الفتوحات هبة الإسلام"⁴.

1- سورة يوسف، الآية 26.

2- الرجوع إلى كتاب الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء، وإنصاف العلماء، محمد عمارة، دار الشروق مصر، ب ط، ب ت، ص 73-319.

3- ينظر: صورة الإسلام في التراث الغربي، ص 46.

4- الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، ص 17.

إن الفتوحات الإسلامية التي عمّت أرجاء المعمورة، وحملت في ثناياها نور الهداية وشتى علوم الإسلام، حتى وصلت إلى بلاد الغرب، وكان لها الأثر البالغ في بعث الحياة وإرساء أسس النهضة الأوروبية وتشديد حضارتها، إلا أن هذا الأمر قوبل بالإنكار والعدوان " وقد جحد الفكر الغربي هذه الحقيقة، وحمل على الإسلام حملته الظالمة دون تقدير لأي إنصاف أو رعاية لحق غير منكور، وأذاع على لسان أعلامه وكتّابه أن الفكر الإسلامي مضطرب وناقص، وأن الإسلام نفسه مليء بالقصور والعجز... وتوالت هذه الاتهامات، وتتابع على ألسنة السياسيين، ودعاة الكنيسة ورجال التبشير والمؤرخين والصحفيين، وهدفها أساساً تأكيد المشاعر الأساسية في النفس الغربية بكرهه الإسلام، والحقده عليه واحتقار أهله، وحتى تكون حجاً بائناً أمام المثقفين فلا يصلوا إلى حقيقة الإسلام وجوهره"¹.

لقد برعت وسائل الإعلام الغربي في إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، وأُتهم أتباعه بالعنف والدموية... لما يملكه من إمكانات جبارة وقوة جذب وتأثير كبيرة، فقد استطاع أن يجعل من الشأن الإسلامي قبلة اهتمام الإنسان الغربي الذي أصبح في الآونة الأخيرة ينظر إلى الإنسان المسلم في ديار الغرب بكثير من الشك والريبة والحذر.²

وأصبحت مقاومة الإرهاب ستاراً يُبرر الكثير من الممارسات غير المشروعة، التي لا تفرق بين الإرهاب والإسلام، فانتهكت فيه رموزه الدينية ودنست مقدساته العقائدية، ليجد المهاجر المسلم نفسه بين خيارات صعبة إما التقوقع والانعزال والتمسك بالهوية الإسلامية المتميزة، مع ما يتضمنه هذا الخيار من إلغاء وإقصاء وعداء غربي ظاهر ومستتر، وجمود ثقافي وحضاري وغياب لرسالة الدعوة والتبليغ، وإما الانصهار والذوبان والاندماج غير المشروط خوفاً من التهميش، أو انبهاراً بتيار التحديث، أو عجز عن مواجهة سيل الشبهات وموجة التشكيك مع ما يفرضه هذا الخيار من تنصل وانسلاخ عن ثوابت الهوية الإسلامية.³

1- آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، مؤسسة لرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ-1984م، ص49.

2- التعايش الديني للأقليات المسلمة مقتضياته الحضارية، ضوابطه الشرعية، تحدياته الراهنة، خراز وسيلة، مقال بمجلة دراسات كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة2، عدد:6، مجلد4، ص10.

3- المرجع نفسه، ص10.

إن استغلال بعض السياسيين ظاهرة الخوف من الإسلام "اسلاموفوبيا" للتلاعب بعواطف ومشاعر وعقول أبناء مجتمعاتهم في محاولة لكسب أصواتهم في انتخابات برلمانية أو رئاسية¹. وقد صرّح بها رئيس سابق لأمريكا فقال: "إن الكثيرين من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء... ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويون وغير منطقيين"².

وبذلك يصبح رفع إشهار العداء ضد الإسلام أمر مقبولا، بل مؤيدا من كثير من الأطراف، ويتحدث القرضاوي عن طبيعة الإنسان الغربي بأنه مزهو بنفسه ينظر إليها باستعلاء وإلى غيره بازدراء، وسر ذلك أن الغرب قد ورث الحضارة الرومانية التي تجعل منهم القادة وغيرهم العبيد³. "وإذا كان حكام العرب والمسلمين في بلدانهم يمثلون سدا منيعا ضد التوجهات الإسلامية، بمختلف أنواعها نظاما وحكومة، بل هم من شجّع الغرب المستدمر ويده الطولى في ضرب منابع الإسلام وحرّاسه المخلصين، فكيف بنائطالب الغرب أن يغيّر من نظراته وتصرفاته العنصرية ضد الإسلام والمسلمين"⁴.

إن صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب سلبية، منذ الحروب الصليبية التي بلغت جهود التنفير من الإسلام فيها ذروتها، حتى استهدفت استنفار شعوب أوروبا وتحريضها للانضمام إلى الجيوش التي اتجهت نحو القدس لتخليصها من أيدي المسلمين البرابرة الأشرار⁵.

وقد حملت المناهج التعليمية لدى الغرب كل مستويات الدراسة كمّا هائلا من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، وقد سارع كثير من المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام إلى تعديل تلك المغالطات في المناهج المدرسية، وإعطاء الصورة الحقيقية عن الإسلام والمسلمين ودورهم في إغناء الحضارة الغربية، مؤكدين أن تصحيح صورة الإسلام من شأنه أن يدعم أسس الحوار بين الإسلام والغرب، لذلك فإن الحرب على الإسلام وتشويه صورته ليست ناتجة عن غباء أو جهل بحقيقته، وإنما

1- مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، ص 30.

2- الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، محمد عمارة، دار الشروق، مصر، ط1، 1423هـ-2003م، ص 66.

3- الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1416هـ-1995م، ص 195.

4- المرجع نفسه، ص 195

5- ينظر: مشكلة الأقليات المسلمة في الغرب، أحمد عبد الغني محمود، ص 31.

ناتجة بالأساس عن تعارض المصالح الغربية، لدى بعض الدوائر والجماعات والتيارات مع مصالح العالم الإسلامي، ورفضه للتبعية والعلمنة والهيمنة الغربية¹.

لذلك كانت المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام في تشويه صورته لدى الفرد الغربي، حتى لا يكشف حقيقتها بأنه رحمة للعالمين في كل مناحي الحياة، وسوف ينتشر في ربوع العالم، فيقضى على أحلامهم وإطماعهم ومخططاتهم، لذا فهم يصورونه للأجيال على أنه العدو الدائم والقادم المخيف، الذي يهدد مصالحهم وأمنهم وحضارتهم، ولو أنصفوه لوجدوا فيه سرّ سعادتهم وملاذ أمنهم في الدنيا والآخرة.

إن الغرب يتوجس من تزايد المسلمين في بلدانهم، وتضاعف الأقليات عندهم في المقابل يوجد تناقصا في الشعوب والمجتمعات الغربية، وإن الهجرة الكبيرة نحو الغرب سوف تُحدث في المستقبل اختلالا في البنية الاجتماعية، ويحذّر الغرب من أن ذلك يشكل شرخا في صرح الحضارة التي بنوها عبر قرون من الزمن، لأن تلك الأجناس المهاجرة لا تذوب ولا تنصهر في المجتمعات الأخرى لفقدان العوامل المشتركة في التاريخ والثقافة واللغة والعقيدة، فتتحول الأمة بعد سنوات إلى مجموعة من الأقليات، لأن الهجرة غير المسيطر عليها تهدد بتفكيك الأمة وضياع وحدتها، ولكن هذه الأمم نفسها ونخبهم الحاكمة متأخرون، بل ومتأخرون جدا في الصحة على الخطر السكاني الذي يتمثل بالسكان الذين يموتون، فإن الفراغ الذي سوف يخلفه هؤلاء فسيعوضه الأجناس الأخرى، وهو ما يخشاه الغرب خلال العقود المقبلة².

"ويقول أحد الغربيين: (إن فشل أوروبا في دمج مسلميها بصورة أفضل هو قنبلة زمنية موقوتة والذي بالفعل أنتجت الإرهاب والعنف، والتي لا بد أن تثير ردات فعل عنيفة من الجماهير الشعبية وربما في وقت ما قد تؤدي إلى تهديد الديمقراطية الأوروبية ذاتها، لذا فإن الأمة الإسلامية ترفض رفضا باتا أن تذوب في غيرها، وأن تضيع معالم شخصيتها وتفقد مقوماتها وخصائصها الذاتية"³.

1- ينظر: المرجع نفسه، ص 94، 97

2- ينظر: موت الغرب، باتريك جيه بوكانن، تر: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ-2005م، ص 198.

3- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، يوسف القرضاوي، دار الشروق، مصر، ط1، 1421هـ-2000م، ص79.

والذي يغفل عنه مثقفو الغرب وعلمائوه هو أن الإسلام بالنسبة لمعتنقيه في جميع أنحاء العالم ليس نظاما عباديا فحسب، وإنما هو نظام حياة يومية كاملة لا يتجزأ، وبينما لا يعرف المسيحيون الطريق إلى كنائسهم إلا أيام الآحاد لفترة وجيزة، فإن الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين لأنهم على اتصال روحي دائم بالخالق¹.

إن المواجهة الغربية نحو العالم الإسلامي لا تعني محاربة الإرهاب الذي يهدد مصالحه، وإنما الصراع الأساسي الذي يواجهه هو صراع العقيدة الإسلامية، التي تقف ضد الحداثة الغربية وترفض فيها التي يريدون فرضها على دول العالم، غير أن الإسلام يقف حائلا دون تحقيق هذا الهدف وسدا منيعا للوصول إليه، فأعلنوها حربا صليبية شرسة ضد مبادئ الإسلام ومحاربتة في كل أراضيه، والحد من تعاليمه وإلباسه ثوب التجديد ليتجاوب مع المطالب الغربية، ليفقدوه مقومات القوة والبقاء التي أودعها الله تعالى فيه، فكثير ما تعرّض الإسلام لمثل هذه الحملات عبر مراحل الزمن، فانتصر بفضل عناصر القوة التي يمتلكها، وينقلب العدو خائبا ذليلا أو يمتطي جواد الانقياد والخضوع والتسليم.²

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾³

لقد استطاع النفوذ الغربي أن يسيطر على المجتمعات الإسلامية، وأن يفرض عليها فكره ومفاهيمه، لما وصل إليه من الضعف أعجزه عن المقاومة، ولكن لَمَّا كَانَ الإسلام قادرا على المواجهة انبعثت من أعماق المجتمع قوى قادرة على المعارضة والمواجهة والمقاومة، لم تلبث أن كشفت عن فساد الفكر الغربي وتعارضه مع مفاهيم الإسلام⁴.

إن الغزو الثقافي الذي اعتمده الغرب في محاربة المسلمين "يستهدف تحقيق الشعور بالنقص في نفوس المسلمين، وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامي ومبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء

1- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي، أنور الجندي، مجلة دعوة الحق، السنة الخامسة العدد 52، 1406هـ-1986م، ص105.

2- ينظر: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، محمد عمارة، دار الشروق، مصر، دط، دت، ص49-50.

3- سورة التوبة، الآية 32.

4- ينظر: المرجع السابق، ص59.

المعلومات الخاطئة عن أهله، وانتقاص الدور العظيم الذي قام به في تاريخ الثقافة الإنسانية، ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التي تتمثل في ماض الأمة وتوهين القيم الإسلامية، والغض من قدرة اللغة العربية، وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية¹.

ويرى الغرب أن الحركة الإسلامية - بكل أطيافها - تمثل تهديدا لأوروبا وأمريكا ومصالحها عبر دول العالم، وهذا يبعث في العالم الإسلامي لغة الكراهية وإذكاء نار العداوة بين الإسلام والغرب، وهو ما يتيح الفرصة لتصدر الحركات المتطرفة منابر الخطاب الديني، في تمثيل الإسلام والحديث بلسانه وهذا ما يعطي الصورة السيئة من خلال التصرفات المتهورة والآراء المتشددة، والاندفاع نحو التغيير دون توفير شروطه وتهيئة الأجواء الملائمة لتطبيقه، والعمل به ونشره في المجتمعات الغربية².

إن أصحاب الخطاب المتشدد هم في حقيقة أمرهم يسيئون للإسلام ودعوته، من حيث يريدون الدعوة إليه ونصرتة، فيشوهون صورته عند شعوب الغرب، فتتشعب قلوبهم برفضه وكراهيته، والبعد عن التعرض للحديث عنه أو الحوار معه، زيادة على ما تقوم به وسائل الإعلام الغربية المتنوعة من عرض صور مشوهة ومغلوطة لحقيقة الإسلام وطبيعة المسلمين وتصرفاتهم، من أجل تهويل الأمر لدى الغربيين، وأن الإسلام يمثل الخطر الذي يهدد كيانه وحضارتهم.

ولقد حمل المستشرقون من العالم الإسلامي شتى العلوم، يوم كانت أوروبا تقبع في ظلمات الجهل والظلم والاستبداد، وعرفوا أن ما وصل إليه المسلمون من حضارة ورفي يعود إلى المبادئ والأخلاق التي أخذوها من الإسلام، فنقلوها إلى أممهم ومجتمعاتهم واستناروا بهديها وسلوكوا سبل العلم في بناء حضارتهم، وأدركوا أن الإسلام لا يمكن محاربته إلا من خلال تشويه صورته والدس في قيمه ومبادئه³.

ولقد لعبت الروح الصليبية دورا كبيرا في إنكار الأوروبيين فضل العرب، باعتراف كتّابهم أنفسهم فقد رأى بعضهم أن المسلمين ظلوا من أشد ما عرفت أوروبا من أعدائها بأسا ورهبة وتهديدا، بالاعتزاز والتفاخر عليهم بأفضلية حضارتهم، فازدادت أسباب الخوف والشعور بالنقص في نفس

1- المرجع السابق، ص 69-70.

2- ينظر: الإسلام في عيون غربية دراسات سويسرية، ص 72

3- ينظر: الإسلام والغرب، يحي أبو زكريا، دار ناشري للنشر الالكتروني، د ط، 2004م، ص 114.

الأوروبيين إزاء العرب حتى أفل نجم حضارتهم ولمع نجم حضارة الغرب، وكان عليهم أن يذيقوا العرب من نفس الكأس التي جرّعوها لهم¹.

وقد عمّق هذا العداء للعالم الإسلامي وهو ما يقوم به الأوساط العلمية والثقافية من وصف العربي بالألفاظ المهينة في قواميسهم وكتبهم بالمتشرد والنصّاب وغيرها، من المعاني الجارحة، ويطلقون عليهم في نكتهم وفي أحاديثهم الساخرة الغباء والجن والقدارة، وما ينشر في وسائلهم الإعلامية أعظم، فيظهروهم في صور سلبية مشوهة، من خلال الأفلام والمسلسلات والكتب والمجلات والصحف اليومية، وفي الصور الكاريكاتورية الساخرة، ومع مرور الزمن تتعمق هذه الأحكام الخاطئة وترسخ هذه التصورات السلبية التقليدية عن الإسلام في ثقافة الغرب تتوارثها الأجيال².

يقول أحد المستشرقين: "لا يوجد صاحب دعوة تعرّض للتجريح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد"³ عليه الصلاة والسلام.

ولقد تمادى الغرب المسيحي على الطعن في الإسلام وتشويه سيرة خير الأنام، كما تعرضت سنّته إلى التشويه والمغالطة والافتراء، على أيدي المستشرقين والمنصرّين وغيرهم، ممن أشهر سيف العداء لهذه الأمة وكتابها، فقد تنبأ القرآن بهذا الواقع الأليم، فقال تعالى:

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁴ (١٨٦).

"ولقد حاول الفكر الغربي أن ينصهر الفكر الإسلامي فيه، من خلال أساليب التمويه ليخلط الأوراق بين مفاهيم الإسلام ومفاهيم الفكر الغربي، تحت أسماء غريبة كعالمية الثقافة، ووحدة الحضارة، ووحدة الجنس البشري ليزيل عنه خاصيته الذاتية ومقوماته الفاعلة، وهي نبض حياته تنبعث منه سرّ وجوده وبقائه"⁵.

1- ينظر: الصراع بين الغرب وأوروبا، عبد العظيم رمضان، دار المعارف، القاهرة، د ط د ت، ص 12-13.

2- ينظر: الإسلام في عيون غربية دراسات سويسرية، أريك جيسلينج وآخرون تر: ثابت عيد، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م، ص 102-103.

3- الإسلام في الفكر الغربي دين ودوله وحضارة، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دط، دت ص 12.

4- سورة آل عمران، الآية 186.

5- ينظر: ما يختلف في الإسلام عن الفكر الغربي، أنور الجندي، ص 82.

"وقد دحضت نظرية كيف يأخذ المسلمون الحضارة المادية ويرفضون فكرها؟! وكان موقف الغرب نفسه من الحضارة الإسلامية واضحاً منذ البداية فقد أخذ الغربيون علوم المسلمين ولم يقبلوا عقائدهم"¹.

وهذا ما قام به كثير من المستشرقين الذين جاءوا إلى محاضن العلم يوم كانت الحضارة الإسلامية في أوج عطائها فأخذوا شتى العلوم، وتعلموا الدين الإسلامي، ودرسوا التاريخ الإسلامي وعرفوا مواطن الضعف في ثقافته وتاريخه، لا ليعذروه ويعتقوه ولكن ليطعنوا فيه ويشوهوه، إلا من تخطفتهم سماحة الإسلام ورحمته، وأستيقنتها أنفسهم حقاً وعدلاً، وشملتهم هداية الله تعالى فسارعوا إلى اعتناقه والخضوع إليه والذب عن حياضه، ممن حملوا وحملوا سيف الكراهية والعداء لهذا الدين.

وقد نجد بعض الشرقيين الذين عاشوا في الغرب أو ولدوا فيها، وباتوا يكتبون عن مواطن جذورهم ولكن بمنهج درسوها في المعاهد الغربية، وربما بخلفيات أيديولوجية سائدة في الواقع الغربي، قد شوهت صورة العرب والمسلمين عند الغرب، فترسخت في ذهن الغربيين صورة سلبية، لأن المسلمين قدموا صورة سلبية عن حضارتهم وثقافتهم وباتوا وبالأعلى على حضارتهم².

"إن الثقافة التي تلقوها أبناء العرب والمسلمين ببلاد الغرب، تحمل الكثير من الافتراءات والمغالطات التي ألصقها علماء الغرب ومفكريهم لعقود من الزمن في حق الإسلام والعالم الإسلامي، وبذلوا في ذلك معظم طاقاتهم المالية والزمنية والعلمية، وكتبوا بحوثاً وكتباً طعنوا في قدسية الإسلام ومكانة نبي الإسلام، وهم يزعمون أن المسلمين لا يتسنى لهم التقدم والارتقاء في معارج الحضارة، ما داموا مقيدون بنصوص القرآن التي يقولون إنها لا تلائم المعارف واكتساب الفنون"³.

ومن خلال نظرات منحرفة عنيفة تصور الإسلام والمسلمين بصورة الغزاة الذين اقتحموا النفوذ المسيحي الأوروبي، واكتسحوا الدولة الرومانية، ثم اقتحموا أوروبا وسيطروا على الأندلس، ومدوا نفوذهم إلى فرنسا وإيطاليا ثم إلى البلقان حتى نهر اللوار. وفي ظل هذه المفاهيم كانت حقيقة الإسلام مليئة بالضباب محللة بالسواد في نظر المثقفين الغربيين، وقد زادت قوى الاستعمار والكنيسة، ولها

1- المرجع السابق، ص 82.

2- ينظر: الإسلام والغرب، يحيى أبو زكريا، دار ناشري، للنشر الإلكتروني، د ط، 2004م، ص 114.

3- أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، ص 57.

سلطانها على الصحافة والتأليف، ومناهج التعليم -زادتها قوة- على أن تفهم على الإسلام غير جوهره وخلاف حقيقته¹.

"وإذا كان من العبث -بل والغباء- أن نتوهم أن الغرب في موقفه من الإسلام، إنما يمثل كتلة واحدة صماء، وأن نغفل عن أن في الغرب علماء ومفكرين وتيارات فكرية وسياسية، بل ومؤسسات تحاول أن تفهم الإسلام، وأن تتخذ مواقف منصفة من قضايا المسلمين، فإن البحث في كتابات هؤلاء العلماء والمفكرين عن الخلفيات الفكرية لموقف الغرب من الإسلام، هو واحد من مهام جهود الاستنارة الفكرية التي لا بد أن ينهض بها العقل العربي والمسلم في واقعنا الفكري الراهن"².

ولا ننسى الوثيقة التي أصدرها زعماء الكنيسة في اجتماعهم منذ عشرات السنين في بيان عن علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية"... ولكن نظرا لما حدث على مر القرون من خصومات ونزاعات بين المسلمين والمسيحيين ينصح مؤتمر الكنائس المقدس الجميع بعدم الالتفات إلى الماضي والسعي بإخلاص إلى التوصل إلى تفاهم متبادل أو التعاون على حماية وتشجيع العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية وأخيرا وليس آخرا دعم السلام والحرية للبشر جميعا"³.

لذلك فلا يمكن أن نقول أن كل المستشرقين كانوا يتعاملون على الإسلام ويحملون له سيف العدا، فهناك أقسام للدراسات الإسلامية في جامعات أوروبا وأمريكا يقدم أساتذتها من الدراسات العظيمة والأبحاث الممتازة ما تحتاج الجامعات العربية والإسلامية إلى عشرات السنين حتى تصل إلى مستواها الرفيع ونوعيتها المميزة"⁴.

ولقد حملت كتابات المنصفين صورة الاعتذار عن عمق الخطأ الذي ساقته كتابات المتعصبين، ومنهم من قصدوا لكشف الحقيقة وأكدوا أنه من العار أن يصغى إلى ما يحاك ضد الإسلام ونبيه ﷺ، وأن ما يشاع يعد من السخافة المحجلة، وأن رسالة الإسلام مازالت السراج المنير لقرون خلت ويدين

1- ينظر: المرجع السابق، ص 127.

2- صورة الإسلام في التراث الغربي، هوبرت هيركومر، ت ثابت عيد، نضمة مصر، القاهرة، ب ط، 1999م، 6-7.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 37.

4- الإسلام في عيون عربية دراسات سويسرية، أريك جيسلينغ وآخرون، ص 87.

لها أكثر من مليار من الناس، ومات من أجلها الملايين لتصل إلى كافة البشر، فلا يمكن أن تكون هذه الرسالة كذبة وخدعة كما يزعم الغربيين الغلاة¹.

ويقول أحد المستشرقين: إن كتب خصوم الإسلام هي التي هدته إلى الإسلام، وكشفت أمامه طريق الحق بعد أن قرأ هذه الكتب، والإسلام لا يخفيه انتقاد منتقديه، فهم يظهرون وجهة نظر خصومه ومن هذا مصلحة له وقوة ودعوة، والحق يبدو مهما حاول المبطلون إخفاؤه، فلولا أن الإسلام يملك من القوة والحيوية لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته².

فلا مشكلة بين الإسلام وبين الإنسان الغربي... أو العالم الغربي... وإنما المشكلة مع مؤسسات الهيمنة الغربية السياسية والكنيسة والإعلامية، ففي مشروع هذه الهيمنة بدأ الافتراء على الإسلام منذ ظهوره³.

إن الهيمنة الغربية وتوجهاتها الفكرية والدينية، سيطرت المؤسسات السياسية والاقتصادية والإعلامية، والكنيسة تتحكم هذه القوى في التوجهات العالمية، تلك التي تمسخ وتشوه صورة الشرق الإسلامي في عقول ووجدان الشعوب الغربية، لتبرر مشاريع الهيمنة في تأييد من شعوبها وبسط نفوذها، ووضع يدها على كل مقدرات الشرق الإسلامي وثرواتها⁴.

"ورغم ما قاله المغرضون عن العالم الإسلامي إهانة وسخرية وإذلال، إلا أن العدالة والإنصاف وقول الحقيقة تدعونا لإبراز الوجه المشرق للغرب الحضاري، والذي تمثل في (العلماء الغربيين)⁵ الذين عبروا عن حقيقة الإنسان الغربي وموضوعية العلم الغربي وأثنى ما في الثقافة الغربية، عندما درسوا الإسلام وحضارته دراسة العلماء المجتهدين، فأنصفوه وشهدوا له شهادات صدق نتعلم منها -نحن المسلمين- ونقدمها للإنسان الغربي، الذي ضلله الإعلام الغوغائي عندما شحن عقله

1- ينظر: أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، أنور الجندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ-1984م، ص51.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص54.

3- ينظر: الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء محمد عمارة، ص75-76.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص75.

5- الرجوع إلى كتاب أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب لأنور الجندي، ص162-165 وكتاب الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء محمد عمارة، ص73-80.

ووجدانه بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين، فحري بالغربيين أن يقرءوا ما كتبه علماءهم عن الإسلام ومبادئه وعدالته، لإقامة الحجة عليهم بناء على قاعدة:

﴿وَشَهِدْ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾¹،²

إن المدنية الغربية قائمة في أساسها على المدنية الرومانية الوثنية، وهي لم تأخذ من النصرانية إلا عنوان التدين ولا تزال في واقعها وثنية مادية، بخلاف الإسلام الذي بُني على الروح والأخلاق والمثل العليا، والتي أعطت للإسلام مناعة ذاتية جبارة، استطاع بها أن يقف أمام أعنى عواصف التبديد والذوبان عبر تاريخه الطويل، لذلك قال أحدهم: مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان³.

فالداعية المسلم يجب أن يفرّق بين الغرب كشعوب وبين الغرب كمؤسسات لصنع القرار، فالغرب كشعوب ليس لدينا معهم مشكلة ولا يجب أن تكون، ويرى بعض الباحثين أن الغرب على ثلاثة فئات.

- فئة العامة من الناس: وهؤلاء يستقون معلوماتهم عن الإسلام من خلال الإعلام فهم ضحايا التدليس المتعمد والتشويه، بل هو غياب المسلمين في الشرق والغرب عن التعريف بالإسلام، وعن الحضور والتأثير إعلاميا وسياسيا واقتصاديا في تصحيح الصورة وإنصاف الحقيقة.

- فئة المثقفين والباحثين والعلماء: فهؤلاء لا يكتفون بما يقدمه الإعلام الغربي ويعرفون أن ما يقوله يصدر عن رؤية كارهة ومغرضة فهم يحرصون على أخذ الإسلام من مصادره المضمونة، فلا يجدونها بلغتهم فيتعلمون لغة القرآن حتى لا يقعوا فريسة للمغالطات والافتراءات في حق الإسلام.

- فئة الغرب لمؤسسات للقرار: وهؤلاء لهم أهدافهم وأطماعهم فهؤلاء هم الذين يمثلون الغرب المستغل لثروات الأمم والسيطرة على العالم... واحتقار الآخر وتشويه صورته وإشاعة الخوف منه وإلصاق التهم بالإسلام والهجوم عليه واستعداد الشعوب ضده⁴.

1- سورة يوسف، الآية 26.

2- ينظر: الإسلام في عيون غربية، محمد عمارة، ص 75-76.

3- ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، تح: عمر فروخ، دط، دت، ص 43.

4- المكون المعرفي ودوره في توجيه الحضارات، إبراهيم أبو محمد، المركز العلمي لطباعة الكمبيوتر، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م، ص 14-16.

فعلى الداعية الحضيف، أن يعي كيف يوجّه خطاب دعوته لكل فئة، بما يليق بفكرها وقدرتها على استيعاب حقيقة الإسلام وفهم مبادئه ومقوماته، بعيدا على عن كل المفتريات والأباطيل، التي يروجها أعداء الإسلام بُغضا وتّحديلا، عن قبول الإسلام دينا ومنهج حياة.

المطلب الخامس: ضعف الخطاب الدعوي باللسنة الغرب

إن أمة الدعوة باختلاف شعوبها وألسنتها وألوانها، قد وسعت أركان الوجود، بما يقارب ثلاثة أرباع العالم أو يزيد، وما تحويه من مجتمعات تفوق المليارات من البشر، فإن تبليغهم كلمة الله تعالى إليهم، لا بد لها من العمل الدعوي المؤسسي الذي يتواصل ويستمر، ويعمّ التجمعات الكبرى وعواصم البلدان الغربية، حتى يتمكن الدعاة من تبليغ رسالتهم من خلال أخلاقهم وتعاملاتهم، وإظهار شعائر الإسلام ومبادئه في صورة حية وتطبيق عملي، وتشهد بأن الإسلام دين العفو والتسامح، ودين الحق والعدل والمساواة، لقوله الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹. " . لأن الرسول يجيء بشريعة يبلغها عن الله تعالى. ²، فرسالته رحمة وهو بذاته ﷺ رحمة، كما قال ﷺ عن نفسه: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ »³. فرسالته الخاتمة هو هدية الله تعالى للبشرية جمعاء.

ويبقى العمل الدعوي لا يرقى إلى المستوى المطلوب، لقلة الدعاة المؤهلين والمتخصصين والناطقين بلغة الغرب، إلّا أن يتم إنشاء معاهد لتكوين دعاة ذوو مستوى عال من أبناء الغرب وممن ولدوا عندهم وتربوا فيهم، وتشبعوا بثقافتهم وعاشوا بيئتهم وحياتهم معهم، وعرفوا عنهم كل شيء، ويحسنون الحديث بلغة القوم، فتعدّون أجيالا من الدعاة ممن ملك الدين ألبابهم وعقولهم ويكون هواهم تبع لما جاء به المصطفى ﷺ وهذا ما أوحى به الآية الكريمة.

1- سورة الأنبياء الآية 107

2- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3/ص265

3- المستدرک على الصحيحين، للحاكم، ح100، ج1/ص91، تعليق الذهبي في التلخيص: حديث صحيح على شرطهما وتفرّد الثقة مقبول.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ¹.

فلا يمكن لعلماء ودعاة أمة الإجابة أن يقوموا بهذه المهمة لعظم شأنها في أمة الدعوة، لاختيار الخطاب المناسب لينفذ إلى قلوبهم وتستلین له نفوسهم، فيكون بلعة القوم ومعرفة ثقافتهم وميولاتهم، ومستوى مداركهم وأساليب حواراتهم مع تنوع مجتمعاتهم، بناء على قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ².

"إن مراعاة عقول الناس وأعرافهم عند الخطاب أمر إلهي وأسلوب نبوي، وعنصر مهم ليكون خطابنا إلى الناس قويا والحجة بيّنة، ولتُبَلِّغَ المجادلة بالحكمة غايتها" ³.

وإن كانت لعلماء الإسلام ودعاته تحركات حثيثة نحو العالم -خلال سنين طويلة- إلا أن يقتصر كلامهم ودعوتهم على تلك القلة من الجالية المتناثرة التي تحسن فهم لغة القرآن - وإن ترجم لهم كلامهم- فلا يكون له تأثير مباشر على نفوس المجتمعات الغربية، لاختلاف المدارك والإفهام والثقافات، لذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي

الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ⁴.

فالطائفة التي نفرت لأخذ علوم الدين ومبادئ شريعته، إذ تعود إلى قومها لتعرفهم بالإسلام وتنذرهم عن التخلف في الاستجابة لدين الله تعالى، وتحذّرهم من مغبة الجحود والنكران لقبول الحق وإتباعه والدعوة إليه.

فلو أخذت الأمة بهذا المبدأ، لانتشر دين الله تعالى في أصقاع الدنيا، ودانت له البشرية وعم الخير وصلاح حال الأمة ويصدق فيهم قول الله تعالى:

1- سورة التوبة، الآية 122.

2- سورة إبراهيم، الآية 04

3- مجادلة أهل الكتاب، نور الدين عادل، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ط1، 1428هـ -2007م، ص457.

4- سورة التوبة، الآية 122.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾¹.

"إن معرفتنا بما عند الأمم الأخرى بأحوالها، وتاريخها وتجاربها، وأفكارها وعقائدها، هو أمر ضروري لدعوتها للإسلام، فالإسلام عالمي الخطاب، وهم أمة الدعوة على كل حال، فكيف يمكن أن يكون خطابنا الذي نحمله عالمياً، ولا نفهم ما عند هذه الأمم... فالتبصر بأحوال الأمم للعبارة والتعرف على أحواله ليكون الخطاب الإسلامي مطابقاً لواقع الحال، وقد يكون من خطأ الدعاة في الغرب اليوم أنهم يحملون المؤلفات والتراث الثقافي الذي وضع لعالم المسلمين، بمشكلاته ومعاناته إلى أولئك الذين قد يتطلبون خطاباً من نوع آخر في ضوء اهتماماتهم"².

وهذا الخطاب لا يستجيب لمطالبهم واحتياجاتهم المعاصرة، بعيداً عما تعانيه الأمة الإسلامية من تخلف واختلاف وتعثر في كثير من ميادين الحياة، فلا بد أن نقدّم الإسلام للغرب بخطاب غضطريكما أنزل، وتلقاه سلفنا الصالح رضي الله تعالى عنهم من رسول الله ﷺ، ولا نحمله تخلفنا وجهلنا، ونثقله بتبعات لقرون خلت من الزمن، قد جنيهاها على أنفسنا ببعدها عن تعاليمه وتخلفنا عن ركبها، وذلك بما كسبت أيدينا واختلافنا فيما بيننا، فتفرق بنا عن سبيله.

ولضرورة مخاطبة الناس بلغاتهم وألسنتهم، بما يفهمون ويدركون مطالب شريعة الله تعالى، أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه بأن يتعلم لغة يهود، حتى يتم التواصل معهم، في عقد الموائيق والعهود والمعاملات، ويعرض عليهم دين الله تعالى ويقيم عليهم حجته ويبلغهم رسالته ويجادلهم بلسانهم.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهودي، وقال: «إني والله ما آمن يهودي على كتابي» فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى خذفته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه»³.

وعن زيد بن ثابت -وكان ضمن الكتبة- أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ كتبه وأقرأه كتبهم إذا كتبوا إليه⁴.

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2- كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي، نضضة مصر، ط7، 2005م، ص 222.

3- سنن أبي داود، كتاب العلم باب في كتاب العلم، ح3645، ج5/489، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

4- صحيح البخاري كتاب الأحكام باب ترجمة الحكام، هذا الحديث لم يروه البخاري محتجاً به بل أورده في الترجمة معلقاً، ج6، ص 2631.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹.

فالآية تشير إلى أن النبي ﷺ كان يعرف الألسنة لأنه أرسل إلى الأمم كلها على اختلاف ألسنتهم، فجميع الأمم قومه بالنسبة إلى عموم رسالته، فاقتضى أن يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه. ويحتمل أن يقال: "لا يستلزم ذلك نطقه لجميع الألسنة لإمكان الترجمان الموثوق به عندهم"².

كما أن الآية الكريمة تنبه على "أهمية التمكن من اللغة، والتصرف في فنونها، وقد أثر التعبير القرآني استعمال اللسان مجازاً عن اللغة لأنه أداة النطق وآلته، ذلك يشير إلى أهمية تمكن الرسول ﷺ من لغة قومه حتى لكان ألسنتهم في فمه، بها يُعبّر وبها يفصح ويُبين"³.

فمعرفة اللغات واجبة لتحقيق البلاغ المبين، وهي شرط لمن يرشح نفسه للمجادلة، ولهذا سأل موسى بن عمران ربه حين أرسله إلى فرعون لإبلاغ رسالته والإبانة في حجته والإفصاح عن أدلته قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾⁴،⁵.

وللدلالة على أهمية تعلم اللغات يقول أحد الدعاة: "اللغات اليوم مفتاح العلوم الكونية التي أصبحت مفتاح للتعارف الذي أصبح ضروريا للعيش، وأمن الإنسان على حقوقه حين الاختلاط" كما ورد في الأثر من تعلم لغة قوم أمن مكرهم⁶.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾⁷.

1- سورة إبراهيم، الآية 04.

2- فتح الباري، 300/6.

3- ينظر: أسلوب الدعوة القرآنية، عبد الغني محمد سعد بركة، مكتبة وهبة، مصر، د ط، 1983م، ص 19-20.

4- سورة طه، الآية 27-28.

5- ينظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، (ت: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ط، 1423 هـ، ج 1/ص 30.

6- مجادلة أهل الكتاب، نور الدين عادل، ص 450.

7- سورة الروم الآية 22.

فاختلاف اللغات آية من آيات الله عز وجل ونعمة تستوجب الشكر، وشكرها يكون بإتقان هذه الألسن لتحقيق التعارف، الذي هو يُعدُّ مقدمة لتبليغ الحق والتعاون على البر والتقوى، قَالَ تَعَالَى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)،¹،².

إن وضوح رسالة الإسلام، وأصولها وقواعدها، ومصادرها وأهدافها، ومناهجها ورسائلها، من أبرز الدلالات على قوتها، ولهذا فتح الإسلام باب الحرية والتفكير، والنظر في أحكامه الشرعية، للبحث عن الحكمة والعلة والمدلول، ليزداد المؤمن إيماناً، وليطلع الناظر على فقه هذه الأحكام، فيزداد يقينه وترسخ عقيدته، بل إنه يحث أتباعه بالإكثار من النظر في ملكوت الله تعالى³.

"إن الإسلام يَشُقُّ مستقبله بقواه الذاتية وخصائصه العقلية، ونستطيع أن نؤكد أن العقل الأوروبي أسرع شيء إلى قبول الإسلام والابتهاج به يوم يعرفه معرفة صحيحة"⁴.

والبشرية اليوم أحوج ما تكون إلى نور الإسلام، من أي وقت مضى، بعد أن ذاقتويلات النظم الوضعية وشرعية الغاب، والتي استأثر فيها القوي بالتسلط والهيمنة، وخصوصاً في هذا الزمن، الذي تسارعت فيه الأحداث، وتقاربت فيه الأجناس، وتلاقحت فيه الثقافات، وانعدمت فيه عوامل الزمان والمكان والإنسان، وبقي الإنسان ينتظر الصورة الحقيقية للإسلام أن يراها مجسدة، في صورة عملية تطبيقية وأسوة حسنة، فيأتم الإجابة حين تعود عودة صادقة إلى الدين الصحيح، فيسارع الناس لاعتناق الإسلام.

"وبما أنه لا طريق لأن يعرف الغرب الإسلام إلا عن تأمل في تطبيقنا له، أو عن تفهم لحديثنا عنه، فإذا كانت تطبيقاتنا رديئة منفرة، وكانت كلماتنا تتضمن أخطاءً شنيعة، فكيف يُفهم هذا الدين؟ ولماذا يدخل الناس فيه؟"⁵.

1- سورة الحجرات الآية 13.

2- مجادلة أهل الكتاب، نور الدين عادل، المرجع السابق، ص 450.

3- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رسالة دكتوراه، إشراف: سعود بن محمد البشر، كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1413هـ-1414هـ، ج2/ص 194.

4- مستقبل الإسلام خارج أرضه، محمد الغزالي، دار الشروق، مصر، ب ط، ب ت، ص 101.

5- المرجع نفسه، بتصرف، ص 64.

لقد تحدث العلماء في حكم فرضية الدعوة بين التعيين والكفاية، وجمع كل فريق من الأدلة بما يؤكد ما ذهب إليه، ومنهم من جمع بين الرأيين ليخرج من الخلاف، والمتبصر في حال الأمة وما مرت به من نكبات وتحلف، مع إنها تحمل نور الله تعالى إلى البشرية، وقد أستاذتها الله تعالى على تبليغه ونشر تعاليمه إلى كل الناس، لأنه الدين الخاتم والظاهر على الدين كله إلى يوم القيامة.

وهذا ما ذهب إليه أحد كبار العلماء في عدم كفاية الدعاة لأمة الإجابة، فكيف بأمة الدعوة، فإذا كانت أمة الإسلام تفوق المليار من البشر، فإن أمة الدعوة قد تعدت الستة ملايين.

"ونظرا إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد، وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المظلمة، فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاما وواجبا على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرضٌ عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان، بالكتابة والخطابة وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا... بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك، لأن أعداء الله تعالى قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله تعالى والتشكيك في دينه"¹.

وانطلاقا من الوجوب العيني للدعوة صار من الواجب تعلم لغات العالم لتبليغهم رسالة الله تعالى، بناء على قاعدة (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وامتنالا لحكمة الله تعالى في إرسال الرسل وبعث الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة أقوامهم بلغاتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾².

إن مخاطبة الناس بلغتهم من تمام إقامة الحجة عليهم وتبيين ما شرعه الله تعالى لعباده وتعريفهم أصول الدين وفروعه، وتوضيح ما أشكل عليهم في مستحدثات دنياهم، وبأساليب متعددة وبلغات القوم، حتى يستبين الحق وتقام الحجة بأسلوب واضح بين.

1- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، ب ط، ب ت، ص 8.

2- سورة إبراهيم، الآية 04.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾¹.

لقد عرفت الدعوة الإسلامية في بلاد الغرب ندرة في الدعاة المؤهلين علما وعملا وقدرة على التأثير، ومعرفة بأحداث العصر وأحوال الناس وعاداتهم، وضعف في إجادة لغة القوم، ودون معرفة بأولويات الدعوة ومقاصدها، وعدم الصبر على ما يلاقونه من صعاب وعنتفي سبيل الله تعالى، مع قلة الكتب الإسلامية المؤلفة باللسنة الشعوب، أو المترجمة إلى لغاتهم مع سلامة المعنى وحسن الصياغة وجودة الأسلوب، وخاصة ترجمة معاني القرآن الكريم والتي يسأل عنها الباحث عن حقيقة الإسلام، واغلبها ممن ألفها بعض المستشرقين من اليهود والنصارى، وبعض الطوائف المنحرفة المنتسبة إلى الإسلام، ولا تُستأمن هذه الترجمات من التشويه والتضليل والاختراق.²

لقد كانت مشكلة قلة العلماء والدعاة في العالم الإسلامي منذ القدم، وإلى اليوم لازالت تقلق الذين حملوا هم الدعوة ويشعرون بالمسؤولية الكبرى الملقاة على أعناقهم، لإيصال كلمة الله تعالى في ربوع الكون الفسيح.

وبعد الانفتاح العالمي الحديث والتطور في مجالي الإعلام والاتصال، والتطورات الحديثة وبفضل النهضة الاتصالية العجيبة، والتي جعلت العالم بين يديك تتحدث مع كل الناس باختلاف لغاتهم ومشاربهم، وتتفاعل معهم بأقل الجهود المادية والمعنوية، مع اطلاعك اللحظي والمتواصل على مجريات الأحداث والوقائع فور حدوثها، نقلا مباشر متكامل الصورة الإعلامية لا تنتظر تحليلا ولا تعقيبا، ولا من يعتّم عليك الصورة الحقيقية للواقعة، فتتفاعل مع الحدث إيجابا وسلبا بما يتوافق مع قناعتك وثقافتك وفكرك، وبما يخدم دينك وأمتك.

وفي هذا العصر أصبح بإمكانك التواصل والحوار مع من تريد الحديث إليه، باللغة التي يمكنه أن يفهمك بها، لتعرض عليه ما تحمله من رسالة الإسلام والنور الذي يهدي القلوب إلى طريق الله تعالى، حتى إذا عرف الناس الإسلام بأنه المنقذ مما تعانيه البشرية، من ضنك العيش وتعاसे الحياة

1- سورة الشعراء الآية 192-195.

2- ينظر: إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب، ليلى البيومي، مقال تاريخ النشر 27 شوال 1428هـ - 2007/11/08م تاريخ التصفح 2019/10/25 موقع مداد.

ومظالمها، فإذا اقتنعت بأنه الدّين الحق دخلوا في الإسلام وفتح الباب أمام غيرهم ليستضيئوا بنوره الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

ورغم ما حفلت به الحياة في هذا العصر، من أدوات التكنولوجيا الحديثة التواصلية بمختلف روابطها، لا يفي بمهمة الإسلام العظمى في تبين شرائع الله تعالى وأحكامه، وتنزيلها على واقع حياة كل مجتمع، باختلاف بيئاتهم ومشاريعهم ومخاطبتهم بمختلف لغاتهم ولهجاتهم حتى يتمكنوا من فهم الإسلام واستيعابه، فلا يمكن للعلماء ودعاة العالم الإسلام أن يحيطوا بما تعانيه مجتمعات الدعوة وما يعانيه الناس من مشكلات في الدّين والحياة.

فهل يمكن لقلة قليلة من الدعاة أن تقوم بمهمة الدعوة على المستويين الداخلي والخارجي، وأن يصل خطابهم إلى غير الناطقين بلغة الضاد، في زمن تتطلب الدعوة التبيين والتوضيح لكل الناس باختلاف ألسنتهم وألوانهم وبيئاتهم وثقافتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹. ولم يكن يُعنى بالمؤمنين وحدهم لعموم الخطاب بذكر الناس، وتبليغ رسالة الله تعالى للعالم وتوضيح معالمها وأحكامها لكل الشعوب والأجناس، وهذه المهمة الصعبة تتطلب جهوداً جبارة لمخاطبة كل قوم بلسانهم ليفهموا ويستوعبوا ما حدثهم به الله تعالى وما كلّفهم به، فيستجيبوا لندائه ويستسلموا لأمره طاعة له وحبا فيه.

وقد طالب أحد الدعاة الكبار بأن يُعدّ لهذه المهمة جيشاً من الدعاة المؤهلين لتغيير واقع الأمة، وإطلاع شعوب العالم ومجتمعاته عن حقيقة الإسلام وسماحة مبادئه وأحكامه من غير تشويه أو تضليل، والصورة الحية التي تمثلت في جيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، الذين رباهم رسول الله ﷺ على أن الله تعالى قد اختار محمداً لرسالته واختارهم لصحبة نبيه عليه الصلاة والسلام دعاء لهذا الدّين، "وهذا النوع من الدعاة هو الذي يغير وجه العالم، وقد استشهد ربع الصحابة مع المد الإسلامي!...ومن بقي منهم وقّف حياته لنشر الإسلام بالخلق والعبادة والتعليم والأسوة الحسنة"².

1- سورة النحل الآية 44.

2- الحق المر، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، مصر، ب ط، 2002م، ص 11.

وإن وجدت جهود عملت على ترجمة القرآن الكريم، وبعض كتب السنّة إلى كثير من لغات العالم منذ عشرات السنين، وانتشار العديد من المراكز الإسلامية في دول العالم، إلا أن هذا العمل يبق قليل لاتساع مجال الدعوة في ربوع الكون الفسيح، وفي هذا العصر الذي اختلطت فيه الشرائع والثقافات، وفُقدت فيه المبادئ والمقومات¹.

لقد انطلقت أول دفعة للدعاة من الأزهر الشريف تحسن الحديث بلغة الغرب في العقد الأول من هذا القرن بهدف التواصل مع الغرب والتعريف بالإسلام الصحيح بلسان القوم قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾². وقد تحدث شيخ الأزهر: أن هذا المشروع حلم تحقق ونواة لتخريج دعاة يستطيعون التواصل مع الغرب، لتمكينهم من معرفة الإسلام عن قرب، والإطلاع على الصورة الحقيقية التي يحملها الإسلام من التسامح والعدل، في منهج الوسطية والاعتدال ونشر الخير بين الناس³.

فإذا كانت أمة الإسلام تعاني من قلة الدعاة الربانيين المؤهلين وأصحاب الخبرة والتجارب الذين يملكون صدق الكلمة وأمانة التبليغ وحسن الاقتداء، فيسمع كلامهم ويقتدي بأخلاقهم وسلوكهم ويطمئنوا إلى إرشادهم ومواعظهم، لأن حديثهم إذا خرج من القلب فلا يصل إلا إلى القلب، لأنهم صدقوا الله تعالى فصدقهم وأحبهم وبث حبهم في قلوب الناس، فإن أمة الدعوة أضعافا مضاعفة من البشر الذين لم تصلهم دعوة الإسلام، ولم يتعرفوا عن حقيقتها، لتباعد الزمان والمكان واختلاف اللسان، مع الحملات القديمة منها والحديثة لتشويه صورة الإسلام والتخويف منه، ووصفه بما لا يليق بقدسيته وبما يبعثه للناس وينفرهم منه، من التشدد والعنف والإرهاب، وكل نقيصة تأبها النفوس الكريمة.

1- ينظر: تخرج أول دفعة دعاة من الأزهر يجيدون الانجليزية لنشر الوسطية، موقع العربية، تاريخ النشر 20 جويلية 2010 تاريخ

التصفح 2020/12/3، <http://www.alarabiya.net>

2- سورة إبراهيم، الآية 04.

3- ينظر: المرجع السابق

إن ما تقوم به المراكز الإسلامية عبر مختلف دول العالم من تعريف بالإسلام ونشر تعاليمه، بالإمكانات المتاحة والجهود المبذولة، فإنه غير كاف لعدم توفر دعاة يحملون رصيда من العلوم الشرعية والخبرة الدعوية ومعرفة أحوال الناس ومداركهم، حتى يتمكن من مخاطبة ضمائرهم وبواطن نفوسهم، لتتعلق قلوبهم بدين الله تعالى وتستجيب لتعاليمه وأوامره.

"لقد عانت كثير من المراكز الإسلامية والمؤسسات الدعوية في معظم دول العالم من نقص الدعاة المؤهلين في الفترة الأخيرة، فعمدت المؤسسات المختصة إلى القيام بدورات تكوينية وتدريبية في تطوير مهارات الدعاة، لسد العجز الكبير في عدد المختصين في برامج الدعاة، بهدف توطيد برامج تأهيل الدعاة في بلدانهم وبلغات مختلفة، ونشر ثقافة التدريب بين الدعاة وتبادل الخبرات فيما بينهم، والتعرف على جهود الآخرين وتقوية أواصر الأخوة الإسلامية بين الدعاة من مختلف دول العالم"¹.

وهذا ما أثر سلباً على حياة الجالية المسلمة في كثير من الدول الغربية وغيرها لغياب الدعاة المؤهلين والناطقين بألسنة البلدان المقيمين فيها، حتى يتم التعرف على الإسلام لمن يحسن محادثتهم ويخاطبهم بما يفهمون ويعقلون، لمشاركتهم في ثقافتهم وأساليب حياتهم ومعاناتهم اليومية، وممارسة تغييرات الواقع وما يحمله من أحداث ومستجدات لعقود من الزمن.

وبقى المسلمون يعانون التهميش والمضايقات كلما بدا تعلقهم بدينهم من خلال المظاهر الإسلامية، والسلوكيات التعبدية التي يمارسونها في مساجدهم ومراكزهم الإسلامية، لأن ذلك يدعو إلى التخوف من تمكّن الإسلام في أوطانهم وشعوبهم، وهو كائن لا محالة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وبشّر أمته به، من بلوغ الإسلام ما بلغ الليل والنهار، فقال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...»².

وليتّمن الله تعالى هذا الأمر ويظهره على الدّين كله مهما طال الزمن.

1- ينظر: مشاركة 35 دولة في برنامج تأهيل الدعاة برعاية مؤسسة بنين لتأهيل الدعاة شبكة الالوكة تاريخ الإضافة 2017/07/17 تاريخ التصفح 2020/12/31.

2- مسند الإمام أحمد، ح 23814، ج 39/ص 236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون - إسناده صحيح على شرط مسلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾¹

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾².

فإن دين الله ظاهر لا محالة رغم كيد الأعداء ومؤامراتهم للصد عن سبيل الله تعالى، وكثرة الفتن وتعدد العراقيل والعوائق حتى لا يتعرف الناس على مبادئ الإسلام ومقوماته فيعتنقوه، فهذا ما وعد الله تعالى به نبيه ﷺ سوف يتحقق في واقع الناس، وينتشر الإسلام في أرض الله تعالى ويتم نعمته على الناس ليكون رحمة للعالمين.

ومرّت قرون طويلة منذ دخول الشعوب المختلفة الدين الإسلامي، ولم تعهد وجود مشكلة في وتبليغ الناس حقيقة دينهم تبينه لهم، بل استمر الإسلام في الاندفاع شرقاً وغرباً، وظهر من غير العرب علماء أفذاذ في فروع المعرفة الإسلامية، فضلاً عن علوم الدنيا بل لعل هؤلاء العلماء المسلمين من غير العرب فاقوا أقرانهم من العرب في علوم الدين وفي علوم اللغة العربية³. وكانت تترجم العلوم لكل أمة بلغتها، وقد نقل إلينا التاريخ "أن فصاحة موسى بن يسار الأسواري بالفارسية كانت في وزن فصاحته بالعربية، فكان يجلس في مجلسه المشهور فيقعده العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله تعالى فيفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية، فلا يدرى بأي لسان هو أبين"⁴.

وقد ظهرت عبر التاريخ الإسلامي كثير من ترجمات القرآن الكريم، قد خطتها أيادي لا تُستأمن على نقلها، وبثها بين الناس ليصدوا عن سبيل الله تعالى، والتي قام بها مستشرقون ويهود وأهل الأهواء والضلالات.

1- سورة الصف، الآية 09، سورة التوبة، الآية 33

2- سورة الفتح، الآية 28.

3- دراسات في الترجمات القرآنية، حسن المعارجي، مقال بموقع الهيئة العالمية القرآن الكريم، ب ت الإضافة، تاريخ التصفح 2020/02/04.

4- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط،

1423 هـ، ج 1/ص 293.

يقول أحد الدعاة إن " أكثر من 99% من الترجمات للقرآن الكريم كتبت بأيدي غير إسلامية ولا توحيد الله تعالى، وهي ترجمات غير صحيحة وغير مجردة عن الهوى، وهي غير آمنة وغير مؤهلة للنظر في كتاب رب العالمين من قريب أو بعيد... وقد أعدّ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة تفسيراً للقرآن الكريم باسم "المنتخب"، ثم يترجم إلى مختلف اللغات إلى جميع الناس باختلاف ألسنتهم وألوانهم، وهذا من أوجب واجبات الأمة تجاه دينها وشريعتها، للقيام بأمانة البلاغ ونشر دين الله تعالى للعالمين"¹.

ورغم هذه الجهود المتواضعة إلا أنه لا يزال يعيش ثلث المسلمين على شكل أقليات تحت حكومات شيوعية أو وثنية أو مسيحية أو يهودية، وبلغ ما أمكن حصره من اللغات التي استعملها المسلمون في ترجمة أو محاولة ترجمة معاني القرآن الكريم، حوالي مائة وأربعة وعشرون لغة، وهذا العدد لا يمثل إلا جزءاً صغيراً من اللغات التي يستعملها المسلمون، حيث أن هناك شعوباً إسلامية كثيرة ليس لديها تفسير مطبوعاً للقرآن الكريم بلغاتها حتى الآن..².

وما زاد في توسيع الفجوة بين عناصر الجالية والدعاة الذين يتم إرسالهم إلى المراكز الإسلامية، فقد كان إفادة الدعاة للعمل في المراكز الأوروبية لا يخضع لضوابط دعوية فقط، لكن تتحكم فيه العلاقات الشخصية والمحسوبية والتكريم دون النظر إلى كفاءة الداعية المرسل، وهو ما تسبب في إرسال دعاة غير جديرين بالعمل لعدم قدرتهم على إجادة اللغات الأجنبية، وضعف مستواهم العلمي، الأمر الذي جعل الكثير من أبناء الأقليات الإسلامية في الغرب لا يترددون على المراكز الرسمية، لعدم القدرة على التواصل مع أئمتهم³.

ولازال الخطاب الدعوي في بلاد الغرب يعاني الضعف في شتى صوره، فضعف في العدد بحيث تشكو المراكز الدعوية من نقص الدعاة المؤهلين بما يرجع سلباً على نتائج العمل الدعوي، وتمثيل الإسلام على أرض الواقع خُلِقاً وعملاً وضعفاً في الأداء، فقد كانت البعثات من الدعاة إلى المراكز

1- دراسات في الترجمات القرآنية، حسن المعارجي مقال بموقع الهيئة العالمية للقرآن الكريم، ب ت الإضافة، تاريخ التصفح 2020/02/04.

2- مستقبل الإسلام خارج أرضه، محمد الغزالي، ص 99.

3- مراكز إسلامية في الغرب تنحرف عن مهامها في مواجهة التطرف، نادر أبو الفتوح، جريدة العرب، العدد 11134 بتاريخ 2018/10/10 ص 13.

الإسلامية لا ترقى إلى إعطاء الصورة الحسنة لعظم الإسلام ومكانته، ومخاطبة القوم بلغة العصر بما تحمله من تطورات وتقدم، وإظهار تحدي الإسلام لكل الحضارات عبر مختلف الأزمان بما يملكه من مقومات ذاتية تبقيه في الصدارة وان تحلف المسلمين وتخلّوا عنه، فإن الله تعالى يستبدل قوما غيرهم لنصرة دينه وإعلاء كلمته ولا يكونوا أمثالهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَآأَنَٓتُمْ هَآؤَآءَ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ۝٣٨﴾¹.

وقد ظهرت بعض المراكز لتكوين الدعاة وتأهيلهم بما يتماشى مع متطلبات العصر المتسارعة، بتكوين طائفة من كل فرقة وتفقيها في دين الله تعالى بألسنتهم، وبما يتماشى مع بيئاتهم وثقافتهم، حتى إذا رجعوا إليهم نقلوا إليهم تعاليم الإسلام صافية نقية بلسان العارف المتبصر، فيحاورهم بما تقبله عقولهم وتتشربه نفوسهم من رسالة الإسلام وشريعته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّیَتَفَقَّهُوا فِي الدِّینِ وَلِیُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾².

فإن لهذه المراكز دورا هاما في تكوين الدعاة وتوجيههم إلى مجتمعاتهم وأقوامهم حتى لا يكون اللسان عائقا في توصيل كلام الله تعالى ودعوته إلى الناس، لذا فقد حظيت المراكز الإسلامية الكبرى في العالم بدعاة مؤهلين سهّل عليها تبليغ دين الله تعالى وبسط تعاليمه ونشره على أوسع نطاق، وعرف الناس حقيقة الإسلام الذي أخفوه عنهم قادة الغرب وساساتهم لقرون من الزمن، وشوهوا معالمه وأحكامه، وعبثوا بتاريخه وحضارته.

إن أعظم صورة للخطاب الدعوي أن يتمسك المسلمون بدينهم ويكونوا قدوة لغيرهم، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، لأنه بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة انتشر الإسلام في أصقاع الدنيا في بداية عهده، فإن كثيرا من المناطق التي دانت للإسلام، لم تشملها فتوح الإسلام ولكنها اعتنقت الإسلام كعقيدة ودين، لما رأوا من سماحة الإسلام في أعلى صورها.

1- سورة محمد، الآية 38.

2- سورة التوبة الآية 122.

هكذا انتشر الإسلام بلسان التطبيق العملي لتعاليمه وأخلاقه، فهي تغني عن كثير من الحوارات والجدل وكثرة الحديث... وهكذا عُلِّمنا منطق الناس لنخاطبهم به دون أن نضطر إلى تقديم الحجة والدليل إنها القدوة الحسنة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾¹،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾².

وهذا ما عبرت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها - حين سئلت عن أخلاق رسول الله ﷺ - فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»³. فقد كان قرآنا يمشي بين الناس. حتى علا على الأخلاق فمدحه ربه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁴.

وإثر التطورات الحديثة لوسائل الإعلام والاتصال والنقلة العجيبة التي قربت الزمان والمكان والإنسان، وجعلت من الكون الفسيح بيتا واحدا يرى ظاهره من باطنه، وتسمع وترى كل ما يحدث فيه دون عناء أو تعب، وتتواصل مع من تشاء بكل لغات العالم ولهجاته، بأقل التكاليف وأسرع زمن وأقصر مسافة، فقد طويت فيه عوامل الزمان والمكان وقربت الإنسان، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...»⁵، وأصبح الخطاب الدعوي يصل إلى الناس دون عوائق وعقبات ولا مضايقات أمنية، ولا حواجز تفتيش وتعطيل، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَرِيهِمْ أَيْنَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁶.

1- سورة الممتحنة، الآية 6.

2- سورة الأحزاب، الآية 21.

3- مسند أحمد، ح 24601، ج 41/ص 148، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون -: حديث صحيح.

4- سورة القلم الآية 04.

5- مسند الإمام أحمد، ح 23814، ج 39/ص 236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون - إسناده صحيح على شرط مسلم.

6- سورة فصلت، الآية 53.

الفصل الثالث: عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

المبحث الأول: تجديد الخطاب الدعوي

المبحث الثاني: أسس التجديد في الخطاب الدعوي

المبحث الأول: تجديد الخطاب الدعوي

المطلب الأول: إعداد الدعاة والمصلحين

المطلب الثاني: تجديد محتوى الخطاب وترقيته

المطلب الثالث: تحديث الوسائل والأساليب للخطاب

الدعوي المعاصر

المطلب الرابع: تفعيل المناهج الدعوية في الخطاب الدعوي

المبحث الأول: تجديد الخطاب الدعوي

المطلب الأول: إعداد الدعاة والمصلحين

تأتي أهمية تأهيل الداعية وإعداده من أهمية العمل الذي يقوم به، فالداعية الذي يحمل الإسلام ليلبغه للناس عقيدة وأخلاقا وسلوكا عمليا في حياة الناس، يحتاج لشخصية ذات مواهب متعددة... ويجب أن يحاط الدعاة ببرامج إعداد خاصة، يخرجون منه رجالا يتحملون عظم المسؤولية المنوطة على عواتقهم، ويجتهدون في القيام بها، مخلصين في أداء أمانة الله تعالى التي حملهم إياهم: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾¹.

"إن عبء الدعوة ثقل ومهمة هداية الناس عمل جليل، لذلك وجب أن يختار الدعاة من بين صفوف الأمة وفق معايير معينة، وألا يترك هذا الأمر للظروف تفرضه مما يدفع بالعجزة والقاصرين والجاهلين إلى هذا المجال الحساس فيكون الضرر لا النفع"².

إن الإعداد الجيد للدعاة يحقق أهدافها وغاياتها، وهذا الداعية المنشود هو القوة المحركة لعملية الدعوة وحركة مسيرها، لذا كان إعداده مهمة الأمة كلها... فالأمر يتطلب جهودا كبيرة ومتكاملة ومستمرة لعظم المهمة ومشقتها³.

"ولئن كانت الحاجة إلى الدعاة الأكفاء ملحة دائما، فإن هذه الحاجة الآن أشد ليتعلم المسلمون ما جهلوا من دينهم، وحتى يتمكن من مواجهة خطر التيارات المادية التي اتسع نشاطها بواسطة دعاة المذاهب البشرية، والنحل المخرفة، الذين دُرِّبوا على الترويج لباطلهم في دهاء واضح وخطة مدروسة وهدف محدد... وليس بجائز أبدا أن يضعف صوت الحق أمام صوت الباطل، وتذاع الشبهات الملحدة في الناس ولا تجد من يتصدى لها ويهددها بالحجة والبيان، إن إعداد الدعاة واجب يلتزم به المسلمون، وعلى الأمة أن تقوم به أداء لواجب الدعوة ووفاء للأمانة التي لزمتمهم"⁴.

1- أصول الدعوة ومناهجها، نبيل محمد درويش وغيره، ب ط، 2019م، ص 157-158

2- مع الله... دراسات في الدعوة والداعية، محمد الغزالي، نضمة مصر، ط6، 2005م، ص 7-9.

3- ينظر: ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1416هـ-1996م، ص3-4

4- المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، بحث لأحمد أحمد غلوش، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط9،

العدد4، 1397هـ، 1977م، ص80

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

إن تعليم الدين واجب ولا يتم إلا عن طريق العلماء والدعاة إلى الله تعالى بناء على قاعدة: وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو مفصل في القواعد الشرعية.

إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة... والأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، ومن ثم فإن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استطعنا بناء جماعات من الدعاة المدربين البواسل، ينطلقون في أقطار العالم الإسلامي ليبدأوا صدعه، ويجمعوا شمله، ويمسكوه ويصروه لغايته، ويتعهدوا مسيره، ويقوموا عوجه، ويذودوا عنه كيد الخصوم ومكر الأعداء وعبث الجهال وسفاه المفتونين، وسيكون هؤلاء الدعاة طلائع النور في أمة طال عليها الليل وبوارد اليقظة في أمة تأخر بها النوم، وأمل العالم في عصر أجذبت فيه الدنيا من رسل الرحمة واليقين، وامتألت بزبانية الأثرة والإلحاد¹.

وإذا تخلّت الأمة عن مهمتها الدعوية، ولم تحطها بالرعاية والحفظ في تهيئة المحاضن التربوية، من معاهد ومؤسسات لإعداد وتخرج الدعاة الذين يحملون هم الدعوة لاستمرار العطاء في تبليغ رسالة الله تعالى في العالمين، بعد أن أشبعت عقولهم مختلف العلوم الدينية والدنيوية، وتشربت قلوبهم نور الإيمان، وانبثقت في سلوكياتهم ومعاملاتهم أخلاق الإسلام السامية... وترك الأمر لكل جاهل بالإسلام يفتقر لأدنى أساسيات شريعة الإسلام ومقاصدها، وتنصب له منابر ليحدث الناس بغير علم، فيضلهم عن سواء الصراط، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

"إن مثل هؤلاء المغفلين لا يُسند إليهم عمل ولا يوثق بهم في مهمة الدعوة، ولا يعرف لهم في المجتمع مكان، فهل يُنفون من دنيا الناس ليتصدروا في دين الله تعالى، يجب أن نؤكد لأنفسنا وللناس أن دين الله أشرف وأرق أن يؤخذ من أفواه الجهلة والحمقى"².

يعد الدعاة أحد أركان الدعوة إلى الله تعالى، في تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس، وهم بمثابة المبلغون عن الله تعالى بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهم لهذا الأمر فقد نالوا أعلى المهمات وأعظم الوظائف، وهي هداية البشرية ونشر تعاليم الإسلام، ولما كانت المهمة صعبة كان لابد من إعداد وتأهيل هذه الفئة إعداداً جيداً ومتكاملاً، وفقاً لضوابط الشرع الحكيم وتأسياً واقتداءً

1- ينظر: مع الله... دراسات في الدعوة والداعية، محمد الغزالي، نخبة مصر، ط6، 2005م، ص 6-8.

2- المرجع نفسه، ص 178.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

به ﷺ في دعوته، وهذا يجعل الحاجة إلى إعداد الداعية أمراً بالغ الأهمية، وإلا لم يتحقق المقصد المنشود من الدعوة، ولأن شرطها الأساسي لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة¹.

"ولما كان التبليغ عن الله سبحانه وتعالى يعتمد على العلم بما يبلغ والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن أتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، فتشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالحلل الذي لا يُنكر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات؟ فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أُقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدق به فإن الله ناصر وهاديه"².

لقد تحدث القرآن الكريم عن إعداد الأنبياء والرسل لأداء مهامهم الموكلة إليهم، واختيار الله تعالى لهم دون غيرهم لما وهبهم الله تعالى من ملكات تؤهلهم لأداء رسالتهم بما فيها من المشاق والمعاناة، ولهذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر وتحمل صنوف الأذى والاستعانة بعبادة الله تعالى والتوجه إليه بالذكر وتلاوة القرآن، حتى تكسبهم الجلد وسعة الصدر وتحمل كل ما يلاقونه في مسيرتهم الدعوية.

"وهؤلاء الأنبياء هم القدوة الأولى في إعداد أنفسهم وأداء الواجب، وأما طريق الدعوة فهو مليء بالمشقة والعنت، فيستعين لذلك بقيام الليل وتلاوة القرآن وهي قوام الداعية وشدة أزره، إنطلاقاً من قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ (١) قُورِ الْبَلِّ إِلَّا قَلِيلاً (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً (٥)﴾³.

1- ينظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، جالوس بنت فرج القحطاني، (رسالة دكتوراه)، إشراف: حمد بن ناصر العمار،

كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1433هـ، ص32

2- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ، ج2/ص16-17

3- سورة المزمل، الآية 1-5

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

"وكان التهجد ليلاً، والوقوف بين يدي الله تعالى في هذا الوقت سيعطي رسول الله ﷺ القوة والطاقة اللازمة للقيام بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقه، ألا وهي مسئولية حمل المنهج وتبليغه للناس"¹. وهذا القول الثقيل هو القرآن الكريم الذي يشتمل على فرائض وواجبات أعلمه الله تعالى به ليوطن نفسه على العمل ويهيئها لحمل الشريعة علماً وعملاً ودعوة في سبيل الله تعالى². لأن الدعوة ونشر رسالة الإسلام من الأمانة التي أشفقت منها السموات والأرض والجبال عن حملها، وحملها الإنسان رغم ضعفه وظلمه وجهله، فقد يسّر الله تعالى له سبل الهداية والاستقامة والدعوة في سبيله.

ولهذا فقد أوصى النبي ﷺ عبدالله بن عباس بالصبر دون أن يعبه بتهديد أو تخويف فيثنيه عن مواصلة دعوته، فإن القدر بيد الله تعالى يصرفه كيف يشاء، وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، فلا راد لقضاء الله تعالى ولا معقب لحكمه، وهو على ما يشاء قدير، فلن يصيب العبد إلا ما كتبه الله تعالى له أو عليه من الخير والشر... (رفعت الأقلام وجفت الصحف)³، وهذا الإيمان الذي يكسبه العبد من المحفزات للانطلاق في حقل الدعوة، مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً⁴.

وكان من أولويات رسول الله ﷺ في بداية أمره، إعداد الجيل الأول من كبار الصحابة الإعداد الذي يحملهم مسؤولية الإسلام وأمانته في تبليغه للناس، فقد تخرج من ثمرة جهود المصطفى ﷺ المضنية لعدة سنين ثلة من كبار الصحابة الذين كانوا يجتمعون في معهد الدعوة - أو بيت الأرقم بن أبي

1- تفسير الشعراوي، ج1/ص5283، كتاب الكتروني بالشبكة

2- ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط5، 1424هـ/2003م، ج5/ص457

3- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ « يَا عَلَّامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ». أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب قول النبي ﷺ يا حنظلة ساعة وساعة، ح2706، ج9/ص430، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

4- ينظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، جالوس بني فرج القحطاني، رسالة دكتوراه، إشراف: حمد بن ناصر العمار، كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1433هـ، ص38-39

الأرقم - فكان منهم القائد والعالم والأمين والفقهاء، لذا كان يُعَدُّ الواحد منهم بأمة، والقائد بجيش والفقهاء بإجماع أمة، فأصبح بعد ذلك الواحد منهم يمثل الإسلام في أرقى صوره، فهم سفراء الإسلام في شتى البقاع، فبعث بمصعب إلى المدينة ومعاذ إلى اليمن وغيرهم إلى بقاع مختلفة، لينشروا دين الله تعالى فمثلوا الإسلام أحسن تمثيل.

لذا فقد أعدَّ رسول الله ﷺ صحابته الإعداد الإيماني في تثبيت الإيمان في قلوبهم فاكتملت اليقين والإخلاص والصبر خلال ثلاثة عشر عاما عقيدة وإيمانا وعملا... وأعدهم عمليا حيث دلهم على أبواب الخير وطريق الجنة، في كسب العلم لأنه طريق الهداية والموصل إلى مرضاة الله تعالى، فبالعلم يُعبد الله تعالى، وبالعلم تُفهم الشريعة ويُفَرَّق بين الحلال والحرام، وبالعلم يُخشى الله تعالى وتُحفظ حدوده ومحارمه، وبالعلم تُنال الدرجات العالية الرفيعة¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) ².

وإذا كان العلم ميراث النبوة، فلا بد للداعية أن يكون له قسط وافر منه، ليتمكن من القيام بمهامه على أحسن وجه وأكمل صورة، ولهذا أمر الله تعالى بالقراءة فَبِهَا يُكْتَسَب العلم، وفي أول خطاب السماء للأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ³، وأمر بالعلم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) ⁴.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ علماً سَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضاً لطالب العلم، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جوف الماء، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا

1- ينظر: المرجع السابق، ص 39-40

2- سورة المجادلة، الآية 11

3- سورة العلق، الآية 1

4- سورة محمد، الآية 19

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافٍ»¹، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وهو الخير الكثير الذي عنته الآية الكريمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾²، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...»³. وفي الإعداد النفسي للدعاة فقد كان النبي ﷺ يهتم بتأهيل الدعاة نفسياً، بحيث يعالج ما علق بهم من أمراض قلبية وأهواء نفسية، ويخلصها من تبعاتها وآثارها.

وأما الإعداد السلوكي، فقد حرص النبي عليه الصلاة والسلام على غرس السلوك الحميدة والأخلاق الفاضلة، التي يرتقي بها الداعية إلى مراتب القبول والقدوة، ويكون العامل الأساسي لاستجابة المدعوين لدعوته، ولذلك مدح الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁴.

فإذا اتصف الداعية بالأخلاق الفاضلة، كالصدق والأمانة وحسن المعاملة ولين الجانب والعفو، كانت هي الدعوة الصامته التي تَغْمُرُ شغاف القلب، وتَمَلَأُ جوانب الصدر إيماناً وعملاً، واقتداءً صادقاً وتطبيقاً عملياً في واقع الحياة، واستجابة لأمر الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁵، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

1- سنن أبي داود، كتاب العلم باب الحث على طلب العلم، ح 3641، ج 5/ص 485، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: حسن بشواهده.

2- سورة البقرة الآية 269

3- صحيح البخاري، كتاب العلم باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ح 71، ج 1/ص 39.

4- سورة القلم، الآية 4

5- سورة آل عمران، الآية 159

الفرع الأول: مرحلة الإعداد الإيماني:

إن أول ما بدأ به رسول الله ﷺ إعداد الجيل وتربية أصحابه على الإيمان، لوضع اللبنات الأولى لتلقي الإسلام بكل شموله، وتطبيقه في واقع الحياة وتبليغه للبشرية جمعاء، وظهر ذلك من خلال الفترة التي قضاها رسول الله ﷺ في مكة، فقد فاقت فترة المدينة والتي شملت تنفيذ الأحكام الشرعية بكاملها، وخوض كل الغزوات وبعث السرايا وانتشار الإسلام، إلا أن الفترة المكية والتي تركزت على تثبيت العقيدة الصحيحة، فكانت هي الأساس الصلب التي بنى عليها رسول ﷺ كل متطلبات أمة الإسلام: من تثبيت لأركان الدولة وتوقيع المعاهدات والمواثيق، والانطلاق في الفتوحات الإسلامية.

فقد كان النبي ﷺ يعلمهم الإيمان ويثبتته في قلوبهم ويصحح كل المفاهيم الخاطئة وما عهدوه من بقايا الجاهلية، حتى قال أحدهم «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ¹، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»²، وهذا ما أكدته السيدة عائشة رضي الله عنها «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةُ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ³ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ»⁴.

فكان أول ما نزل من القرآن آيات الإيمان وتصحيح العقيدة، حتى إذا ثاب الناس رحبوا واجتمعوا إلى الإسلام وتعلقت قلوبهم به، نزلت إليهم آيات الأحكام وشرائع الإسلام فاستجابوا لأمر الله تعالى دون اعتراض أو نفور.

وقد شمل الإيمان كل عمل يحبه الله تعالى ويرضاه، من عمل القلب أو اللسان أو البدن، وهذا ما جاء في الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁵.

1- (حزاورة) جمع الحزور وهو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم، معجم مقاييس اللغة، لأبن فارس، ج2/ص55

2- سنن ابن ماجه، باب في الإيمان، ح61، ج1/ص42. قال المحقق الألباني: صحيح.

3- ثاب : وهو العوذ والرَّجوع، معجم مقاييس اللغة، لأبن فارس، ج1/ص393

4- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن، ح4707، ج4/ص1910.

5- صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب شعب الإيمان، ح162، ج1/ص187.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وهذا الحديث من جملة النصوص الدالة على أن الإيمان، اسم يشتمل عقائد القلب وأعماله وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله تعالى وما يحبه ويرضاه من واجب ومستحب فإنه داخل في الإيمان¹.

فعلى الداعية معرفة أصول الإيمان وفروعه حتى تستقر في قلبه، وتنعكس على حياته تمثلاً عملياً وتطبيقاً واقعياً، فيراها الناس فيستجيبوا لأمره ويسمعوا لقوله، كما كان المصطفى ﷺ الداعية الأول حين سألوا عن أخلاقه فقالت رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»²، فقد كان قرآناً يمشي بين الناس، فقد رباه مولاه وأدبه فأحسن تأديبه، بقوله سبحانه وتعالى:

﴿فَأَسْقِمَ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾³، ولهذا مدحه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁴، أي "إنك على دين عظيم وهو الإسلام"⁵.

ومن أجل استقرار معاني الإيمان في القلوب، فقد أسندت مهمة التعليم للأمين جبريل عليه السلام، في الحديث الذي أوردته السنة، حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة، كان الحوار شيقاً مع الحبيب محمد ﷺ وهو يجيب الأمين جبريل عليه السلام عن أسئلته، وحيرة الصحابة من هذا السائل الذي يسأل ثم يصدق ثم انصرف، ثم أخبرهم رسول الله ﷺ بعد ذلك «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»⁶

إن الإعداد الإيمانى للداعية يتمثل في التعريف بمبادئ العقيدة الإسلامية، وتثبيتها في قلبه، وهي بمثابة الوقود المحرك في التطبيق العملي للإسلام في الحياة العملية، وتحمل كل الصعاب والعقبات في

-
- 1- إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، جلوس بنت فرج القحطاني، رسالة دكتوراه في قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، 1433هـ، ص 97
 - 2- مسند أحمد، ح 24601، ج 41/ص 148، حديث صحيح، قاله محقق المسند: شعيب الارنؤوط وآخرون، ج 41/ص 149.
 - 3- سورة هود، الآية 112
 - 4- سورة القلم، الآية 4
 - 5- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ-2000م، ج 23، ص 529
 - 6- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ح 102، ج 1/ص 114.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

سبيل نشر الإسلام والدعوة إليه، وهي المرحلة التي اعتنى فيها النبي ﷺ بالجماعة الأولى لمدة ثلاثة عشر سنة، استنارت قلوبهم وعمّرت بنور الإيمان، ومحوي ما علق به من برائن الجاهلية ومعتقداتها الباطلة، وتثبيتها على قواعد الدين الخالص، وبهذه العناصر الفريدة التي أعدها لعظم المهمة، استطاع النبي ﷺ أن يبني دولة ويفتح العالم على مصرعيه، ويجيش الجيوش ويفتح الأمصار... كل ذلك بقوة الإيمان وصلابة العزيمة التي أكسبتهم الشجاعة والإقدام، دون خوف أو وجل، فاستطاعوا أن يُخضعوا أعتى دولتي ذاك الزمان - فارس والروم - إلى دولتهم، وبنوا دولة الإسلام العالمية، والتي ما عرف التاريخ لها مثيلاً، في زمن يكاد يكون معدوماً في حياة الأمم والشعوب.

يحتاج الداعية للتربية الإيمانية في مسيرته الدعوية، فإن الإيمان جوهر الإسلام وحقيقته، ووقود الحركة في الدعوة إلى الله تعالى، وإنما يتحقق أثر الدعوة في حياة الناس، بالقُدوة الصالحة لدعاة الإسلام، فيكون أحدهم تقياً عابداً ملتزماً... ذا همة عالية وعطاء متواصل وعزيمة صادقة لا تعرف اليأس، وثقة في الله تعالى يحدها الأمل في تأييده ونصره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾²¹.

وتتحقق التربية الإيمانية بالعلم والعمل وفق منهج بينه المصطفى ﷺ في الحديث القدسي بقوله: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...»³

فلا بد من مجاهدة النفس والرقبي بها في درجات الإيمان، والاقتداء بالعلماء الربانيين فهم أعلام الهدى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾⁴.

1- سورة العنكبوت، الآية 69

2- ينظر: إستدراكات على مسيرة الدعاة، يحيى سليمان العقيلي، د ط، الكويت، 1430هـ-2009م، ص 64

3- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح 6137، ج 5/ص 2384.

4- سورة الأنعام، الآية 90

الفرع الثاني: الإعداد التربوي والخلقي:

إن أهم الأعمال التي يتلقاها الداعية في تكوينه وإعداداته التربوي، هو إخلاص العمل لوجه الله تعالى والاستقامة على طريقه، ومنذ أن حمل الداعية همّ دعوته واستبصر سبل الهداية وعرف مهمته في الحياة، انطلق في دعوته وبذل ما في وسعه بالنفس والجهد والمال والوقت، وواصل العمل ملتزماً منهج الله تعالى علماً وعملاً وتبليغاً، استجابة لأمر الله تعالى، لأن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً صواباً، فيبارك فيه وينميه بالأجر والثواب، فيكون خالصاً لوجه الله تعالى موافقاً لشريعة الإسلام وسنة خير الأنام ﷺ، كما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾¹، فإن الشرك في الأعمال محبط للأجر كما جاء في الحديث القدسي «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»².

ولابد أن تكون نية الداعي في دعوته متجردة عن الهوى وحب الشهرة، أو مغالبة الآخرين من أجل تكثير الإتيان والأنصار، أو الحصول على مكاسب دنيوية فإنها ستفقده التأثير والقبول³.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ رِجَالُ الْقَاءِ رَبِّهِ فَلَيعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁴، وهذان ركنا العمل المتقبل، فلا بد أن يكون خالصاً لله صواباً على سنة رسول الله ﷺ⁵.

1- سورة البينة، الآية 5

2- رواه مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ح 7666، ج 19/ ص 57.

3- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبدالله بن سعد القعود، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد المولى جمعة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة بالثقافة الإسلامية، 1431هـ - 1432هـ، ص 92-93

4- سورة الكهف، الآية 110

5- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار، طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م، ج 5/ ص 205

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

ومن أجل أن يتقوى الداعية للقيام بمهمته العظمى وغايته الأساسية في هذا الوجود البشري على مسرح الحياة، لابد له أن يتزود بالعبادة ومختلف الطاعات، لأنها الرصيد الأمثل في تثبيت خطوات مسيرة العمل الدعوي على طريق الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹.

فيتزود بعبادة ربه وهو العون الذي لا ينفذ، ويستكثر من الطاعات والقربات والأذكار وتلاوة القرآن، حتى يحبه الله تعالى ويقربه ويؤيده بنصره وتوفيقه، لقوله تعالى في الحديث القدسي: «... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...»²

ومن حكمة الله تعالى فيما فرضه على عباده مقاصد وغايات، فيكتسب من الصلاة تهذيب النفس وتربيتها على مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والوقوف بين يديه في خشوع وخشية وامتناناً لأمره،

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾³ ﴿٤٥﴾

ومن الصيام تهذيب النفس وإعدادها إيماناً من أجل تقوية الإرادة وترويضها على الصبر ومجاهدة الأهواء والشهوات، وتعويدها على تحمل المشقة والصعاب ومواجهة الشدائد، لتكتسب التقوى التي تمكنها من القيام بالدعوة ومواصلة الطريق دون ملل أو كلل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁴ ﴿١٨٣﴾

فإذا دخل الداعية مدرسة الزكاة، وهي من أعظم وسائل تزكية النفس وتربيتها على البذل والعطاء، والشفقة والرحمة على عباد الله تعالى الضعفاء وأصحاب الحاجة، وهذا ما تفعله الصدقة من تطهير النفس وتزكيتها من البخل والحسد وغيرها من الآفات.

1- سورة الذاريات، الآية 56

2- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح 6137، ج 5/ص 2384.

3- سورة العنكبوت، الآية 45

4- سورة البقرة، الآية 183

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣) ¹.

وللداعية في شعيرة الحج منافع كثيرة، وتعتبر من وسائل التربية وإعداد الدعاة إلى تحمل صنوف المشاق والعنت من أجل امتثال أمر الله تعالى وتنفيذ شعائره وشرائعه وتلبية للنداء الخالد لأبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام حيث أمره ربه بأن ينادي في الناس بالحج.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ (٢٨) ².

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١١٧) ³. وكل العبادات تنقطع بزمانها ومكانها إلا عبادة الذكر فإنها متواصلة في كل أحوال العبد، ولا عذر له في الذكر حتى تنقطع أنفاسه ويحبس عن التفكير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١١١) ⁴، وقد أرشد الله تعالى عباده المؤمنين حين مكابدة العدو بالثبات وذكر الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْقِيَمَةُ فَكُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ أَنْ يُرَىٰ إِلَهُكُمْ فَلَا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾ (٢٤) ⁵. وقد عده تعالى من أكبر العبادات.

1- سورة التوبة، الآية 103

2- سورة الحج، الآية 27-28

3- سورة البقرة، الآية 197

4- سورة آل عمران، الآية 191

5- سورة الأنفال، الآية 45

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْنِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾¹.

إن من أعظم الوسائل التي انتشر بها الدين - في ربوع العالم - بالمعاملة الطيبة والأخلاق الحسنة، وهو أن تتجسد أخلاق الإسلام عمليا في واقع الحياة، وهو ما يعبر عنها بالدعوة الصامتة، وهي أعظم أثرا في قلوب الناس ونفوسهم، وقد سماها الله تعالى بالأسوة الحسنة، والمتمثلة في شخصية الداعية الأول عليه الصلاة والسلام حيث.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾².

إن الدعوة بالقدوة الحسنة تجد طريقها إلى القلوب، لأن النفوس جُبلت على تقليد من وافق قوله عمله، فتقبلها بالقبول الحسن والرضى والاستجابة العملية، وأما إن كانت دعوة بالقول فإنها مجرد كلام والذي خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان ولن يجد للقلوب مدخلا ولو كان خطابك مفعم بالأدلة والبراهين ما يؤكد حقيقة القول وصحته.

ولهذا كان قديما يبعثون بأبنائهم إلى العلماء الربانيين ويوصونهم بأن يأخذوا من أدبهم قبل أن يأخذوا من علمهم ولهذا قال الشاعر حافظ إبراهيم:

ولا تحسبن العلم ينفع وحده	ما لم يتوج ربه بخلاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل	تعليه كان مطيه الإخفاق
كم عالم مد العلوم حباثلا	لوقية وقطيعه وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه	لمكيدة أو مستحيل طلاق
وطبيب قوم قد أحل لطفه	مالا تحل شريعة الخلاق
وأديب قوم تستحق يمينه	قطع الأنامل أو لظي الإحراق ³

1- سورة العنكبوت، الآية 45

2- سورة الأحزاب، الآية 21

3- ديوان حافظ إبراهيم، أحمد أمين، أحمد زين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، 1987م،

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

والإنسان مجبول على تقليد من أعجب بأفعاله لا من استحسّن أقواله، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه الذي يخالف قوله فعله، وخصوصا من يتولى الناس بموعظته ونصحه فيأمرهم وينهاهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾¹ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ¹ لذا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة².

وما انتشر الدين الإسلامي - في ربوع العالم، واتسع كيان دولته - إلا في تمثله في حياة الدعاة الربانيين تطبيقا عمليا ينبع من إيمانهم وحبهم لله تعالى، وإخلاص العمل لوجهه الكريم، فيحييهم الله تعالى في قلوب الناس، فتحترمهم وتحلمهم وتقدي بهم لصدقهم مع الله تعالى كما قيل: "إن الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه"³.

فعلى الداعية أن يكون على حظ وافر من الأخلاق الفاضلة الكريمة، حتى تطمئن له النفوس بما يلمسونه من أدب وحسن خلق، فهي دعوة عملية تصرخ في سمع الزمان مُظهرة أخلاق الإسلام وتعاليمه وآدابه.

فالأخلاق الحسنة هي الأساس في حياة الدعاة العملية، والأعمال التطبيقية على أرض الواقع في حياة الناس، فتتعلق قلوبهم بمعالي الأخلاق وأحسنها، كما لقبت قريش - في جاهليتها - رسول الله ﷺ بالصادق الأمين، بما حباه الله تعالى من أخلاق عالية رفيعة، وقد هيئه الله تعالى لما ينتظره من عظم الرسالة ومسؤولية التبليغ، فقد حصر بعثته ﷺ وعللها باستكمال مكارم الأخلاق، فقال عليه الصلاة

1- سورة الصف، الآية 2-3

2- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م، ج1/ص51، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحي

3- الزهد، لوكيع بن الجراح، تح: عبد الرحمان عبد الجبار الفيرواني، مكتبة المدينة المنورة، ط1، 1404هـ-1984م، ج1/ص528 وكتاب الزهد، لأحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م، ص132

والسلام «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»¹، وفي حديث آخر: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»².

فالأخلاق هي الزاد الحقيقي لإعداد الداعية سلوكيا، وهي التطبيق العملي لأخلاق الإسلام، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وبيّنتها السنّة النبوية المطهرة، والتي تنبع من إيمان العبد وصدق يقينه، وإتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم سبحانه وتعالى.

فإذا تمثل الداعية أخلاق الإسلام، وأصبح دعوة ناطقة في حياته وأعماله وتصرفاته، ويروا فيه أخلاق الإسلام تمشي بين الناس، استهوى قلوبهم بأخلاقه وتعامله، فانقادت إليه أعناق الرجال وتبعت دينه واستجابت لدعوته.

وتكمن أهمية الإعداد السلوكي للداعية في إعطاء المثل والقُدوة الحسنة والسيرة الطيبة للناس التي تنبع من إيمانه الصادق لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»³ فلا بد للداعية أن يتربى على حسن الخلق، والذي يتركز على أربعة أركان الصبر والعفة والشجاعة والعدل:

فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى والحلم والأناة، والرفق وعدم الطيش والعجلة.

والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء وهو أساس كل خير، وتمنعه من الفحشاء والبخل، والكذب والغيبة والنميمة.

والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم... وتحمله على كظم الغيظ والحلم... كما قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁴، وهو حقيقة الشجاعة.

1- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ح 20782، ج 10/ص 323، وأخرجه الحاكم في المستدرک وعلق الذهبي بقوله: على شرط مسلم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ح 4221، ج 2/ص 670.

2- مسند أحمد، ح 8952، ج 14/ص 513، قال المحقق -شعيب الأرناؤوط وأخرون-: صحيح.

3 - سنن أبي داود، كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح 4682، ج 7/ص 70، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

4 - صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الحذر من الغضب، ح 5763، ج 5/ص 2267.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

والعدل يحمله على اعتدال في أخلاقه وتوسطه فيها بين الإفراط والتفريط¹.
وعلى الداعية أن يحجم عن الأخلاق السافلة التي تتركز على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب.

4- فالجهل يريه الحسن في صورة القبيح والعكس.

5- الظلم يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيتصرف بخلاف ما يقتضيه الحال.

6- الشهوة تحمله على الحرص والشح والبخل.

7- الغضب يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان².

فالداعية إلى الله تعالى يرتقي بحسن خلقه وتواضعه إلى مرتبة القدوة الحسنة للناس، فيستلين قلوبهم ويستهوون نفوسهم، لأن من طبيعة الناس التي جبلهم الله تعالى عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، هكذا جبلت طبائع الناس، فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره، فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيداً، وليثق الله ربه ولا يكون سبباً لنفرة الناس من دعوة الله تعالى³.

فليتنبه أخواني الدعاة لأهمية التربية الأخلاقية وأثرها إيجاباً وسلباً في صياغة شخصية الداعية نفسه، ودورها في إنجاح دعوته بإذن الله تعالى⁴.

الفرع الثالث: مرحلة الإعداد العلمي للداعية

يعتبر الإعداد العلمي للدعاة هو أساس دعوتهم وحصنهم المنيع من كل دخيل وحماية من كل أعداء الإنس والجن، ومطية للنجاح في الأعمال كلها، وضمان للنتائج الحسنة وتحصيل المصالح،

1- ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، بت، ج2، ص320-321

2- ينظر: المرجع السابق، ج2/ ص321-322

3- ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط9، 1423هـ-2002م، ص363

4- فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله سعد القعود، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، 1431هـ-1432هـ، ص105-106.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

لذلك كان النداء الأول لاتصال الأرض بالسماء على الأخذ بأدوات العلم، لأنه أساس العبادة والخشية والأعمال الصالحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾¹.

وليقوم الداعية بمهمة الدعوة، لا بد له من إعداد علمي يمكنه من تبليغ رسالة الإسلام بكل أمانة وحفظ، ومخاطبة الناس بما يفهمون وإقامة الحجة عليهم بالدليل والبرهان. وهذا لا يتأتى إلا إذا أُعدَّ الداعية إعداداً متكاملًا في كل مجالات الحياة "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فلا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم على حد يصل إليه السعي"².

لقد بدأ الله تعالى وصيته لنبِيِّهِ ﷺ إلى العلم قبل الدعوة والعمل الصالح المقرب إليه، فجعل العلم أصلاً والعمل تابعا له.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ (١٩)﴾⁴³.

وكل دعوة لا تقوم على أساس العلم دعوة هشة، سرعان ما يتهاوى بنيانها وتضيع جهودهم هباءً منثورًا، وتكون دعوتهم وتصرفاتهم تفسد في المجتمع أكثر مما تصلح. والخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به، تترتب عليه آثار وخيمة، لأن "العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح"⁵.

1- سورة العلق الآية 1-5

2- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، د ط، 1419هـ، ج 1/ص 434

3- سورة محمد الآية 19

4- مرجع سابق، ص 108

5- ينظر: المرجع نفسه، ج 1/ص 229

ولهذا بيّن النبي ﷺ أهمية العلم وأثره في صحة العمل فقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»¹.

ولا سبيل إلى تحقيق مقاصد الدعوة إلا بالعلم النافع الذي بينه سبحانه وتعالى في كتابه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾²، وهي "أعلى درجات العلم البصيرة، التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء"³.

فلا بد للداعية أن يكون على بصيرة وعلم بما يدعو إليه، لأنها العدة التي بها يُعَلِّم الداعية الناس أحكام الشرع ويبصرهم بحقائق الواقع، فإذا فُقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يدعو، فيفتتن به عوام الناس في تصرفاته الخاطئة خصوصاً إذا عُرف من أهل العبادة والصلاح... فيقتدون به على جهله، فيكون فساداً أكثر من صلاحه. لذا فإن العلم ضروري للداعية المسلم وما يدعو إليه، وهو شرط في صحة الدعوة.⁴

"إذا فقد العلم المطلوب اللازم له كان جاهلاً بما يريد، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله، بما أحله الشرع وأوجبه وبما منعه وحرّمه"⁵.

ومن تمام العلم أن يحيط الداعية بفهم الواقع الذي يعيش فيه، ويتعامل معه، حتى يتمكن من توصيل رسالته على أكمل صورة وأفضلها، بما يتماشى وحال المدعوين، حتى تتشرب قلوبهم نور الهداية، وتستجيب نفوسهم لأمر الله تعالى، ويحملهم على منهج الله تعالى وشريعته. فعلى الداعية أن

1- صحيح البخاري، كتاب العلم باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ح 71، ج 1/ص 39.

2- سورة يوسف، الآية 108

3- مدارج السالكين، ابن القيم، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 7، 1423هـ-2003م، ج 2/ص 451

4- ينظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، إعداد جالوس بنت فرج القحطاني ص 145-146

5- ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 326

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

يعرف طبيعة المجتمع الذي يواجهه بالدعوة، وبقدر معرفة الداعية بواقعه، يكون حكمه على الأحداث من حوله، وإدراكه لكيفية التفاعل معها، ونظره إلى عواقبها ومآلاتها.¹

فقلة الوعي في صفوف بعض الدعاة، وغفلتهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرمهم وخداعهم من جهة أخرى، مما جعل كثيرا منهم تُحركهم العواطف وتخدعهم الشعارات، ويقفون مواقف شتى، تجرهم في كثير من الحالات إلى الندم والتلاوم.²

لذا يبدو أن الإعداد العلمي للداعية، من أعظم المهام التي يجب أن يتحلى بها ويعمل على الاجتهاد فيها، فينهل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، بما يؤهله للقيام بواجبه نحو دينه وإسلامه، مخلصا في دعوته لربه، متوكلا عليه متواضعا لمن يدعوهم، متبعا آثار العلماء الربانيين الذين سبقوا في هذا الطريق، وكانت لهم تجارب ومواقف مشرفة في دعوة الناس إلى دين الله تعالى، بمختلف الوسائل وأرقى أساليب الخطاب، حتى يصلوا إلى مقاصد الدعوة وتحقق هداية الناس واستجابتهم.

لقد رفع الإسلام العلم إلى أعلى المقامات، وبيّن أن أعظم نعمة منّا الله تعالى على عباده من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وغيرهم، هو العلم الذي بُنيت عليه كل أسباب الوجود من عبادة وأعمال صالحة.

فإن الله تعالى استشهد بأولي العلم على أجلّ مشهود عليه وهو توحيده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾³، فقد بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثبّت بالملائكة وثبّت بأهل العلم، وناهيك بهذا فضلا وجلاء وثبلا.⁵

1- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبدالله بن سعد القعود، ص113

2- المرجع نفسه، ص 114.

3- سورة آل عمران، الآية 18

4- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ص 131

5- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، ص11

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وقد أكد القرآن الكريم في كثير من آياته عن مكانة العلم وفضل العلماء، وأن أعظم ما وهبه الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم السلام هو العلم. وأن أول ما نزل على رسول الله ﷺ يأمر بالعلم ويحث عليه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ^(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ^(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ^(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ^(٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ^(٥)﴾¹.

وأن أول ما فضل به آدم عليه السلام على الملائكة الكرام بما علمه ربه من مختلف العلوم، فتقدم عليهم فاسجد له ملائكته، إجلالا للعلم وتعظيما لمكانته.

وكل نبي تحدث عنه القرآن الكريم بما وهبه ربه من العلم وغيرهم من عباد الله تعالى الصالحين:²

فقال يوسف عليه السلام، كما أخبر تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ^(٥٥)﴾³. وقال عن إبراهيم عليه السلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَابَتِإِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا^(٤٣)﴾⁴. وقال عن موسى عليه السلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٤)﴾⁵.

وقال عن عيسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ^(١١٠)﴾⁶. وقال عن محمد ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(١١٣)﴾⁷.

1- سورة العلق، الآية 1-5

2- ينظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، إعداد جالوس بنت فرج القحطاني، ص 154-157

3- سورة يوسف، الآية 55

4- سورة مريم، الآية 43

5- سورة القصص، الآية 14

6- سورة المائدة، الآية 110

7- سورة النساء، الآية 113

وقد جعله الله تعالى شرطاً لتولي القيادة، فقال عن طالوت

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾¹.

وقد حثت السنة المطهرة على طلب العلم، وشدّ الرجال إليه وبذل الجهود في سبيله، فهو طريق الجنة والرفعة والمكانة، لقوله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ...»².

فالداعية حريص على طلب العلم. فهو أساس الفهم عن الله تعالى في دينه وشريعته، وعليه تقوم حركة الحياة ومجرياتها، وبه تنال الدرجات العالية الرفيعة، ويرفع الله تعالى مكانته في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١١﴾³، وقال عليه الصلاة والسلام: «فَالكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»⁴. في الخطاب والوسائل والأساليب بما يتماشى مع روح العصر.

تعد العلوم الشرعية المصادر الأولى لإعداد الداعية علمياً وأخلاقياً، بحيث تمثل العمود الأساسي الذي تركز عليه الدعوة لأنها روح الدين ومقاصده، وشرعية الإسلام ومبادئه، ومن أهم العلوم الكتاب والسنة.

والقرآن الكريم ملاذ المؤمنين. والدعاة هم أكثر الناس أخذاً بتعاليم القرآن ومناهجه وتطبيقاً لأساليبه ووسائله، كما أنه يتخلق بأخلاقه، ويلتزم بأوامره وأحكامه: من عقيدة وشرعية ومعاملة

1- سورة البقرة، الآية 247

2- سبق تخريجه، ص 345

3- سورة المجادلة الآية 11

4- سنن الترمذي، أبواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح 2687، ج 5/ص 51. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وحكم عليه الألباني في التحقيق بالضعف.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وأخلاقا. والداعية أحق بأن يتعلق بالقرآن: تلاوة وحفظا وتدبرا. وتنزيله في واقع الحياة تطبيقا عمليا مع روح العصر. والداعية يتخذ النبي ﷺ قدوته وأسوته فيقوم نفسه على ضوء سنته قبل أن يدعو الناس إليها ويتعلم منها الكثير، بحيث تصبح حياة النبي ﷺ وسيرته كتابا مفتوحا أمام عينيه، ويتعلم منه ويُعلم الناس¹.

والداعية يقتدي بالنبي ﷺ فيتعلم من سيرته الأساليب المختلفة للدعوة التي سلكها مع العناصر المختلفة من البشر، والأنبياء والرسل عليهم السلام هم أصحاب رسالة ودعوة وأول من قام بها بين الناس، وتحملوا في سبيل نشرها الكثير من الأذى والعنت والاضطهاد، وأولى بالدعاة أن يتخذوهم القدوة والمثل ويقتفوا أثرهم ويسيروا على هداهم².

ولا بد للداعية أن يكون له قسط وافر من فقه العبادات والمعاملات والأخلاق، حتى يتمكن من أداء خطابه على علم ومعرفة، ليتم تبليغ أحكام الله تعالى ومبادئ الإسلام على حقيقتها، ولا يفتي الناس بغير علم فيضل ويضل³. لقوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»⁴.

إن تعلم الفقه مهم للداعية، لتكون عبادته وفق أحكام الله تعالى وتشريعاته، وبادلتها التفصيلية ليعبد الله تعالى على علم ويعمل بما علم فيدعوا الناس على بصيرة، متمثلة في أخلاقه وتعاملاته تطبيقا عمليا، فيكون مثالا يحتذى به وقدوة للمدعويين⁵.

ومن العلوم الأساسية علم العقيدة وتوحيد الله تعالى، حتى يصفو إيمان العبد ولا يشرك بالله شيئا، ولهذا أمر الله تعالى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: أن يكونوا أول ما يدعوا إليه أقوامهم، قَالَ تَعَالَى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾⁶.

1- ينظر: منهاج الداعية، أحمد أبو زيد، رابطة العالم الإسلامي، د ط، 1414هـ، ص 65

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 26

3- ينظر: ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، ص 66

4- صحيح البخاري، كتاب العلم باب: كيف يقبض العلم، ح 100، ج 1/ص 50.

5- ينظر: إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، إعداد جالوس بنت فرج القحطاني، ص 185

6- سورة النحل، الآية 2

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾¹.

وخاطب الله تعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾².

ولهذا لما بعث رسول الله ﷺ معاذ إلى اليمن أوصاه فقال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»³

ولابد للداعية أن يلمّ بمختلف العلوم الإنسانية، فيتشبع بالثقافة في مختلف المجالات، ويطلع على ما يدور حوله في مجريات الحياة ومستجدات الأحداث، فيعيش واقعه بتنزيل أحكام الله تعالى بما يتماشى ومتطلبات العصر، ويحل مشاكلهم بما جاء في شريعة الله تعالى.

ويمكن للداعية أن يستخدم كل الوسائل التكنولوجية الحديثة، والتي أصبح دورها مهم جدا وخصوصا في هذا العصر، والذي قُرب المسافات واختزل الزمان والمكان، فأصبح ما يحدث في العالم يصل إلى كل الناس لحظة وقوعها، فما على الداعية إلا أن يستغل هذه الوسيلة السهلة حتى يصل بدعوته إلى كل البشر، وإلى أمة الدعوة بمختلف لغاتهم وبيئاتهم، فيحقق بذلك ما كانت تُضرب له أكباد الإبل للوصول إليه، وترصد له الجيوش الحرارة لتبليغ رسالة الله تعالى.

ومن الإعداد العلمي للداعية: أن لا يغفل عن معرفة الواقع وفهمه وما يحيط به من مخاطر وملامات، ويكون الداعية على يقظة من أمره ليحفظ دعوته من المتربصين بها، والذين يُحكيون لها المؤامرات والدسائس للحد من نشاطها وانتشارها في ربوع الكون.

لذا فإن فقه الواقع مصطلح تحدث عنه العلماء العصر الحديث، ولم يكن يُعرف بهذا الاسم في العهد الإسلامي الأول، وإن كان التعامل به من أشد مهمات الأمة وقيادتها، وكان القرآن ينزل فيأمر

1- سورة الأنبياء، الآية 25

2- سورة محمد، الآية 19

3- صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح 1389، ج 2/ص 529.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

بالحيطة والحذر ويكشف مؤامرات الأعداء ومخططاتهم، ويفضح تحركات المنافقين وتعاملاتهم مع أعداء الإسلام، لمحاربة الإسلام بمختلف الأشكال والصور... والآيات في القرآن الكريم كثيرة في هذا الأمر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾²¹.

ولهذا "فإن المنهج القرآني لا يُعنى ببيان الحق وإظهاره حتى تستبين سبيل المؤمنين الصالحين فحسب، وإنما يُعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين أيضاً"³.
إن استبانة سبيل المجرمين ومنهجهم ومخططاتهم، والكشف عن مقاصدهم وأهدافهم، وإحباط مؤامراتهم والتصدي لها، وإعداد العدة لحماية الأمة من شرورهم وفتنهم، لهي من صميم فقه الواقع، وقد ذكر القرآن عدة مشاهد ومنها

تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾⁴.

وفي الحديث عن المنافقين، إذ يلفت القرآن الكريم نظر الأمة المسلمة إلى خطرهم وسوء تصرفهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خَبَا وَلَا وُدًّا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁵ هَآأَنُتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُومُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بِغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁶ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً نَّسُوءُهُمْ وَإِنْ تَصْبِرُوا سِنَّةً يُفَرِّحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁷.

1- سورة الأنعام، الآية 55

2- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبدالله بن سعد القعود، ص 111-112

3- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط 32، 1423 هـ - 2003 م، ج 2/ص 1105

4- سورة المائدة، الآية 82

5- سورة آل عمران، الآيات 118-120

لأنهم يعملون كل ما يُوقع الأمة في المشقة والعنت، بل ويتآمرون عليها ويسعون لما ينزل بها من بلاء ويجزنون لما يصيبها من نعم الله تعالى¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَوْكُمْ عَلَىٰ عَقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾².

وفي كثير من آيات القرآن الكريم: جاءت منبهة للقيادة المسلمة والأمة المسلمة من بعدهم، ومحدّرة من مغبة السقوط في حبال المؤامرات، والدسائس التي يحكيها أعداء الإسلام وعملائهم في الداخل والخارج، من أصحاب الذمم الدنيئة الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وعدم الغفلة أو تجاهل مكرمهم وخداعهم، وعدم الاستهانة بمخططاتهم المتواصلة، لأن العداء متأصل في قلوبهم بشهادة المولى سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَتِّلُونَكَ حَتَّىٰ يَرْضَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾³.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا أَفْرِقَاءَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْضَوْكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾⁴.
وقد ورد عن رسول الله ﷺ اهتمامه بمعرفة الواقع في كل أحواله، لأنها الأرضية الصلبة التي يضع الداعية عليها قواعده وأساسه لبناء دعوته وتشديد صرح الإسلام. وفي دراسة الواقع يختصر الداعية الطريق أمامه للوصول إلى غايته، وتحقيق أهدافه بخطا ثابتة وبقينا صادق، ويتعرف على أحوال الناس، ليدخل عليهم من أبوابها، فيتخير الوسائل والأساليب التي تسهل عملية الحوار والمجادلة بالحسنى، ثم إقناعهم بما يعرضه عليهم من مبادئ الإسلام وأخلاقه السامية، وهذا ما تؤكد وصية رسول الله ﷺ للمعاذ ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...»⁵

فعرّفه ﷺ بحال القوم حتى يستعدّ وينتهي الخطابهم بما يناسبهم، ويعرفهم أولويات الإسلام وقواعده، ويكتشف سبل التعامل معهم، وأن أول ما يبدأهم بتوحيد الله تعالى، وأوصاه مع أخوه أبو موسى

1- الطريق إلى بيت المقدس، جمال عبد الهادي محمد مسعود، دار الوفاء، مصر، د ط، د ت، ص201

2- سورة آل عمران، الآية 149

3- سورة البقرة، الآية 217

4- سورة آل عمران، الآية 100

5- صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ح 1425، ج2/ص544.

الأشعري رضي الله تعالى عنهما: أن ييشرا ولا ينفرا وييسرا ولا يعسرا وأن يتطوعاً ولا يختلفاً، وذلك أساس نجاح الدعوة واستمرارها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَنَا وَالْإِهْكُمْ وَحَدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾¹.

"فالداعية يكبر عند الله تعالى ويشرف بقدر إحاطته بالنصوص الشرعية وتتبع أقوال السلف فيها، وإمامه بالقواعد والضوابط والأصول العامة للدين، ومعرفة أقوال أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين لاسيما سلف الأمة، ومعرفة مقاصد الشريعة والمصالح والمفاسد وضبطها، لأنه يخاطب الناس ويتحدث إلى شرائح متنوعة من المجتمعات، ويتعرض لمواقف كثيرة ونوازل ومستجدات عظيمة... فعليه الاهتمام بمقاصد الشريعة وحكمها ومحاسنها، فإن الاهتمام بمقاصد الشريعة من أولى ما ينبغي على الداعية الاهتمام به"².

إن قلة الوعي عند بعض الدعاة وغفلتهم عن واقع الدعوة والظروف المحيطة بها من جهة، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى، مما جعل كثير منهم تحركهم العواطف وتخدعهم الشعارات والإملاءات والأمانى، وقد تصدر منهم تصرفات غير حكيمة، فتعرض العمل الدعوي إلى الشلل والتوقف وتضيع كل الجهود التي بُذلت لفترات طويلة من الزمن³.

الفرع الرابع: مرحلة الإعداد العملي

إن مرحلة الإعداد العملي للداعية يعتبر هو الميدان الحقيقي للتطبيق العملي للنشاطات الدعوية، وكل ما يتعلق بها من وسائل وأساليب مختلفة، حتى يتمكن من كسب الثقة والثبات في مواجهة كل ما يعترضه في طريقه من صعوبات، ومشاكل تعيقه عن مواصلة الطريق في أداء مهمته، والتي لا بد لها من ممارسة دائمة مستمرة، مُتَحَلٍّ بالصبر والمصابرة، لأن المهمة صعبة والحمل ثقيل والطريق طويلة وخطرة.

1- سورة العنكبوت، الآية 46

2- البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط1، 1426هـ-2005م، ص69-71

3- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبدالله بن سعد القعود، ص114

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

فعلى الداعية أن يُظمأ نهاره ويُسهر ليله بالعبادة والذكر والصلاة وتلاوة القرآن الكريم، حتى تعينه على تحمّل الصعاب وتبليغ دعوته، وهذا ما أمر الله تعالى به نبيه ﷺ، للقيام به في بداية دعوته وأوائل ما نزل عليه من الوحي الكريم، للانطلاق بروح مفعمة بالجد والنشاط والغبطة في مرضاة الله تعالى ونشر رسالته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ ۝١ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نَضْفَهُ ۖ وَأَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾¹.

ومن خلال الممارسة العملية للدعوة، يتعود الداعية على تحمل المشاق والصعوبات في معالجة كل المظاهر التي تعترضه في خطابه للمدعوين، فيعاملهم بالرفق واللين وبسط الجناح، حتى تكسبه الخبرة والمهارة في توجيه الخطاب، واختيار الوسيلة المناسبة، والأسلوب المناسب والأمثل. لذا فعلى الداعية الموفق الحصيف، أن يعرض دعوته باستعمال كل وسائل الاتصال الحديثة، التي منّ الله تعالى بها على عباده وتفضل بها عليهم، والتي صار لها الدور الفعّال في إيصال صوت الحق ونور الهداية الربانية إلى كل الناس... وهذه الوسائل تندرج ضمن عموم الأدوات المشروعة ما لم تُعارض بنهي شرعي، وحينما يتجاهل الداعية الوسائل الحديثة العصرية في دعوته، فإنه يعيش خارج عصره ويقل تأثيره في الناس، لأن الداعية قد أغلق على نفسه وضيق على الناس باب التجديد والاجتهاد، ويخاطبهم بوسائل قديمة كانت لأجيال مضت ولا تزال، وبلغه لن يصلوا إلى مستواها ولم يعرفوا قدرها ومنتهاها، فلا تجد في الناس من يفهمها ولا من يستسيغ معانيها ويستوعبها إلا قليل².

إن مما تعانيه الأمة اليوم هو غياب العمل الدعوي الجماعي، والاقتصار على العمل الفردي، وكل داعية يغرد خارج السرب، وهذا ينعكس سلبا على العمل الدعوي الصحيح الدائم والمستمر، فالمصلحة الفردية يجب أن تنصهر ضمن العمل الجماعي وفي مصلحة الأمة جمعاء. لذا فإن من المحتّم على جميع دعاة الإسلام اليوم، وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي تمرّ بها الأمة الإسلامية في مواجهة ما يسمى بالعمولة الغربية، والتي من أهدافها محو الهوية الإسلامية والقضاء على كل ما له صلة بالدّين

1- سورة المزل، الآيات 1-5

2- ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله، سعد بن عبد الله سعد القعود، رسالة ماجستير، ص 123

والمبادئ والأخلاق... في أن يتم التواصل والتعاون بين الدعاة وتنسيق العمل والتشاور في الإعداد لمستقبل هذه الأمة، بما يحفظ لها دينها ويعزز من قوتها وكرامتها، ويعيد لها عزّها ومجدها التليد، لذلك فإن العمل الجماعي أو المؤسسي صار أسلوب القوة والتحدي في هذا العصر، وهو أدعى للتكامل الحقيقي بين الدعاة وأدعى لضمان استمرارية العمل الدعوي في مواجهة تحديات الواقع المتواصلة¹.

الفرع الخامس: مكملات إعداد الدعاة

ينبغي أن تتنوع جوانب إعداد الدعاة، تنوعاً يؤدي إلى تكامل شخصيتهم والقدرة على أداء رسالتهم... وذلك من خلال العناية بالجوانب الإيمانية والفكرية، والعلمية والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية للداعية، بعد اختيار الذين يتميزون بقدرات عقلية مميزة، ومواهب وطاقات تمكنهم من تحمّل تبعات الدعوة إلى الله تعالى².

1. الإعداد النفسي:

إن الإعداد النفسي للداعية من أعظم المؤهلات التي تجعله ينطلق في ميدان الدعوة بلا خوف ولا وجل ولا يأس، وأن يتسلح بسلاح الإيمان، فهو العدة التي لا تنفذ في مواجهة صراع الحياة ومفاتها، فيخلص نيتّه لله تعالى في دعوته، يبتغي بها وجه الله تعالى، وحبا في دينه ونشرا لتعاليمه وأخلاقه: قولاً وعملاً وسلوكاً³.

والداعية الذي يخوض غمار الدعوة، لا تغريه مفاتن الدنيا وزخرفها، ولا تخيفه سطوة الطغيان ولا جبروت الحكام، يسير بدعوته نحو تحقيق مقاصدها وأهدافها، ويعبرُ أمواج المخاطر والفتن في بحر الشدائد والحن، قد تشبعت قلوبهم إيماناً لا يتزحزح بمعية الله تعالى ويقينا ثابتاً في حمايته وحفظه، وشعارهم قوله:

تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁴.

1- ينظر: المرجع السابق، ص173

2- ينظر: أصول الدعوة ومنهجها، نبيل محمد درويش وغيره، ب ط، 2019م، ص158، 159

3- ينظر: المرجع نفسه، ص159

4- سورة التوبة، الآية 51

والداعية بإيمانه الراسخ على يقين صادق: أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه... وهذا الاعتقاد يحرر المؤمن من الخوف والجن والجزع، ويجعله يتحلى بالصبر والشجاعة والإقدام في كل الميادين نصرة لدين الله تعالى وذوداً عن حياضه¹.

وهذا ما لقّنه رسول الله ﷺ لأبن عباس رضي الله تعالى عنهما لتثبيت أسس الإيمان في قلبه وهو في سنّ الصبا: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا سَأَعْتَفَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»²

ويتطلب الإعداد الإيماني ربط الداعية بالقرآن الكريم، وبسنة النبي ﷺ ارتباطاً عملياً يغرس في القلب حب الطاعة وحلاوة القرب من الله تعالى والتجرد إليه سبحانه، وهذا الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تدبراً والتزاماً وعملاً بما جاء في كتاب الله تعالى، وما تضمنته السيرة النبوية المطهرة، من تطبيق عملي لدين الله تعالى وأحكام شريعته بمختلف الأساليب والوسائل، التي تمكنهم من تحقيق أهداف الدعوة، وبلوغ مقاصدها القديمة منها والحديثة³.

ومن الإعداد النفسي أن يوقن الداعية بنصر الله تعالى لهذا الدين، ومن الدلائل القرآنية وما أخبرت به السنة النبوية، بأن دين الله تعالى سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، كما أخبر بذلك النبي المختار ﷺ قال: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»⁴.

1- ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة، (صفات الداعية النفسية)، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط1، 1418هـ - 1997م، ص139-140

2- سنن الترمذي، ح2516، ج4/ص667، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

3- ينظر: أصول الدعوة ومنهجها، نبيل محمد درويش وغيره، مرجع سابق، ص159، 160

4- مسند الإمام أحمد، ح23814، ج39/ص236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون - إسناده صحيح على شرط مسلم.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وهذا اليقين الذي اكتسبه الداعية يعينه على مواصلة الطريق بخطا ثابتة وعزم قوي في مواجهة الشدائد والمحن لنصرة دين الله تعالى وتبليغه للناس.

2. الإعداد العلمي والثقافي:

إن أول ما يحرص عليه الداعية المسلم هو تلقي العلم من مصادره الأصلية، من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، معرفة يقينية ثابتة، من العلماء الربانيين الذين فقهوا دينهم وخبروا أحوال واقعهم، وتبعوا السنن الإلهية في تدرجها ومرحليتها وتسخيرها لخدمة دعوتهم، دون التغافل عنها أو مصادمتها، والأخذ بأحكام القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة، بعيدا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وبهذا يكون الداعية على بينة من أمره، وتكون دعوته على بصيرة كما أمر الله تعالى نبيه بذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.
فيبدأ الداعية بكتاب الله تعالى حفظا وتدبرا وفهما، ثم بكتب الحديث والسيرة، ثم كتب الفقه واللغة والشعر والأدب، ثم سائر العلوم المختلفة... وأن يتسلح بثقافة أهل زمانه ومن يدعوهم، فإن لأهل كل مكان لسانا وثقافة وأحوالا لا بد من الإطلاع عليها، وأن يكون الدعاة مُلمّين بقضايا عصرهم المختلفة، ومؤهلين تكنولوجيا بما يتناسب مع أدوات الاتصال في العصر الحاضر، وكيفية استخدامهم لها في الدعوة إلى الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^{2, 3}.

3. الإعداد الاجتماعي:

إن التنشئة الاجتماعية السليمة للداعية تجعل منه فردا متوازنا معتدلا، واثقا في خطواته، قائما بأعماله، مفتخرا بمكانته، متجاوزا كل العقبات، وما يعترض طريقه من سخرية واستهزاء وتطاول،

1- سورة يوسف، الآية 108

2- سورة إبراهيم، الآية 4

3- ينظر: أصول الدعوة ومناهجها، نبيل محمد درويش وغيره، ص 162، 163

صابرا محتسبا ذلك عند الله تعالى، وهذا دأب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم من الدعاة والصالحين، لذلك فلا بد للدعاة أن تُحفظ لهم مكانتهم في المجتمع، وإن تمد لهم يد العون والرعاية من أجل تحقيق الهدف المنشود من دعوتهم، وهو تمثيل الإسلام قولاً وعملاً، وسلوكاً بين الناس.¹

يعتبر الداعية عنصراً من شبكة العلاقات الاجتماعية، فيُعدّ للتأثير في كل الروابط التي تحيط به من زوجة وأولاد وأقارب وأصحاب وجيران وكل من له صلة به، واستعمالهم في خدمة الدعوة، وامتنال مبادئها وأخلاقها حتى يكونوا أسوة حسنة وأئمة في الدين يقتدى بهم، وهذا ما قام به سيّد الخلق محمد ﷺ في بداية دعوته حتى قويت واشتد عودها واستوت على قواعدها وقامت دولة الإسلام وانتشرت ولا تزال حتى تبلغ ما بلغ الليل والنهار.

4. الإعداد الاقتصادي (المادي):

من أجل المحافظة على قيمة الكلمة وعلو مكانتها لدى الداعية في خطابه وتوجيه الحديث للناس، أن يستغني عما في أيديهم، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم على ألسنة الأنبياء والمرسلين عاينهم السلام في مخاطبة أقوامهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾²، ولتكون كلمة الداعية قوية في الحق، دون أن يساوم في دينه وعرضه، وإراقة ماء وجهه، أو يُذل نفسه لأحد، فلا بد له من التعفف والاستغناء عن أموال الناس وعطاياهم، فيمتنهم ليكسب من جهد يمينه، ليقوم به دعوته وشؤون حياته، ولا يمكن أن يمد عينيه إلى ما في أيدي الناس فتضيع هيئته ومكانته ودينه، ولا أن يغريه ما عند الناس من متاع الدنيا وزخرفها. فقد نهى الله تعالى نبيه على أن تمتد عينيه إلى زينة الحياة الدنيا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُجْجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾³.

1- ينظر: المرجع السابق، ص 163

2- سورة الشعراء الآية 109

3- سورة طه الآية 131

ولكن غالبية الدعاة عاجزون عن الوفاء بتحصيل دخل يضمن لهم العيش المحترم، فيصير واجبا على الأمة وعلى جماعة المسلمين القائمين على الدعوة ومؤسساتها، أن ينفقوا عليهم من خالص أموالهم، ومن زكوات المسلمين وصدقاتهم، فمن جهّز غازيا فقد غزا، ومن جهّز داعيا فقد دعا، وهذا ما امتن به الله على نبيه ﷺ بأن يَسِّرَ له سبل الغني والقوة بمال أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، ونصرة عمه أبي طالب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۖ﴾¹

وهذا ما يؤكد للقائمين على دعوة الله تعالى، أن رعاية الدعاة ماديا من الضرورات الملحة في حياتهم ودعوتهم وفي إعدادهم وتحييتهم لأداء مهام رسالتهم واستمرارها².

5. الإعداد المهاري:

إن مهمة الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى عدة مهارات، لأن الدعوة تتطلب من الداعية كثيرا من التخصصات لتشمل شؤون الحياة ومتطلباتها، وإعداد الداعية بهذا المستوى يسهّل العملية الدعوية ويرفع من شأنها لتحقيق أهداف الإسلام ومقاصده، ومنها التحضير والإلقاء، ومهارة الحوار والتعامل مع الناس، ومهارة التنظيم والتخطيط وصناعة القرار، ومهارة التفكير والتفويض، فمهارة الخطابة والكتابة والتواصل باستخدام الوسائل التقليدية القديمة وكذا استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة، وسائر أدوات الاتصال وفنون المناظرة والمحاورة والمجادلة ليكون قادرا على مخاطبة جميع فئات المجتمع الذين يريد دعوتهم... وكل ذلك يحتاج إلى تدريب وتكوين وممارسة عملية، حتى يتمكن من مهارات عصره وفنون أهل زمانه³.

ولعل من أبرز السور التي عاجلت هذا الموضوع سورة فصلت. فإنها تحدثت عن إعداد الداعية وتقويمه من حيثيات متعددة، فقد تحدثت عن إعداد الداعية من حيث تعريفه بالأساليب الجيدة في عرض الدعوة ومن جهة تذكيره بالهدف الذي يدعو إليه، ومن جانب إبراز المجالات التي يدعو في

1- سورة الضحى، الآية 6-8

2- أصول الدعوة، ومناهجها، نبيل محمد درويش وغيره، ص160-161

3- ينظر: موسوعة زاد الدعاة، علي بن عمر بادحدح، ومحمد بن محمود حواء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1437هـ-2016م، ص480-544 والمرجع السابق، ص163-164.

محورها، فدعوة إلى تصحيح المعتقد، ودعوة إلى تصحيح السلوك في التشريع والأخلاق، ودعوة إلى تعريفه بأبرز السمات الأساسية التي يجب على الداعية، أن يتصف بها في حياته العادية والعملية¹.

المطلب الثاني: تجديد محتوى الخطاب وترقيته.

من أجل تجديد الخطاب ومحتواه وترقيته إلى مستوى القبول والرضا، وفي زمن تغيرت فيه كل المعطيات، وذلك من أجل تلبية مطالب الناس واحتياجاتهم، وفي عصر تطورت فيه آليات الخطاب وفهوم الناس وتعبيراتهم، وتطلّب الواقع بعد أن تقارب الزمان والمكان والإنسان، إلى خطاب يحمل مبادئ الإسلام ومقوماته، ويتمشى مع لغة العصر وبألسنه القوم، بعيدا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، " وفي إطار التحديات التي تواجهها الدعوة الإسلامية، لا خيار لنا من الاجتهاد للارتقاء بأساليب التأثير للغة الخطاب الإسلامي المعاصر، وإلقاء الأضواء على بعض الشروط والمواصفات الفاتكة لهذا الخطاب، وتحديد الأساليب أو المقومات اللازمة للغة الخطاب الديني، ومن خلالها نشير إلى السلبيات التي تشوب لغة الخطاب الإسلامي حاليا لدى بعض الدعاة والتي تحول بينه وبين تحقيق التأثير المنشود"².

إن تجديد الدين ينعكس إيجابا على تجديد الخطاب، بما يحمل في مضمونه من أصول الدين وثوابته التي لا تتجدد، ومدى مرونة فروع الشريعة وتجاوبها مع مستحدثات الحياة في كل عصر. فالوحي ثابت لا يتغير، وإنما التجديد في الخطاب الديني الذي يوجه إلى المدعوين، والذي قد يحمل في مضامينه ومحتواه الكثير من البدع والضلالات والشبهات، التي دسّها المستشرقون في الفكر الإسلامي وثقافته وتاريخه، وبعض المفاهيم الخاطئة أو الفتاوى الشاذة أو الباطلة والآراء المتشددة، والتي نتجت عند فقهاء العلماء الربانيين وما يملكونه من خبرات وتجارب، وتُرك الأمر بين يدي فئة من المتهورين لا يحسنون فهم الدين ولا مقاصده، فيفسدون أكثر مما يصلحون، في زمن ذقت الأمة فيها

1- ينظر: إعداد الداعية من خلال سورة فصلت، حمد بن ناصر العمار، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة، السعودية 1407هـ-1997م، ص7.

2- تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، محمد منير حجاب، دار الفجر، القاهرة، ط1، 2004م، ص254-255.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

ويلات والفتن والحروب، فأصابها الضعف والخور وساد الجهل والضلال عقول الناس، وأهملت مقوماتها الروحية والمادية، وضاعت كل عناصر القوة التي كانت تميزها.

إن أمة الإسلام رُغم ما يصيبها من أعدائها، فإنها باقية بشموخها ما بقى الليل والنهار، لما بشر به المصطفى ﷺ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»¹. وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه، فقال

تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾²، وأحاطه بالتجديد، والحماية بعلماء يحفظون العلم من التحريف والتزييف والبدع والضلال، كما أخبر بذلك النبي ﷺ «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ»³.

إن عملية التجديد للخطاب الديني أن يخلص المحتوى والمضمون من الجهالات والأباطيل، وأساليب التشدد والتضييق في أمور قد وسَّع الله تعالى فيها ويسرها على الناس، وإخراج الخطاب بالصورة المشرقة غضا طريا كما بُلِّغَ للصحابة رضي الله تعالى عنهم في صدر الإسلام، فقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بأن نحسن في كل شيء حتى في القول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾⁴، وقد أكد النبي ﷺ ذلك فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...»⁵. وأن يكون الخطاب وفق آداب الدين وأخلاقه، متتبعا لخطوات الخطاب النبوي الكريم ومرتكزاته في مخاطبة الناس، على اختلاف طبائعهم ومستوياتهم، بالرحمة واللين وخفض الجناح.

1- صحيح مسلم، كتاب الإمامة باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، ح5059، ج12/ص488.

2- سورة الحجر، الآية 9.

3- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث... ح20911، ج10/ص353، صححه الألباني في مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت:741هـ)، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م، ج1/ص82.

4- سورة البقرة الآية 83.

5- صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، 5167، ج13/ص111.

ومن أدب الخطاب أن نراعي اختلاف الناس واختيار طريقة مخاطبتهم، إلا أنه "من الثابت أن مضمون الخطاب في جوهره واحد لا يختلف، إذا هو المعبر عن حقيقة الدين ومقاصده، وهو ما نعينه من خلال قولنا ضرورة تجديد الخطاب الديني، أي تجديد المنهج، وتحديد الأولويات، وتعيين المواضيع والمحاور، أو الكشف عن طبيعة هذا الدين الذي نريد أن نتوجه به إلى الناس، والسعي الدؤوب لإبرازه للناس على صورته الحقيقية، بعيدا عن السطحيات والشعوذة والخرافة، وتخليصا له من كل انتهازية وغرض شخصي ومقصد عارض قريب"¹.

فليتنبه علماء الأمة ودعاتها إلى أن الدين ما جاء إلا ليواكب العصور في تجدداتها ومتغيراتها، ومن ظن أن الدين ثابت لا يتجدد، لينفي عن نفسه خبث ما علق به من أباطيل وضلالات، ليعود إلى صفائه كيوم نزل من عليائه على قلب محمد ﷺ، لذلك فإن "التجديد في الخطاب الديني من ناحية المضامين لابد أن يرقى إلى مستوى هذا العصر، ويعالج قضايا من أمهات القضايا الخطيرة التي تواجه العالم الإسلامي عامة، لاسيما في خضم الصراعات الإيديولوجية التي تتنازعها قوى عظمى، تحاول قيادة المركب وجعل العالم بأسره يسير وفق اتجاهها"².

إن من متطلبات التجديد أن يستخدم الداعية كل ما وصلت إليه البشرية من علوم ومبتكرات مادية وفنية في الوسائل والأساليب، حتى يتمكن من مخاطبة الناس بلغة العصر لأن "التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون، هو المنهج الأمثل لتطوير وتجديد مضامين ومحتوى الخطاب الديني، لأن العلوم برمتها تخدم بعضها البعض، فتجد أن التجديد في الخطاب الديني اخذ موقعه وتنوع في شتى العلوم، والفضل يعود إلى علمائنا الأوائل الذين ملكوا مفاتيح العلوم وأدوات الكشف عن خبايا الكون الفسيح وأسرار النفس البشرية، وما أضفوه عليه من جديد.. لازالت آثارهم شاهدة على نهضتهم إلى اليوم"³.

1- الخطاب الإسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، نخبة من الباحثين والكتاب، مركز البحوث والدراسات، الدوحة، ط1، 1426هـ-2006م، ص424.

2- مظاهر تجديد الخطاب الديني ونتائجه، جبارة سامية، بحث بالمؤتمر العلمي الدولي الأول بجامعة الأزهر، مصر، تحت عنوان: (تحديد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم)، المنعقد بتاريخ 15-16/03/2017م.

3- المرجع نفسه.

إن مستوى الخطاب الدعوي يتعلق بمدى قوة الأمة وضعفها عبر تاريخها الطويل، وحال أمتنا اليوم لا يخفى على أحد، وما تجرعه من ضربات وتعثّر في كل المستويات الروحية منها والمادية، فإن ضعف تأثير الخطاب الدعوي المعاصر في أمة الإجابة وأمة الدعوة وما أحاطت به من معوقات وتحديات حالت دون وصول رسالة الله تعالى إلى المدعويين، وهذا يتطلب من العلماء والدعاة والعاملين في حقل الدعوة إعادة النظر ومراجعة مضمون الخطاب الدعوي ومقوماته، وأأسسه ومرتكزاته، ومعالجة مواطن الخلل التي طرأت عليه عبر مراحل الزمن، وحالة الضعف التي أصابت الأمة في مقاتلتها، والنكبات التي حلت بها وكادت أن تعصف بوجودها، وتضييع معالم الدين وقواعده، لولا أن الله تعالى حفظ هذه الأمة ودينها بحفظه لكتابه، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾¹

وقد بشر رسول الله ﷺ ببقاء طائفة من أمة قائمة على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي وعد الله تعالى وهم كذلك، فهم أمل هذه الأمة، يحمون عزّها وكرامتها وماء وجهها، رغم كيد الأعداء ضمن سلسلة المؤامرات المتكررة والتهديدات المتواصلة، التي تحاك ضدهم على الدوام، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»². وقد خصّ الله تعالى هذه الأمة عن غيرها بشحذ همهم ومراجعة نفسها في كل قرن من الزمان، لتعيد للدين معالمه وتزيل عنه كل ما علق به من شبهات وتشويهات وأباطيل، لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»³

1- سورة الحجر، الآية 9.

2- صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، ح5059، ج12/ص488.

3- سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، ح4291، ج4/ص109، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

فهذا الحديث وإن كان فيه من البشرى بعدم خلو قرون أمة المسلمين من المجددين، إلا أنه تضمن في ثناياه الإشارة إلى ما يطرأ على حياة الناس بمرور الزمن في العصور المتعاقبة، مما يستدعي الحاجة إلى التجديد فمن ذلك مثلاً:

— جهل أكثر الناس بلغة العرب الفصيحة وأساليبها في البيان، ما يعيق الفهم الصحيح من الأمور الواردة في النصوص.

— استحداث كثير من التعاملات والتصرفات لم تكن من قبل مما يتطلب بيان الوجه الشرعي الصحيح.

— التقدم التقني الهائل والذي قرب التعامل مع العالم الآخر ومعرفة تلك التعاملات.

— ظهور التكتلات والتحالفات بين القوى المختلفة، ومعرفة المواقف اللازمة، ومعرفة طبيعة العلاقات وضوابطها من الناحية الشرعية.¹

وقد أوردت السنة النبوية حديث اختلاس العلم وحديث قبض العلماء، لدليل على أن بقاء النص لا يكفي لحفظ الدين وعلومه، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال " هذا أوان يُختلس العلم من الناس حتى لا يقدرُوا منه على شيء. فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله وكيف يُختلس منّا وقد قرأنا القرآن؟ فو الله لنقرّأه ولنقرّأه نساءنا وأبنائنا فقال: «تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»²

وهذا ما خطط له الغرب وعمل به بعد انتكاسته في الحروب التي خاضها مع أمة الإسلام، وعرف واستيقن أنه لا سبيل إلى القضاء على هذه الأمة إلا بفصلها عن دينها، ولا يمكنهم ذلك إلا بالطنع في لغة القرآن وطمس معالمها والخط من قيمتها، وهي الأداة الأساسية للفهم عن الله تعالى وأوامره واستنباط أحكامه والغوص في مختلف العلوم الشرعية والدينية، فإذا فقد الفهم وترك العمل

1- ينظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، مكتبة الملك فهد، السعودية، ط1، 1425هـ- 2004م، ص15-16.

2 - سنن الترمذي، باب ما جاء في ذهاب العلم، ح 2653، ج5/ص31، قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

بأحكام الدين ضاع العلم وظل الناس الطريق وانحصر الإسلام في حفظ النصوص الشرعية، وتخلفت الأمة عن مواكبة العصر وبقيت في مؤخرة الأمم، تجرّ أذيال الهزيمة والتخلف والضياع¹.

فالواجب على علماء الأمة، المحافظة على الموروث الحضاري ومكتسبات العلوم الشرعية وتحديددها، لتجاوب مع لغة العصر وتصب في خدمة متطلبات الواقع، ومسايرة الأحداث والوقائع المستجدة، والعمل على إثراء أدوات الاستنباط والتمسك بها ونشر العلوم والعمل بها، حتى لا يضيع الدين بموت العلماء، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ ليتأهب الناس ويحذروا من الوقوع في منزلقات فقد أهل العلم ورحيلهم فجأة، وتبقى الأمة في حيرة من أمرها لضياع المرجعية العلمية، فيتخبط الناس في الجهل والضلال².

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»³.

فإذا مات العلماء ذهب العلم بذهابهم، فعاش الناس في ظلمة الجهل والضلال، يتعثرون الطريق ويقتلون الضياء في غير أهله، لأن وجود العلماء في الأمة ضمان لحياة الدين وبقائه، وبجياة الدين تحيا النفوس وتهتدي وتستقيم الحياة وتستنير العقول بنور الوحي الإلهي وشريعته الغراء، وتستظل بظلال الإسلام،

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁴.

وهذا ما يستوجب على علماء الأمة تحديد الدين الذي يحافظ على بقاء هبشموله وكماله، كما أنزل أول مرة وتلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ، مشتملا على كل العلوم التي استوحاها العلماء واستنبطوها من صميم الوحي الإلهي، عبر تاريخ حافل بالتطورات العلمية والتطبيقات العملية، والرقي

1- ينظر: تحديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، ص16

2- ينظر: المرجع نفسه، ص16

3- صحيح البخاري، كتاب العلم باب: كيف يقبض العلم، ح100، ج1/ص50.

4- سورة الأنعام، الآية 122.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

في كل مجالات الحياة، وبنو حضارة حيّرت التاريخ وأدهشته، فتجديد الدين يظهر في خطاب شامل وسطي معتدلي يتجدد في كل عصر تتخاذل فيه الأمة عن نصرته دينها، وفي زمن كثرت فيه الأحداث وتغيّرت أحوال الناس.

ولتجديد الخطاب الديني لا بد أن يعتمد على مبادئ أساسية، تجعل منه خطابا متوازنا ومعتدلا يتميز بالتنوع واليسر، فقد نجد بعض الدعاة لا يحسن عرض الإسلام ولا يملك رصيда وافرا من العلم، الذي يمكنه من معرفة حكم الإسلام في مستجدات العصر ومتطلبات الحياة، وفي نوازل الأيام والأحداث، لذا فإن الطريقة الوعظية للخطاب، لم تعد الطريقة الوحيدة المجدية في عرض الخطاب¹.

إن من أعظم الوسائل تأثيرا في النفس، هو التطبيق العلمي لأخلاق الإسلام والكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة بين أفراد الأمة، وبهذه الوسائل العملية انتشر الإسلام في ربوع العالم في الزمن الإسلامي الأول، عبر وفود التجارة والتعاملات البشرية، وما يحملونه من أخلاق سامية وتعاملات صادقة، أبهرت كل شعوب العالم وأخذت بأيديهم، إلى البحث عن هذا الدين والتعرف عليه ثم اعتناقه.

ومن أجل تجديد مضامين الخطاب الديني، وما يحمله من مصالح لخدمة البشرية، ويعمل على سعادتها من خلال نشر الدعوة إلى مكارم الأخلاق والدعوة إلى الحب الإنساني بمعانيه السامية، والدعوة إلى الأخذ بالعلم والدعوة إلى التعاون والعمل على تقارب الشعوب فيما بينها، وتبادل الثقافات والمنافع العامة، حتى تصحح النظرة الخاطئة للغرب ومن يحملون العداء لهذا الدين، ويكيدون له ليلا نهار للقضاء عليه والصد عنه، وأن يأخذ الإسلام من مصادره الأصلية وتطبيقاته في حياة المسلم المعاصر، وأن ينبذ الموروثات القديمة التي تطعن في الإسلام وتشوه صورته في شعوبهم، فنشأت أجيالا تكره الإسلام وتعمل على محوي معالمه².

ومن ثم فمن الواجب التفريق بين الخطاب الديني والنص الديني، إذ أن النص هو كل ما ثبت وروده عن الله سبحانه وتعالى، وعن رسوله ﷺ وهو فوق المحاسبة والالتزام. أما الخطاب الديني فهو ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم من النص الديني أو من مصادر الاجتهاد، ويتمثل في فتاوى الفقهاء،

1- ينظر: منهج تجديد الخطاب الديني، جمال رجب سيد بي، نيويورك، ط1، 2018م، ص 39-40.

2- ينظر: المرجع السابق، ص 40-42.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وكتابات العلماء وأحاديث الخطباء، ومواقف القيادات الدينية، وهنا لا قداسة ولا عصمة، فالجته قد يصيب ويخطئ، كما أن قسما كبيرا من الخطاب الديني المعاصر لا يصدر عن فقهاء مجتهدين، وإنما عن وعّاظ محترفين، بغض النظر عن الكفاءة والنزاهة.¹

إن التجديد في مضمون الخطاب لا يعني تغيير محتواه من أصول الدين وثوابته أو المساس بجوهره، فالتجديد إنما يعني تأليف خطاب يحمل أساسيات الدين من مبادئ ومقومات، تعيد إليه خصائص نشأته ومكان عزّته، يوم كانت تهتز عروش الملوك والجبّارة، حين يعلن صوت الحق، من خلال خطاب إسلامي منضبط بشريعة الله تعالى لقوّته وهيئته، لذا فإن تجديد الخطاب يكمن في التزامه بتعاليم الدين الصحيحة، بعيدا عما قد يعتريه من سوء فهم للقضايا العصرية المستجدة، وقد رتّعت على استيعابها وإيجاد الحلول لها، وضبطها بالأحكام الشرعية من خلال اجتهاد العلماء وأهل الفقه والدين.²

إن ما يثيره الأعداء حول تجديد الخطاب الديني، يعكس سوء نواياهم في الطعن في مبادئ الإسلام ومقوماته، وهذا ما أفرزته العولمة والتخطيط الأمريكي، فيما تبثّه من ادعاءات وشعارات جوفاء، كصراع الحضارات وتلاقح الثقافات وتوحيدها، وحوار الأديان، ليجعلوا منها دينا واحدا، ﴿إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ يُرَادُ﴾³، وهي في الأصل كلمات حق أريد بها باطل، فهم يبيّتون لها ما لا ترضى من المكائد والمؤامرات، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾⁴. وقد كشفت الأحداث عن مدى خبث سرائرهم وحقد قلوبهم وما أخفت من بغض وعداء لهذا الدين، وإعلان حرب صليبية ضد كل ما له صلة بالإسلام، وقد بدت البغضاء من أقوالهم وتصريحاتهم في كل وسائلهم الإعلامية، وعلى ألسنة قادتهم ومسؤوليهم، ومباركة رجال الكنيسة في ذلك، كما:

1- ينظر: الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، حسن الصفار، المركز النقابي العربي، المغرب، ط1، 2005م، ص20-21.

2- ينظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، ص22-23.

3- سورة ص الآية 6

4- سورة النساء الآية 81

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹.

"والواقع إننا نرى أن مشروع تطوير الخطاب الديني الذي يطرحه العالم الغربي اليوم، لاسيما أمريكا كما لو كان تعبيراً عن تحولها إلى منهج معالجة الأسباب، وهو في حقيقتها استمرار منهج معالجة النتائج، حيث أن الخطاب الديني الحالي الذي يصفونه بأنه مُتَّسِم بالتشدد، هو في ذاته نتيجة لأسباب أخرى تتصل بالظلم والفساد، وانحسار العدالة والهيمنة وغياب احترام كرامة الإنسان، وهذا يقتضي أن يُطوّر الخطاب الديني بمعالجة أسباب تشدده وليس من خلال تغيير مضمونه الذي من شأنه أن يكتف من ضغوط الهيمنة والإحساس باستخفاف الغرب بكرامة العربي والمسلم".²

إن تجديد الخطاب الديني وتحديث آلياته، هو من صميم الدين وفروضة الشرعية، التي أقرها الدين الإسلامي في المقام الأول، لأنه الدين الخاتم، ولا يأتي بعده من يصحح ما أحدثوا فيه من تغيير وتبديل، إلا أن الله سبحانه وتعالى تكفل بتجديده في كل قرن من الزمان، كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في حديث التجديد: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»³، وقد بيّن ﷺ كيفية التجديد فقال: «يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ»⁴.

"فليس المقصود بطبيعة الحال التجديد في الدين، فالدين لا يحدد، فالزمن هو الذي يساير الدين وليس العكس - كما يزعم الواهمون - وإنما التجديد الذي ننشده هو فهم الإسلام وقضاياه في ضوء مستجدات العصر وتحدياته، أو بعبارة أخرى نتعامل مع العصر بإشكالياته جميعاً، والدين

1- سورة آل عمران، الآية 118.

2- الإعلام الديني والتعددية الثقافية، نجلاء إسماعيل أحمد، دار المعتز، جامعة الأردن، ط1، 2018م، ص 99.

3- سنن أبي داود، كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، ح 4291، ج 4/ص 109، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

4- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث... ح 20911، ج 10/ص 353، صححه الألباني في مشكاة المصابيح، ج 1/ص 82.

الإسلامي له من الثبات والمرونة أيضا، ما يعطي للعقل المسلم الانطلاق والتجديد، في كل القضايا والمفاهيم التي تواجهه... إنما نريد تطوير الآليات ومفاهيم النظر إلى القضايا الإسلامية المختلفة، في ظل الواقع الذي نعيش فيه"¹.

"إن الخطاب الديني هو ما يستنبطه ويفهمه الفقيه، والعالم والخطيب، والمفكر والباحث من النص الشرعي والأحكام الإلهية، وهذا الفهم لا قداسة ولا عصمة له، بمعنى أن الخطأ قد يطال ذلك الفهم والاستنباط، فالمجتهد يخطئ ويصيب، والخطأ يصدر من وعاظ لا تتوفر فيهم الكفاءة أو النزاهة أحيانا"².

إن تجديد الدين يكون طريقا إلى حفظ الدين على صورته النقية، بعيدا عن البدع والضلالات التي ألصقت به، وتعود إلى لأخذ من منابعه الصافية، فتتوحد قوى الأمة وتعود إلى عزتها التي نشأت أول مرة، وقيادتها للبشرية، باعتمادها على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وتجاوبها مع كل مستجدات العصر ونوازلها، مما يكون له أبلغ الأثر في قدرة الأمة على الصمود أمام أعدائها المتربصين، في مواطن القتال والنزال، كما في مواطن السجال الفكري، وتحقيق النصر والغلبة، وتمكين الأمة من استعادة ماضيها وسيادتها على الأمم.³

المطلب الثالث: تحديث الوسائل والأساليب للخطاب الدعوي المعاصر

إن البقاء والتشبث بالوسائل والأساليب الدعوية التي استعملها أسلافنا في العصر الأول ومن جاء بعدهم، لا يمكن أن تكون مجدية وتؤدي دورها كما فعلت من قبل، فقد تغير الزمان والمكان وطبيعة الإنسان.

1- منهج تجديد الخطاب الديني، جمال رجب سيدي، نيويورك، مصر، ط1، 2018م، ص23

2- ينظر: الخطاب الإسلامي والقضايا المعاصرة، حسن السيد عز الدين بحر العلوم، العارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م، ص5

3- ينظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، ص33-34.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

وبعد أن طال بالأمة الزمان وتغير نمط الحياة، وتعاقت الأجيال وتبدلت الأحوال، وكل عصر بما توفرت له من وسائل وأدوات، واستطاع الداعية لحاجته أن يستغلها في مصالحه الروحية والمادية، وأن يتعامل معها بما يحقق أهدافه ومقاصده.

وفي هذا العصر وبعد التطورات العلمية والاكتشافات التقنية والتكنولوجية لوسائل حديثة، أبحرت العقل البشري وأراحته من كثير من المشقة والعنت، واختصرت له كل المراحل الزمانية والمكانية، وقربت الصلات الإنسانية، وجعلت البشرية تعيش جَوْاً أُسْرِيًا دافئًا، يحس بعضهم بآلام بعض، ويواسوهم وتمدّد لهم يد العون في الكوارث والملمات، رغم تباعد المكان وتغيّر الزمان، وتنوع اللسان واختلاف الأديان، وتعدد طبائع الإنسان، فتحاورهم وتناقش معهم، ويمكنك أن تعرض عليهم دينك بأساليب واقعية ومقنعة، وأنت على فراشك في بيتك...

"إن هذا الواقع التكنولوجي الجديد، يفرض على الدعاة ضرورة التطور، لتلبية متطلبات الجمهور الضخم المتنوع، وتكيّف الخطاب الديني القادر على الوصول إلى هذا الجمهور... هذا التجديد ضروري لإيصال معاني الإيمان إلى ملايين المسلمين وغير المسلمين، للاستفادة من هذه الوسائل الحديثة المتطورة"¹.

إن وسائل الاتصال الحديثة أصبحت - اليوم - كخيوط العنكبوت، قد نُسجت في ربوع عالمنا نسيجًا، جعلت منه وحدة مترابطة الأطراف: أولها بآخرها وعاليها بسافلها، وهي آية من آيات الله تعالى الدالة على كمال حكمته وعلى صدق نبوة حبيبه محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي بشر ببلوغ رسالته الكون كله، لكونه خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد ختم الله تعالى به الأنبياء وختم بالإسلام الرسالات،

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾²،
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾³.

1- تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، محمد منير حجاب، ص 303

2- سورة الأحزاب الآية 40

3- سورة الأنبياء، الآية 107

فقد أخبر النبي ﷺ أمته وبشرها بانتشار الإسلام، ليرفع من همّتهم ويقوّي من عزيمتهم ويؤكد على ذلك، يقينا وصدقا، فقال: «لَيَسْلَعَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بِذُلٍّ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»¹.

لقد لعبت هذه الوسائل الحديثة دور عظيم في تقريب المسافات والأرواح والنفوس، لتتلاقى وتتجاوز وتتبادل وجهات النظر والأفكار، وهي من أعظم المنح في هذا العصر. الذي يمثل العطاء الإلهي والفتح المبين على أمة الإسلام، لينشروا دين الله تعالى وشريعته الغراء في هذا الكون الفسيح... فقد اختزلت هذه الوسائل بلدان العالم في قرية واحدة... وقد وعد الله تعالى بأن يبعث في كل قرية نذيرا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾².

وقال عليه الصلاة والسلام: «... كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَرْيَتِهِ وَلَا يَعْدُوهَا وَبُعِثْتُ كَافَّةً إِلَى النَّاسِ...»³

"وقد بُعث رسول الله ﷺ كافة للناس بشيرا ونذيرا... وهو الخالق سبحانه وتعالى، الذي كان يعلم أن العالم كله سيصير بمثابة القرية الواحدة... فلا يحتاج إلى تعدد الرسالات، ولا يحتاج إلى رسول بعد الرسول ﷺ، الذي تعمّ دعوته شعوب العالم أجمعين، لقد كان هذا التقارب بين بلدان العالم قد بدأ مع مبعث النبي الخاتم ﷺ، ثم تطور إلى أن وصل ما وصل إليه الآن"⁴.

وقد أعلنها رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...»⁵.

1- مسند الإمام أحمد، ح 23814، ج 39/ص 236، قال المحقق - شعيب الأرناؤوط وآخرون - إسناده صحيح على شرط مسلم.

2- سورة فاطر، الآية 24

3- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408هـ - 1988م، باب ذكر الخصال التي فضل ﷺ بها على غيره، ح 6399، ج 14/ص 309.

4- ينظر: تحديد الخطاب الديني، محمد منير حجاب، ص 303-304

5- صحيح البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، ح 3025، ج 3/ص 1168.

فكان أول من بعث في الأرض آدم -عليه السلام- النبي الأوحد في بداية البشرية، ثم أصبح رسول الله ﷺ النبي الخاتم في آخر الزمان، ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾¹، فتشابهت بداية الوجود بنهايته في رسالة الإسلام على يد نبي واحد، فكانت رسالته ﷺ قد بعثت للقربة العالمية الوحيدة (الأرض) لينشر دين الله تعالى في ربوع العالم الفسيح، ولكل البشرية باختلاف ألسنتهم وألوانهم...

إن تجديد الوسائل الدعوية في العصر الحديث لا يعني الإعراض والتجاهل عن الوسائل الدعوية التي كانت قديما عند أسلافنا ولا زالت، ولكن أن تُضيف عليها من لمسات التطورات التقنية الحديثة في عالم الاتصالات، والعمل ضمن الشبكة العالمية التي جمعت الشعوب تحت مظلة واحدة، فقتربت البعيد في المكان واختصرت المسافات والأزمان وتعارف في فضائها الأزرق الإنسان.

فإذا كانت الخطبة من أعظم الوسائل في نشر تعاليم الإسلام، وتبليغ رسالة الله تعالى إلى العالمين، ولكن صداها لا يتعدى الحضور وممن يصلهم مكبر الصوت في زمن مضى، أما في عصر التجديد ودخول الوسائل الحديثة كل مجالات الحياة: من ثقافة وإعلام وتعاملات مختلفة، من خلال الفضائيات ووسائل إعلامية متعددة، ثم تحولت بعد ذلك إلى الشبكة العالمية بوسائلها المتعددة وصفحاتها التواصلية المختلفة، لتكون أكثر انتشارا عبر شعوب العالم.

وبهذا التطور العجيب في الوسائل والأساليب تحققت نبوة المصطفى ﷺ «لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزُّ عَزِيزٍ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»². فإذا تم تجديد الخطاب الديني عبر هذه الوسائل الحديثة واستغلها الدعاة أيما استغلال، فإن وعد الله تعالى يتحقق، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾³

1- سورة الأحزاب الآية 40

2- مسند الإمام أحمد، ح 23814، ج 39/ص 236، قال المحقق - شعيب الارنؤوط وآخرون- إسناده صحيح على شرط مسلم.

3- سورة التوبة، الآية 33، صورة الصف، الآية 9

إن الإسلام لم يجعل وسائل الدعوة أمراً موقوفاً ولا محدداً، لا يمكن تجاوزه أو مخالفته، كما زعم بعض الدعاة، بل جاء وقد وضع القواعد الأساسية، وبيّن الإطار العام لاختيار الوسيلة المناسبة والأسلوب اللائق، حسب طبيعة الأشخاص وأحوالهم ومستوياتهم، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في منهجه الدعوي في مخاطبة الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹.

ومن الحكمة في الدعوة هو استخدام الوسيلة المناسبة. فالزمن يتغير، والوسائل تتنوع، والحياة تتطور، وكل عهد تظهر فيه وسائل لم تكن من قبل، والداعية الفطن يستغل كل وسيلة شرعية تخدم دعوته، لأن الوسائل تأخذ حكم الغايات في شرع الله تعالى، ولما كانت الوسائل والأساليب متجددة، فلا بد من الإبداع واستغلال كل الوسائل المستجدة والاستفادة منها.²

فالداعية الحكيم لا ينجح إلى الجمود والانعزال والتردد في استخدام ما أبدعته الثورة المعلوماتية، والتطورات العلمية والتكنولوجية الحديثة في دنيا الإعلام والاتصال، التي حوّلت العالم إلى بيت واحد، وألغت فيه عوامل الزمان والمكان، وتشابكت فيه الأحوال واشترك الناس في الآلام والآمال، وتمكّن الداعية من إيصال دعوته ونشر دينه، بفضل هذه الوسائل الحديثة إلى كل بيت مدر ووبر، وبلغ الدّين ما بلغ الليل والنهار.³

ولما كانت شريعة الإسلام هي الدّين الخالد على مرّ الدهور والأزمان ولكل البشرية في كل مكان، فإن لكل عصر وسائله باختلاف البيئات والمجتمعات، وما يتلاءم معها من أساليب وإمكانات تبين للناس معالم الدّين وأحكامه.

تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾⁴.

1- سورة النحل، الآية 125

2- ينظر: الإعلام الديني والتعددية الثقافية، نجلاء إسماعيل أحمد، مرجع سابق، ص 237

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 237

4- سورة النحل، الآية 44

فالداعية الفطن الذكي يستغل كل وسيلة وجدها أو مر بها أو ظهرت بين يديه، فيلتقطها ويفعلها ويستخدمها لتوصيل دعوته، من خلال فكرة أو شرح آية أو عرض نصيحة وموعظة، أو إصلاح بين الناس، فالغاية من الوسيلة أن تصل دعوتك للناس بوسائل مشروعة، فالحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها، فقد مرّ رسول الله ﷺ على جدي ميت (أسك)¹ فاستعمله ليوضح حقارة الدنيا على الله تعالى، وأنها لو كانت تعدل جناح بعوضة ما سقى الله تعالى فيها الكافر شربة ماء.

والداعية الناجح لا يجد وسيلة لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعمالها، وهو يستفيد من كل ما أنتجته الحضارة المعاصرة، من وسائل متطورة في الدعوة إلى الله تعالى، فهو يدعو عبر القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الدولية، وكل ما يستجد من وسائل وتقنيات حديثة، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة بدعوى توقيفية الوسائل، مع الحفاظ على مشروعية الوسائل وثوابت الدعوة وأصولها، فيأخذ بالتنوع في وسائلها، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.²

واليوم وبعد النقلة النوعية المبهرة العجيبة صار الداعية يمكنه أن يتواصل بفضل الله تعالى أولاً، ثم بفضل هذه الوسائل الحديثة مع ملايين البشر، لتبليغهم دين الله تعالى ونور الإسلام، فقد أصبحت الوسيلة الحديثة الأكثر رواجاً وانتشاراً في العالم المعاصر اليوم، ولا غنى لأحد عنها في كل المجالات والميادين.³

إذا كان تجديد مضمون الرسالة الدعوية يعني المحافظة على النصوص الشرعية بصفتها دون أن يخالطها تشويه... فإن الحديث عن تطوير شكل وأسلوب وطرق عرض الخطاب قد يغفل عنها الدعاة في هذا العصر، وينحصر نشاطهم فيما ورثوه من التراث الإسلام القديم، وقد تحدث بعضهم

1- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ « أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ ». فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ». قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَبًّا كَانَ عَيْنًا فِيهِ لَأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ « فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ ». صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب حدثنا قتبية بن سعيد، ح 7607، ج 8/ص 210، والأسك : ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها. وكنفته : جانبه أي أحاط به الناس من جانبه

2- ينظر: الإعلام الديني والتعددية الثقافية، نجلاء إسماعيل احمد، مرجع سابق، ص 237، 238

3- ينظر: مرجع نفسه، ص 237، 238

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

على توقيفية الوسائل، واعتبر الخروج عنها طعنا في الدين ومخالفة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.¹

لذا فإن تطوير الخطاب من خلال الشكل والأسلوب وطريقة عرضه، لها تأثير بالغ في ظل عالم يتسارع في تطوره، وفي استخدام منجزاته العلمية والتكنولوجية الحديثة في الدعوة، فقد أصبحت هذه الوسائل ضرورة لازمة لتقريب الفهم، وتيسيره على المتلقي في عالم يتسم بتسارع الأحداث والمستجدات والمؤثرات الإعلامية والاتصالية، لذا فإن الصورة أبلغ من ألف كلمة وأقوى تأثيرا وأسرع فهما من النصوص والكلام المجرد، فعلى الداعية أن يحدد عرض خطابه بوسائل العصر وأساليب متطورة.²

إن عملية تحديث الوسائل والأساليب للخطاب الدعوي المعاصر، لا يعني إلغاء ما توارثته الدعوة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، من الوسائل والأساليب، ولكن يجب أن يتحلى بأثواب العصر وان يستغل ما وقّره التكنولوجيا من تطورات علمية في مجال الإعلام والاتصال، وجعلت من العالم كالجسد الواحد في أحلامه وآماله وآلامه، فتُنقل إليك الأحداث لحظة وقوعها، وتتفحص العالم بنفسكفي كل خباياه متى شئت، فتصلك صورته وصوته ومشاعره وأحاسيسه كيفما شئت ومتى شئت.

لقد كانت الخطبة والدرس مقتصرًا على من حضر المسجد أو مكان الخطاب وما جاورها في محيطه، وبفضل ما توصلت إليه الأمة في عالم الاتصال، صار الخطيب في الحرم المكي أو المدني مثلا يقيم شعائره في مسجده وفي بلده وصوته يصل من أدنى الدنيا إلى أقصاها، ما ترك من بيت مدر ولا وبر إلا وبلغه كلامه، ويمكنك الاحتفاظ بها في مواقع الشبكة ترجع إليها متى شئت أو ترسلها عن طريق صفحات التواصل أو البريد الإلكتروني وغيرها من الوسائط أو تُنشأ لها مواقع عبر الشبكة لتصل إلى أكثر عدد ممكن من أمة الفضاء الأزرق اليوم.

1- ينظر: تجديد منهج الدعوة الإسلامية في ظل المتغيرات الحديثة، احمد علي سليمان، مؤتمر دولي (التجديد في الإسلام)، رابطة

الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة صنعاء، المنعقد في فبراير 2009، ص 24-36

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 9-12

"فهذا العصر الجديد الذي يشهد تطوراً تكنولوجياً هاما خاصة من حيث الوسائل والأساليب الحديثة في كل مجالات الحياة، ولو عدنا إلى الخطاب الديني في عهد الرسول ﷺ لوجدنا أنه رغم بساطة وسهولة الوسائل المسخرة آنذاك، فالرسول ﷺ انتقى أفضلها وأنجعها ونوع في الأساليب بغرض تحقيق الدعوة إلى الله تعالى، وقد نجح عليه الصلاة والسلام أيما نجاح ومن بعده صحابته رضوان الله عليهم وبعدهم التابعين الذين ساروا على نهجهم واتخذوا كل وسيلة وأسلوب شرعي لتحقيق خطاب ناجح ورشيد"¹.

المطلب الرابع: تفعيل المناهج الدعوية في الخطاب الدعوي

إن المناهج الدعوية هي تلك الطرق لإصلاح النفس والمجتمع، التي استقاها العلماء من كتاب الله تعالى ومن سنة المصطفى ﷺ، وسيرته العطرة، واستنبطها الدعاة من خلال ممارسته ﷺ العملية في دعوته لربه، ونشر تعاليم دينه وتعامله مع الناس، في إصلاح نفوسهم وتقويم أخلاقهم وتهذيبها، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم.

فالداعية الحكيمة لا يمكنه ممارسة دعوته وتوجيه الخطاب إلى الناس، حتى يعرف حالهم ويكشف مواطن الداء فيهم، كحال الطبيب المتميز الفطن يطيل فحص المريض، ليشتخص أسباب العلل ويصف له العلاج الناجع.

لذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾²

ومن الحكمة تفعيل المناهج الدعوية في خطابنا الدعوي في تعاملنا مع المدعويين، فنخاطب الناس على قدر حاجتهم إلينا، وبالقدر الذي يصلح حالهم، فقد يتعامل الداعية مع من يخاطبهم بأحد المناهج الدعوية إذا رأى أن صلاحهم في ذلك، وقد يمزج بين منهجين إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، وقد يصل الأمر إلى جمع المناهج الثلاثة في آن واحد إذا تطلب الأمر وتعددت قدرات الناس

1- مظاهر تجديد الخطاب الديني ونتائجه، جبارة سامية، مقال (تدخل) بمؤتمر العلمي الدولي الأول بعنوان: تجديد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم، بكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف، مصر، يومي 15-16/03/2017.

2- سورة النحل الآية 125.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

ومشاريهم، وتباينت عقولهم ومستوياتهم، فالداعية الفطن يعرف كيف يتعامل مع هذه المناهج واستعمالها في توجيه خطابه، ليحقق الهدف المنشود في هداية الناس وإصلاحهم.

إن علماء الأمة قد استنبطوا تلك المناهج من خطابات القرآن الكريم الكثيرة، والتي خاطب بها المولى سبحانه وتعالى كل الخلائق، وكل خلق يخاطبهم بما يليق بهم ويفهمون كلامه، فقد خاطب الملائكة والإنس والجن، وخاطب الأفراد والجماعات، والطائعين والعصاة، وكل الأشياء.

وقد تتبع الدعاة والعلماء بعض ما ورد في خطابات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واستلهموا منها كثيرا من المعاني والإشارات والدلائل، لتكون قواعد أساسية ومعالم ثابتة يستشف من خلالها تنظيم الخطاب وفق ضوابط شرعية، يمكن للدعاة أن يأخذوا بها ويعملوا في إطارها، لتوجيه خطاباتهم إلى الناس باختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ومستوياتهم.

لقد تعرض الباحث في الحديث عن مناهج الدعوة وتطبيقاتها ضمن عناصر الرسالة وبيّن أنواع المناهج من حيث مصدرها وموضوعها وطبيعتها، والأهم في ذلك المناهج الدعوية من جهة ما تركز عليه، لأن الفطرة الإنسانية تعتمد على أسس ثلاث: القلب، العقل، الحس، ولهذا انقسمت المناهج إلى ثلاثة مجالات، وكل منهم له تطبيقاته وأساليبه المتعلقة به، فالمنهج العاطفي يركز على القلب والعاطفة في الإقناع وتوصيل المعنى الذي تهدف إليه الشريعة بالرفق واللين، لأنه الباب الذي يدخل عليه منه، بحكم طبيعته وشدة تأثيره من هذا الجانب، فيتأثر بالموعظة الحسنة والترغيب والترهيب.¹

أما المنهج العقلي فهو المنهج الذي يركز على العقل في إقامة الحجة وتقديم الدليل والبرهان، ورغم قبول العقل للدعوة وتأثره بها إلا أن القلب يريد الاطمئنان بالأدلة العقلية الدامغة، كمن تحدث أمام ناظره آية الإحياء والنشور، كما طلب الخليل إبراهيم عليه السلام من مولاه أن يُريه كيفية إحياء الموتى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦﴾².

1 - ينظر: مدخل علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 195 - 198

2 - سورة البقرة الآية 260

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

فاجتمعت في هذه الصورة أكثر من منهج دعوي، لإثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من جديد، إذا علمنا أن هذا الموقف وقع مع الخليل إبراهيم عليه السلام ومع العبد الصالح عزيز عليه السلام، حينما أماته الله تعالى ثم بعثه، ثم أراه من آياته ما كشف على أسرار قدرته في كيفية إحياء الموتى، وقدرته النافذة في الأشياء كلها رأي العين.

وكما أيّد الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام بالآيات الإلهية، وهو ما اختص سبحانه بها لنفسه من أفعالٍ قد وهبها لرسوله بإذنه، كإحياء الموتى والإخبار بالغيب وغيرها مما يراها المخاطب ويلمس صدقها وحجيتها على الناس.

أما المنهج الحسي أو التجريبي والذي يركز على الحس، وهذا كثيرا ما يستعمله القرآن الكريم في إيضاح شريعته وإثبات قدرته التي قهرت كل الخلائق، وأن الأمر بيد الله تعالى يقبله كيف يشاء، وقد أخرج الناقة من الصخر لإثبات صدق نبيه صالح عليه السلام، وأنزل المائدة للمسيح لصدق رسالة عيسى عليه السلام، وأيّد موسى عليه السلام بالعصا واليد ليؤكد أنه رسول من عند الله تعالى، وأكرم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن العظيم والكتاب المبين، الذي قهر فطاحلة العرب ودّهاتما أن يقربوا ساحته، ولا أن ينالوا منه أبد الدهر.

وهذا المنهج الحسي التجريبي أشد وقعا وأعظم تأثيرا في نفوس المدعوين، ولا حجة لهم بعد مشاهدة الآيات ومعينة الأحداث، ولهذا تهددهم المولى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعذاب غير معهود، **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾**¹.

ولا زال القرآن الكريم يتبنى المنهج الحسي في تحدّيه الدائم والمستمر، فمنذ أن نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهو في كبرياء واستعلاء، وتحذّر بأن يأتيوا بآية من مثله. ومع أن الله تعالى قدّم وكلام القديم قدّم، وما كان لحادث أو مخلوق أن يأتي بمثله أبدا.

لقد بعث الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون وأمره أن يخاطبه بالرفق واللين في القول، وهذا ما يؤكده المنهج العاطفي القلبي.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ٤٤¹.

فلما أراد الحجة والمجادلة وبدأ النقاش وتعجيز الخصم وإفحامه بعد أن ذكره موسى عليه السلام: بأنه مرسل من ربه وحذره من مغبة الجحود والنكران.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٥٠² قَالَ فَمَا بَالُ

الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۚ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ ٥٢³.

فلما قدّم له من الدلائل والبراهين ما يؤكد صدق رسالتهما، وهذا ما يؤكده المنهج العقلي، فلم يرض بذلك البيان ولا تلك التوضيحات التي عرضها موسى عليه السلام، حيث أمره الله تعالى بأن يلقي عصاه أمام الملأ، حتى تكون قاصمة الظهر لكل جحود أونكران أو الردود المستهزئة، أمام التطبيقات الحسية والآيات الدامغة بحضور الحشد الهائل من الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ٥٩⁴.

فأثبت موسى عليه السلام بقوة الحجة وعظم الآية التي أجراها الله تعالى على يديه، فأقنع الحضور بصدق رسالته، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ ١١٩⁵.

فأسلم من عرف الحق وأيقن بما وقع بين ناظره، إنما هو من المعجزات الباهرة التي يؤيد بها المولى سبحانه وتعالى أنبيائه ورسله، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ٧٠⁶. وقال السحرة حينما خامر الإيمان قلوبهم، واهتزت نفوسهم بعزة وكبرياء المؤمن المتألق والمتعلق بربه سبحانه، ولم يعجبوا بما توّعدهم وهددهم به فرعون من القتل والصلب والتعذيب.

1 - سورة طه الآية 43-44

2 - سورة طه الآية 49-52

3 - سورة طه الآية 59

4 - سورة الأعراف 118-119

5 - سورة طه الآية 70

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَاءً أَمْثَارِ بِنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) 1.

فهذه المرحلة يكون موسى عليه السلام قد وصل إلى إقامة الحجة بدلائل حسية يراها ويشاهدها الجميع، وهذا ما ينطبق عليه المنهج الحسي التطبيقي.

فالواجب على الدعاة اليوم أن يعملوا بهذه المناهج التي بينها الله تعالى في كتابه، والتطبيقات الدعوية العملية عند مختلف الأنبياء والرسل الكرام، وما أوردته السنة النبوية المطهرة من تطبيقات عملية في حياته صلى الله عليه وسلم الدعوية، ويستخلص منها العبر والمناهج المتبعة في عرض الرسالات ومخاطبة المدعويين بطرق ومراحل مختلفة.

فيبدأ خطاب الدعاة، ببسط الجناح ولين الكلام، في تحريك المشاعر ومداعبة العواطف وتحسيسهم بالرأفة والرحمة، وأن دعوتهم تبنى على الحب، كما قال أحد الدعاة، وأن غايتهم الله تعالى والدار الآخرة، وبهذه الانطلاقة يتم تفعيل المنهج العاطفي في عرض الأساليب الموحية بالحرص والعناية على المدعويين وخدمة لمصالحهم وما يسعدهم في دينهم ودنياهم، فإن ظهر منهم القبول والرضا وإلا تحول الداعية إلى اختيار المنهج الأمثل في إقناع هذه الفئة بما يملكه من براعة في عرض دعوته بالمنهج المناسب واللائق والمؤثر في المدعويين، وهو أن يعرض الإسلام بأدلته وحججه الباهرة، والتي تحدى بها القرآن الكريم أصحاب العقول وأثبت ربانيته بين جبابرة الكفر والإلحاد، وتفعيل المنهج العقلي يمكننا الحديث على كل تفاصيل شريعتنا وفروعها بالحجة والبرهان، وقد تحد المولى عليه السلام كل الخلائق من أن يثبتوا نقصا في شريعته أو في قرآنه كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) 2.

ولما اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (١٠٣) 3، فرد عليهم المولى سبحانه وتعالى إفحاما لقولهم.

1 - سورة طه الآية 72 - 73

2 - سورة النساء الآية 82

3 - سورة النحل الآية 103.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾¹

فكيف يكون ذلك بهذا التباين والتعارض الواضح² ثم تحداهم ولو بسورة من مثله كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾³

إن الله سبحانه وتعالى لم يفرض منهجا واحدا يخاطب به البشر، وإنما عدد المناهج الدعوية على السنة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتعاملهم مع مختلف حالات أقوامهم، وذلك عبر تاريخ البشرية الطويل، ومنها ما استنبطها العلماء، من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعملوا على تفعيلها الدعاة في خطاباتهم حتى يتمكنوا من تحقيق أهداف دعوتهم، وقد تكون هناك مناهج لم تُكشف بعد ولم يحيطوا بها علما، وتبقى من أسرار الكتاب المقدس، وسوف يكشفها الله تعالى لمن بعدنا، فيستخرجوا خباياها وينتفعوا بها، وقد تكون مناهج أشد تأثيرا وأكثر نفعا في تقريب المدعوين إلى رحاب الله تعالى وهدى شريعته.

إن للدعاة مناهج متعددة في خطاباتهم مع الناس وأساليب مختلفة، فمنهم من يدعوهم بالمنهج العاطفي، وهو الأكثر استعمالا وأوسع نطاقا، فيتأثرون به وتحصل استجابتهم لأول مرة، وقد يضطر الدعاة إلى أن يعاملوا أصحاب العقول وأهل الرأي بالمنهج العقلي، للتدليل إلى ما يدعوهم إليه بالحجج والبراهين، ليثبتوا صدق دعوتهم وما يحملونه من الخير، ومنهم من يجمعون لهم من المناهج كلها حتى يلامسوا الحقيقتين به، وهكذا كان تعامل رسول الله ﷺ مع من يدعوهم للإسلام ويبين لهم دينه: عقيدة وشريعة وأخلاقا.

1 - سورة النحل الآية 103

2- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت : 1376هـ)، تح: عبد

الرحمن بن معلا اللويحق

مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ص450.

3 - سورة البقرة الآية 23

إن السيرة النبوية تزخر بمثل هذه الأحداث والأحوال ومجريات الدعوة في كل مراحلها، وما الشاب الذي جاء يستأذن رسول الله ﷺ في الزنا،¹ إلا دليل على تفعيل المناهج الثلاثة أو أكثر مما لا نعرفه، فإن أول ما بدأ رسول الله ﷺ معه بعد أن زجره الصحابة، بأن عامله بالحسنى والرفق ولين الكلام، ورد عنه الصحابة رضي الله عنهم وأدناه منه، حينها استعمل معه المنهج العاطفي وأراد أن يُهدأ من روعة ويسكن قلبه من الفزع الذي أصابه، ثم بدأ معه الحوار وتقديم الأدلة العقلية، حتى يحرك فيه مكامن العقل ولذعة الضمير والتمييز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام الكامن في النفس البشرية، دون الحديث عن أحكام الشريعة.²

فبدأ رسول الله ﷺ مخاطبة الضمير والعقل الباطني في الشاب، فقال عليه الصلاة والسلام: "أترضاه لأملك، ثم عدد له المحارم كلها وهو ينكر أن يرضاه لأحدهم، ويؤكد رسول الله ﷺ أن الناس كذلك لا يرضونه لمحارمهم، وبهذه اللمسة النبوية تم تفعيل المنهج العقلي في إثبات فضاة هذا الفعل بالدليل العقلي قبلالشرعي، ثم انتقل رسول الله ﷺ إلى العمل التطبيقي والإجراء العملي، بأن وضع يده الشريفة على صدره ودعا الله تعالى أن يهدي قلبه ويحصن فرجه، وبهذا العلاج النبوي الروحاني تم إنقاذ الشاب الذي تتقاذفه شهوات الحياة ومغرياتها، وكادت أن توقعه في المهالك، وبهذا الفعل تبين تأثير المنهج الحسي في التعامل الدعوي تجاه الشاب.

1- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَدْنِي بِالزَّيْنَةِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «أَذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ يَعُدُّ ذَلِكَ الْفَتًى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. مسند أحمد، ح 22265، ج 5/ص 256، تعليق شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

2- ينظر: المناهج الدعوية وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية نحو رؤية متجددة، بدر الدين زواقة، مؤتمر النصيحة ... المنطلقات والأبعاد، المنعقد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، في الفترة: 27-29 محرم 1434هـ، الموافق 11-13 ديسمبر 2012م.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

والداعية كالطبيب البارع يختار من العلاج وأدوات الكشف ما يراه مناسباً لحالة المريض، فإذا وُفّق الداعية في تشخيص أدواء العباد وعللهم المختلفة، تمكن من تفعيل أي المناهج أنفع وأصلح لأحوالهم... وأقربها لإقناعهم باختيار المنهج الأكثر تأثيراً وأبلغ في الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر.

إن تفعيل دور المناهج في الخطاب الدعوي أمر ضروري في مخاطبة الناس، ليتعرف من خلالها على مداخل نفوس المدعوين والتأثير فيهم، وإقناعهم بما يحمله الداعية من الخير والهداية، وهذه المناهج قد استشفها العلماء والدعاة واستنبطوها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والمتتبع لخطاب القرآن الكريم يرى تنوع في عرض المناهج وتطبيقاتها على أرض الواقع، وإعطاء المثل على يدي خيرة خلقه من الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام مع أقوامهم وجبايرة التاريخ، وما تزخر به السنة النبوية المطهرة من أحداث ووقائع، وعالجها النبي ﷺ في حينها بأفضل المناهج وأنجعها، فالداعية الفطن يتعامل مع المناهج على أنها وسائل وليست غايات، ويختار لكل موقف ما يصلحه منها، وقد يتراجع عن بعضها، وقد يجمع بينها إن اقتضت الضرورة في موقف واحد.

فالعلماء والدعاة متفاوتون في مدى فهمهم وتطبيقهم لهذه المناهج وتفاعلهم معها من خلال اختيار الخطاب المناسب وتوجيهه إلى المدعوين، ليحقق بذلك أهداف الدعوة ومقاصدها، ومنهم المتشدد والمنكر لهذه المناهج وتقسيماتها، لعدم إحاطته بكنهها وأبعادها وضعف تجاربه وعدم تبحره وغوصه في كتاب الله تعالى، فهو يخبط في الدعوة خبط عشواء، من تصب تهديه ومن تخطئ يضيع ويندم.

المبحث الثاني: أسس التجديد في الخطاب الدعوي

المطلب الأول: التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي

المطلب الثاني: إحياء فقه الأولويات والموازنة في الخطاب

المطلب الثالث: الاسترشاد بطرق الخطاب في القرآن الكريم

المطلب الرابع: صيغ الخطاب الدعوي المعاصر بخطاب الكتاب

والسنة

المبحث الثاني: أسس التجديد في الخطاب الدعوي

المطلب الأول: التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي

لقد عَرَفَ الخطاب الدعوي خلال مسيرته الطويلة، كثيرا من الانزلاقات والتراجع والضعف، وهذا يرجع إلى حال الأمة وما جنته من ويلات في بُعدها عن كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وانفتاحها وتأثرها بثقافات الأمم الأخرى وما تحملته من تراكمات فكرية وفلسفية ضالة، دخلت عن طريق الحملات التبشيرية والإستشراقية، التي وُجِّهت إلى تحطيم معنويات المجتمعات المسلمة، أو ما يسمى بالحرب النفسية، والتي قضت على كل المقومات والمبادئ والمفاهيم الإسلامية، وفتحت باب التبعية والانهزام، وقابلية الاستعمار كما عبّر عنها المفكر مالك بن نبي رحمه الله تعالى.

وبعد أن عبثت يد الاستعمار بأمة الإسلام وكل مقدساتها وفعلوا ما يندى له جبين التاريخ من فظائع وإجرام وإبادة لملايين البشر، والإستلاء على ما أبدعته الحضارة الإسلامية عبر قرون من الزمن، وتحويل ثروات الأمة ومقدراتها لبناء حضارتهم وتشبيدها، وترك وراءه آثارا ودمارا لا يُنسى، وجراحا لازالت تنزف إلى اليوم.

ومن مخلفاته أن قضى على وحدة الأمة وتماسكها وقوّتها، فانقسمت إلى دويلات متناثرة ومختلفة - قد زرعت بينهم العداوة والبغضاء - فتشرّبت شعوبها ثقافات متنوعة، تُناقض مبادئ دينها ومقوماته، مما فتح الباب أمام تعدد الآراء والأفكار والمناهج.

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾¹، فصار لكل جماعة خطابا يُعبّر عن مدى فهمها للإسلام ومعرفة الواقع، مما أثر سلبا على تطور الخطاب في تعامله مع متغيرات الحياة ومواكبة العصر، في مخاطبة الناس وخدمة لمصالحهم المستجدة.

إن تحديد الخطاب الدعوي وتطوره ليعود كسالف عهده في الزمن الأول، يستقي قواعده وضوابطه الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وأن يحتكم إلى مرجعية توجهه وتحميه من الانحراف والانزلاق، كما كان رسول الله ﷺ الراعي الأول والأساسي، لكل خطاب في زمانه بالتقويم والتوجيه والمتابعة.

1- سورة المؤمنون الآية 53

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾¹.

ومن المخاطر التي صار يعاني منها الخطاب الدعوي المعاصر، بعد التطورات العلمية الحديثة وازدياد الوسائل الإعلامية والاتصالية، في تعاملهم مع الناس عبر الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي، مما زاد في كثرة الآراء المتضاربة وفتح باب الخلاف على مصرعيه، واشتد الصراع إلى حد الفرقة والتشتت وذهاب الريح... فقد عملت هذه الوسائل المتحاملة منها، والتي تُشهر سيف العدا لهذا الدين، في تشويه صورته، والطعن في مبادئه ومقوماته.. وقد حمل معاول الهدم من أعداء الإسلام في الداخل والخارج، ومن يحسبون من دعاة الإسلام وعلمائه ممن ضعفت همهم وتأثروا بالمدنية الفاتنة، وباعوا دينهم بغرض من الدنيا قليل.

فصارت القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية عبارة عن منابر مأجورة تتحدث باسم الإسلام بغير علم والإسلام منها براء، فيطعنون في الإسلام ويكيدون له من خلال التشويه والتضليل الذي ينشرونه في وسائلهم الإعلامية المختلفة القديمة منها والحديثة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا

بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ ٤٦﴾²، حتى لا يظهر الإسلام على كل الشرائع، وهو ظاهر بوعد الله تعالى وهم موقنون بذلك، كما قال ملك الروم لأبي سفيان يوم كان يسأله عن رسول الله ﷺ: "... فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ".³ فهم يواجهونه في كل المحافل ويقفون له في كل مرصديليصدوا عن سبيل الله تعالى، بزرع الفتن والضلالات لتضييع قداسة الإسلام بين كيد الأعداء وغفلة الأبناء، فتُثار الفتن وتكثر الصراعات والاختلافات، فينشغل الناس بجزئيات الأحكام وتوافه الأمور، والتي وسَّع الإسلام في تعدد الآراء والنظر فيها، والاجتهاد في تنزيل الأحكام على مستجدات القضايا المعاصرة المختلفة.

1- سورة النساء الآية 59

2- سورة النساء الآية 46

3- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة،

بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1976 م، ج3/ص500

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

إن الخطاب الدعوي لو بذل له الوسع، وضبطت مادته، وقُوم بموجب الضوابط العصرية للخطاب، ووسائله المتنوعة والمتجددة. لتضاعف انتشاره، ولأقبل عليه الناس، وخصوصا إذا كان الخطاب الدعوي يستند إلى ركن شديد، ومرجعية شرعية منضبطة، وقواعد تنظيمية، تضع الخطاب الدعوي في مساره الصحيح والعمل الجاد المتواصل، وتحميه هذه الأطر من عواصف التغيير والتبديل، وتعصمهم الفتن والاختلافات الفكرية والفقهية، وتعمل على توحيد لغة الخطاب لفظا وفكرا وفقها.. لا بد أن تعمل الأمة على إنشاء مرجعية علمية وفكرية، تحرص على وضع الخطاب الدعوي في مقامه الشرعي المنضبط، ومراقبة مساره، والمحافظة على خصائصه وتطبيقاته، وترشيد العمل الدعوي وفق المنهج المسطر وتوجيهات أهل الخبرة والتجربة الطويلة.¹

"ومن هنا فإن اجتماع المهتمين لبحث ودراسة مستقبل العمل الدعوي، وما قد يعترضه والحلول المناسبة واختيار البديل المناسب، والطرق التي ينبغي سلوكها والقوى التي يجب إعدادها لعمل يستوجب القيام به للخروج بنظرة تعين الدعاة وتبصرهم بما يقومون عليه، مستعينين في ذلك بفهم تاريخ الدعوة والدراسات المستقبلية في خدمة التخطيط للدعوة"²

إن الخطاب الدعوي المؤثر، ذاك الذي ينطلق من قواعد الإسلام وتعاليمه السمحاء، من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ضمن ضوابط شرعية، ومناهج علمية حديثة، استنبطها العلماء من فهم الدين ومعرفة الواقع، تحمي الخطاب الدعوي من الانزلاقات والتشردم، وتفرق الكلمة والتمثيل السيئ لمبادئ الإسلام ومقوماته، لأن الساحة اليوم تغص بمن يرتقي منابر الإسلام ويشغل بالمؤسسات الدعوية ويدعي أنه ينافح عن بيضة الدين، وهم يطعنون في الإسلام من باب الدعوة إليه ونشر تعاليمه، والإسلام منهم براء، وهم أشد على الإسلام وأهله من أعدائه وخصومه.

1- ينظر: الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، محمد موسى الشريف، ص34

2- الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، أدميرزكيتش البوسنوي، موقع شبكة الالوكة تاريخ الإضافة 2010/02/25 م، تاريخ التصفح 2020/05/03، رابط الموقع: aluka.net

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

إن التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي هو في إخضاعه وتطويعه للخطاب الشرعي الممنهج، وهو زيادة عن التوصية لكل قائم بواجب الدعوة أن يتفقه في الدين بما يحقق مهمته ضمن المرجعية العلمية المنظمة، وهذا يمكن أن يتحقق بأمرين:¹

1- أن يتم تأسيس مرجعية شرعية موحدة للعمل الدعوي الإسلامي، تظم نخبة من خيرة العلماء والدعاة المشهود لهم بالتجرد والرشد والوعي، مع العلم الشرعي ممن يحملون همّ الدعوة، ومن لهم تاريخ من النضال في هذا الميدان الشريف، يكون لهذه الهيئة الشرعية الدعوية نوع ولاية على كافة الجماعات والهيئات العاملة للإسلام، كولاية أهل الحل والعقد على الأمة، التي تستمد نفوذها من قناعة جمهور الدعاة وطلبة العلم، بما قناعة تجعلهم يقدمون رأيها على رأي قادتهم عند الاختلاف، وتفصل في كل نزاع يطرأ، وتقول كلمتها في كل ما يستجد من المواقف والأحداث.

2- إنشاء مراكز بحثية متخصصة، تحت إشراف هذه الهيئة الحكيمة، لتقديم الدراسات التأصيلية للنوازل المتعلقة بالدعوة ومناهج التغيير، والسياسة الشرعية وغيرها من المسائل الكبار والأصل لهذا الواجب، قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾²

إن التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي، هو أن يكون له رقابة شرعية وآليات تنظيمية، وحدود تربوية وثقافية، وتكويناً علمياً وشرعياً، فلا يطلق العنان لكل من تسوّل له نفسه فيتحدث

1 - ينظر: تحديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، عطية عدلان، مقال بموقع مجلة البيان، العدد 314، تاريخ الإضافة: 2013/07/30م، تاريخ التصفح: 2019/02/09م، رابط الموضوع: <http://www.albayan.co.uk>

2- سورة التوبة الآية 12

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

باسم الإسلام، في المحافل الدولية وفي القضايا ذات الشأن العالمي، والتي تتحكم في مصير الأمة ومقدساتها.¹

" فالخطاب الدعوي يجب أن ينطلق من مرجعية دينية موثوقة، تحدد معالم الدين في خطابها المعاصر وتستلهم مستقبله في استيعاب كل مستجدات العصر والتجاوب معها وتحديد صيغ الخطاب ووسائله ولغته، وهذا يتطلب من الأمة:

- العمل على تفرغ هيئة عُليا من حكماء الأمة وعلمائها الموثوقين في دينهم وخبراتهم، يخضع لها أفراد الأمة ويقدمون لها النصح والشورى، فتدرس فيما بينها التوصيات والآراء، وتتخذ من قبلها القرارات، وتصدر عنها الخطط والمناهج والتوجيهات.

- المراجعة المستمرة للعمل الدعوي واعتماد مبدأ النقد الذاتي والعمل الجاد، على متابعة الخطط وتطوير الأساليب وتقوية الوسائل وتصحيح الأخطاء.. فبغير هذا لا يوصف العمل الدعوي بالعمل الصالح، الذي وعد عليه المؤمنون بالنصر والتمكين "².

فالعاملون للإسلام والقائمون على الدعوة كالمجاهدين في سبيل الله تعالى، يحتاجون إلى من يتخصص في بحث المسائل الكبار التي تحتاج إلى جهد زائد وأدوات اجتهاد، لا تتوافر لأغلب العاملين ليسترشدوا بها ويهتدوا بمهداها.³

لقد انطلقت الدعوة أول مرة ممثلة في رسول الله ﷺ، فكان الوجه والمرشد والمتابع لتحركات الدعاة وأعمالهم، والمحافظ على مضمون الخطاب وتطبيقاته في إطار المنهج الإلهي من خلال تنزل الآيات وتتابعها حسب الأحداث والوقائع "إلى أن وصلت الدعوة من خلال إنجازاتها إلى إقامة الدولة. فكانت الدولة ترعى الدعوة، والدعوة تحافظ على الدولة... ثم تواصلت الدعوة في إطار

1- ينظر: الخطاب الدعوي ... إشكاليات وتحديات، أسامة هقاق، بحث موقع رؤيا للبحوث والدراسات، 04 تاريخ الإضافة

2018/09/، تاريخ التصفح 2019/03/30، www.ruyaa.cc

2- المدخل إلى علم الدعوة، أبو الفتح البيانوني، ص 364

3- ينظر: تحديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، عطية عدلان، مرجع سابق.

الخلافة الإسلامية وتبناها عموم الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، فظهر المجددون والمصلحون في مجالات كثيرة ومتنوعة، فلم يكن للدعوة من حيث الوجود والتواجد عبر مسيرة الأمة الإسلامية عوائق سياسية، ولم يفكر أصحابها في العمل الجماعي المنظم لأن الدولة كفتهم ذلك، باعتبار الدعوة من مؤسسات الدولة ومسؤوليتها"¹.

"فبعد سقوط الخلافة العباسية وتمزق الأمة وغياب الكيان السياسي وتعطيل الحاكمية، كان من الضروري واقعا ومن الطبيعي موضوعا أن يقوم جماعة من أهل الدعوة للتفكير الجاد في إيجاد إطار تنظيمي، يجمع الطاقات وينظم الجهود ويؤسس لرؤية دعوية عُرفت بالحركة أو الحركة الإسلامية"².

فظهرت الحركات الإسلامية في ربوع العالم الإسلامي، تعيد للدين نشاطه وحيويته وتبعث روح الأمل في الالتزام من جديد، وتحدد للأمة أمر دينها بإحياء من أندرس من معالمة، وتصفيته مما علق به من برائن الجاهلية، «فَيَنْقُذُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ»³.

"إن العمل المؤسسي هو شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، والميل بقبول العمل الجماعي وممارسته شكلا ومضمونا نصا وروحا، وأداء العمل بشكل منسق قائم على أسس ومبادئ وأركان وقيم تنظيمية محددة"⁴.

فالتنظيم الشرعي للخطاب "هو مقدمة لتحول كبير إلى وعي إداري وتنظيمي ورؤية إستراتيجية، فهو كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع

1- العمل الإسلامي المعاصر - من العمل الجماعي إلى العمل المؤسسي - بدر الدين زواقة، مقال بشبكة ضياء، تاريخ الإضافة: 2012/10/15م، تاريخ التصفح: 2020/05/02م.

2- المرجع نفسه

3- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته، ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث... ح 20911، ج 10/ص 353، صححه الألباني في مشكاة المصابيح ج 1/ص 82.

4- العمل المؤسسي، محمد أكرم العدلوني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، د.ط، 1423هـ-2002م، ص 20.

العمل على لجان كبيرة وفرق عمل وإدارات متخصصة، علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرارات في دائرة اختصاصاتها¹.

لقد حرصت مجموعة من العلماء ممن وطئت أقدامهم حقول التجارب والخبرة على رسم ميثاق تُوحد فيه كثيرا من الرؤى والاقتراحات ووجهات النظر للعمل الدعوي المنظم وفقا للضوابط الشرعية، ويحمل صفة المرجعية التي يعود إليها الأمر في المشورة والتوجيه وتصحيح المسار، والأخذ على من تسوّل له نفسه العبث بمقدسات الأمة وثوابتها، لجهل أو عمالة لمصالح أعداء الإسلام الذين يكيدون للإسلام ليل نهار لتشويه صورته والطعن في مبادئه ومقوماته.

إن مثل هذه المبادرة الدعوية العالمية على شكل ميثاق جامع وواضح، يمثل قاعدة كلية تجتمع عليها كلمة العلماء والدعاة والحكماء والعقلاء، ويشكل معالم عمل دعوي مشترك لمرحلة ما بعد المحنة القائمة، ويوضح القيم والضوابط الشرعية المنوطة بهم، ويدعوهم إلى اعتماده والالتزام والتواصي به، والأخذ عن يد من يتجاوز من خلال دعوة عامة مفتوحة، تتبعها توجيهات ونصائح ومقترحات وتحذيرات عامة، ليكون كل من علماء وعقلاء الأمة ودعاتها حفظهم الله تعالى على ثغرة من تغور الإسلام يحميها ويرعاها، بحسب إمكاناته واختصاصه وبحسب موقعه ومسؤولياته....²

إن هذا الميثاق يحقق مزيدا من التخصص والتعمق في مجال الدعوة، وإطارها العلمي الخاص وشكلا من أشكال التكامل بين المواثيق العلمية والفكرية والدعوية، وأن يمثل دعوة جادة إلى التعاون على البر والتقوى... وحماية الصف الدعوي من الانزلاق والتشتت، في زمن كثرت فيه الفتن والضلالات وتعددت معاول الهدم التي تحطم كيان الإسلام، وتقضي على مقوماته وتأتي على بنيانه من القواعد فينهّد صرحه وتُنقض عراه...³

1- العمل المؤسسي، عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان عدد 143، جماد الأولى 1420هـ، ص46-51

2- ينظر: الميثاق الدعوي العالمي المفتوح، محمد أبو الفتح البيانوني، د ت العرض، تاريخ التصفح: 2020/05/03م. رابط الموضوع: cidawah.org

3- ينظر: المرجع نفسه

"إن أولى ضروريات الملتزمين بالإسلام والدعاة خاصة، الاسترشاد بالأحكام والقواعد الشرعية في جميع أمورهم، ولا سيما في مناهج دعوتهم وأساليبهم ووسائلهم، لبناء عملهم على علم، وقيام دعوتهم على هدي وبصيرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.
إن حركة الوعي المبشرة بالخير والدعوة الصحيحة الناجحة بين الناس، والمقبولة عند الله تعالى، هي التي تتوفر فيها شرطان أساسيان: هي التقوى والسداد مع الإخلاص والعلم الصحيح في مختلف الجوانب العقدية، والعبادية، والمنهجية والسلوكية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾².

وإذا قام للدعوة أهل الغيرة والحماس ضاعت معالم الدعوة بين العابثين بمصير الجهود التي بُذلت في حقل الدعوة من طرف العلماء الريانيين لعقود من الزمن. فالأولى أن يحمل الدعوة علماء عاملين وفقهاء متبصرين يسيرون بالدعوة على هدي وبصيرة، لحفظها من الانحرافات الخطيرة والأخطاء الكبيرة³.

إن الدعوة الإسلامية لا تكون سليمة وصحيحة ومنتجة إلا إذا تقيدت بتلك القواعد الشرعية، وانضبطت بتلك الضوابط، ذلك لأن أبرز خصائصها أن تكون على بصيرة.
ومن القواعد الشرعية الدعوية التي لا بد أن يعلمها الدعاة، ويعملوا بها حتى لا تتعرّ خطاهم أو يُرْهقهم طول الطريق أو تتخطفهم الفتن من كل جانب، فتحول نياتهم ومقاصدهم إلى مكاسب دنيوية، فتزيع بهم الأهواء عن سبيل الله تعالى.

لقد كتب علماء الإسلام وفقهاؤها وعلماء الأصول كثير من القواعد الشرعية المتعلقة بالقواعد الفقهية أو بالقواعد الأصولية، وقلّ من كتب عن القواعد الدعوية، حتى يتقيد الدعاة بها وتنضبط

1- سورة يوسف الآية 108

2- سورة الأحزاب الآية 70 - 71

3- ينظر: القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوّة الإسلامية، أبو الفتح البيانوني، دار اقرأ، الكويت، ط1، 1431هـ-2011م، ص8، 9.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

مسيرتهم وأعمالهم ومخططاتهم بها، فتحفظهم من الوقوع في الزلل أو المخالفات الشرعية. لأن البصيرة في العمل الدعوي لا بد أن تنبني على قواعد شرعية دعوية، تضمن سلامة المنهج وصحة النتائج للجهود المبذولة في هذا العمل¹.

وللعمل الدعوي قواعد شرعية كثيرة قد استنبطت من الآيات الكريمة نذكر منها على سبيل المثال:²

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^{١٦٤} وهي قاعدة النصيحة إبراء للذمة رجاء الانعاز والتذكير.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصِيبَكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^{١٢٠} أن قاعدة النجاة من كيد الأعداء مربوط بالصبر والتقوى.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٢٥٦} قاعدة حرية الاعتقاد وعدم إكراه الناس بعد وضوح الدين.

وفي السنة المطهرة يقول عليه الصلاة والسلام: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»⁶ وقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»⁷ والأحاديث كثيرة التي تدعو إلى التيسر والتبشير وعدم التعسير والتنفير وتدعو إلى الرفق في الأمور كلها.

1- ينظر: المرجع السابق، ص 91، 92.

2- ينظر: القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، أبو الفتح البيانوي، ص 91-103.

3- سورة الأعراف الآية 164

4- سورة آل عمران الآية 120

5- سورة البقرة الآية 256

6- رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح 69، ج 1/ ص 38.

7- البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ح 5678، ج 5/ ص 2242.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

إلى غير ذلك من قواعد كثيرة وضوابط عديدة مبثوثة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسول الله ﷺ، وصادرة عن كثير من العلماء العاملين والدعاة الربانيين: في القديم والحديث تزخر بها الكتب الدعوية.

إن التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي، يعني العمل ضمن هياكل ومؤسسات دعوية، وفي إطار جماعي منظم وخطط مدروسة، ومناهج تنظيمية شاملة، تضمن نجاح الدعوة وتحقيق أهدافها في كل ميادين الشريعة والحياة، لأن العمل الفردي وإن كان مثمرا ومؤثرا في عموم الناس، إلا أنه لا يمكن تقييمه ولا مراقبته وتوجيهه، ولا يدوم عطاؤه ولا يستمر بقاؤه، وسينتهي بموت صاحبه وإن طال به العمر، إلا أن يكون مرتبطا بمؤسسة دعوية أو جماعة إسلامية، فإنه يعمل ضمن برنامجها ويحقق أهدافها ومقاصدها.

لذلك "فإن الأمم والحضارات لا تدخل دوراتها الحضارية ولا تُبنى إلا بمؤسسات متنوعة قادرة على فعل ذلك، متمكنة من بناء إرادة وفعل جماعي متصل، ذي امتداد للزمان والمكان قائم على تفاعل بين المشاركين فيه، وانفعال يجعل الدور الفردي دورا قد لا يُلتفت إليه، وقد لا تُلاحظ أهميته إلا في إطار ذلك المجموع الذي يشارك في صنع العقل الجماعي الحضاري، فالمجموع يشكل نسيجا من علاقات متداخلة بين خيوطه بقدر ما تتداخل وتتلاحم بقدر ما تكون المؤسسة أقوى وامتداداتها أكثر فاعلية في الزمان والمكان، وحين تعجز الأمة عن بناء جديد من المؤسسات الضرورية ومواصلة الحفاظ على القائم منها فإن ذلك نذير عجز وإرهاصات انكسار"¹.

"وبداية التجديد والبعث والإحياء لا يمكن أن ينطلق بشكل سليم إلا من خلال مؤسسات، قد بينها أفراد أو جماعات لكنها ينبغي أن تحظى بحب وولاء وقناعة الأمة، بعد ذلك لتبدأ فاعليتها الحقيقية في التجديد والبعث والإحياء، والأفراد بعد ذلك أو الجماعات المؤسسة قد يرفع لها ذكر في هذه الحياة، وقد تُنسى في حالة تمثل الأمة لمؤسساتها، لكن ذلك كله لا يؤثر على الاستمرار والاتصال إذا أريد وجه الله تعالى بالعمل وأُخلصت النوايا له جلَّ شأنه"².

1- إصلاح الفكر الإسلامي، طه جابر العلواني، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ- 2001م، ص5.

2- المرجع نفسه، ص6

إن التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي يتطلب الاستمرار ومواصلة العمل، وتحديد الأساليب والوسائل بما يتوافق ومستجدات العصر ومحدثات الأمور، للحفاظ على خطاب دعوي وسطي متوازن ومنضبط، دائم ومتواصل ليؤدي دوره على أكمل وجه على مر الزمان واختلاف المكان وتغير الحال.

المطلب الثاني: إحياء فقه الأولويات والموازنات في الخطاب الدعوي

إن مسيرة العمل الدعوي -عبر تاريخه- الطويل يتم ضمن معايير شرعية ومنهجية ثابتة في تقديم الإسلام وأحكامه، حسب المراتب التي أولاها الإسلام في مخاطبة النفس البشرية وأسلوب التعامل معها، وفي تثبيت قواعد الدين التي يركز عليها التطبيق العملي لأحكام الدين وشرائعه. وهذا ما يؤكد حديث عائشة رضي الله عنها «إِنَّمَا نُزِّلَ أَوَّلَ مَا نُزِّلَ سُورَةُ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ لِلْإِسْلَامِ نُزِّلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ»¹.

والعمل الدعوي المعاصر، يزخر بمثل هذه الإجراءات الشرعية، في تقديم أي الأعمال أولى في نشر تعاليم الإسلام ومبادئه للناس، وهو ما جاءت به وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل -حين بعثه إلى اليمن- فقال له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ...»²، ثم أعقبها بما وراءها من العبادات الأخرى.

فمعرفة الواقع التي قدمها رسول الله ﷺ إلى معاذ رضي الله عنه، أوضحت له سلم الأولويات في تنظيم مراتب الأعمال، التي يمكن تقديمها لأهل اليمن لتعليمهم دين الله تعالى، وتبيين قواعده ومعامله، انطلاقاً من تثبيت ركيزة الإيمان فهي القاعدة الكبرى والأساس الذي تنبني عليه كل الأعمال التشريعية.

ومن حكمة الله تعالى وتقديره لهذه الأمة، أنها كلما طال عليها العمر بعث إليها من يجدد لها دينها، فيزيل عنه ما علق به من مخلفات الجاهلية، ويحيون ما أندثر من تعاليمه ومقوماته، فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فتُعاد للدين نضارته وبشارته.

1- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح 4609، ج 15/ص 394.

2- صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ح 1389، ج 2/ص 529.

إن الخطاب الدعوي في أمة الإسلام، وأمة الدعوة يحتاج إلى إحياء فقه الأولويات وفقه الموازنات، حتى يكون الدعاة على بينة من أمرهم أكثر من أي وقت مضى، مع تكالب قوى الشر وأعداء الإسلام من كل جانب، من خلال التحديات التي تحاصر دعوة الإسلام وتعرض طريقها، والمؤامرات والدسائس التي تحاك ضدها على كل المستويات، لذلك صار لزاماً على علماء الأمة ودعاتها أن يعرفوا أولويات دعوتهم في نشر دينهم وتقديم الأعمال وتأخيرها واختيار الأفضل عند التزاحم والتعارض، وتلك عين الصواب لمقاصد الشارع الحكيم في تعامله مع واقع الأمة وتجدها.

"ومعظم مصالح الدنيا ومفاسدها تعرف بالعقل. فقد جُبلت النفوس على ذلك، فلا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع: أن تحصيل المصالح المحضة ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن...¹".

"وأما مصالح الآخرة ومفاسدها فلا تعرف إلا بالنقل، فكل مأمور به ففيه مصلحة الدارين أو أحدهما، وكل منهي عنه ففيه مفسدة فيهما أو في أحدهما، وكل منهما متفاوتة الأجر والعقاب. ومعظم مقاصد القرآن باكتساب المصالح وأسبابها والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها².

والشريعة كلها مصالح.. إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله تعالى يقول: "يا أيها الذين امنوا..." فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه أو شراً يزجرك عنه أو جمعاً بين الحث والزجر...³".

إن الحديث عن فقه الأولويات وعرضها بمختلف الأوجه في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ضمن الأحداث والوقائع التي عاجلها الإسلام، هو منهج تشريعي ليأخذ به العلماء والدعاة في مختلف مراحل الزمن وتعاقب الأجيال، من أجل تنزيل أحكام الإسلام على مستجدات الحياة، وتحقيق أهداف الشريعة ومقاصدها، لترتقي دعوتهم وتعم آفاق الدنيا في زمن التطورات العلمية

1- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، د ط، 1414 هـ - 1991 م، ج 1/ص 5

2- فقه الأولويات دراسة جديدة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط 2، 1416 هـ - 1995 م، ص 33.

3- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مرجع سابق، ج 1/ص 11.

والتكنولوجية، والذي يفرض على أمة الإسلام أن تخاطب الناس بلغة العصر، حتى يفهمها الناس وتجد مكانا تحت الشمس، وهذه أسمی أولويات الخطاب الدعوي في هذا العصر.

"لأن ظهور فقه الأولويات يمكن إرجاعه إلى الاختلالات الكثيرة التي حدثت في مراتب الأعمال الشرعية والضرورة الدعوية التي أرغمت دعاة الإسلام على نهج مبدأ التدرج والأولويات في العمل الإسلامي"¹.

إن فقه الأولويات "هو وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال ثم يقدم الأولى فالأولى بناءً على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي ونور العقل"².

فقد تحدث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن تفاوت درجات الأعمال والقربات، وبين الأولى والأفضل في قوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾³.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكُمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكُمْ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾⁴.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁵.

والآيات كثيرة في ذلك وقد جاء في السنة المطهرة - في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه - في أولويات العمل الدعوي ومراتب الواجبات والفرائض، وفي الحديث إرشاد من النبي صلی الله علیه وسلم للدعاة إلى الله تعالى

1- فقه الأولويات، دراسة في الضوابط، محمد الوكيل، ص 17.

2- فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ص 9.

3- سورة النساء، الآية 95-96.

4- سورة الحديد، الآية 10.

5- سورة التوبة، الآية 19.

للتدرج والبدء بالأهم فالمهم، فالدعوة تكون بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله إيماناً يثبت في القلوب، ويهيمن على الأفكار والسلوك، ثم تكون الدعوة بعد ذلك إلى تطبيق أركان الإسلام العملية، التي ترسخ هذا الإيمان وتنميّه، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات، فيقبل الناس تكاليف الإسلام، بل فيها سعادتهم وعزّتهم وكرامتهم في رحاب الإسلام وفي كنفه سعادة الدارين. وإن كان في أوامر الإسلام مخالفة لهوى النفس وإغراءات الشيطان، لأن قلوبهم قد عُمرت بالإيمان واليقين.¹

إن هدم الكعبة وإعادة بنائها على أسس إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكنها قد اعترضت بمفسدة أكبر، وهي فتنة القوم ونفورهم، وذلك لحداثة عدّهم بالجاهلية والشرك، لاعتقادهم أن ذلك جرأة على الكعبة واعتداء على حرمتها، فخشي النبي ﷺ أن يؤدي ذلك إلى نفور الناس وارتداد بعضهم عن الإسلام، لأن الناس كانوا يعظمون الكعبة في الجاهلية والإسلام، فقد لا يتحملون أن يروها تُهدم، وقد لا يفقهون ما يرمي إليه الرسول ﷺ من إعادة البناء، كما أنه خشي اهتزاز حرمة البيت في النفوس، ويحدث هذا عند تزاحم المصالح وتعارضها، ويقدم ما فيه مصلحة الأمة ويدراً ما فيه مفسدة، وهو من فقه الموازنات الشرعية.²

وجاء في السنّة عن مراتب الأعمال وتفاوتها في الأجر والثواب، فقال عليه الصلاة والسلام: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»³، وقوله عليه الصلاة والسلام: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ»⁴. وقال أيضاً: «إِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا...»⁵، وكذلك بالتفاوت في الإثم والمفسدة في الأعمال السيئة، بالرغم مما أرشدت إليه الآيات الكريمة والسنّة النبوية في تتبع أولويات الأمور، وسنن التفاضل في الفرائض والأعمال.

1- ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، ط7، 2008م، ص868.

2- ينظر: فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة، عباده الكربولي، ص68.

3- صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل صلاة الجماعة، ح619، ج1/ص231.

4- سنن النسائي، كتاب الزكاة باب صدقة جهد المقل، كتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تح: عبد الفتاح أبو غدة ط2، 1406هـ، 1986م، ح2527، ج5/ص59، قال الألباني في التحقيق، حديث حسن.

5- سنن الترمذي، أبواب فضل الجهاد باب ما جاء في فضل الغدو والروح في سبيل الله، ح1650، ج1/ص181، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

ويرجع هذا الخلل الكبير الذي أصاب أمتنا اليوم في معايير أولوياتها، حتى صارت تخط في سلم الأولويات: في الأحكام الشرعية والأعمال الدعوية دون أدب الاختلاف، والدعوة إلى توحيد الكلمة في العمل لهذا الدين، وكل هذا يجعل الأمة في أمس الحاجة - بل في أشد الضرورة - إلى فقه الأولويات لتبدي فيه وتعيد، وتناقش وتجاوز، وتستوضح وتبين، حتى يقتنع عقلها ويطمئن قلبها، وتستضيء بصيرتها وتتجه إرادتها بعد ذلك إلى عمل الخير، وخير العمل¹.

إن إهمال فقه الأولويات في العمل الدعوي في العصر الحاضر، يُحدث خللا بالغا في مسيرة العمل الدعوي، ويوقع كثيرا من الدعاة في اضطراب في المنهج، فيضيع كثيرا من الأوقات في التخطيط والعشوائية وسوء التنظيم، والعمل الارتجالي وعدم التخطيط، لذلك تُهدر الطاقات في العبث والانشغال بسفاسف الأمور ومخففات الأعمال، وينتج عن ذلك أثارا سلبية تعود بالوبال على المسيرة الدعوية.²

إن غياب العمل بفقه الأولويات يؤدي إلى صراع بين رجالات الدعوة، وتنازع على أنفه الأمور أو جزئيات الأعمال والتي جعل الإسلام مجال الأخذ به واسعا، فيحدث الشقاق والفرقة بين أفراد الجماعة الواحدة في خلافات جانبية، وقد تكون من صنيع الأعداء حتى يشغلهم عن المهام العظمى لأمة الإسلام وشؤونها المتعددة ومقدساتها، وعن تحقيق واسترجاع شهادتها على الناس وهيمنة الإسلام على الدين كله وقيادتها للبشرية جمعاء.

فإذا انشغل علماء الأمة ودعاتها بصغائر الأمور عن عظامها، دب فيها الخلاف والتنازع فتقع فريسة بين سباع الأمم، فيستبيحون منها كل شيء، لذلك حذر الله تعالى من الوصول إلى هذا الحال قَالَ تَعَالَى ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾³.

إن فقه الأولويات يُعين الداعية على ترتيب الأعمال ووضعها في نطاقها الشرعي ضمن سلم الفرائض والواجبات، فيُقدم من العمل الدعوي ما حقه التقديم وما حقه التأخير، فيكتسب الداعية

1- فقه الأولويات، يوسف القرضاوي، ص24.

2- ينظر: فقه الأولويات، عبد الناصر حسن صويص، مقال بمجله رواء تاريخ الإضافة 2020/5/7، تاريخ التصفح 2021/3/23.

3- سورة الأنفال، الآية 46.

البصيرة في الدعوة، ليُحسن التخطيط وتدير الأمور ومرحليه العمل، والتدرج في تنفيذ التكاليف الشرعية وشؤون الدعوة ومتطلباتها، مع مراعاة حال المدعويين وموازنة الأعمال بين المصالح والمفاسد، عند التزاحم والتعارض.¹

إن إحياء فقه الأولويات وتربيته العاملين للإسلام عليه، يؤدي إلى فهم وإدراك رتب الأعمال والمشاريع الدعوية، ووضع كل شيء منها في رتبته بالقسط. فهو تقدم الأولى فالأولى -عند الازدحام- بناء على ضوابط ومعايير شرعية صحيحة، يهدي إليها العلم بالشرع والفهم للواقع على نور من العقل السليم المسترشد بالوصي المعصوم، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، بل يقدم ما حقه التقديم ويؤخر ما حقه التأخير. ولا يهول الصغير ولا يهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا بخس ولا طغيان، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء. وكل ذلك يتم باستقراء الشريعة ومراتب الأعمال، التي افترضها الله سبحانه وتعالى على عباده.²

إن حاجة أمتنا اليوم في إحياء فقه الأولويات وتحديدده في كل المجالات الحياتية، وفي الأعمال الدنيوية والأخروية على السواء، ومن نظر إلى حياتنا في جوانبها المختلفة: مادية كانت أو معنوية، فكرية أو اجتماعية، أو اقتصادية أو سياسية وغيرها، وجد ميزان الأولويات مختلا كل الاختلال، ولا يقف اختلال الأولويات اليوم عند جماهير المسلمين أو المنحرفين منهم، بل الاختلال واقع من المنتسبين إلى الدين ذاته، لفقدان الفقه الرشيد والعلم الصحيح.³

إن لفقه الأولويات أهمية كبرى في حياة الداعية، "حيث يمنح الداعية بصيرة في دعوته، وتوفيقاً في تصرفاته، ويحفظ عليه وقته وطاقته، ويعطيه رؤية واضحة في المنهج بعامة، وفي الدعوة

1- ينظر: في فقه الأولويات، عبد الناصر حسن صويص، مقال بمجلة رواء، تاريخ العرض: 2020/07/07م، تاريخ التصفح:

2021/03/20م. الرابط: <https://rawaamagazine.com/?p=369>

2- ينظر: تحديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، عطية عدلان، مقال بموقع مجلة البيان، العدد 314، تاريخ الإضافة: 2013/07/30م، تاريخ التصفح: 2019/02/09م، رابط الموضوع: <http://www.albayan.co.uk>

3- ينظر: فقه الأولويات، يوسف القرضاوي، ص 14-15.

بخاصة¹. وحتى يتمكن الداعية من معرفة أولويات الواجبات والأعمال وفق شريعة الله تعالى، أن يعرف مقاصد الإسلام ويفقه واقعه، فيسهل عليه تنزيل الأحكام الشرعية على مستجدات الحياة المعاصرة، ومعالجة أدوائها وحل مشكلاتها.

إن فقه الداعية لدعوة النبي ﷺ وكيف سار عليها، يختصر على الداعية كثيرا من الجهد والوقت، وسيكون المنهج لديه واضحا، فيُنزل على واقعه الدعوي ما فقهه من سيرة النبي ﷺ في دعوته، وكيف كانت دعوته، وماذا قدّم وبماذا اعتنى، وماذا أخر، وكيف كانت أساليبه ووسائله عليه الصلاة والسلام.²

فالنبي ﷺ سار وفق منهج إلهي يوجهه ويرعاه تحت سمع الله تعالى وعينه، فقد عصمه الله تعالى من الزيغ والزلل والوقوع في الخطأ، فسَيُرُ الدعاة على هذا المنهج النبوي يحمي الدعوة والداعية من الوقوع في الانحرافات والمزالق، كما أن فقه الأولويات يمكن الداعية من معرفة الميزان الشرعي السوي، الذي يجعله قادرا على معرفة أي الأعمال أحبّ إلى الله تعالى وأكثر أجرا، وإن كانت معصية: أيها أكثر وزرا، وإن كانت وسيلة وأسلوبا: فأيهما أقدر على تحقيق الهدف؟³

إن إحياء فقه الأولويات هو بعث لكل أنواع الفقه المتعددة، لارتباطها الوثيق بينها وبين فقه المقاصد وفقه النصوص توافقا مع فقه الواقع، بعدها إلى فقه الموازنات لتحديد أيهما أولى بالتقديم عند التزاحم والتعارض، قبل أن ينطلق في تنفيذ أولويات العمل حسب أحكام شريعة الله تعالى في زمن كثرت فيه النوازل ومستحدثات الأمور، وتعمدت فيه مجريات الحياة وزادت متطلباتها.⁴

1- فقه الأولويات في الدعوة إلى الله، زلفى محمد أحمد الخراط، مقال بموقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2019/10/20م، تاريخ التصفح: 2021/03/05م.

2- ينظر: فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، الجوهرة بنت صالح الطريقي، بحث علمي بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، سنة 1433هـ. ومنهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حاسن علي صوّان الغامدي، رسالة ماجستير، إشراف: سليمان الصادق البيرة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية 1419هـ، ص 51-74

3- ينظر: المرجع نفسه.

4- ينظر: في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، ص 25-37

إن أمة الإسلام اليوم بحاجة ماسة إلى فقه الموازنات في كل نواحي الحياة في هذا العصر، في زمن تداخلت فيه الأمور وتعقدت فيه القضايا، واستحدثت فيها كثير من الأشياء لا قبل لهم بها من قبل. ولعلاج هذه المستجدات وإيجاد الحلول لها، لابد من إحياء فقه الموازنات وتوثيقه بالضوابط الشرعية، ليكون الاختيار موفقاً في واقع الحياة.¹

وإذا غاب عنا فقه الموازنات فقد سدنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة، واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل، والهروب من مواجهه المشكلات المعقدة التي أرهقت كاهل المجتمع، وضيقت نفوس الناس بتسارع الأحداث والتي تتطلب إعمال الفكر والاجتهاد، لأن فقه الموازنات يمكنهم من المقارنة بين وضع ووضع، والمفاضلة بين حال وحال، والموازنة بين المكاسب والخسائر على كل مدى وفي كل المستويات، ونختار بعد ذلك ما نراه أدنى لجلب المصلحة ودرء المفسدة.²

وتشتد الحاجة اليوم إلى إحياء فقه الموازنات في العمل الإسلامي، الذي يسعى إلى إصلاح أوضاع الأمة والنهوض بها لما وصلت إليه من تردي على كل الأصعدة، وأحدثت بها المؤامرات من كل جانب، وانتشرت المفسدات في كل مجالات الحياة، لذلك فإن العاملين في ميدان الإصلاح والعمل الإسلامي، يواجهون وضعاً صعباً ومشاكل متعددة وتداخل في المصالح والمفاسد. فإذا لم يأخذ العلماء والدعاة بمبدأ فقه الموازنات والانطلاق في إصلاح ما حقه التعجيل والتقدم، وأي المفسدات يجب البدء في إزالتها، وما الذي يمكن عمله عند تعارض المصالح والمفاسد، وأغفلت حركة الإصلاح فقه الموازنات، فأنها تقع في أخطاء فادحة وخسارة كبيرة، لأن وضع الأمة خطير يحتاج إلى العمل المنضبط الدقيق، والبعد عن العشوائية والارتجال.³

لأن إحياء فقه الموازنات في العمل الدعوي لابد له من دراية في الشرع ومقاصده وفقه الواقع، لأن فقه الموازنات تتفاوت فيه الاجتهادات وتباين فيه التقديرات وهو مزلة للخطأ، فلا بد من قوة في

1- ينظر: فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، عمر محمد جبه جي، رسالة دكتوراه، إشراف: حسام سباط، جامعة الجنان طرابلس، لبنان، السنة الجامعية 2013-2014 م، ص 28

2- ينظر: أولويات الحركة الإسلامية، القرضاوي، ص 32.

3- ينظر: فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، عبد المجيد محمد السوسوة، دار القلم، الإمارات، ط 1، 1425هـ-2004م، ص 25.

العقل والفراسة والإخلاص التام والتجرد من الهوى، علما بأن هذا الأمر يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله تعالى يقذفه في قلب العبد لمتابعته لرسول الله ﷺ وشدة عنايته لمراتب الأعمال عند الله تعالى وأحبها إليه وأرضاها له.¹

ومن أهم الأمور التي أوجبها الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى من اتبعه من أصحابه، الذين حملوا هم الدعوة في حياته ومن بعده، وعلى كل الدعاة الذين ينشرون دين الله تعالى في أكناف الأرض وأطرافها، أن يتحلوا بما أوصاهم الله تعالى به من البصيرة في دعوتهم، وما شملت عليه من حكمة ومعرفة وضوابط شرعية، لتحفظ مسيرة الدعوة للوصول إلى أهدافها وغاياتها، فقد كان ﷺ بصيرا في دعوته كما أمره ربه بذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾²، ومن أهم جوانب البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى: فقه الموازنات الدعوية. فمن خلال قيام الدعاة إلى الله تعالى بوظيفتهم ودعوتهم إلى الله تعالى، فإنهم سيواجهون بعض المتغيرات التي تؤثر في مناهج وأساليب ووسائل الدعوة، وذلك لاختلاف الظروف وتنوعها باختلاف الأماكن والأزمان والأحوال، ومن هنا ربما يرى الدعاة في بعض المواقف والأحوال تقديم المهم على الأهم، أو تقديم المفضل على الفاضل، أو اختيار قدر نسبي من المطلوبات الشرعية المتعددة، وذلك لموازنات متأنية ودراسات متعلقة تتأثر بالواقع المتنوع والظروف المختلفة، من خلال المعطيات العلمية والقدرات العملية التي يتحلى بها الدعاة إلى الله تعالى.³

لذلك تبرز الآثار السلبية للإسلام والمسلمين بسبب فقدهم لتلك البصيرة أو جهلهم بجوانبها، نظرا لاختلاف الظروف الواقعية وضعف القدرات الاجتهادية عند بعض العلماء والدعاة، وعدم تفهمهم لأهمية فقه الموازنات الدعوية، فقد ظهرت على الساحة الإسلامية آراء كثيرة وفتاوى متعددة ومواقف متنوعة، تتسبب في إصابة جسد الأمة الإسلامية بأمراض خطيرة، أعاقحت حركة الدعوة وأفقدتها

1- ينظر: حاجه الدعاة إلى فقه الموازنات، تيار الإصلاح، مقال، تاريخ الإضافة: 2015/10/19، تاريخ التصفح: 2021/03/28.

2- سورة يوسف، الآية 108.

3- ينظر: فقه الموازنات الدعوية، معاذ البيانوني، ص 20-21.

قدرتها وحيويتها، وجعلتها في مواقف كثيرة تتصادم مع الواقع، مما جعل فئات من الشباب المسلم في حيرة من أمرهم واضطراب في دعوتهم وسوء ظن بغيرهم وتطاحن وشقاق في علاقتهم.¹

إن حاجه المسلمين اليوم ماسة إلى فقه الأولويات وتكريسه على أرض الواقع في كل المستويات الفردية والاجتماعية، فالإنسان في سعيه لتحقيق مصالحه قد تطرأ عليه ظروف تجعله لا يستطيع القيام بتحقيق مصالحه إلا بتركه أخرى أو بارتكابه لمفسده... ومن أجل أن يقرر ما يجب فعله في هذه الحالات المتعارضة، لا بد له من العودة إلى فقه الموازنات وإلا عرّض نفسه للوقوع في الأخطاء الفادحة.² كما يجب عليه كذلك اتخاذ الوسائل المشروعة الموصلة إلى إقامة العبادات والمعاملات والأخلاق الصحيحة، ما هو مطالب بأداء العبادة الشرعية وفق شروطها وآدابها، وهو مطالب كذلك بإقامة نظام عيشه وفقه سنن الله تعالى التي تدعو إلى اتخاذ أسباب الارتزاق والكسب الحلال وعمارة الأرض، فعليه الموازنة لاختيار أنجع الطرق والوسائل الموصلة إلى المقاصد والغايات.³

"وتظهر أهمية المقاصد بالنسبة للداعية على ترتيبه لسلم الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، فيقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينات، ويقدم الأصل على التابع، ويقدم ما فيه مصلحة عامة على ما فيه مصلحة خاصة، ويحذر الناس من الضرر الأكثر خطورة قبل تحذيره لهم من الضرر الأقل خطورة، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ومستوياتهم من الفهم".⁴

لهذا فإن فقه الموازنات الدعوية له الأثر البالغ في حماية الدعوة والدعاة من التصرفات العشوائية والبرامج الارتجالية، والتخطيط السيئ بعيداً عن الحكمة والبصيرة، مما يوقع الدعاة في أخطاء فادحة وانزلاقات خطيرة قد تفتك بكل الجهود التي بذلت، والانجازات التي حققت خلال عقود من الزمن.⁵

ومن أجل ثبات الدعوة وضبط مسيرتها، على الداعية أن يلمّ بفقه الأولويات وفقه الموازنة، باعتباره الميزان الشرعي للعبادات والمعاملات الدينية والدنيوية، والحكم الفصل في الأعمال والتصرفات عند التزاحم

1- ينظر: في المرجع السابق، ص24.

2- ينظر: منهج فقه الموازنات، عبد المجيد محمد السوسوة، منشورات مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 51، موقع جامع الكتب الإسلامية، الرابط: <https://ketabonline.com/ar/books/19869>

3- ينظر: المفاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، مكتبة كنوز اشبيليا، السعودية، ط1، 2007م، ج3/ص91-92، 105.

4- مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد محمد البدوي، دار النفائس، الأردن، د ط، د ت، ص105.

2 - ينظر: فقه الموازنات الدعوية، معاذ البيانوني، ص25-26.

والتعارض، ثم تقديم ما فيه مصلحة أو درء مفسدة، والتي تصب في حفظ الكليات الخمس، باختلاف مراتبها ودرجاتها، تبعا للقواعد الشرعية التي قررها العلماء واستنبطوها من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

المطلب الثالث: الاسترشاد بطرق الخطاب في القرآن الكريم

لقد اعتمد الخطاب الدعوي - في أسلوبه ومكوناته في صدر الإسلام - على ما خاطب به القرآن الكريم، وما قصّه وأخبر به من خطاب أنبياء الله تعالى ورسله مع أقوامهم، فتعددت طرق الخطاب حسب الزمان والمكان والحال.

وكل أنواع الخطاب التي وردت في القرآن الكريم كانت مجالا فسيحا للدعوة والعمل بها، ويختار الدعاة أحسنها وما يليق بحال المخاطبين، ويحرك مكامن نفوسهم ويلامس عواطفهم، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾¹، من سير الأنبياء والمرسلين وأهل الصلاح في دعوتهم وتعاملهم وطرق مخاطبتهم لأقوامهم، وذلك من أجل تحقيق أهداف الدين ومقاصده، لهداية الناس وتذليل كل العوائق والعراقيل، لعرض الإسلام في صورته الحقيقية التي يخفونها عن مسامع الناس وأعينهم حتى لا يبصروا نور الحق فيتبعوه.

لذلك يقول الله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدِ ۚ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِّلْعَالَمِينَ﴾²، "فالهداية بمعنى الدلالة على الخير"³، وهي ما يحمله الخطاب لتبليغ الناس شريعة الله وأوامره أي: "اقتدي واتبع هداهم في الدعوة على توحيد الله وعبادته والأخلاق الحميدة"⁴.

فكان خطاب النبي ﷺ تطبيقا عمليا لما جاء في كتاب الله تعالى، ودلت عليه الآيات الكريمة من تبيان وتوضيح وتنوع لأوجه الخطاب، فيما تكلم به الله تعالى وخاطب به عباده، بأساليب مختلفة،

1- سورة الزمر الآية 55.

2- سورة الأنعام الآية 90

3- التفسير المنير، الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج1/ص60.

4- المرجع نفسه، ج7/ص282.

وسمات تلامس شغاف القلوب وأحاسيس النفس والوجدان، وما حدثنا به القرآن الكريم من خطاب الأنبياء والرسل الكرام في معاملاتهم وتبليغ دعوتهم لأقوامهم.

ومن أجل توضيح شريعة الله تعالى وتبيان أحكامها وامتنال أوامرهما، فقد عمل الصحابة رضوان الله عليهم في اقتباس خطاباتهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما أرشدت إليه الآيات الكريمة في سرد الحوار الذي دار بين الأنبياء والرسل الكرام، مع من قابلهم ووجهت إليهم دعوتهم ومن عارضهم وجادلهم في الله تعالى، عبر تاريخ البشرية باختلاف أزمانهم وأحوالهم وبيئاتهم.

إن من مقاصد ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم، والاقتصار في حديثه عن دعوتهم، وتبليغ رسالتهم إلى أقوامهم بمختلف أنواع الخطاب وأساليبه ووسائله، كما بين القرآن الكريم معاناه كبر الأنبياء نوح عليه السلام في مواجهة قومه بدعوته، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو ينتقل بين مختلف أنواع الخطاب، ويتخير أرقى الأساليب وأفضل الأوقات، لعله يجد آذاناً صاغية أو قلوباً واعية، فيبلغهم كلمات الله تعالى.

ولعل الدعاة اليوم قد أخذوا في تصانيف الكتب، وتبويب المواضيع في علم الدعوة، من خلال أنواع الخطاب وأساليبه ووسائله، بما استقرؤوه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فالقرآن هو كتاب الله تعالى الذي نزل لإسعاد البشرية وهدايتها، وهو خطابٌ من خلق الإنسان ويعلم أسرارهِ وأحواله، وما ينفعه وما يضره، ويعلم ما بداخل نفسه ومسارها، وما يصلحها في دينها ودنياها، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾¹، فلا شك أن خطاباً للناس ودعوتهم إليهم أسلم طريقة وأقربها لفطرتهم. فينبغي على الداعية أن يسترشد بطريقة القرآن في مخاطبته للفطرة، وفي ربط الإنسان بالكون وما فيه من آيات، وفي طريقته في الإقناع وفي جمعه بين مخاطبة العقل والمشاعر، وفي بناءه على قاعدة الربوبية المتمثلة في الخلق والرزق والإنعام، وغير ذلك بما تميّز به الأسلوب القرآني، فهذا النوع من الخطاب يركن إليه الإنسان ويطمئن لسماعه ويتأثر به لسلامة فطرته، وما يجري من وقائع وأحداث تُربط بالسنن الإلهية التي أمضاها الله تعالى في خلقه².

1- سورة الملك الآية 14

2- ينظر: تحديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، عطية عدلان، مقال بموقع مجلة البيان، العدد 314، تاريخ الإضافة: 2013/07/30م، تاريخ التصفح: 2019/02/09م، رابط الموضوع: <http://www.albayan.co.uk>

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

إن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وهو المصدر الأول للتشريع، وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بتبليغه إلى الناس، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾¹ ﴿١٩﴾.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾² ﴿١٧﴾ وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول المنهج الإسلامي في شؤون الحياة، وهو حافل بالتوجيهات والتجارب الدعوية للأنبياء عليهم السلام عبر تاريخ البشرية. وقد أمره ربه بأن يتخذ هداهم منهجه في دعوته، ويقبضهم بتجلدهم وصبرهم في مواجهة الشدائد والمحن ومعاناتهم مع أقوامهم.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِيمَا بَدَلْتَهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾³ ﴿٩٠﴾⁴

وقد تحدث القرآن الكريم على سبيل الأمم السابقة وتجارب الأنبياء عليهم السلام في دعوة أمهم، في بيان مضامين الخطاب ومقاصده، وتنوع أساليب ووسائله، وآثارها على أقوامهم، وباعتبارها نماذج تطبيقية يستفيد منها النبي ﷺ وأمته من بعده في منهج الدعوة وخطابه الدعوي⁵.

إن طرق الخطاب في القرآن الكريم تتمثل في كثرة أساليبه وتنوع سماته، والتي تخاطب الناس باختلاف مشاربهم ومستواهم الفكري والثقافي والعقلي، من أجل الوصول إلى الفهم عن الله تعالى في أحكامه وتشريعاته، ليظهره على الدين كله ويكون الدين كله لله تعالى، فتتحقق أهدافه ومقاصده من خلال "أهم أساليبه في إقامة الحجة وإزالة الشبهة، واستخدام أسلوب الاستفهام المثيرة للانتباه، وفي تقريب المعاني بضرب الأمثال لأكثر وضوحاً وبياناً، وقد يحمل الخطاب الدعوي في القرآن الكريم سمات تجعل الخطاب منضبطاً في مرجعيته، قائماً على العلم الشرعي واضحاً في معالمه، بسيطاً في

1- سورة الأنعام الآية 19.

2- سورة الأنعام الآية 67.

3- سورة الأنعام الآية 90.

4- ينظر: معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، طالب حمادة أبو شعر، بحث بمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، 16- 20/4/2005، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة..

5- ينظر: المرجع نفسه

عباراته وألفاظه، شاملا في كل متطلبات الدين والحياة، متنوعا في مخاطبة جميع الناس ويلامس واقع المخاطبين ويستجيب لحاجاتهم، مراعيًا تغيير الزمان والمكان والحال، متدرجا في تطبيق الأحكام الشرعية مع مراعاة سلّم الأولويات، بالرفق والرحمة واللين في الخطاب"¹.

إن هذه السلوكيات التي يجب أن يتحلى بها الدعاة في مخاطبتهم لأمة الإجابة وأمة الدعوة على السواء، وهذا يظهر جليا في وصية الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حينما أرسلهما إلى فرعون الذي طغى وتجبر وأفسد في الأرض وعلا، فقال لهما.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٤٣) فَقُولَا لَهُ: ﴿قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٤٤)، فإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بمخاطبة الطغاة والجبابرة بهذا الأسلوب، فكيف بمن أذنّب وتاب وأسلم وأناب إلى الله تعالى؟.

المطلب الرابع: صبغ الخطاب الدعوي المعاصر بخطاب الكتاب والسنة

لقد تعرض الخطاب الدعوي إلى كثير من محاولات الطمس والتشويه، نظرا للهجمة الشرسة التي مُنيت بها الأمة الإسلامية من طرف أعدائها، ضمن حملات التبشير والاستشراق، والحركات الهدامة التي تكيد للإسلام وأهله، وأبرزها الغزو الثقافي الذي نخر عضد الأمة حتى استأصل منها أعز ما تملكه من مبادئ ومقومات وقيم، وتركها تلهث وراءهم وتتبع آثارهم شبرا بشبر وذراعا بذراع. فصاروا معجبين بما وصلت إليه حضارتهم المادية ومغرياتها الخادعة ويفتخرون بها، وهذا ما حذر منه رسول الله ﷺ من تتبع خطوات الأمم الضالة وأصحاب الديانات المخرفة، والانبهار بما عندهم والجري وراءهم، فيقول عليه الصلاة والسلام: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشْبَرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ؟»³.

1- ينظر: الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، عمر حابس نوافلة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بنين، القاهرة، العدد 33، إصدار 2016، ص 1519-1520.

2 - سورة طه الآية 43-44.

3- صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح 3269، ج 3، ص 1274.

وقد أشار النبي ﷺ إلى جُحر الضَب ولم يذكر غيره، لضيقه وردائه وبتن ربحه وخبثه، وما يحدث اليوم من عولة في الأخلاق والسلوك والثقافة ممثلة في تقليد أمة الإسلام لبلاد الغرب في أخلاقهم الذميمة وعاداتهم السيئة، تفوح منها رائحة نتنة يُمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم¹.

لقد كشف الأعداء عن خبث طواياهم وسوء أخلاقهم، وأنهم وراء كل المؤامرات والدسائس التي تحاك ضد الإسلام وأهله، وتطعن في قيم الدين من خلال تغيير كل المفاهيم والدعوة إلى تجديدها، من أجل تفرغ الإسلام من محتواه، والعبث بمقدساته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾² (٢١٧)،

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³.

إنكل ما يقومون به من محاولات جادة من أجل أن يسكتوا صوت الإسلام، وأن يُفقدوا الخطاب الإسلامي روحه وغايته - بعد أن أشربت هذه التصورات والمعاني نفوس أناس من بني جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ويدينون بديننا -

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁴ (١٠٤)، وهؤلاء قد أسأوا

للإسلام من حيث يريدون نصرته والدفاع عنهم منذ أن أقام الإسلام دولته، وامتدت أطرافها من المحيط إلى المحيط، وامتزجت الشعوب والمجتمعات واختلطت الثقافات وكثرت العلوم والمعارف، وتعددت المناهج والتصورات، وطال بالناس الأمد وغفل العلماء والدعاة عن هدي القرآن وسنة خير الأنام، حتى تحدث الناس عن الدين ودعوته بمناهج غريبة حديثة لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة ولم تخرج من يناييعه، فجُثت روافد العطاء وخُفَّت صوت الحق والدعوة للإسلام، وتراجع الخطاب الدعوي عن تحقيق

1- ينظر: تحقيق مصطفى ديب البغا على الحديث السابق في صحيح البخاري، ج3، ص 1274.

2- سورة البقرة الآية 217.

3- سورة البقرة الآية 109.

4- سورة الكهف الآية 104.

الفصل الثالث عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

أهدافه وغاياته، لما يفتقده من روحانية الدّين وجلال العطاء الإلهي، والمرجعية الشرعية الصحيحة في دعوة الناس وحمل رسالة الإسلام إلى العالمين.

إن الخطاب الدعوي المعاصر يمثل الصورة الحقيقية للإسلام، في عرضه لمحاسنه وفضائله من خلال المقومات والمبادئ التي يفخر بها الدّين الخاتم، من غير تشويه ولا تحريف. تتمثل في صورة عملية واقعية كما بيّنها رسول الله ﷺ في حياته أسوة حسنة، وأمر الله تعالى بإتباعها والتأسي بها،

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾¹.

إن سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وما اشتملت عليه من أحوال وأفعال ومعاملات وفي دعوته الخاصة والعامة، ومخاطبته الملوك والحكام وعلاقاته بالشعوب والأمم من خلال المواثيق والمعاهدات التي أبرمها معهم... كل ذلك يُعدّ مرجعا أساسيا للخطاب الدعوي في كل عصر، وهي تمثل النموذج التطبيقي للمنهج النظري الذي رسمه القرآن في خطابه، والتوجيه الإلهي لكل الدعاة².

إن "أزمة الخطاب الدعوي ترجع في كثير منها إلى عدم التّبصّر في خطابات القرآن الكريم واستلهاهم أساليبه وقضاياه، ومقاصده وأغراضه الكامنة في الخطاب، وذلك أن سرّ نجاح الخطاب القرآني كامن في مراوحته بين أنماط الخطاب وتلوينه لأساليب العرض، وتأسيسه للخطاب على مرجعية مشتركة بين المخاطبين، ورفع مضامين الخطاب إلى مقاصد سامية تمد رواقها على جميع الناس. والخطاب القرآني يخاطب النوع الإنساني موظفا في ذلك ما في اللغة من طاقات دلالية وقدرة على البلاغ والبيان، وهو يقوم على مجموعة من المفاهيم الضابطة والقضايا المترابطة، وينسج بينهما رابطا مفهوما يؤسس في النهاية خطابا رصينا في العناوين عميقا في المضامين، يهدف إلى جعل الإنسان المستخلف محور الخطاب القرآني"³.

1- سورة الأحزاب الآية 21

2- ينظر: معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، طالب حماد أبو شعر، بحث علمي مقدم للمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر بتاريخ: 7-8 ربيع الأول 1426هـ / 16-17 أبريل 2005م، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة.

3- خطاب الناس في القرآن الكريم، عدنان أجانة، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تاريخ الإضافة: 2017/01/20، تاريخ التصفح: 2021/01/21م.

الختامة

يعتبر الخطاب الدعوي المؤشر الحقيقي والأساسي لنهضة الأمة وسيادتها وبيانا لقوتها وعزتها، يوم كانت تحتكم إلى كتاب الله تعالى: عقيدة وشريعة وأخلاقا، فكان خطابها ذو شأن عظيم، يربع الملوك ويزلزل عروشهم، فقد ربي رسول الله ﷺ صحابته الكرام، فكانوا أفضل دعاة للإسلام قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ففهموا عن الله تعالى خطابه ورسالته، فاستجابوا لأمره فارتقت أخلاقهم، فكانوا خير أمة أخرجت للناس: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى، فأقاموا دولتهم واستحكمت أركانها وعلا شأنها في فترة تُعدّ ضربا من الخيال في ميزان الأمم وحساب البشر، غيرَ فيها ﷺ وجه الحياة من أمة ترعى الغنم إلى قادة تسود الأمم، ثم انطلقوا ينشرون دين الله تعالى في ربوع هذا الكون الفسيح.

فلما طال على الناس الأمد وفُتحت عليهم الدنيا بزخرفها وازيّت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فشغلّتهم عن حقيقة وجودهم وغاية خلقهم، فنسوا عهد الله تعالى، وتركوا تعاليمه، وتنافسوها كما تنافسها من قبلهم فأهلكتهم جميعا، فصاروا لقمة سائغة تتقاذفها يد الأعداء ويتنافسون في الاستيلاء على كل مقدراتها، فأخذوا ما بأيديهم وساموهم سوء العذاب، واستحكموا في قيادتهم وتصريف أمورهم، لما أصابهم من الوهن الذي أقعدهم عن نصرته دينهم وعزة أمتهم.

إن نهضة الخطاب الدعوي وتجديده سوف يعيد لأمة الإسلام الأمل في تحقيق أهدافها وغاياتها، ويتمثل ذلك في إعادة النظر في عناصر الخطاب والاهتمام بتكوين الدعاة وترقية مستواهم، والتفاني في تحمّل مسؤولية البلاغ وأداء أمانة الله تعالى، بكل الوسائل والأساليب المتطورة والمعاصرة واستغلالها في نشر دين الله تعالى، ومن أعظم الوسائل والأساليب التي تفتح القلوب وتثبت حقيقة هذا الدين هي القدوة الحسنة وبها انتشر الإسلام أول عهده.

ومن أجل المحافظة على مسار الخطاب الدعوي ونجاحه ولا تضيع جهود الدعاة والعلماء هباء منثورا، فالواجب على القائمين بالدعوة حمايتها من كل الأمراض والآفات الداخلية والخارجية، واجتياز العقبات التي تعترضها في طريقها، وإزاحة كل العوائق التي تحول دون تحقيق الأهداف وبلوغ المقاصد في ظهور دين الله تعالى على كل الشرائع وقيادة البشرية. .

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٤ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٥ ١.

النتائج المتوصل إليها:

الحمد لله على فضله وإحسانه، وعلى تنزيل كتابه وتبينه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أهله وأصحابه وخلائه، وبعد فمن خلال هذه الدراسة المتواضعة لعوائق الاستجابة للخطاب الدعوي ومنهج معالجته في ضوء الكتاب والسنة، توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1) إن الدعوة تتغير بتغير الأحوال والأزمان والبيئات والمجتمعات، فسنة التغيير من سنن الله تعالى القاهرة غالبية على كل الأشياء والأفعال والإنسان.

2) تكتسي الدعوة صفتي القوة والاستمرار بما تملكه من خاصتي الثبات والمرونة. فالثبات في القواعد والأصول والمرونة في الوسائل والأساليب.

3) من عظم مكانة الدعوة في الإسلام أنه كلف بها الأنبياء والرسل عليهم السلام وخيرة أتباعهم، فَبِهَا يُعَرَفُ اللهُ تَعَالَى وَيُعْبَدُ، وَبِهَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ أَفَاقَ الْكَمَالِ بِاسْتِقْرَارِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَمَا قَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَطُبِقَ مِنْهَجُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِهَا، وَبِهَا اسْتَنَارَتِ الْبَشَرِيَّةُ وَبِهَا قَامَتِ حُجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ.

4) ما أهتم القرآن الكريم بشيء من أحوال الأنبياء والرسل الكرام، إلا بالدعوة وأحوالها ومتطلباتها، وما عانوه وكابدوه من أجل دعوة الله تعالى وتبليغ رسالته، فلم يذكر صلاة ولا صياما ولا حجا، وإنما تحدث عن دعوتهم وحواراتهم وجدالهم مع أقوامهم بكل الأساليب والوسائل التي وجدت في عصورهم.

5) الدعوة هي أحسن الأقوال وأفضل القربات وأعظم الوظائف عند الله تعالى، وأكثرها أجرا.

6) إن الدعوة واجبة على الدوام، وإن اختلفت أحكامها، فلا تقطعها الأحوال والأزمان والأعمار...

7) إن نجاح الدعوة مرهون باجتماع عناصرها الأربعة: الداعية، المدعو، موضوع الدعوة، الوسائل والأساليب، فإذا فقد إحداها اختل توازنها وباءت بالفشل والخسران.

8) قد تتعرض الدعوة للعوائق والعقبات والآفات، من خلال إصابة الداعية أو المدعو بالأمراض القلبية أو الآفات الأخلاقية، أو ما يعترضه من أحداث ووقائع، في حياته اليومية وغيرها، أو يصاب موضوع الدعوة بالركود أو العشوائية، والبساطة والقدم، أو التقليد والتحجر أو بالغباء والجهل، ولا يرتقي إلى لغة العصر ومخاطبة الناس بما يحتاجون في مصالحهم الدينية والدنيوية، أو تعجز الوسائل عن أداء دورها، أو أساليب تجاوزها الزمن، فلكل قوم خصوصيته، ولكل عصر وسائله وأساليبه الحديثة والمستجدة.

9) يعتبر الواقع بما يحمله من تناقضات وتحديات عائقا حقيقيا في حياة الدعاة، فيشبههم عن أداء مهامهم، ويعرقل خطواتهم في بلوغ أهدافهم ومقاصدهم، لو لم يكن لهم الإيمان الثابت والصبر في معالجة تلك التحديات والعوائق وتبليغهم رسالة الله تعالى.

10) إن الداعية أساس الدعوة وعنصرها الأعظم، وعليه المسؤولية الكبرى في أداء مهمته وتبليغ رسالة الله تعالى وتحقيق الخلافة في الأرض، وإقامة حجته على الناس.

11) يتم إعداد الدعاة وتهيئتهم بكل الفروع الشرعية في خوض غمار مسالك الدعوة، وتحمل المخاطر والأعباء وتخطي العثرات والعوائق، والتحلي بالصبر في مخاطبة الناس ومشاق الطريق.

12) إن استخراج المناهج الدعوية واستنباطها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بداية لتقعيد الدعوة وتأسيسها بما يحقق أهدافها ومقاصدها، من خلال تنفيذ المناهج وتطبيقها على أرض الواقع.

13) تأسيس الخطاب وتجديده على ثبات أصوله وقواعده، ومرونة وسائله وأساليبه وتطورها بما يتماشى وروح العصر ومستوى المخاطب وملكانه.

14) يتأثر الخطاب الدعوي بقوة الأمة ومكانتها، بعلوها وسقوطها، وعزتها وكرامتها، أو بذلها وتخذلانها، فهو بمثابة المقياس الحقيقي لسيادة الأمة أو ضعفها وهوانها على الله تعالى.

15) يتعرض الخطاب الدعوي إلى كثير من المشكلات والآفات التي تضعف شأنه وتقلل من تأثيره من حيث الشكل والمضمون في مخالفته لواقع الناس وعدم انتفاعهم به، ولا يخدم قضاياهم الأساسية والمصيرية والعصرية.

16) إن من بين مرتكزات الخطاب الدعوي فهم مقاصد الشريعة، ومراعاة أدب الاختلاف مع معرفة لفقه الأولويات والموازنة وتطبيقها على أرض الواقع.

17) إن عدم الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد المسلمين، يعود إلى أحد مكونات الخطاب وتعرضها للأمراض والآفات والعقبات.

18) يتعرض الخطاب الدعوي في أمة الدعوة إلى كثير من العوائق التي تحول دون استجابة الناس له، ويتمثل في العداء المتأصل فيهم من خلال مناهجهم التعليمية وبرامجهم الإعلامية، ومختلف الدعوات المضادة للإسلام، والتمثيل السيئ لأخلاق الإسلام وتعاليمه، من طرف الأقليات المسلمة في بلاد الغرب مع قلة الدعاة الناطقين بلغاتهم ولهجاتهم.

19) إن علاج الخطاب الدعوي لإزالة العوائق التي علقته به في ضوء الكتاب والسنة بإعادة النظر في تكوين وتربية الدعاة، وتحديث خطابهم شكلاً ومضموناً وواقعاً وموحداً في كل قضايا الأمة الكبرى وثوابتها وأحكام شريعتها.

20) إن الوسائل الدعوية متغيرة ومتجددة وغير ثابتة وغير توقيفية، إلا ما ورد ذكرها في شريعة الإسلام، كخطبتي الجمعة والعيدين والأذان، وقد يمسهم التجديد والتطوير في آلياتهم وأدواتهم كالنقل المباشر إلى أصقاع العالم وترجمتهم إلى مختلف اللغات ليصل إلى الناس صوت الإسلام وشرح تعاليمه ومبادئه زمن إلقائها، وقد تكون وحدها داعية في سبيل الله تعالى، فقد يستجيب كثير ممن يتابعها للإسلام دون لقاء الدعاة ودعوتهم إليه.

21) إن الدعاة درجات في تبليغ رسالة الله تعالى، وذلك من مستوى "فلولا نفر.."، إلى مستوى "بلغوا عني ولو آية" أو أقل من ذلك، فليتعرف كل داعية على مقامه ومكانته مع هذا الدين العظيم ولا يتجاوز، فمن الدعاة من يتحدث عن الإسلام وسماحته وأخلاقه ومعاملاته، وأن يكون قدوة في ذلك حتى يمثل الإسلام في نفسه ويكون دعوة عملية واقعية، يثبت بها إمكانية تطبيقه في واقع الحياة، ومنهم من يتحدث باسم الإسلام وهم يمثلون جماعة الحل والعقد في دولة الإسلام، وعليهم يتوقف مصير الإسلام وأهله، وهم العلماء والفقهاء وأهل الفتية، الذين يثون في القضايا الكبرى والأحداث الجسام ومستجدات الأمور، حتى لا يعبت بها سفهاء القوم.

أبرز التوصيات:

إن أطروحة كهذه التي بين أيدينا ما استطاع الباحث أن يدرسها دراسة دقيقة لأنه كلما وقف بباب إلا فتحت له أبواب أخرى، وكلما آنس فكرة إلا وتراوده أفكار، فأصابته الدهشة والحيرة من أين يبدأ وأين يتوقف فوجدته يمحى عباب بحر لا ساحل له.

ووجد كل الأبواب مترابطة لا يمكن تفريقها ولا الاستغناء عنها، فأوصى الباحث لكل باب طَرَقَه في هذه الأطروحة أن ترصد لها دراسة دقيقة وأطروحة خاصة بالمطالب التالية:

- ✓ إعداد الدعاة: في اختيارهم وتكوينهم وتحييتهم وبرامجهم ودراساتهم ومناهج تعليمهم.
- ✓ أنواع المدعوين: تصنيفهم وكيفية مخاطبتهم وطريقة التعامل معهم ومميزات كل صنف وطبيعتهم.
- ✓ الوسائل الدعوية: الوسائل بين التوقيف والتطور، وتحديد الوسائل، والوسائل بين الأمس واليوم، أي الوسائل التي تحقق الأهداف وأحكام الوسائل المتعددة.
- ✓ الأساليب الدعوية: الأساليب المتجددة وكيفية اختيار الأسلوب المناسب وأنواع الأساليب من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بل هناك رسالة دكتوراه " الحكمة في الدعوة " وحدها.

- ✓ مرتكزات الخطاب الدعوي: في فهم مقاصد الشريعة، ومراعاة أدب الاختلاف، وفقه الأوليات والموازنة وغيرها، بل لها في كل عنصر مذكرة خاصة.
- ✓ المناهج الدعوية: تأصيلها وتطبيقاتها في أرض الواقع.
- ✓ أركان الدعوة: مواصفاتها وخصائصها ومتطلباتها.
- وغيرها من هذه العناوين، وكل عنوان يستحق إلى أطروحات تبحث في أعماق خباياه وتُستخرج كنوزه ومدخراته.

ورغم هذا الجهد المتواضع، وبعد ذكر نتائج البحث المتوصل إليها، يعرض الباحث بعض التوصيات علّها تسهم في علاج بعض العوائق والتحديات التي تعترض الخطاب الدعوي لتحقيق أهدافه ومقاصده في واقع الحياة، ومن هذه التوصيات:

- لقد أصبحت الدعوة اليوم بما تمتلكه من قواعد ومناهج وآليات يؤهلها أن تكون علما قائما بذاته، بالرغم أن علماء الأمة وفقهائها قد أصلوا وقعدوا للفقهِ الإسلامي، ولم تحظى الدعوة بما قام به الفقهاء، والأصوليون لأحكام الشريعة وقواعدها وضوابطها.
- العمل على إيجاد مرجعية دعوية تتابع الدعاة وتؤهلهم وتضبط خطاباتهم وتحدد مساراتهم وثقفي من خالف الخطاب وضوابطه الشرعية أو تلاعب بقدسية الدين وثوابته.
- العمل على تشكيل هيئة من علماء الأمة ودعاتها للعمل في مجال البحث في مستقبل الدعوة ومشاريعها التعليمية والتبليغية والتنموية.

- العمل على تطوير وسائل الدعوة وآلياتها والانفتاح على كل جديد ومتطور واستغلاله في خدمة الدعوة وانتشارها ما لم يخالف أحكام الشريعة.
- تحديد أساليب الدعوة واستنباطها من كتاب الله تعالى وأسانيه المبدعة المتجددة ومن سنة رسول الله ﷺ والتفحص في سيرته العطرة واستخراج كنوزها وثرواتها.
- إنشاء مواقع لعرض كل العوائق والمشكلات الدعوية والآفات التي تصيب صرح الدعوة وتزلزل أركانه، لإيجاد الحلول والمقترحات من أهل الخبرة والتجارب الدعوية الطويلة.
- إنشاء مواقع للرد على كل الشبهات والتشويه الذي يمس الإسلام ودعوته وتاريخه وحضارته، وكشف المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام ودعائه، نظرا للهجمة الشرسة من خلال المواقع المعادية للإسلام للصد عن سبيله.
- تكثيف المواقع الدعوية بكل السنة البشر ولهجاتهم، حتى يتم عرض مبادئ الإسلام وتوضيح معالمه وآدابه إلى عموم البشرية.
- تفعيل دور الأقليات المسلمة في الغرب للقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى في المجتمعات الغربية.
- تحديد أهم المشكلات التي تواجه المسلمين في الغرب والعقبات التي تعترض سبيل الدعوة الإسلامية، مع طرح حلول عملية ذات طبيعة تطبيقية، لتذليل الصعوبات أمام الدعاة إلى الله تعالى في الغرب.
- العمل على فتح قنوات فضائية دعائية بمختلف البرامج الإعلامية لتوضيح قضايا الإسلام وأهله على مبدأ التدرج والوسطية والاعتدال.
- العمل على تكثيف الجهود الدعوية والتعاون بين الدعاة والعلماء وتبادل الخبرات والمهارات، للرفع من مستوى الدعوة والحد من ترسب بعض العوائق التي تحول دون استجابة المخاطبين لنداء الإسلام وتعاليمه.
- إعطاء علم الدعوة الحظ الأوفر من الاهتمام والتوجيه وإنزاله إلى كل الأطوار التعليمية المختلفة من الجامعة إلى الطور الأول.
- تخصيص معاهد لتخريج الدعاة بمستويات عالية وتكوين مكثف وتزويدهم بمختلف العلوم والآداب الشرعية، وإكسابهم مهارات عالية بآلسنة العصر ووسائله الحديثة المتطورة.

- تحتاج الدعوة في كثير من المراحل إلى وقفة مع الذات لإعادة حساباتها ومراجعة برامجها ومناهجها وترشيدها، لتقوم أعمالها ونشاطاتها وتكثيف جهودها العلمية والفكرية وتنزيلها على الواقع، لمعالجة مشكلاتها المنهجية والتربوية في حوارات علمية حديثة.
- تطويع واستغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة في خدمة الدعوة، وتُعدّ هذه الوسائل مفاتيح العصر، للدخول على كل الناس في بيوتهم وعرض الإسلام عليهم في أحسن صوره وبألسنة القوم حتى يتبين لهم أنه الحق.

الفهارس

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس المصادر والمراجع

4- فهرس المحتويات

1- فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	21	168
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا﴾	23	414-80-78
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾	24	171
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	30	93
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	32	80
﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾	33	93
﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	40	168
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾	44	250
﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾	68	30
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾	74	230
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	83	394-94-81-80-71-16
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾	89	158
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾	109	442-332-240
﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	120	249
﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	124	86
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾	129	30
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾	143	60-58-41
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾	159	37
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ﴾	179	173
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	183	371-175

29	186	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾
143	193	﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْنَا وَالْعُدْوَانُ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
372	197	﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾
137	213	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ ﴾
-305-253-249-189 442-385-332	217	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾
200-196	219	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا ﴾
70	231	﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾
381	247	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ ﴾
426	256	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾
139	257	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾
160-73	258	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾
132	259	﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾
410	260	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾
231	264	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾
366-70	269	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾
175-170-73	285	﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ لَمُصِيرُ ﴾
سورة آل عمران		
379	18	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا ﴾
185-110-63	19	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
50	79	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾
61	85	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾
385-300-235-187	100	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾

300-235	101	﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ ۚ ﴾
300-234-220	103	﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ ﴾
47-46-45-41-36	104	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾
220-180	105	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ ۚ ﴾
347-66-47-36	110	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾
401-384-325	118	﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾
226-384-273	120	﴿ إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۚ ﴾
50	128	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ۚ ﴾
161	133	﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ۚ ﴾
214	144	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ ﴾
241	146	﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ۚ ﴾
385	149	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا أَفْرَقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ۚ ﴾
366-139-113-71	159	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ ۚ ﴾
204-134	165	﴿ أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ۚ ﴾
262	174	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ۚ ﴾
340-373	186	﴿ لَتُجْلِبُوا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ ۚ ﴾
37	187	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ۚ ﴾
372	191	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ۚ ﴾
سورة النساء		
173	29	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ ۚ ﴾
419-159	46	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۚ ﴾
70	54	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ ﴾
144	58	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ﴾

419	59	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
82-80	63	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾
400	81	﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
413	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ﴾
187	83	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا﴾
240	89	﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾
430	95	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِيَ الضَّرَرِ﴾
430	96	﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
300	105	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾
300	107	﴿وَلَا تُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾
380	113	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ﴾
37	135	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ﴾
168	136	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾
137-53-41	165	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾
242	171	﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾
50	174	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
سورة المائدة		
257	02	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾
166-142-61	03	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾
320	14	﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾
139-51	15	﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾
139-51	16	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾
138	19	﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَدَرٍ﴾

73	35	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ﴾
159	41	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ﴾
109-108-22	48	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا ^{٤٨} ﴾
312	64	﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
167-138-51-42	67	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^{٦٧} ﴾
384-330-215	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾
380-167	110	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾
117	114	﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾
411-117	115	﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ^{١١٥} فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾
136	117	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءَإِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي﴾
سورة الأنعام		
87	8	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾
87	9	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا﴾
440	19	﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ^{١٩} ﴾
57-54	38	﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾
384	55	﴿وكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ^{٥٥} ﴾
440	67	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ﴾
279	71	﴿كَأَلَيْذَى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾
440-438-369-84	90	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَهُ ^{٩٠} ﴾
398-106-62	122	﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَىٰ بِهِ﴾
35	124	﴿وَإِذَا جَاءَ تَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ﴾
144	152	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾
296-166	153	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾

180	159	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾
53	162	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾
53	163	﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾
سورة الأعراف		
31	5	﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾
162	78	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾
321	116	﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾
412	118	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾
412	119	﴿ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾
184	142	﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾
64-61-52	158	﴿ قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٥٨﴾ ﴾
426	164	﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾
280-114	176	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّهُهُ أَخِلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾
173	179	﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴿١٧٩﴾ ﴾
سورة الأنفال		
228	24	﴿ يَتَايَأُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾
305-170	30	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾
332-270	36	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
174-119	39	﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ ﴾
372	45	﴿ يَتَايَأُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾
-255-216-185-184 432	46	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾
199	67	﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ ﴾
سورة التوبة		

421	12	﴿ وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾
430	19	﴿ أَجَعَلْتُمْ سَفَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
438	32	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾
-307-272-259-142 405-355-319	33	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾
388	51	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾
246	60	﴿ وَالْمَوْلَافَةِ فُلُوبِهِمْ ﴾ ﴿٦٠﴾
56	91	﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾
376-174	103	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾
-189-188-66-47 357-346	122	﴿ وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾
140	128	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾
سورة يونس		
29	10	﴿ دَعَوَلَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا ﴾
30	25	﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
50	57	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ ﴾
271	82	﴿ وَيُخَيِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾
294	83	﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾
164	101	﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
سورة هود		
239	27	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ ﴾
241	36	﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ ﴾
136	50	﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿٥٠﴾

255	118	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ﴾
255	119	﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ﴾ (١١٩)
سورة يوسف		
160	03	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
334	26	﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (٦٦)
380-260	55	﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهْم ۖ﴾ (٥٥)
18	65	﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَّسِيرٌ﴾ (٦٥)
-155-48-46-36-33 -425-390-378-329 436	108	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ۖ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾
164-114	111	﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
سورة الرعد		
209-206	11	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ﴾ (١١)
33-28	14	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ (١٤)
سورة إبراهيم		
-348-346-282-220 390-353-350	04	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾
246	24	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾
246	25	﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۖ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾
270	46	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾
سورة الحجر		
239	6	﴿وَقَالُوا يَأَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦)
396-394-319-51	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩)
330	97	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧)
سورة النحل		

382	2	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾
276	25	﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾
-125-118-95-76 406-352-281	44	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾
282-96	77	﴿ كَلِمَاجِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۖ ﴾ (٧٧)
57-54-53	89	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى ﴾
232	94	﴿ وَلَا نَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾
414-413-315	103	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ ﴾
290	112	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾
-72-71-70-69-41 -89-81-79-78-77 409-406-112	125	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾
89	128	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨)
سورة الإسراء		
137	15	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٥)
177	32	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣٢)
173	33	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٣٣)
73	57	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾
77	88	﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾
88	95	﴿ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ ﴾
سورة الكهف		
29	14	﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾
178	28	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ ﴾
160	45	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

72	54	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾
199	71	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ ۝﴾
200	79	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ۝﴾
442-217	104	﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾
370	110	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۝﴾
سورة مريم		
380	43	﴿يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ ۝﴾
292	59	﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ۝﴾
سورة طه		
264	32-29	﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ ۝٣١﴾ أَرَىٰ ۝٣٢﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۝٣٣﴾
441-412-167-78	43	﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٤٣﴾
-124-81-80-78 441-412-167	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾
412	52-49	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ۝٥٢﴾
412	59	﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩﴾
412	70	﴿فَالْتَقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾
243	73-72	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ۝﴾
277	123	﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾
293-280	124	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ۝﴾
391	131	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۝﴾
137	134	﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا ۝﴾

سورة الأنبياء		
161-114	22	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ ۝﴾
383-91-52	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ ۝٢٥﴾
94	69	﴿قُلْنَا يَنْدَرُكُونِي بِرَدَا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾
98	73	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ ۝﴾
183-64	92	﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۝﴾
-122-67-64-61-52 403-345	107	﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۝١٥٨﴾
سورة الحج		
168	01	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ۝١﴾
166	27-26	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝٦٦﴾ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ۝﴾
372-175	28-27	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا لَا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ۝٢٨﴾
273-254-253	40	﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾
100	45	﴿فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۝﴾
51-42	67	﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۝﴾
سورة المؤمنون		
160	23	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ ۝﴾
274	24	﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ ۝٢٤﴾
418-278-217	53	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾

276-91-87	73	﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٣)
238	-109 110	﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
سورة النور		
301	11	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾
161	22	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾
289	39	﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ﴿٣٩﴾﴾
219	45	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾
42	54	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾
30	63	﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾
سورة الفرقان		
62	1	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)
275	6-4	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَتْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤) وَقَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ ﴿٦﴾
155-95	52	﴿فَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (٥٢)
85	74	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾
سورة الشعراء		
164	04	﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٤)
391	109	﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩)
351	-192 195	﴿وَلِئَلَّه لَنَنْزِلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾

29	213	﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ (١٣)
167-126	214	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١٤)
سورة النمل		
115	13	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (١٣)
164-77	14	﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِيقَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤)
سورة القصص		
326-294	04	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا ﴾
380	14	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١٤)
326-294	38	﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (٣٨)
277	50	﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾
42	87	﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ ﴾ (٤٢)
سورة العنكبوت		
261-253-237	3-1	﴿ أَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَرْكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ لَفَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ (٣)
241	14	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾
130	20	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾
86	27	﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (٢٧)
147	28	﴿ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الْفَدْحِشَةَ ﴾
373-371-147	45	﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾
386	46	﴿ وَلَا تَجْعَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
369	69	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ ﴾ (٦٩)
سورة الروم		

295	5-2	يَرَوْنَ غُلْبَتِ الرُّومِ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سَنِينَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ أَوَلَمْ
466-148-19	5-4	﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾
342-222-218-181	22	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
255	30	﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ اتِّقَى فَطَرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾
184	32-31	﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ ﴾
105	41	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾
263	47	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾
سورة لقمان		
70	12	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴿٢﴾ ﴾
161	13	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾
330-178	17	﴿ يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾
سورة السجدة		
241-27	24	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾
سورة الأحزاب		
271	11-10	﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾
-118-98-86-85 373-358-243-131	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

34	34	﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ﴾
405-403-67-63-60	40	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾
435	71-70	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٧١﴾﴾
-155-138-135-39 186	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴿٧٢﴾﴾
سورة سبأ		
94	10	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰجِبَالِ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّاسَ﴾
-64-61-54-52-33 252-92	28	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
270	33	﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ﴾
274	43	﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾
سورة فاطر		
218	01	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾
283	14	﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾
404-92-55	24	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾
219	27	﴿الْمُرْتَرَأَنَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا﴾
سورة يس		
141	20	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾
141	27-26	﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾
117	38	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
117	39	﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾﴾
161	78	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ ﴿٧٨﴾﴾

سورة ص		
400	6	﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ۝٦ ﴾
151	20	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَايَتْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۝٢٠ ﴾
152	23	﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَّ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ۝٢٣ ﴾
سورة الزمر		
438	55	﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۝٥٥ ﴾
سورة غافر		
72	5	﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ ۝٥ ﴾
274	26	﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ ۝٢٦ ﴾
294	29	﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٢٩ ﴾
سورة فصلت		
95	4-1	﴿ حَمْدٌ ۝١ نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كَتَبْتُ فَصَّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ لَا ۝٤ ﴾
164-94	11	﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا ۝١١ ﴾
163	13	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾
31	31	﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ ۝٣١ ﴾
96-48-40-36	33	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا مُّسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾
-130-116-113-111 358-315-249	53	﴿ سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ۝٥٣ ﴾
سورة الشورى		
42	15	﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۝١٥ ﴾
148	30	﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ۝٣٠ ﴾
20	47	﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۝٤٧ ﴾
276-120-91-87	52	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾

سورة الزخرف		
239	23-22	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾
239	24	﴿ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾
239	31	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾
72	58	﴿ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمَّا هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ ﴿٥٨﴾ ﴾
سورة الجاثية		
277	23	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ ﴾
سورة الأحقاف		
98	13	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٣﴾ ﴾
32	31	﴿ يَفْعَلُونَ مَا أَحْبَبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾
سورة محمد		
383-377-365	19	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكَ ﴾
231	33	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا ﴿٣٣﴾ ﴾
357	38	﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
سورة الفتح		
355-61	28	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ ﴾
سورة الحجرات		
233-185-133	12	﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾
349-154-64	13	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾
سورة الذاريات		
130-116	22-20	﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ءَآفَآلٌ لِّتُبْصُرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

151-21	31	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١)
316-162	42	﴿ مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٤٢)
274	53-52	﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴾ (٥٢) ﴿ أَنْوَاصُوا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٥٣)
56	55	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥)
371-135	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦)
سورة الطور		
114	35	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥)
سورة الرحمن		
76	4-3	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٤)
144	9	﴿ وَأَقِيمُوا الزُّكُوفَ بِالْقَيْسِطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٩)
سورة الحديد		
430	10	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١٠)
177-142	25	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ (٢٥)
242	27	﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ (٢٧)
سورة المجادلة		
381-365	11	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (١١)
282	18	﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ عَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٨)
سورة الحشر		
311	02	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ (٢)
سورة الممتحنة		
242	2	﴿ إِنْ يَشَقُّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٢)
358-87	6	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ (٦)

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾		
سورة الصف		
374-250	3-2	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ
332-331	8	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴿٨﴾
355-61	9	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿٩﴾
سورة الجمعة		
34	2	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ﴿٢﴾
298-105	5	كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿٥﴾
سورة الطلاق		
56	11-10	الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
300	12	أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾
سورة الملك		
138	9-8	تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ^ط كَلَّمَآ أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمُ خَزَنَتَهَا ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿٩﴾
439	14	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾
سورة القلم		
-358-131-120-116 368-366	4	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
86	241	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
سورة الجن		
218	11	وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾
سورة المزمل		
387-363	5-1	يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قِرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

330	10	﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠)
سورة المدثر		
42	2-1	﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ (١) ﴿فَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتَ نَادِرًا﴾ (٢)
سورة النبأ		
152	37	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٣٧)
سورة النازعات		
158	26	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٢٦)
سورة الأعلى		
118	3	﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (٣)
56	9	﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٩)
سورة الضحى		
392-247	8-6	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧) ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ (٨)
سورة العلق		
365	1	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١)
380-377	5-1	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (٤) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٥)
سورة البينة		
370	5	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥)

2- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
29	أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَةُ عِيسَى...
31	دَعَا دَاعِيَ اللَّيْلِ
401-394-38	يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُذُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ ...
38	انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ...
38	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةِ...
39	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ...
39	مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ
96-39	نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا...
39	مَنْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهَى عَنِ مُنْكَرٍ...
43	بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...
43	...لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ
155-43	جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّيَاقِ
131-43	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...
131-47	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ...
47	لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ...
64-55	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي...
72-55	الدِّينُ النَّصِيحَةُ
55	لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ
345-58	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي آتٍ فِي الدِّينِ ...
58	أَنْتُمْ الدِّينُ فَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟...
59	إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا...
65-62-55	وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً...
-354-307-142-62	لِيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...
405-404-389-358	

65	فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ...
66	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ...
82	كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ...
-131-116-99-86 368-358	كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ
129-116-88	...وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي...
129-116-88	خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ لَعَلِّي...
120	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً...
121	عَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ
121	فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ...
121	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ
140-122	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ
122	يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ...
123	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ...
123	كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَاتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي « سَلْ »
123	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ...
123	إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ...
124	إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ...
124	لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَهُ
124	إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ...
125	عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
125	مَسَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ
125	لَا تَغْضَبْ
125	اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا
125	عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ...
127	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ...
127	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا...

415-127	أَتُجِبُّهُ لِأُمَّكَ؟...
129	يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا شَأْنُ النَّاسِ...
234-133	فَمَا نَلْتَمَا مِنْ عِرْضِ أَخِيكُمَا أَنْفَاءً أَشَدُّ مِنْ أَكْلِ مِنْهُ...
137	... وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ...
139	إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا...
140	بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ...
143	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...
144	مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا...
185	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ...
188	اللَّهُمَّ فَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّوْبِيلَ...
189	أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ...
385-189	إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ...
190	أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ...
190	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ
190	الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّخَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...
197-163	يَا عَائِشَةُ لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ...
234	أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ...
242	لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ...
244	الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصِيرُ عَلَى أَدَاهُمْ...
246	إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ...
250	يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ...
272	يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا...
272	بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَنِدٌ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ...
272	حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ...
278	أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ...
295	تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ...
318	بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ...

441-321	لَتَسْبِغَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ...
345	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ...
347	إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنْ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي...
368	فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ
369	إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ...
375	لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ...
378-366	مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...
381-365	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ طَرِيقًا...
381	فَالْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ...
398-382	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ...
428-383-44	إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ...
389	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ...
396-394	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ...
394	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ...
401-396	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا...
397	هذا أوان يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدُرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ...
397	ثَكَلْتُكَ أُمُّكَ يَا زَيْدُ...
404	إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...
229-17	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ...
65-64-55	جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا
137	لَا شَخْصَ أَغِيرَ مِنَ اللَّهِ
179	إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَنَهْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ...
179	لَا يَصِلِينَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ...

3- فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا- الكتب:

1. إبراهيم أبو محمد، المكون المعرفي ودوره في توجيه الحضارات، المركز العلمي لطباعة الكمبيوتر، القاهرة، ط1، 1428هـ 2007م.
2. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، مصر، ط1، 1417هـ- 1997م.
3. إبراهيم غانم البيومي وآخرون، حال تجديد الخطاب الديني في مصر، مركز البحوث والدراسات السياسية ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2006م.
4. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، دط، دت.
5. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (ت: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ- 1994م.
6. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
7. أحمد أبو زيد، منهاج الداعية، كتاب دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، د ط، 1414هـ، السنة 13، ربيع الأول، 1414هـ- العدد: 135.
8. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، دار الكتاب المصري القاهرة، ط2، 1407هـ- 1987م.
9. أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فريجينا، أمريكا، ط4، 1415هـ.
10. أحمد أمين، أحمد زين وإبراهيم الأبياري، ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط3، 1987م.

11. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، شعب الإيمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، ط1: 1423هـ - 2003م.
12. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي، كتاب الزكاة باب صدقة جهد المقل، ح 2527، ج 5/ص 59، قال الألباني في تح: حسن.
13. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تح: عبد الفتاح أبو غدة ط2، 1406هـ - 1986م.
14. أحمد بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ - 1994م.
15. أريك جيسلينج وآخرون، الإسلام في عيون غربية دراسات سويسرية، تر: ثابت عيد، نخضة مصر، القاهرة، ط1، 1998م.
16. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1990م.
17. إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، كافي الكفاة، الصحاح، ت محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1414هـ - 1994م.
18. إسماعيل علي محمد، الغزو الفكري التحدي والمواجهة، دار الكلمة، مصر، ط2، 2013م.
19. أكمل الدين إحسان أوغلو، العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد: منظمة التعاون الإسلامي، دار الشروق، بيروت، د ط، 2013م.
20. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ.
21. الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية، ط4، 1423هـ - 2002م.
22. أنور الجندي، أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، مؤسسة الرسالة، ط1 1404هـ - 1984م.

23. باتريك جيه بوكانن، موت الغرب، تر: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ - 2005م.
24. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار المكتبة العلمية، لبنان، ط1، 1415هـ - 1995م.
25. بسام العموش، فقه الدعوة، دار النفائس، الأردن، ط1، 1425هـ - 2005م.
26. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت، ط2، 1419هـ - 1998م.
27. أبو بكر أحمد ابن علي الرازي الجصاص، (ت: 370هـ)، أحكام القرآن، تح: محمد الصادق القمحاوي، دار احياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، دط، 1412هـ - 1992م.
28. أبو بكر أحمد بن الحسين البهيتي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، 1410هـ.
29. أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ.
30. تقي الدين أبو محمد عبد الغني المقدسي الجماعيلي الحنبلي، (ت: 600هـ)، متن عمدة الأحكام، تح: عادل بن حسن نصار، غزة، فلسطين، د ط، د ت.
31. تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تح: عبد اللطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ - 1997م.
32. توفيق الواعي، الدعوة إلى الله (الرسالة، الوسيلة، الهدف)، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1406هـ.
33. ابن تيمية (ت728هـ)، مجموع الفتاوى، تح: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، مصر، ط3؛ 1426هـ - 2005م.

34. ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، دط، 1418هـ.
35. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ-1999م.
36. ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.
37. ابن تيمية، كتب رسائل وفتاوى تح: عبد الرحمان بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية.
38. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمان بن قاسم، مكتبة فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د ط، 1425هـ-2004م.
39. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، كتاب الموسوعة الشاملة.
40. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط5، 1424هـ-2003م.
41. جمال رجب سيدي، منهج تحديد الخطاب الديني، نيويورك، مصر، ط1، 2018م.
42. جمال عبد الهادي محمد مسعود، الطريق إلى بيت المقدس، دار الوفاء، مصر، د ط، د ت.
43. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المدهش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1426هـ-2005م.
44. ابن الجوزي، غريب الحديث، تح: عبد المعطي أمي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.
45. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الكافية في الجدل، ت: فوقيه حسين محمود، مطبعة عيسى الباني الحلبي، القاهرة، ب ط، 1399هـ-1979م.
46. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:505هـ)، المستصفى في علم الأصول، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م.
47. ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

48. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
49. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: عبد الرحمان خليفة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ط1، 1347هـ.
50. حساني محمد النور محمد، فقه الأولويات في الشريعة الإسلامية (دراسة في القواعد والضوابط والتطبيقات المعاصرة)، دار اليسر، مصر، د ط، 2014م.
51. حسن السيد عز الدين بحر العلوم، الخطاب الإسلامي والقضايا المعاصرة، العارف، بيروت، ط1، 1431هـ - 2010م.
52. حسن الصفار، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، المركز النقابي العربي، المغرب، ط1، 2005م.
53. أبو الحسن الندوي، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ، مجلة دعوة الحق، السنة السابعة، العدد80، ذو القعدة 1408هـ، جويلية 1988م.
54. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ، تفسير مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
55. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، صحيح مسلم (جامع الصحيح)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م.
56. أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.
57. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، دت.
58. نوري سعيد أبو زيد، الخطاب الأدبي من النشأة إلى التلقي مع دراسة تحليلية نموذجية، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2005 م.

59. الخطيب البغدادي، اقتصاد العلم والعمل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1397هـ،
تح: محمد ناصر الدين الألباني.
60. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي
السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة
العالمية، ط1، 1430هـ- 2009 م.
61. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ترتيب محمود فاطر، مكتبة لبنان
ناشرون، بيروت، دط، 1415هـ-1995م.
62. رجب عبد الجواد إبراهيم، معجم المصطلحات الإسلامية في المصباح المنير، دار الآفاق
العربية، مصر، ط1، 1423هـ- 2002م.
63. رمضان محمد مطايرد وغيره، أصول الدعوة ومناهجها، د ط. 2019م.
64. رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية
العامة، آفاق عربية، العراق، ط1، 1997م
65. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو
الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ- 1984م.
66. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل
السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، دط،
د ت.
67. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة،
مؤسسة الجريسي، الرياض، السعودية، ط1، 1415هـ-1994م.
68. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مواقف الصحابة رضي الله عنهم في الدعوة إلى الله
تعالى، مطبعة سفير، الرياض، د ط، د ت.
69. سعيد عبد العظيم، صور من الطغيان المادي المعاصر، دار القمة، ودار الإيمان، مصر، د
ط، د ت.
70. أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم
العزاوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط2، 1422هـ.

71. سميح عبد الوهاب الجندي، أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ - 2008م.
72. سهيلة علاوة عظيمي، منهجية التجديد عند أبي الأعلى المودودي، دار النهضة، دمشق، ط1، 1429هـ - 2008م.
73. سيد بن حسين العفاني، موسوعة صلاح الأمة في علو المهمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
74. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 1423هـ - 2003م.
75. السيد محمد نوح، آفات على الطريق، دار الوفاء، مصر، ط1، 1433هـ - 2012م.
76. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1429هـ - 2008م.
77. الشحات محمود عطا، التمكين العالمي للإسلام في السياسة والحكم، دار العواصم، الجزائر، ط1، 2009م.
78. الشريف حاتم بن عارف العوني، تأصيل التعامل مع الاختلاف، د ط، د ت.
79. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، قواعد الدعوة الإسلامية، المدينة المنورة، دط، 1413هـ.
80. شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي القرافي (ت684هـ)، كتاب الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، تح: محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام، القاهرة مصر، ط1، 1421هـ - 2001م.
81. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت: 1250هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1419هـ - 1999م.
82. الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.
83. الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

84. صالح بن حميد، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء جدة، السعودية، ط1، 1999.
85. صالح بن عبد الله بن حميد، أدب الاختلاف، وزارة الإعلام، ط3، 1412هـ.
86. الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط1، 1999م.
87. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن الكريم، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
88. طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1992م.
89. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ - 2001م.
90. طه عبد الرحمان، اللسانيات والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
91. عبد الحميد حسانين حسن، من مقالات الشيخ الغزالي، نخضة مصر، القاهرة، 2005م.
92. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، القواعد والأصول الجامعة والفروق والتفاسيم البديعة النافعة، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 2002م.
93. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.
94. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط8، 1420هـ - 2000م.
95. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم دمشق، سوريا، ط1، 1417هـ - 1996م.
96. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ - 1996م.

97. أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الزهد والرفائق لابن المبارك، التركي ثم المؤزني (ت: 181هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، دط، دت.
98. عبد الرحيم بن محمد المغدوي، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دار الحضارة، الرياض، السعودية، ط2، 1431هـ - 2010م.
99. عبد الرؤوف المناوي، فيض التقدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م.
100. عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الوفاء، مصر، ط5، 1410هـ - 1989م.
101. عبد السلام عيادة علي الكربولي، فقه الأولويات في ظلال مقاصد الشريعة الإسلامية، دار طيبة الدمشقية، ط1، 1423هـ - 2008م.
102. عبد العظيم رمضان، الصراع بين الغرب وأوروبا، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
103. عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية، مكتبة وهبة، مصر، دط، 1983م.
104. عبد الكريم رباح مقداد، فقه الخطاب الإسلامي وقضايا المعاصرة، رسالة ماجستير، إشراف: رفيق أسعد رضوان، الجامعة الإسلامية غزة، السنة الجامعية 1434هـ - 2013م.
105. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط9، 1423هـ - 2002م.
106. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ - 2001م.
107. عبد الله التل، جذور البلاء، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1390هـ - 1971م.
108. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1411هـ - 1990م.
109. عبد الله الكمالي، تأصيل فقه الموازنة، دار ابن حزم، ط1، 1421هـ - 2000م.

110. عبد الله بن أحمد القادري، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته، دار المنار، جدة، ط2، 1413هـ - 1992م.
111. عبد الله بن عباس رضي الله عنه (توفي: 68هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية لبنان، دط، دت.
112. عبد الله محمد الرميان، الجهود العلمية والدعوية للشيخ عبد الرحمان السعدي، دار المسلم، الرياض، ط1، 1419هـ.
113. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
114. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751)، مفتاح دار السعادة، تح: عبد الرحمان بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432هـ.
115. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ب ط، 1423هـ - 2003م.
116. أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (ت: 286هـ)، البدع والنهي عنها، تح: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، ط1، 1416هـ.
117. عبد الله ناصح علوان، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار السلام، مصر، ط2، 1427هـ - 2006م.
118. عبد الله ناصح علوان، سلسلة مدرسة الدعاة، دار السلام، القاهرة، ط1، 1418هـ - 1997م.
119. عبد الله ناصح علوان، مدرسة الدعاة، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ - 1997م.
120. عبد الله ناصح علوان، الإسلام شريعة الزمان والمكان، دار السلام، القاهرة، ط7، 1424هـ - 2003م.

121. أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت: 228هـ)، كتاب الفتن، تح: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد - القاهرة، ط1، 1412هـ.
122. عبد المجيد محمد السوسوة، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، دار القلم، الإمارات، ط1، 1425هـ - 2004م.
123. عبد المهيمن عبد السلام طحان، من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب والسنة (ضعف الإيمان)، دط، 1421هـ.
124. عبد الوهاب كحيل، الأسس العلمية للإعلام الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، ب ط، ب ت.
125. عدنان بن محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ط1، 1426هـ - 2005م.
126. عزيز بن فرحان العنزي، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط1، 1426هـ - 2005م.
127. ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، ش: ابن عباد النفري الرندي، مؤسسة الأهرام، مصر، ط1، 1408هـ - 1988م.
128. عقيل بن محمد المقطري، أدب الاختلاف، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.
129. علال الفاسي، مقاصد الشريعة ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط5، 1993م.
130. علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار ابن كثير دمشق، سوريا، 1430هـ - 2009م.
131. علي بن نايف الشحود موسوعة الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل.
132. علي بن برهان الدين الحلبي، (ت: 1044هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، د ط، 1400هـ.
133. علي بن عمر بادحدح، ومحمد بن محمود حوا، موسوعة زاد الدعاة، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1437هـ - 2016م.

134. علي بن نائف الشحود، لماذا يمزق القرآن الكريم، كتاب بالموسوعة الشاملة، د ط، د ت.
135. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 1407هـ-1986م.
136. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله تعالى، دار الوفاء، مصر، ط2، 1411هـ-1990م.
137. علي محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، ط7، 2008م.
138. عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، مركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005م.
139. عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، امريكا، ط1، 1412هـ-1991م.
140. عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، 1423 هـ.
141. عوض بن محمد مرضاح، الضغوط النفسية في حياة الداعية، مدار الوطن، السعودية، د ط، د ت.
142. غازي حسين عناية، مناهج البحث العلمي في الإسلام، دار الجيل، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.
143. غازي حسين عناية، مناهج البحث، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ب ط، 1984م.
144. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.
145. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ-1979م.
146. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1406هـ-1986م.

147. أبو الفتح البيانوني، القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، دار اقرأ، الكويت، ط1، 1431هـ - 2011م.
148. أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1435هـ - 2014م.
149. أبو الفتح البيانوني، بصائر دعوية، دار السلام، مصر، ط2، 1427هـ - 2006م.
150. أبو الفتح البيانوني، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مطبعة الغيب، الكويت، ب ط، 1417هـ - 1996م.
151. فتحي يكن، المتساقطون على طريق الدعوة، دار الشهاب، الجزائر، د ط، د ت.
152. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
153. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
154. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، د ط، 1395هـ - 1976م.
155. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي محمد سلامة، دار طيبة، السعودية، ط2، 1420هـ - 1999م.
156. فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ومنشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1، 1417هـ - 1997م.
157. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، عبد الحليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ - 1996م.
158. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1419هـ.

159. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت: 538هـ)، الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
160. أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، العدة في أصول الفقه، ط2، 1410هـ-1990م.
161. محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424هـ-2003م.
162. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ-2007م.
163. أبو نصر عبد الرحمن بن أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير القشيري، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، د ت.
164. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم المدرسة الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1423هـ.
165. ابن القيم، الفروسية الحمديدية، تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1428هـ.
166. ابن القيم، الفوائد، ت محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، السعودية، ب ط، ب ت.
167. ابن القيم، الوابل الصيب من الكلام الطيب، تح: عبد القادر وإبراهيم الأرئوط، مكتبة دار البيان، دمشق سوريا، دط، 1393هـ-1973م.
168. ابن القيم، مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط7، 1423هـ-2003م.
169. شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ-1981م.
170. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الزهد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1420هـ-1999م.

171. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، (ت: 502هـ)، المفردات القرآن، تح: محمد السيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.
172. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.
173. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ-2005م.
174. لواء أحمد عبد الوهاب، الإسلام في الفكر الغربي دين ودوله وحضارة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دط، دت.
175. أبو سفيان وكيع بن الجراح ، الزهد، تح: عبد الرحمان عبد الجبار الفيرواني، مكتبة المدينة المنورة، ط1، 1404هـ -1984م.
176. مجموعة من الكتاب، بصائر تربوية، راجعه عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دط، 2004م.
177. المحجوب بن سعيد، الإسلام والإعلامفويا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1434هـ-2013م.
178. محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، دار العلم للملايين، بيروت، تح: عمر فروخ، دط، دت.
179. محمد إسماعيل، علو الهمة، دار الإيمان، مصر، دط، 2004م.
180. محمد أكرم العدلوني، العمل المؤسسي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، دط، 1423هـ-2002م.
181. محمد الراوي، الدعوة الإسلامية (دعوة عالمية)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1415هـ -1995م.
182. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون التونسية، تونس، دط، 1984م.
183. محمد الغزالي، الحق المر، دار الريان للتراث، مصر، ب ط، 2002م.
184. محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، نهضة مصر، ط7، 2005م.
185. محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه، دار الشروق، مصر، ب ط، ب ت.
186. محمد الغزالي، مع الله... دراسات في الدعوة والداعية، نهضة مصر، ط6، 2005م.

187. محمد الوكيل، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، أمريكا، ط1، 1416هـ - 1997م.
188. محمد الوكيل، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن فيرجينيا، ط1، 1416هـ - 1997م.
189. محمد اليوبي، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة، ط1، 1998م.
190. محمد أمخزون، منهج النبي ﷺ في الدعوة (من خلال السيرة الصحيحة)، دار السلام، مصر، ط5، 1431هـ - 2010م.
191. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، جلاء الأنفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تح: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط2، 1407هـ - 1987م.
192. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1410 هـ.
193. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
194. محمد بن حسين بن الحبيب الشنقيطي، منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط1، 1413هـ - 1992م.
195. محمد بن شاكر الشريف، تحديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، مكتبة الملك فهد، السعودية، ط1، 1425هـ - 2004م.
196. محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت: 741هـ)، مشكاة المصابيح، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.
197. محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، طلب العلم وطبقات المتعلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دط، دت.

198. محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1425هـ- 2004م
199. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، نا: دار الغرب الإسلامي - بيروت، تن: 1998م، ح2685.
200. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دت.
201. محمد بن يوسف ابن حيان، (ت: 745هـ)، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ- 1993م.
202. محمد بو الحديد، المذكرة في فقه الدعوة إلى الله، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2017م.
203. محمد خليفة، الإسلام وتطور الخطاب الديني، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1990م.
204. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1990م.
205. محمد شاکر الشریف، العلمانية وثمارها الخبيثة، دار الوطن الرياض، السعودية، ط1، 1411هـ.
206. محمد صالح المنجد، ظاهرة ضعف الإيمان، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1413هـ.
207. محمد عبد الفتاح مصطفى، الخطاب الديني تحديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، دار كنوز، الجزائر، د ط، 2017م.
208. محمد عجاج خطيب، أبو هريرة راوية الإسلام، مكتبة وهبه، مصر، ط3، 1402هـ- 1382م.
209. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، د ط، 1414 هـ- 1991م.
210. محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، دار الشروق، مصر، دط، دت.

211. محمد عمارة، الإسلام والغرب، مركز الإعلام العربي، مصر، ط1، 1427هـ - 2006م.
212. محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2، 1428هـ - 2007م.
213. محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، مصر، ط1، 1423هـ - 2003م.
214. محمد فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1434هـ - 2013م.
215. محمد قطب، ركائز الإيمان، دار الشروق، مصر، ط1، 1422هـ - 2001م.
216. محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، المختار من صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د ط، دت.
217. محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 2007م.
218. محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر، القاهرة، ط1، 2004م.
219. محمد منير حجاب، نظريات الإعلام الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1982م.
220. محمد موسى الشريف، الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، دار ابن كثير، مصر، د ط، 1430هـ - 2009م.
221. محمد موسى الشريف، الخطاب الإسلامي بين الواقع والمأمول، دار ابن كثير، بيروت، د ط، 1430هـ - 2009م.
222. محمد وقيع الله أحمد، الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة، د ط، ط1، 1427هـ - 2006م.
223. محمد يسري، معالم في أصول الدعوة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 1424هـ - 2003م.
224. مصطفى ديب البغا، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م.

225. معاذ بن محمد أبو الفتح البيانوني، التعددية الدعوية، دار إقرأ، بيروت، ط1؛ 1427هـ-2006م.
226. مناع بن خليل القطان، (ت: 1420هـ)، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ط5، 1422هـ-2001م.
227. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
228. منقذ بن محمود السقار، الدعوة والداعية، رؤية معاصرة، مجلة دعوة الحق، رابطة العالم الاسلامي، عدد266، السنة 28، 1436هـ.
229. ناجي إبراهيم السويد، فقه الموازنات بين النظرية والتطبيق، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.
230. ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1، د.ت.
231. نجلاء إسماعيل أحمد، الإعلام الديني والتعددية الثقافية، دار المعتز، جامعة الأردن، ط1، 2018م.
232. نخبة من الباحثين والكتاب، الخطاب الإسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، مركز البحوث والدراسات، الدوحة، ط1، 1426هـ-2006م.
233. نخبة من المؤلفين، الخطاب الدعوي لجماعة المسجد، إعداد شركة الخبرات الذكية للتعليم والتدريب، الرياض، د ط، د.ت.
234. نخبة من كبار العلماء، موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، دار نهضة، مصر، ط1، 2012م.
235. نور الدين الخادمي، المقاصد الشرعية، مكتبه كنوز اشبيليا، السعودية، ط1، 2007م.
236. نور الدين عادل، مجادلة أهل الكتاب، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ط1، 1428هـ-2007م.
237. هربرت هيركومر، صورة الإسلام في التراث الغربي، تر: ثابت عيد، نهضة مصر، القاهرة، ب ط، 1999م.

238. أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، السيرة النبوية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل، بيروت، د ط، 1411هـ.
239. أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2: 1375هـ - 1955م.
240. وسائل الدعوة وأساليبها، كتاب المادة، جامعة المدينة العالمية، د ط، 2010م.
241. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
242. يحيى أبو زكريا، الإسلام والغرب، دار ناشري للنشر الالكتروني، دط، 2004م.
243. يحيى سليمان العقيلي، إستدراكات على مسيرة الدعاة، د ط، الكويت، 1430هـ - 2009م.
244. يوسف أحمد محمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، دار النفائس، الأردن، ط1، 1421هـ - 2000م.
245. يوسف القرضاوي، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1416هـ - 1995م.
246. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ - 1983م.
247. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، دار الشروق مصر، ط1، 1421هـ - 2001م.
248. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، كتاب الأمة، قطر، ط3، 1402هـ.
249. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية من المرافقة إلى الرشد، دار الشروق، مصر، ط1، 2008م.
250. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مكتبة وهبة، مصر، د ط، 1410هـ - 1990م.

251. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط10، 1416هـ - 1996م.
252. يوسف القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشروق، مصر، ط1، 1421هـ - 2000م.
253. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، مصر، ط1، 1424هـ - 2001م.
254. يوسف القرضاوي، دراسة في فقه مقاصد الشريعة، دار الشروق، مصر القاهرة، ط1، 1427هـ - 2006م.
255. يوسف القرضاوي، فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1426هـ - 1997م.
256. يوسف القرضاوي، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد، مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، الدوحة، قطر، د ط، 1430هـ - 2009م.
257. يوسف القرضاوي، في فقه الأقليات المسلمة، دار الشروق، مصر، ط1، 1422هـ - 2001م.
258. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1416هـ - 1996م.
259. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1994م.
- ثانياً- البحوث و المقالات:

1. أحمد أبو زيد بوسجادة، المعوقات الداخلية في طريق الدعوة الإسلامية، مقال بمجلة معارف، الجامعة الاسمية، ليبيا، السنة الرابعة، العدد السابع، د ت.
2. أحمد حسن محمد، أساليب ومضامين الخطاب الإسلامي، مقال بمجلة البيان، رقم 223، ربيع الأول 1427هـ.
3. أحمد عبد الرحيم السايح، الغزو الفكري في التصور الإسلامي، بحث بمجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد 07.

4. أحمد عبد الغني محمود، مشكلات الأقليات المسلمة في الغرب، بحث مرشح للفوز الألوكة الثانية، تحت رابط: www.alukah.net
5. أحمد علي سليمان، تجديد منهج الدعوة الإسلامية في ظل المتغيرات الحديثة، مؤتمر دولي (التجديد في الإسلام)، رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة صنعاء، المنعقد في فبراير 2009.
6. أدمير زكيتش البوسنوي، الدراسات المستقبلية وتاريخ الدعوة، مقال بموقع شبكة الالوكة تاريخ الإضافة 2010/02/25 م، تاريخ التصفح 2020/05/03، رابط الموقع: aluka.net
7. أسامة حمدي السيد، أسباب ضعف فاعلية الخطاب الدعوي، حولية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر، مصر، 1437هـ - 2016 م.
8. أسماء بوعنان، صورة الإسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي عوامل التشكيل وسبل التعبير، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 47 جوان 2017، المجلد أ، كلية الإعلام والاتصال والسمع البصري، جامعة صالح بوبنيدر، قسنطينة الجزائر.
9. أنواع الخطاب في القرآن الكريم، أبحاث قرآنية، بواسطة unknown، تاريخ الإضافة 2016/05/24 تاريخ التصفح 2021/03/21
10. أنور الجندي، ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي، مقال بمجلة دعوة الحق، السنة الخامسة العدد 52، 1406هـ - 1986م.
11. أيوب سعيد زين العطيف، فقه الموازنات رؤية تأصيلية تطبيقية، بحث مقدم لمؤتمر (فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصر)، بتاريخ 27 1434/10/29 هـ - 03 2013/09/05 م، جامعة أم القرى.
12. بحث لأحمد أحمد غلوش، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط9، العدد4، 1397هـ - 1977م.
13. بدر الدين زواقة، العمل الإسلامي المعاصر من العمل الجماعي إلى العمل المؤسسي، مقال بشبكة ضياء، تاريخ الإضافة: 2012/10/15 م، تاريخ التصفح: 2020/05/02 م.

14. بدر الدين زواقة، المناهج الدعوية وتطبيقاتها على النصيحة الشرعية نحو رؤية متجددة، بحث بمؤتمر النصيحة ... المنطلقات والأبعاد، المنعقد بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، في الفترة: 27- 29 محرم 1434هـ، الموافق 11- 13 ديسمبر 2012م.
15. برير سعد الدين السماني برير، إشكالات وتحديات الخطاب الدعوي رؤية تفصيلية، مقال موقع طريق الإسلام، تاريخ الإضافة: 2014/07/05م تاريخ التصفح: 2019/02/11م، رابط الموضوع <https://ar.islamway.net>
16. تيار الإصلاح، حاجه الدعاة إلى فقه الموازنات، مقال، تاريخ الإضافة: 2015/10/19، تاريخ التصفح: 2021/03/28.
17. جبارة سامية، مظاهر تحديد الخطاب الديني ونتائجه، بحث بمؤتمر العلمي الدولي الأول بعنوان: تجيد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم، بكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف، مصر، يومي 15 16/03/2017.
18. الجوهرة بنت صالح الطريفي، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، بحث مقدم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، السنة الجامعية 1433هـ.
19. حازم علي ماهر، الخطاب الديني... من التجنيد إلى التجديد، مقال بمجلة المجتمع، تاريخ الإضافة: 2017/09/05، تاريخ التصفح: 2019/01/30م، رابط الموضوع: <https://mugtama.com>
20. حسن المعارجي، دراسات في الترجمات القرآنية، مقال بموقع الهيئة العالمية القرآن الكريم، ب ت الإضافة، تاريخ التصفح 2020/02/04.
21. حسين أحمد أبو عجوة، فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ودوره في الرقي بالدعوة الإسلامية، بحث مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر (7 8 ربيع الأول 1426هـ، 16 17 أبريل 2005م).
22. خالد داد ملك، الخطاب القرآني وأنواعه، مقال بمجله القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد 22، 2015م.

23. خراز وسيلة، التعايش الديني للأقليات المسلمة مقتضياته الحضارية، ضوابطه الشرعية، تحدياته الراهنة، مقال بمجلة دراسات كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، عدد: 6، مجلد 4.
24. رمضان فوزي بدين، المنهج العقلي في الدعوة النبوية وتطبيقاته، مقال بموقع عيون تاريخ التصفح 2020/11/16 تاريخ العرض 2017/11/16 www.ayoun.net
25. رمضان فوزي بديني، المنهج العاطفي في الدعوة النبوية وتطبيقاته، مقال موقع خطباء، تاريخ التصفح 2020/11/16 - 1441/03/28هـ.
26. زلفي محمد أحمد الخراط، فقه الأولويات في الدعوة إلى الله، مقال بموقع الألوكة، تاريخ الإضافة: 2019/10/20م، تاريخ التصفح: 2021/03/05م.
27. ساجدة طه محمود، فقه الأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمة، بحث بجامعة بغداد، 2011 كانون الأول.
28. سعيد شبار، ظاهرة الإسلاموفوبيا: صناعة مشتركة بين الغرب والمسلمين، أعمال الندوة الدولية ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبيل التعامل معها، جمع وتنسيق حسن عزوزي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1436هـ - 2015م.
29. سعيد عبد الله حارب، الخطاب الإسلامي سماته وأهدافه، بحث بمؤتمر مكة المكرمة: الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر، 5 - 7 ذي الحجة 1428هـ، 15 - 17 ديسمبر 2007م.
30. سليمان بن عبد العزيز الربيعي، النقد الذاتي للواقع الدعوي، مقال بمجلة البيان، العدد 116، ربيع الآخر 1418هـ.
31. شوقي إبراهيم علام، من خصائص الخطاب الديني.. مراعاة فقه الواقع «2»، مقال بموقع مصرراوي، تاريخ الإضافة: الأحد 27 أبريل 2014م، تاريخ التصفح: 2019/01/30م، رابط الموضوع: <https://www.masrawy.com>
32. طالب حماد أبو شعر، عالم الخطاب الدعوي، بحث بمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر 7- 8 ربيع الأول 1426هـ، 16 - 17 أبريل 2005م، الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين.

33. طالب حماد أبو شعر، معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، بحث علمي مقدم للمؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، بتاريخ: 7- 8 ربيع الأول 1426هـ / 16- 17 أبريل 2005م، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة.
34. عاطف عبد المعز الفيومي، الخطاب القرآني وتنوعه، مقال بموقع الألوكة، تاريخ الإضافة 2010/03/24 تاريخ التصفح 2021/03/05.
35. عبد الحكيم بن محمد بلال، العمل المؤسسي، مقال بمجلة البيان عدد 143، جماد الأولى 1420هـ.
36. عبد الكريم محمد بكار، مشكلات تواجه الخطاب الإسلامي، بحث بمؤتمر مكة المكرمة الثامن بعنوان: الخطاب الإسلامي وإشكاليات العصر، المنعقد في 5- 7 ذي الحجة 1428هـ، 15- 17 ديسمبر 2007م.
37. عبد المجيد محمد السوسوة، منهج فقه الموازنات، بحث بمجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد: 51، موقع جامع الكتب الإسلامية، الرابط: <https://ketabonline.com/ar/books/19869>
38. عبد الناصر حسن صويص، فقه الأولويات، مقال بمجله رواء تاريخ الإضافة 2020/5/7، تاريخ التصفح 2021/3/23.
39. عبد الناصر حسن صويص، في فقه الأولويات، مقال بمجلة رواء، تاريخ العرض: 2020/07/07م، تاريخ التصفح: 2021/03/20م. الرابط: <https://rawaamagazine.com/?p=369>
40. عدنان أجانة، خطاب الناس في القرآن الكريم، مقال بموقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تاريخ الإضافة: 2017/01/20، تاريخ التصفح: 2021/01/21م.
41. عطية عدلان، تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال، مقال بموقع مجلة البيان، العدد 314، تاريخ الإضافة: 2013/07/30م، تاريخ التصفح: 2019/02/09م، رابط الموضوع: <http://www.albayan.co.uk>
42. على بن نايف الشحود، وثيقة حقوق المرأة المسلمة وواجباتها، موسوعة البحوث والمقالات العلمية،

43. علي الصلابي، المنهج النبوي في بناء القيم في العهد المكي، مقال بموقع مدونات الجزيرة، تاريخ الإضافة 2018/01/23م، تاريخ التصفح 2021/03/12م.
44. علي بن أحمد بن الأمين الريسوني، فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1425هـ - 2004م.
45. عمر حابس نوافلة، الخطاب الدعوي في القرآن الكريم، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بنين، القاهرة، العدد 33، إصدار 2016.
46. ليلي البيومي، إشكاليات الدعوة عند مسلمي الغرب، مقال بتاريخ الناشر 27 شوال 1428هـ، 2007/11/08م تاريخ التصفح 2019/10/25. موقع مداد.
47. مجموعة من الباحثين، صورة الإسلام في الغرب بين التشويه وواجب التصحيح، يوم دراسي بكلية الشريعة بفاس، يوم 9 ماي 2006م، مطبعة أنفو فارس.
48. محمد الدرداري، الإعلام الغربي وصورة العرب والمسلمين، مقال بموقع شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة 2017/09/10م، تاريخ التصفح 2019/10/12م، رابط الموضوع www.alukah.net
49. محمد الغزالي، عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق، بحث في المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وأعداء الدعاة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، تاريخ العرض، 1436/07/222هـ 11 ماي 2015م، تاريخ التصفح 2019/03/20.
50. محمد الغزالي، مقالات في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ط2، 1432هـ - 2011م.
51. محمد أمين حسن بني عامر، مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها، مقال بمجلة دراسات لعلوم الشريعة والقانون، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، مجلد 35، العدد 1، 2008م.
52. محمد أمين حسن بني عامر، مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها، حولية دراسات كلية الشريعة والقانون جامعة اليرموك، الأردن، المجلد 35 العدد 1، سنة 2008.
53. محمد بخيت، فكر الهزيمة خطره وسبل مواجهته، بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، كلية أصول الدين بجامعة المدينة المنورة، أبريل 2007.

54. محمد بن عبد الله الدويش، تأملات دعوية حول التجديد والإبداع، مقال بمجلة البيان، العدد 148.
55. محمد حسن رباح بخيت، يحيى على الدجنى، المنهج الحسى وتطبيقاته في الدعوة، بحث بمجلة الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة، المجلد 18 العدد الأول، يناير 2010 www.iugaza.edu.ps/ara/research
56. محمد يسري، من فقه إدارة الدعوة، التدريب العملي، مقال على شبكة المعلومات الدولية. www.dar.alyousr/?p=265
57. محمود عثمان، فقه الموازنات وأدلته الشرعية، بحث مقدم لمؤتمر (فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصر)، بتاريخ 1434/10/29 هـ - 2013/09/05 م، جامعة أم القرى.
58. معاذ محمد أبو الفتوح البيانوني، المناهج الدعوية في القرآن الكريم، بحث بمؤتمر العالمي للقرآن الكريم أو دورة في بناء الحضارة الإنسانية، جامعة أفريقيا العالمية الخرطوم، السودان، 20-22 محرم 1433 هـ، 15-17 ديسمبر 2011 م.
59. المعراوي محمد صياح، الخطاب الإسلامى المعاصر بين التجديد والتبديد، مقال بمجلة المنبر، هيئة علماء السودان، ع13، 1431 هـ - 2010 م
60. مها عيسى إبراهيم صديم، نحو خطاب دعوي مؤثر من خلال قصة إبراهيم عليه السلام، إشراف: طلال أحمد النجار، دراسة مشروع تخرج في التربية الإسلامية، الفصل الثاني 2009م - 2010م، جامعة القدس المفتوحة، رفح فلسطين.
61. ميساء روابده، التحديات المعاصرة التي تواجه الدعوة الإسلامية وطرق مواجهتها، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الأول (التطوير في علوم الدعوة والتنمية البشرية المعاصرة) جامعة ملايا، ماليزيا، في الفترة 15/05/2013 م.
62. نادر أبو الفتوح، مراكز إسلامية في الغرب تنحرف عن مهامها في مواجهة التطرف، مقال بجريدة العرب، العدد 11134 بتاريخ 2018/10/10.
63. ناصر يوسف عبد الله، وجوه الخطاب القرآني في تفسير البحر المحيط، رسالة ماجستير في علوم القرآن تخصص تفسير، الجامعة الإسلامية ببغداد، 1427 هـ - 2006 م.

64. يحيى علي يحيى الدجني، الدعوة الفردية مشروعيتها وآدابها وأثرها في الاستيعاب، بحث بمجلة جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية غزة، العدد 2، سنة 1429هـ - 2008م.

65. يوسف القرضاوي، أين الخلل، مقال في مجلة الأمة، قطر، عدد شعبان 1405هـ.

ثالثاً- الأطروحات والرسائل العلمية:

1- أطروحات الدكتوراه:

1. إبراهيم بن عبد الرحيم عابد، وسائل الدعوة إلى الله تعالى في شبكة المعلومات الدولية، رسالة دكتوراه في الدعوة والاحتساب، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1427هـ.

2. جالوس بنت فرج القحطاني، إعداد الداعية في ضوء الكتاب والسنة، (رسالة دكتوراه)، إشراف: حمد بن ناصر العمار، كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1433هـ.

3. حامد بن أحمد بن علي العامري، الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي، رسالة دكتوراه، إشراف: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1422هـ.

4. حلیم مرزاقی، أصول الفقه الأقليات المسلمة وضوابطها بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه في معارف الوحي والتراث، قسم الفقه وأصول الفقه كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 2018م.

5. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، رسالة دكتوراه، إشراف: سعود بن محمد البشر، كلية الدعوة والإعلام، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1413هـ - 1414هـ.

6. سليمان بن ناصر مرزوق عبد الله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، المشرف: مناع خليل القطان، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1418هـ - 1997م.

7. عمر أبو الجحد بن حسين قاسم النعيمي، الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة، رسالة دكتوراه، إشراف: زاهر بن عواض الألمعي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، السنة الجامعية 1418هـ.

8. عمر محمد جبه جي، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه، إشراف: حسام سباط، جامعة الجنان ' طرابلس، لبنان، السنة الجامعية 2013م- 2014م.

9. توفيق بن عبد العزيز السديري، مشكلات الدعوة إلى الإسلام ومجتمع الأقليات المسلمة في أوروبا وسبل علاجها، رسالة دكتوراه، إشراف: صاحب المعالي الدكتور عبد الله بن محمد آل الشيخ، وزير العدل جامعة محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، السعودية، السنة الجامعية 1421هـ.

2- أطروحات الماجستير:

1. حاسن علي صوّان الغامدي، منهج النبي ﷺ في الدعوة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، رسالة ماجستير، إشراف: سليمان الصادق البيرة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية 1419هـ.

2. سعد بن عبد الله سعد القعود، فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، 1431هـ- 1432هـ.

3. سعد بن عبد الله بن سعد القعود، فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد المولى جمعة، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، 1431هـ- 1432هـ.

4. شكري هارون إبراهيم مانلين، ثقافة الداعية في عصر العولمة، رسالة ماجستير في الدعوة، إشراف: محمد السيد البساطي، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، سبتمبر 2014م.

5. الطالب صادق منصور محمود، معوقات الدعوة في العصر الحاضر وسبل معالجتها، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحمان محمود، تخصص دعوة، كلية الإمام الأعظم، سنة 2011م- 1432هـ، بغداد.

6. عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، بجامعة المدينة العالمية ماليزيا، 1432هـ - 2011م.
7. عبد الكريم رباح مقداد، فقه الخطاب الإسلامي وقضايا المعاصرة، رسالة ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية بغزة السنة الجامعية 1434هـ - 2013م.
8. نايف بن مرزوق الرويس، القواعد الأصولية المتعلقة بفقه الموازنات وعلاقتها بالأدلة الشرعية، رسالة ماجستير في أصول الفقه، إشراف: محمود حامد عثمان، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية 1435هـ - 1436هـ.

رابعاً-المواقع الالكترونية:

1. تخرج أول دفعة دعاة من الأزهر يجيدون الإنجليزية لنشر الوسطية، موقع العربية، تاريخ النشر 20 جويلية 2010 تاريخ التصفح 2020/12/3، <http://www.alarabiya.net>
2. خباب الحمد، الإعلام الإسلامي في خط المواجهة، موقع الإلكتروني المسلم، <https://ar.islamway.net/article/5774>
3. عبد الرحمن الكيلاني، اللغة في الخطاب الدعوي، موقع جمعية رابطة علماء الأردن، تاريخ الإضافة: 1 كانون 2/يناير 2014م، تاريخ التصفح: 2019/02/03م، رابط الموضوع: <http://olamaa.org>
4. محمد أبو الفتوح البيانوني، الميثاق الدعوي العالمي المفتوح، د ت، تاريخ التصفح: 2020/05/03م. موقع رابط الموضوع: cidawah.org
5. مشاركة 35 دولة في برنامج تأهيل الدعاة برعاية مؤسسة بنان لتأهيل الدعاة بموقع شبكة الالوكة تاريخ الإضافة 2017/07/17 تاريخ التصفح 2020/12/31.

4- فهرس المحتويات

إهداء	
شكر وتقدير	
ملخص	
المقدمة.....	1

الفصل التمهيدي: الدعوة في العصر الحاضر وأهميتها

المبحث الأول: ماهية الدعوة ومتطلباتها	28
المطلب الأول: مفهوم الدعوة لغة واصطلاحاً.....	28
المطلب الثاني: فضل القيام بالدعوة وحكمها.....	35
المطلب الثالث: خصائص الدعوة وأركانها.....	49
المطلب الرابع: أساليب الدعوة ووسائلها.....	69
المبحث الثاني: أهمية الدعوة في العصر الحاضر ومناهجها	105
المطلب الأول: أهمية الدعوة في العصر الحاضر وضرورتها	105
المطلب الثاني: مناهج الدعوة وتطبيقاتها	107
المطلب الثالث: مقاصد الدعوة وغاياتها	135

الفصل الأول: الخطاب الدعوي المعاصر

المبحث الأول: الخطاب الدعوي وأهميته	151
المطلب الأول: تعريف الخطاب الدعوي.....	151
المطلب الثاني: أهمية الخطاب الدعوي	154
المطلب الثالث: أنواع الخطاب الدعوي.....	156
المبحث الثاني: مرتكزات الخطاب الدعوي	170
المطلب الأول: فهم مقاصد الشريعة.....	170
المطلب الثاني: مراعاة آداب الاختلاف:.....	177

المطلب الثالث: فقه الأولويات والموازنة.....	187
المطلب الأول: ضعف الخطاب الدعوي شكلاً ومضموناً.....	203
المطلب الثاني: مجافاة الخطاب الدعوي لأحوال الناس والواقع.....	209
المطلب الثالث: اختلاف لغة الخطاب في قضايا الأمة وأحكام الشريعة.....	213

الفصل الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي المعاصر

المبحث الأول: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد المسلمين.....	225
المطلب الأول: عوائق الاستجابة تتعلق بالداعية.....	226
المطلب الثاني: عوائق الاستجابة تتعلق بالمدعو.....	276
المطلب الثالث: عوائق الاستجابة تتعلق بموضوع الدعوة.....	280
المطلب الرابع: عوائق الاستجابة تتعلق بأساليب ووسائل الدعوة.....	281
المطلب الخامس: عوائق الاستجابة تتعلق بالواقع المعاصر.....	287
المبحث الثاني: عوائق الاستجابة للخطاب الدعوي في بلاد الغرب.....	305
المطلب الأول: التأمر على الإسلام في المناهج التعليمية والبرامج الإعلامية للغرب.....	305
المطلب الثاني: الدعوات المضادة للإسلام.....	311
المطلب الثالث: الأقليات المسلمة والتمثيل السيئ لأخلاقيات الإسلام.....	319
المطلب الرابع: نظرة الغرب للعالم الإسلامي.....	330
المطلب الخامس: ضعف الخطاب الدعوي باللسنة الغرب.....	345

الفصل الثالث: عوامل الاستجابة للخطاب الدعوي

المبحث الأول: تحديد الخطاب الدعوي.....	361
المطلب الأول: إعداد الدعاة والمصلحين.....	361
المطلب الثاني: تحديد محتوى الخطاب وترقيته.....	393
المطلب الثالث: تحديث الوسائل والأساليب للخطاب الدعوي المعاصر.....	402
المطلب الرابع: تفعيل المناهج الدعوية في الخطاب الدعوي.....	409
المبحث الثاني: أسس التجديد في الخطاب الدعوي.....	418
المطلب الأول: التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي.....	418

المطلب الثاني: إحياء فقه الأولويات والموازنات في الخطاب الدعوي	428
المطلب الثالث: الاسترشاد بطرق الخطاب في القرآن الكريم	438
المطلب الرابع: صبغ الخطاب الدعوي المعاصر بخطاب الكتاب والسنة	441
الخاتمة	444

الفهارس

1- فهرس الآيات القرآنية	453
2- فهرس الأحاديث النبوية	473
3- فهرس المصادر والمراجع	477
4- فهرس المحتويات	507